تفسير زاهدي ١

استغفر الله لذنبي كله. قتلت انسانا بغير حله.
عفاك [illegible] في دلله. انتصف ال[illegible] لم اصله.

قلت [illegible] لك [illegible] طا فضحك فقالت او تعد [illegible] فصاحة بعد قوله
تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم
ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في آية
واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين. والثاني ان وجه
اعجازه هو الوصف الذي صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم
والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع فلا يدخل في شيء منها ولا
يختلط بها مع كون الفاظه وحروفه في كلامهم مستعملة في نثرهم
ونظمهم. حكي ان ابن المقفع طلب ان يعارض القرآن فنظم كلاما وجعله
مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبي يقرأ في مكتب قوله تعالى
وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت
على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين. فرجع ومحا ما عمل وقال
اشهد ان هذا لا يعارض ابدا وما هو من كلام البشر وكان افصح
اهل عصره. والثالث ان وجه اعجازه هو ان قارئه لا يكل وسامعه
لا يمل واكثار تلاوته يزيده حلاوة في النفوس وميلا في القلوب وغيره
من الكلام وان كان مستحسن النظم مستحلى النثر يمل اذا اعيد ويستثقل
اذا ردد. والرابع ان وجه اعجازه هو ما فيه من الاخبار بما كان
مما علموه ولم يعلموه فاذا سألوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه
كالذي حكاه من قصة اهل الكهف وشأن موسى والخضر وحال
ذي القرنين وقصص الانبياء مع اممها والقرون الماضية في
دهرها. والخامس ان وجه اعجازه ما هو فيه من الغيب والاخبار
بما يكون فيوجد على صدقه وصحته مثل قوله تعالى لليهود قل ان
كانت لكم الدار الآخرة عند الله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين.

ثم قال ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم فما تمناه احد منهم ومثل
قوله لقريش فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقطع بانهم لا يفعلون
فلم يفعلوا والسادس ان وجه اعجازه وهو كونه جامعا لعلوم كثيرة
لم يتعاطا العرب الكلام فيها ولا يحيط بها من علما الامم واحد منهم
ولا يشتمل عليها كتاب بين الله فيه خبر الاولين والاخرين وحكم
المختلفين وثواب المطيعين وعقاب العاصين فهذه ستة اوجه
يصح ان يكون كل واحد منها اعجازا فاذا جمعها القرآن فليس
اختصاص احدها بان يكون معجزا باولى من غيره فيكون الاعجاز
بجميعها وقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القرآن الاية وقال تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداكم من دون الله ان
كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلم يقدر احد ان ياتي بمثل
القرآن في وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من بعده على
نظمه وتاليفه وعذوبة منطقه وصحة معانيه وما فيه من
الامثال والاشيا التي دلت على البعث واياته والانبا بما كان ويكون
وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة
الدما وصلة الرحم والعدل والاحسان والمواعظ البليغة التي
لم يسمع بمثلها وترتيب الكلام والحث على العلم وطلب معالي الاخلاق
الشريفة فكيف يقدر على ذلك احد وقد عجزت عنه العرب
الفصحا والخطبا البلغا والشعرا الفهما من قريش وغيرها مع
وصف الله تعالى بالجدل والحجاج والفصاحة والالسنة الحداد
ولم يكن مثلهم في عصر قط افصح واكثر عددا منهم قال الله تعالى
بل هم قوم خصمون وقال تعالى وهو الد الخصام وقال تعالى سلقوكم
بالسنة حداد وذلك دليل على اعترافهم بالعجز لو لهم ايت بقران

غير

غير هذا او بدله وهو صلى الله عليه وسلم في ملة ما عرفوه قبل
نبوته واداء رسالته اربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا
عقد حساب ولا يتعلم سحرا ولا ينشد شعرا ولا يحفظ خبرا
ولا يروي اثرا حتى اكرمه الله تعالى بالوحي المنزل والكتاب
المفصل فدعاهم اليه وخاطبهم به فقال تعالى قل لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون
وشهد له بذلك في [illegible] عز وجل وما كنت تتلوا من قبله من
كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ثم كثر قرا القرآن
والعلما به من التابعين وطلاب علومه فادى كل قرن ما عندهم
الى ما بعدهم وكل اجتهد في ذلك وطلب الصواب وتكلم فيه
على قدر مبلغ علمه فمنهم من اقتصر على النقل ومنهم من اتسع في علم
اللغة والعربية [illegible] ما فيه من علم الاعراب والمعاني
الغامضة التي [illegible] الا العالم باللغة ومعاني الشعر ومنهم
من اتسع في علم الحلال والحرام والامر والنهي وشرايع الدين فانتزع
من علم القرآن شواهد للامر الذي ذكرت ٥

الفصل السادس في اسماء القرآن

اعلم ان الله تعالى سما القرآن في كتابه باسما
احدها الفرقان قال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده وسمي
بذلك لان الله فرق فيه بين الحق والباطل وهو قول الجماعة لان اصل
الفرقان هو الفرق بين شيئين **الثاني** القرآن قال الله تعالى بما
اوحينا اليك هذا القرآن وفي تسميته بالقرآن قولان احدهما وهو
قول ابن عباس انه مصدر من قولك قرات اي بينت استشهادا
بقوله تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه يعني اذا بيناه فاعمل به
الثاني وهو قول قتادة انه مصدر من قولك قرات الشي اذا جمعته
وضممت بعضه الى بعض لانه اي مجموعة ماخوذ من قولهم

مطلب اسماء القرآن

ما قرأت هذه الناقة سلاً قط اي لم تضم رحماً على ولد وكذلك
سمي قروا العدة قروا لاجتماع دم الحيض في الرحم والثالث الكتاب
قال تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وقال عز وجل الله نزل
احسن الحديث كتابا وقال وهذا كتاب انزلناه مبارك وهو مصدر من قولك
كتبت كتابا والكتاب هو خط الكاتب حروف المعجم مجموعة ومتفرقة
وسمي كتابا وان كان مكتوبا كما يسمي المخلوق خلقا وسياتي شرحه عند
قوله تعالى ذلك الكتاب والرابع الذكر قال الله تعالى انا نحن نزلنا
الذكر وقال تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه وفي تسميته بالذكر
قولان احدهما انه ذكر من الله ذكر به عباده وعرفهم فيه فرايضه
وحدوده والثاني انه ذكر وشرف لمن آمن به وصدق بما فيه كما
قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي شرف لك ولقومك
والخامس القيم كما قال الله تعالى ولم يجعل [illegible] السادس
الحديث قال الله تعالى الله نزل احسن [illegible]
الحديث انتم مدهنون وقال تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
والسابع الموعظة والشفا والهدا والرحمة تعالى قد جاءتكم
موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
والثامن البيان قال تعالى هذا بيان للناس والتاسع النور قال
تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا والعاشر مبارك قال تعالى وهذا
كتاب انزلناه مبارك وسماه روحا ودوحا ومهيمنا وحبلا وعهدا
وسراطا مستقيما وحكما ومبينا وسياتي شرح هذه الاسامي مواضعها
ان شا الله تعالى

الفصل السابع في السورة والاية

فاما السوره فجمعها سور وفيها لغتان احدها بهمز والاخر بغير
همز فاما السورة بغير همز فهي المنزله من منازل الارتفاع ومن

ذلك

ذلك سمي سور البلد لارتفاعه على ما يحويه ومنه قول النابغه
الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
يعني منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها منازل الملوك فسميت
السوره لارتفاعها وعلو قدرها واما السورة بالهمز فهي القطعة
التي فصلت من القرآن عما سواها وابقيت منه لان سور كل شي بقيته
بعد ما يوخذ منه [illegible] لك سمي ما فضل من الانا بعد الشرب منه سورا
ومنه قوله عليه السلام اذا شربتم فاسأروا يعني فابقوا فضله في الاناء
والاول اصح وسمعنا [illegible] تقطع القران سورا عند قوله فاتوا
بسورة من مثله ان شا الله تعالى واما الاية من القران ففيها
قولان احدهما انها سميت اية لانها علامه يعرف بها تمام ما قبلها لان
الاية العلامة [illegible] تعالى واية منك وارزقنا يعني علامة
لاجابتك [illegible] الاية في كلامهم القصة والرسالة

الفصل [illegible] التفسير والتاويل والفرق بينهما

اما التفسير [illegible] التفسره وهو الدليل من الما الذي ينظر فيه
الطبيب فكما ان الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض فكذلك
المفسر يكشف عن [illegible] الاية وحكمها والسبب الذي نزلت فيه
وقيل هو من قول العرب فسرت الفرس اذا ركظتها وهو يؤول الى
الكشف ايضا وقيل هو مقلوب من سفر مثل جذب وجبذ تقول
العرب سفرت المراه فهي سافر اذا القت خمارها واسفر وجهها
اذا اضا وكذلك اسفر الصبح فمعنى التفسير هو التنوير وكشف
المتعلق واما التاويل فهو صرف الاية الى معنى تحتمله موافق لما
قبلها وما بعدها واصله من الاول وهو الرجوع من آل يؤول وقيل
اصله من الايالة وهي السياسه تقول العرب قد الناديل علينا

اى سِسْنَا وساسَنَا غيرُنا فكأنَّ الملوك للحلام سَاسَة والقادر
عَليه وواضعه موضعه وانما بنوهما على التفعيل لانه يدل على التكثير
فانه يتبع سوره بعد سورة وايه بعد ايه وقد اختلف العلما اهل
بَين التفسير والتاويل فرق ام لا فذهب قوم يميلون الى العربيه
الى انهما بمعنى واحد وهذا قول جمهور المتقدمين وذهب قوم يميلون
الى الفرق بينهما فقالوا التفسير علم بنزول الايه وشانها وقصتها
والاسباب التي نزلت فيها فهذا واضرابه محظور على الناس لا يجوز
القول فيه الا بالسماع والاثر • واما التاويل فالامر فيه اسهل
لانه صرف الايه الى معنى يحتمله وليس بمحظور على العلما استنباطه
بعد ان يكون موافقا للكتاب والسنه ه

الفصل التاسع في مدة نزول القران واول ما نزل [illegible]ه واخر ما نزل

روى عكرمه
عن ابن عباس قال انزل القران جمله وا[illegible] من اللوح المحفوظ في ليلة
القدر الى بيت العزه ثم انزل بعد ذل[illegible] [illegible]ين سنه وقال الشعبي
فرق الله تنزيل القران فكان بين اوله واخره عشرون سنه وقال
الحسن ذكر لنا انه كان بين اوله واخره ثماني عشرة سنه انزل عليه
بمكه ثمان سنين وبالمدينه عشر سنين وقيل كان بين اوله واخره
ثلث وعشرون سنه واختلفوا في اول ما نزل من القران اقرا باسم ربك
الذي خلق رواه عروة عن عايشه رضي الله عنها وبه قال قتاده وابو صالح
وروى عن جابر ان اول ما نزل من القران يا ايها المدثر والصحيح انه لما
نزل عليه اقرا باسم ربك رجع فتدثر فنزل يا ايها المدثر يدل عليه ما
اخرج في الصحيحين من حديث جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه بينا انا امشي سمعت
صوتا من السما فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاني بحرا جالسا على
كرسي بين السما والارض فجبنت منه رعبا فرجعت فقلت

زملوني

زملوني فدثروني فانزل الله يا ايها المدثر ومعنى جبنت فرقت يقال
رجل مجووث وقد صحفه بعض الرواه فقال حينت من الحين والصحيح
الاول وروى عن الحسن وعكرمه ان اول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم
وروى عن علي كرم الله وجهه انه قال اول ما نزل قوله تعالى قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم الثلث ايات واختلفوا في اخر ما نزل فروى البخاري
في افراده من حديث ابن عباس قال اخر ايه نزلت على النبي عليه السلم
ايه الربا وفي افراد مسلم عنه اخر سورة جميعا قوله تعالى اذا جا نصر
الله والفتح وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال اخر ايه نزلت قوله تعالى
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وهو مذهب سعيد بن جبير وابي صالح
وروى ابو اسحق عن البرا قال اخر ايه نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم
في الكلالة واخر سورة نزلت براءه • وروى عن ابي بن كعب ان اخر ايه
نزلت لقد جاكم رسول من انفسكم الى اخر السوره وسنذكر ذلك
ايضا في مواضعه ان شا الله تعالى

الفصل العاشر في الاستعاذة

قال الله تعالى واذا قرات القران فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ استغيث واستجير والجا والمعاذ
الملجا يقال عاذ به يعوذ عياذا واعوذ عوذا ومعنى معاذ الله اي
الجا اليه والوذ به والتعوذ بالقران هو الاستقامه والاستعاذه
سنه في الصلوة وغيرها هذا قول جماعة الفقها وقال ابن جريج عن
عطا الاستعاذه واجبه في الصلوه وغيرها وعند مالك لا يتعوذ
الا في قيام شهر رمضان بعد القراة واختلفوا في وقت الاستعاذه
فقال الاكثرون وقتها قبل القراه وهو الصحيح المشهور وقال ابو هريره
يتعوذ بعد القراة واليه ذهب داود وعلي كرم الله وجهه وكان
ابن سيرين والنخعي يستعيذان بعد الفاتحة واما صفتها في الصلوة
ينظر فيه فان كانت صلوه يسر فيها بالقراءة اسر فيها الاستعادة

وان كانت صلوة يجهر فيها بالقراءة فقد اختلفوا في الجهر بالتعوذ والاختيار الاخفا فاما لفظ الاستعاذة فالاولى ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لنص القران ولما روى بن مسعود انه قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ **وعن احمد** روايتان احدهما اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم والثاني اعوذ بالله السميع العليم وسياتي ذلك مستوفى عند قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وكان صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من اشيا كثيرة تواترت بها الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞

سورة فاتحة الكتاب

وفيها قولان احدهما انها نزلت بمكة وعلى هذا اكثر العلما منهم علي وابن عباس • والثاني انها نزلت بالمدينة واليه ذهب عطا ومجاهد وروي عن ابي هريرة والاول اصح قال الحسين ابن الفضل لكل عالم هفوة وهذه بادرة من مجاهد وصح الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي بن كعب انها من اول ما نزل من القران وانها السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا اختلاف ومعلوم ان الله تعالى لم يمتن عليه باتيانه السبع المثاني وهو بمكة ثم انزلها بالمدينة ولا يسعنا القول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث بضع عشرة سنة بلا فاتحة الكتاب هذا مما لا تقبله العقول قال الثعلبي رحمه الله لفق بعض العلما بين هذين القولين فقال انها مكية مدنية نزل بها جبريل عليه السلم مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة حين جلها رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما وتفضيلا لهذه السورة على ما سواها ولذلك سميت مثاني وعدد كلماتها

تسع وعشرون كلمة وعدد حروفها مائة واحد واربعون حرفا وعدد اياتها سبع ايات قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين سبع ايات احداهن بسم الله الرحمن الرحيم **فصل في** فضلها روى ابو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فاتحة الكتاب شفا من السم • وروى عبادة ابن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ام القران اعظم عند الله مما دون العرش • وقال ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما علمه ابي بن كعب ام القران والذي نفسي بيده ما انزل الله في التورية ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القران مثلها وانها السبع المثاني والقران العظيم الذي اعطيت • وقال ابو سعيد بن المعلا الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اعلمك اعظم سورة من القران قبل ان تخرج من المسجد فمشيت خلفه فلما بلغنا قريبا من الباب ذكرته قلت يا رسول الله انك قلت لي كذا وكذا قال قل الحمد لله رب العالمين من السبع المثاني والقران العظيم الذي اعطيت • وعن محمد بن عمار الموصلي عن المعافا بن عمران لو ان اعلم الناس تدبر ما في فاتحة الكتاب من صنوف العلم جميع عمره لم يدرك جميع ما فيها • وقال محمد بن علي بن الحسين والسدي اول هذه السورة الحمد لله والثنا عليه ووسطها الاخلاص واخرها مسئلة الله تعالى • وقال محمد بن علي اسم الله الاعظم مقطع في ام الكتاب • وقال مكحول ام القران قراءة ومسئلة ودعا • وقال كعب الاحبار لو جعلت فاتحة الكتاب في كفة ميزان وجعلت التورية والانجيل والقران في كفة لرجحت فاتحة الكتاب

قال وهب بن منبه ان رجلا اشترى جارية اعجمية فاصبحت
فصيحة وهي تقول يا مولاي علمني ام القران فقال لها المولى وكان
مدنيا ويحك امسيت اعجمية واصبحت فصيحة قالت نعم لرؤيا رايتها
البارحة قال ما رايت قالت رايت كان الدنيا كلها قد اخذت نارا
ورفع بنا طريق مثل شراك النعل الى الجنة وكان موسى بن عمران
عليه السلم قد اقبل على الطريق وخلفه اليهود فربما وقف والتفت
اليهم وقال سوءة لكم انا امرتكم ان تتهودوا قال فسقطوا يمينا
وشمالا في النار ومر موسى عليه السلم وحده حتى دخل الجنة واقبل
على اثره عيسى بن مريم عليه السلم وخلفه النصارى فربما وقف
والتفت اليهم فقال سوءة لكم انا امرتكم ان تتنصروا فسقطوا يمينا
وشمالا في النار ومر عيسى عليه السلام وحده حتى دخل الجنة ثم اقبل على
اثره محمد صلى الله عليه وسلم وخلفه امته فربما وقف والتفت اليهم
فقال انا امرتكم ان تومنوا بربكم وقد امنتم فلا تخافوا وابشروا بالجنة
التي كنتم توعدون فامر امته كلها حتى دخلوا الجنة فبقيت انا وانت
على باب الجنة فقال الله تعالى انظروا هل قرءا ام القران فسالونا
خزنة الجنان هل قرءتما سورة الحمد قلنا نعم فقالوا اقرءا فقرءنا فقال
الرضوان ادخلوا الجنة وقالوا الا تعلمين ام القران فعلمني يا مولاي
ام القران وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه
السلم قال للنبي صلى الله عليهما وسلم ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما
نبي قبلك فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة • وعن ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ابي ايما مسلم قرا فاتحة الكتاب
فكانما قرا ثلثي القران وكانما على كل مومن ومومنة وعن

عطا

عطا قال من طلب حاجة فقرا الحمد لله قضيت حاجته • وقال انس بن
مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من شيء احب الى الله من الحمد لله
وقال الحسن انزل الله تعالى مايه واربعة كتب من السماء اودع
علومها اربعة منها التوريه والانجيل والزبور والفرقان ثم
اودع علوم هذه الاربعة الفرقان ثم اودع علوم الفرقان المفصل
ثم اودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن
علم تفسير جميع الكتب المنزلة ومن قراها فكانما قرا التوريه والا
نجيل والزبور والفرقان

فصل في اسماء هذه السورة

وهي عشرة وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى فهي فاتحة الكتاب
سميت بذلك لانها يفتتح بها في المصاحف والتعليم والقراءة
في الصلوة وهي مفتتحة بالاية التي يفتتح بها الامور تيمنا وتبركا
وهي التسمية وقيل انها اول سورة نزلت من السماء قاله الحسن
بن الفضل وقيل سميت بذلك لان الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة
القران وسورة الحمد سميت بذلك لان فيها ذكر الحمد كما قيل
سورة الاعراف والانفال والتوبة ونحوها ام الكتاب والقران
سميت بذلك لانها اصل القران والكتب المنزله لجمع ما اودعها
الله تعالى من العلوم مجموعة في هذه السورة فهي اصل لها كالام
اصل النسل وقيل سميت بذلك لانها افضل سور القران كما
ان مكة سميت ام القرى لانها اشرف البلدان وقيل سميت
بذلك لانها مقدمة على سور القران فهي اصل وامام لما يتلوها
من السور كما ان ام القرى اصل لجميع البلدان حيث دحيت من تحتها
وقيل سميت بذلك لانها مجمع العلوم والخيرات كما ان الدماغ يسمى
ام الراس لانه مجمع الحواس والمنافع وقال ابن كيسان سميت بذلك
لانها تامه في الفضل وقال يحيى بن يعمر ام القرى مكه وام خراسان

مردوام القران فاتحة الكتاب وانما قيل للحمى ام ملدم لانهم جعلوها
معظم الاوجاع وا للدم الضرب فتشبهوا ما يلون من الحمى بالضرب
السبع المثاني اما السبع فانها سبع ايات واما المثاني تثنى في كل صلوة
من فرض وتطوع وقيل استثنيت لهذه الامه فلم تخرجها الله لاحد
من الامم الا لهذه الامة قال ابو معاذ النحوي العرب تقول ثنيت لك من
المال بمعنى استثنيت لك وليس في تسميتها بالمثاني ما يمنع من تسميه
غيرها به • روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني وهي ام القران العظيم الوافية
وتفسيرها انها لا تنصف الا ترى ان كل سوره من القران لو قرا
بعضها في ركعه والنصف الاخر في ركعه كان جايزا ولو نصفت فاتحة
الكتاب فقريت في ركعتين لم يكن كافيا الكافية لانها تكفي عن سواها
ولا يكفي سواها عنها قاله عبد الله بن يحيى بن ابي كثير يدل عليه ما روي
عباده بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ام القران عوض
عن غيرها من السور وليس غيرها عوضا منها الاساس جا رجل الى
الشعبي فشكا اليه وجع الخاصره فقال عليك باساس القران قال وما
اساس القران قال فاتحة الكتاب قال الشعبي سمعت عبد الله بن
عباس يقول اساس الكتب القران واساس القران الفاتحه واساس
الفاتحه بسم الله الرحمن الرحيم فاذا اعتللت او اشتكيت فعليك بالاساس
تشف باذن الله تعالى الشفا روى ابو سعيد الخدري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال فاتحة الكتاب شفا من كل سم وروى
عنه انه قال هي شفا من كل دا الصلوة سمى الله هذه السوره صلاه
فانه قال تعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين يعني الفاتحه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قال العبد الحمد لله رب
العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي قال العبد الرحمن

فلانه صح

الرحيم

الرحيم قال الله تعالى اثنى على عبدي واذا قال العبد مالك
يوم الدين قال الله مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك
نستعين فهذه الايه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال واذا قال العبد
اهدنا الصراط المستقيم الى اخرها فهاولاي لعبدي ولعبدي
ما سال سورة تعليم المسئلة لان الله تعالى علم
عباده فيها اداب السوال فبدا بالثنا ثم بالدعا وذلك
سبب النجاح والفلاح فصل قراة الفاتحه واجبه
في الصلوة ولا تصح الا بها ولا يقوم ترجمتها ولا غيرها من
السور مقامها روى عباده بن الصامت ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا صلوة لمن لم يقرا بفاتحه الكتاب وحكي عن الحسن
بن صالح والاصم انهما قالا القراة مستحبه وليست بواجبه
فتصح من غير قراة وقال ابو حنيفه الواجب ايه واحدة وقال
ابو يوسف ومحمد ثلث ايات او ايه كبيره كايه الدين ثم لا فرق فيها
بين الامام والمنفرد والماموم الا في ركعة المسبوق وقال الشافعي
في القديم لا يقرا الماموم في الجهريه وهو مذهب مالك والمزني
واحمد وداود وقال سفين وابو حنيفة لا يلزم الماموم القراة اسر
الامام ام جهر ومذهب الشافعي انه لا يجوز ان يقرا بالفارسيه ولا
يبدل لفظا بلفظ عربي بمعناه وقال ابو حنيفه هو مخير ان شا قرا
بالفارسيه او بلغة العربيه ما يكون تفسيره لفظ القران وقال
ابو يوسف ومحمد ان كان يحسن القران فلا يجوز ان يقرا بلسان غيرها
وان كان لا يحسنها جاز ان يقرا بلسان غيرها يفسرها فصل
اختلف الناس في ايه التسميه هل هي من الفاتحة فذهب قرا المدينه

والبصرة وفقهاء الكوفه الى انها ليست من الفاتحه ولا من ساير
السور وان الايه السادسه انعمت عليهم وانما افتتح بها للتبرك
بذكره تعالى وهذا قول مالك والاوزاعي وابي حنيفه وذهب
قرا مكه والكوفه واكثر فقها الحجاز الى انها ايه من الفاتحه ومن النمل
لا غير وهي في ساير السور فصل وليست منها ولم يعدوا انعمت
عليهم ايه **وقال** الشافعي وسفين الثوري وعبد الله بن المبارك هي
الايه الاولى من فاتحه الكتاب ومن كل سوره الا التوبه والدليل
على انها ايه من اول الفاتحه ما روينا من الخبر في عدد اياتها وروى
بريده عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم
بايه لم تنزل على احد بعد سليمن غيري فقلت بلى يا رسول الله
قال باي شي يفتتح القران اذا افتتحت الصلوه قلت بسم الله
الرحمن الرحيم قال هي هي واما ساير السور فقد اثبتها الصحابه
في اوايلها ولم يثبتوا بين الدفتين سوى القران ولم يثبتوها بين الانفال
والتوبه وقد **اختلف العلما** هل هي ايه كامله ام لا وفيه عند
احمد روايتان فان قيل القران لا يثبت الا بطريق قاطع متواتر
فان كان هذا قاطعا متواترا فكيف اختلفوا فيه وان كان مظنونا
فكيف يثبت القران بالظن ولو جاز هذا لجاز ايجاب التتابع في
صوم اليمين بقراة ابن مسعود فنقول لو لم تكن في القران لوجب
على النبي صلى الله عليه وسلم التصريح بانها ليست من القران واشاعة
ذلك على وجه يقطع الشك كما في القنوت **فان قيل** ما ليس من
القران لا حصر له حتى ينفى انما يجب التنصيص على ما هو من القران
قلنا هذا صحيح لو لم تكتب التسميه بامر رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم مع القران بخط القران ولم تكن منزله على رسول الله صلى
الله عليه وسلم مع اول كل سورة وذلك يوهم قطعا انها من القران
ولا يظن برسول الله انه لم يعرف كونه موهما ولا جواز السكوت
عن نهيه مع توهم الحاقه فلو لم تكن من القران لنفاه بنص متواتر
بعد ان امر بكتبته بخط القران اذ لا عذر في السكوت عن قطع
هذا التوهم فاما عدم التصريح بانها من القران ان كان اعتمادا
على قراين الاحوال اذ كان يملي على الكاتب مع القران وكان صلى الله
عليه وسلم في اثنا املايه لا يكرر مع كل كلمة وايه انها من القران
بل كان جلوسه له وقراين احواله تدل عليه وانما لم تكفر جاحدها
لحصول الاختلاف فيها وهي مسله اجتهاديه ودليل ذلك وقوع
الاختلاف **فصل** اختلفوا في بسم الله الرحمن الرحيم في الصلوة
فيما يجهر به فذهب ابو بكر وعمر وعثمان وابن مسعود وعمار بن
ياسر وابن الزبير وابن عباس الى انه لا يسن الجهر بها وبه قال
من التابعين ومن بعدهم الحسن والشعبي وسعيد بن جبير وابرهيم
وقتاده وعمر بن عبد العزيز والاعمش وسفين ومالك وابو حنيفة
واحمد **وذهب الشافعي** الى ان الجهر بها مسنون وهو مروي عن
معاوية وعطا وطاوس ومجاهد ودليل ذلك ما روى ابو هريره عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبريل عليه السلم فعلمني
الصلوة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم روى طاوس عن ابن عباس
ان عثمن ابن عفان سال النبي صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن
الرحيم فقال هو اسم من اسما الله وما بينه وبين اسم الله الاعظم الا
كما بين سواد العين وبياضها من القرب ويروى عن علي كرم الله

وجهه مثل ذلك وقال جعفر بن محمد بسم الله الرحمن الرحيم تيجان
السور وانشد

بسم الله يفتتح الكلام والرحمن الرحيم هو التمام

وقال علي وابو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ما
بين الجن وعورات بني ادم اذا دخل احدهم الخلا ان يقول بسم الله •
وقال رجل تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل تعس
الشيطان فانه يتعاظم ويقول بعزتي صرعتك فاذا قلت بسم الله
تصاغر حتى يصير مثل الذباب وقال صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن
لم يذكر اسم الله تعالى وقال الزهري والزمهم كلمة التقوى قال
بسم الله الرحمن الرحيم وعن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجودها تعظيما لله غفر الله
له وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا
من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله ان يداس كتب عند الله
من الصديقين وخفف عن والديه ان كانا مشركين يعني العذاب
وعن علي كرم الله وجهه قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما نزلت هذه الاية على ادم قال أمن
ذريتي من العذاب ما داموا على قراتها ثم رفعت فانزلت على برهيم
صلى الله عليه وسلم فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار
بردا وسلاما ثم رفعت بعده فما نزلت الا على سليمن عليه السلام و
عندها قالت الملايكة عليهم السلام الآن تم والله ملكك ثم رفعت
فانزلها الله تعالى علي ثم تاتي امتي يوم القيمة وهم يقولون بسم
الله الرحمن الرحيم فاذا وضعت اعمالهم في الميزان ترجحت حسناتهم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوها في كتبكم واذا كتبتم

فتكلموا بها وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا قال المعلم للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي
بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله تعالى براة للصبي وبراة لابويه وبراة
للمعلم من النار وعن جابر قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب
الغيم الى المشرق وسكنت الرياح وهاج البحر واصغت البهايم
باذانها ورجمت الشياطين من السما وحلف الله بعزته لا يسمى اسمه
على شي الا شفاه ولا يسمى اسمه على شي الا بارك عليه ومن قرا بسم الله الرحمن
الرحيم دخل الجنة وعن عبد الله بن مسعود قال من اراد الله ان ينجيه
من الزبانيه التسعة عشر فليقرا بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة
عشر حرفا ليجعل الله تعالى كل حرف منها جنة من واحد منهم
التفسير في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم اختلف العلما في موضع
البا من بسم فذهب عامة البصريين الى ان موضع البا رفع على تقدير
مبتدا محذوف تمثيله ابتداي باسم الله فالبا على هذه متعلقة بالخبر
المحذوف الذي قامت مقامه تقديره ابتدا كاين او ثابت او ما
اشبه ذلك باسم الله ثم حذفت هذا الخبر وكان فيه ضمير فافضى
الى موضع البا وهذا بمنزلة قولك زيد في الدار ولا يجوز ان تعلق
البا بالمبتدا المضمر لانه مصدر واذا تعلقت به صارت من
صلته وبقي المبتدا بلا خبر وذهب عامة الكوفيين وبعض
البصريين الى ان موضع البا نصب على اضمار فعل واختلفوا في
تقديره فذهب الجمهور منهم الى انه يضمر ابدا او ما جرى مجراه
لان القايل بسم الله بادي وذهب ابن منهم الى انه يضمر فعلا
يشبه الفعل الذي يريد ان ياخذ فيه كانه اذا اراد الذبيحه

اضمر اكتب واذا اراد القراة اضمر اقرا واذا اراد الاكل والشرب
اضمر اكل واشرب فان قيل لم جرت البا قلنا لا معنى لها الا في الا سما
فعملت الاعراب الذى لا يكون الا في الاسما وهو الجر فان قيل
لم حركت واصلها السكون فالجواب ان يقال حركت للابتدا بها
لانه لا يصح ان يبتدا بساكن لان اللسان يجفوا عنه فان قيل
لم اختير لها الكسر قلنا قال ابو عمر الجرمي كسرت تشبيها
بعملها وذلك ان عملها الجر وعلامة الجر الكسر فاعترض عليه
بعد موته بان قيل للكاف تجر وهي مع ذلك مفتوحة وانفك
اصحابه من هذا الاعتراض بان قالوا اراد وا ان يفرقوا بين ما تجر
ولا يكون الا حرفا نحو البا واللام وبين ما تجر وقد يكون اسما نحو الكاف
وقيل العلة في كسرها ان البا حرف ناقص عمله والامالة من دلايل
الكسره وقال المبرد العلة في كسرها ردها الى الاصل الا ترى
انك اذا اخبرت عن نفسك بانك كنت باقلت بيت فرددتها الى
الياء والياء اخت الكسرة كما ان الواو اخت الضمة والالف اخت
الفتحه وحكى عن ابي علي انهم لو فتحوا او ضموا لكان جايزا لان الغرض
التوصل الى الابتدا فباي حركة توصل اليه جاز وبعض العرب
يفتح هذه البا وهي لغة ضعيفه وطولت هاهنا وشبهت
بالالف واللام لانهم لم يريدوا ان يفتتحوا كتاب الله تعالى الا بحرف
مفخم يعظم قاله القتيبي قال وكان عمر بن عبد العزيز رحمة الله
يقول لكتابه طولوا البا واظهروا السين وفرجوا بينهما ودوروا
الميم تعظيما لكلام الله تعالى وقال ابو الهيثم خالد بن يزيد الرازي
العلة فيها اسقاط الالف من الاسم فلما اسقطوا الالف منه ردوا طول
الالف على البا ليكون دالا على سقوط الالف منه الا ترى انهم

لما

لما كتبوا اقرا بسم ربك بالالف ردوا البا الى صيغتها فان قيل
لم حذفت الالف من بسم الله الرحمن الرحيم في ثلثه مواضع
فالجواب ان في حذف الالف من بسم الله ستة اقوال احدها للفرا
وهو انها حذفت لكثرة الاستعمال وقال مرة اخرى حذفت لوقوعها
في موضع معلوم وهذا انتقال من نكتة الى نكتة اخرى والمعنى فيهما
واحد وهو مما انتقد عليه وقال ايضا حذفت لان البا لا يسكت عليها
وتاويل هذا انه لا يجوز تقدير الابتدا بعدها وكذلك بعد الواو
والفا لانه لا يجوز السكوت عليهما كما لا يجوز على اخواتهما من
حروف العطف نحو ثم ولا والدليل على هذا اثبات الكتاب اليا في
قوله ثم ايتوا صفا لحسن الوقوف على ثم واسقاطهم اياها من قوله
واتوني باهلكم اجمعين والعلة في ذلك ان ثم حرف منفرد يقوم
بنفسه ويجوز الابتدا به وليست الواو والفا والبا كذلك والقول
الثاني للاخفش قال حذفت لانها ليست في اللفظ وهذا القول غير
مرضي يجب منه ان يحذف من قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم و
كذلك ثم وانطلق وما اشبه ذلك والقول الثالث لابي زيد قال
الاصل بسم او بسم فاسكن للتخفيف كما يفعل بفخذ وعضد ويلزمه
كما يلزم الاخفش والقول الرابع انها لا تنفصل وهو قول الفراء
الثالث الذي حكيناه عنه ويلزمه ما لزم ابا زيد والاخفش والقول
الخامس انه شي قد عرف فلم يخف فيه لبس وهذا اسلم مما قبله
والقول السادس انها همزة وصل وهذا ضعيف من الجهة التي
ذكرناها واختار ابو العباس قول الكساي والفرا اعني كثرة الاستعمال
وانكره علي ابن سليمان قال لانه يثقل على الكاتب ان يزيد الفا
واحتج الفرا في كثرة الاستعمال بان بعض الكتاب تدعوه معرفته

وكثرة استعماله الى حذف السين وهذا العمري مكروه روى كراهته
عن عمر وزيد بن ثابت والحسن وابن سيرين وروى عمر رضي الله عنه
ضرب على ذلك كاتبا فقيل له لم ضربك عمر فقال في سين نجزمثلا
فان كتبت باسم الله الرحمن او باسم ربك كتبته بغير الف عند الاخفش
والكسائي وكذلك ساير الاسما وتكتبه على مذهب الفرا بالالف
وهو اقيس واما الالف في اسم الله تعالى ففي حذفها ايضا سته اقوال
احدها انها حذفت لكثرة الاستعمال والثاني انه مخصوص والثالث
انهم كرهوا ان تشبه النفي والرابع انه قد عرف المعنى والخامس انه
كره ان يشبه هجا اللات في مذهب من وقف عليها بالها والسادس
انه كتب على لغة من يقول الله قال الراجز اقبل سيل جا من عند الله
وهذا انما جا في ضرورة الشعر وليس بلغة ولذلك ما انشد قطرب
الا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال
ويجب ان نقدر على مذهب من جعل الاصل الالاها لتكون الالف زايده
فيسوغ حذفها واما الف الرحمن فقيل حذفت لانه لا يلتبس بغيره
وقيل لكثره الاستعمال وقيل لان ما قبلها من الالفات يكفي منها وقيل
لان حذفها لا يشكل وهذه الاقوال متقاربه ولا يبعد بعضها من
بعض والاسم كلمة تدل على المسمى دلالة اشاره والصفة كلمه
تدل على الموصوف دلالة افادة فان جعلت الصفه اسما دلت على
الامرين على الاشارة والافادة وذهب قوم الى ان الاسم والتسميه
ترجع عند اهل الحق الى لفظ المسمى الدال على الاسم لا يرجع الى اللفظه
بل هو مدلول التسمية فاذا قال القايل زيد كان قوله تسميه
وكان المفهوم منه اسما والاسم هو المسمى في هذه الحالة والوصف
والصفه بمثابة التسمية والاسم فالوصف قول الواصف والصفه

مدلول

مدلول الوصف ثم قد يرد الاسم ويراد به التسميه ويرد
الصفه ويراد بها الوصف ولا يبلغ الكلام في ذلك مبلغ القطع
وذهبت المعتزلة الى التسويه بين التسميه والوصف والصفه
والتزموا على ذلك بدعه فقالوا لم يكن للبارى تعالى في الازل صفه
ولا اسم فان الاسم والصفه اقوال المسلمين والواصفين ولم يكن
في الازل صفه الالهية والدليل على ان الاسم يفارق التسمية
ويراد به المسمى واختاره الثعلبي رحمه الله قوله تعالى انا
نبشرك بغلام اسمه يحيى ويحيى هو الاسم والاسم هو يحيى وقوله
تعالى ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها واراد الاشخاص
المعبودة لانهم كانوا يعبدون المسميات وقوله تعالى
سبح اسم ربك الاعلى لان احدا لا يقول سبحان اسم الله وسبحان
اسم ربنا فمعنى اسم ربك سبح ربك والرب ايضا اسم فلو كان
غير المسمى لم يجز ان يقع التسبيح عليه وزيف الماوردي رحمه
الله هذا وقال لو كان اسما الذوات هي الذوات لكان اسما الافعال
هي الافعال وهذا ممتنع في الافعال فامتنع في الذوات فان قيل
اطلق المسلمون بان لله تعالى تسعه وتسعين اسما فلو كان الاسم
هو المسمى لكان ذلك حكما بتعدد الالهة قلنا قد يراد بالاسم
التسميه فيحمل الاطلاق في الاسما على التسميات جواب اخر
ان الاسم ذل على فعل فالاسما هي الافعال وهي متعدده وما دل
على الصفات القديمه لم يبعد فيه التعدد قاله امام الحرمين
رحمه الله واختلفوا في اشتقاق الاسم فذهب البصريون
الى انه من السمو لانه يعلوا المسمى فالاسم ما علا وظهر فصار

علماً للدلالة على ما تحته من المعنى وذهب الكوفيون الى انه
من السمة وهي العلامة ومن هذا قال ابو العباس ثعلب الاسم
سمة توضع على الشي يعرف به وقول الكوفيين اقوى في المعنى
وقول البصريين اقوى في التصريف لانه لو كان مشتقاً من الوسم
لقيل في تصغيره وسيم وفي جمعه اوسم كما قالوا وعيده ووصيله
في تصغير عدة وصله فلما قالوا سمي ظهر انه من السمو لا
من السمة فاما ما ورد في تفسيرها فقد روى ابو سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى ابن مريم عليه
السلام ارسلته امه الى الكتاب ليتعلم فقال له المعلم قل بسم
الله قال عيسى وما بسم الله قال ما ادرى قال البا بها
الله والسين سنا الله والميم مملكته وقال اهل الحقايق المعنى
في بسم الله التيمن والتبرك وحث الناس على الابتدا في اقوالهم
وافعالهم ببسم الله كما افتتح الله كتابه به روى عامر قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب باسمك اللهم فلما نزلت
سورة هود عليه السلم بسم الله مجراها كتب بسم الله فلما نزلت
سورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم
الله الرحمن الرحيم واما اقسام الاسم فسنذكرها عند قوله
تعالى وعلم آدم الاسما كلها فاما قوله الله فهو اخص اسمايه
لم يتسم باسمه الذى هو الله غيره وكذلك لم يثن ولم يجمع وهو
احد تاويلي قوله تعالى هل تعلم له سميا اي من يتسمى باسمه الذى
هو الله واعلم ان اصل هذه الكلمة اله في قول اهل الكوفه فادخل
الالف واللام تفخيماً وتعظيماً لما كان اسما لله تعالى فصار الاله

فحذفت

فحذفت الهمزة استثقالاً لكثرة جريانها على الالسن وحولت
كسرتها الى لام التعظيم فالتقى لامان متحركتان فادغمت الاولى
في الثانيه فقالوا الله وقال اهل البصره اصلها لاه فالحقت بها
الالف واللام للتفخيم والتعظيم فقالوا الله وقال بعضهم ادخلت
الالف واللام بدلاً من الهمزة المحذوفه في اله فلزمتها الكلمة لزوم
تلك الهمزه لو اجريت على الاصل ولهذا لم يدخل عليه في الندا ما يدخل
على الاسما المعرفه من حروف التنبيه فلم يقولوا يا ايها الله وجميع
اقاويل اهل التاويل في معنى هذا الاسم مبنيه على هذين القولين
واختلفوا في هذا الاسم هل هو اسم مشتق من صفه او هو اسم علم
للذات على قولين احدهما انه اسم علم لذاته لان اسما الصفات
تكون تابعه لاسما الذات فلم يكن بد من ان تختص باسم ذات
يكون علماً لتكون اسما الصفات والنعوت تبعاً وهذا قول الخليل
والمفضل وهذا هو الاحسن وهو ان الله تعالى انفرد به وبمعرفته
فلا اشتقاق له يعرف ولا اصل يفهم واذا اطلق هذا الاسم
على غير الله تعالى فانما يقال بالاضافه كما يقال اله كذا او يقال
فيقال كما قال الله تعالى اخباراً عن قوم موسى عليه السلم اجعل
لنا الهاً كما لهم الهة واكثر العلما على انه مشتق واختلفوا في
اشتقاقه فقال النضر بن شميل هو من التاله وهو التنسك
والتعبد قال رويه

لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تالهي

اى من تعبدي وتنسكي ويقال تاله الرجل يتاله وقرا ابن
عباس ويذرك والهتك اى عبادتك ومعناه المعبود الذى

يحق له العبادة وقيل هو من الاعتماد يقال الهت الى فلان اله الها اى فزعت اليه واعتمدت عليه ومعناه ان الخلق يفزعون اليه ويتضرعون في الحوادث والحوايج فهو يالههم اى يجيرهم فسمى الها كما يقال امام للذى يوتم به ولحاف ورداً للثوب الذى يلتحف به ويرتدى به وهذا معنى قول ابن عباس والضحاك وقال ابو عمرو بن العلا هو من الهت فى الشي اذا تحيرت فيه فلم تهتد اليه معناه ان العقول تتحير فى كنه صفته وعظمته والاحاطة بكيفيته فهو اله كما قيل للمكتوب كتاب وللمحسوب حساب وقال المبرد هو من قول العرب الهت الى فلان اى سكنت اليه وقال الشاعر

الهت اليها والحوادث جمة

فان الخلق يسكنون اليه ويطمينون بذكره قال تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب وقيل اصله من الوله وهو ذهاب العقل لفقدان من يعز عليك فانه سمى بذلك لان القلوب توله بمحبته وتطرب وتشتاق عند ذكره وقيل اصله من لاهت العروس تلوه لوها اذا احتجبت قال الشاعر

لاهت فما عرفت يوما بخارجة يا ليتها خرجت حتى رايناها

فالله تعالى هو الظاهر بالربوبيه بالدلايل والاعلام والمحتجب من جهة الكيفيه عن الاوهام المستور عن درك الابصار وقيل معناه المتعال يقال لاه اى ارتفع ومنه قيل للشمس الالاهة روى ذلك عن قطرب وانشد

تروحنا من اللعبا قصرا واعجلنا الالاهة ان تغيبا

وكانهم سموها الالاهة على نحو تعظيمهم لها وعبادتهم اياها

ولذلك

ولذلك نهاهم الله عن ذلك وامرهم بالتوجه فى العبادة اليه دون خلقه فقال تعالى ومن اياته الليل والنهار الى قوله واسجدوا لله الذى خلقهن وقيل هو ماخوذ من قول العرب الهت بالمكان اذا اقمت به وكان معناه الدايم الثابت الباقى وقرا بعضهم بتغليظ اللام من قوله الله حتى طبق اللسان الحنك لفخامة ذكره وليفرق عند الابتدا بذكره بينه وبين اللات قوله تعالى الرحمن الرحيم قال الليث هما اسمان اشتقا من الرحمة والرحمة هى النعمة على المحتاج قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يعنى نعمة عليهم وقال ابو عبيده هما صفتان لله تعالى معناهما ذو الرحمه وقال قوم هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم وسلمان وسليم ولهفان ولهيف وجمع بينهما للتاكيد والاتساع كقول العرب جاد مجد وقال طرفه

متى ادن منه ينا عنى ويبعد

وقال اخر والفى قولها كذبا ومينا

والرحمن عند قوم اشد مبالغة من الرحيم كالعلام من العليم ولهذا قيل رحمن الدنيا ورحيم الاخره لان رحمته فى الدنيا عمت المومن والكافر والبر والفاجر ورحمته فى الاخره اختصت بالمومنين فالرحمن خاص اللفظ عام المعنى والرحيم عام اللفظ خاص المعنى فاما خصوص الرحمن فمن حيث لا يسمى به الا الله تعالى واما عمومه فمن حيث انه يشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع واما عموم الرحيم فاشتراك تسمية الخلق به واما خصوصه فرجوعه الى اللطف بالمومنين

والتوفيق وهذا معنى قول جعفر بن محمد الصادق الرحمن اسم
خاص بصفة عامه والرحيم اسم عام بصفة خاصه وقال
الضحاك الرحمن باهل السما حيث اسكنهم السموات وطوقهم
الطاعات وانطق السنتهم بانواع التسبيحات وجنبهم
الافات وقطع عنهم المطامع واللذات والرحيم باهل الارض
حيث ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب • وقال عكرمه
الرحمن برحمة واحده والرحيم بماية رحمه وانما التمس هذا من
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ماية رحمه وانه
انزل منها رحمة واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون
وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم
القيمه • وفي رواية اخرى وان الله تعالى قابض هذه الرحمه الى
تلك فيكملها ماية رحمه يرحم بها عباده يوم القيمه • وقال ابن
المبارك الرحمن الذي اذا سيل اعطا والرحيم الذي اذا لم يسال غضب
يدل عليه ما روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال من لا يسال الله يغضب عليه فنظمه الشاعر فقال

الله يغضب ان تركت سواله • وبني ادم حين يسال يغضب

وقيل الرحمن بالنعماء وهي ما اعطا وحبا والرحيم باللاوا وهي ما صرف
وزوى وقال محمد بن علي الترمذي الرحمن بالانقاذ من النار بيانه
قوله تعالى ادخلوها بسلام امنين • وقيل الرحمن الراحم القادر
على كشف الضر والراحم الراحم وان لم يقدر على كشف الضر ثم ان
مسيلمة الكذاب سمي بالرحمن واقتطعه من اسما الله تعالى قال عطا
فلذلك قرنه الله تعالى بالرحيم لان احدا لم يتسم بالرحمن الرحيم ليفصل
اسمه من اسم غيره وانما قدم الرحمن وهو الاعلا على الرحيم وهو

الادنى

الادنى والعاده ان يترقى من الادنى الى الاعلى لانه لما قيل
الرحمن تناول عظيم النعم فاردفه بالرحيم كالتتمة ليتناول ما دق
منها ولطف وجرها على الصفه والعامل في الصفة العامل
في الموصوف • وقال الاخفش العامل فيها معنوي وهو كونها
تبعا ويجوز نصبها على اضمار اعني ورفعها على تقدير هو قوله
تعالى الحمد لله قراه العامه بضم الدال على الابتدا وخبره
فيما بعده وقيل على التقديم والتاخير اي لله الحمد وقرى هرون
بن موسى بنصب الدال على الاضمار اي احمد الحمد لان الحمد مصدر
لا يثنى ولا يجمع وقرا ابرهيم بن ابي عبلة بضم الدال واللام
اتبع الضمة الضمه وقرا الحسن البصري بكسر الدال اتباعا
لكسرة اللام فان قيل اختير الرفع قيل لانه امدح واكمل ما ادى الى
كثرة المدح لله والثنا عليه كان اولى فان قيل من اين كان امدح
قيل لان معناه الحمد ثابت لله او مستقر وهذا يقتضي العموم من
جميع الخلق واذا نصبت كان تقديره احمد الحمد لله فهذا مدح من
المتكلم فقط واما كسر الدال من الحمد ففيه بعد ووجهه انه
اتبع حركة الدال حركة اللام فالحمد يذكر بمعنى الشكر على المعروف
ونقيضه الكفران ويذكر بمعنى الثنا من غير سبق احسان
ويذكر بمعنى الرضا يقال بلوته فحمدته اي رضيته ويقرب هذا
من معنى الثنا وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اي مرضيا
ويذكر بمعنى العافيه يقال حمادى امرك كذا اي عاقبته ثم فيه
ثلثه اقوال احدها اضمار القول تقديره قولوا الحمد لله وايا نعبد
واهدنا واضمار القول كثير في القران كقوله تعالى والذين اتخذوا من
دونه اوليا ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم وقوله تعالى يدعون

عليهم من كل باب سلام عليكم اى يقولون سلام عليكم والثانى
انه خبر بمعنى الامر لقوله ومن دخله كان امنا اى امنوه وقوله والمطلقات
يتربصن اى تربصن ايها المطلقات فقوله الحمد لله اى تجب عليكم حمده
فاحمدوه ثم يضمر القول عند قوله اياك نعبد والثالث انه اخبار
عن الله بحمده لنفسه كان الله تعالى قال الحمد لنا وهو كما يكتب الخليفه
ان امير المومنين يامركم بكذا وكذا ولام التعريف قد تكون للجنس
كقولك العسل حلو فعلى هذا معناه جميع المحامد لله تعالى لان حمد
غيره يصغر فى جنب حمده لان نعمته على العبد فوق نعمه الغير ايضا
بتيسيره • وقال قتاده معناه الحمد لله الذى لم يجعلنا من المغضوب
عليهم ولا الضالين وقال ابن الانبارى هو مقلوب عن المدح كقولك
جذب وجبذ واختلف العلما فى الفرق بين الحمد والشكر فقال بعضهم
الحمد الثنا على الرجل بما فيه من الخصال الحميدة يقول حمدت الرجل اذا
اثنيت عليه بكرم او حسب او شجاعة او علم او نحو ذلك والشكر
له الثنا عليه لمعروف اولاه فالحمد الثنا عليه بما هو به والشكر الثنا
عليه بما هو منه وقد يوضع الحمد موضع الشكر فيقال حمدته على
صنيعه كما يقال شكرته ولا يوضع الشكر موضع الحمد لا يقال
شكرته على علمه وحلمه فالحمد اتم واعم من الشكر فكل شكر حمد
وليس كل حمد شكرا ولذلك جاز ان يحمد الله تعالى نفسه ولم يجز
ان يشكرها • وقال بعضهم الشكر اعم لانه باللسان والجوارح
وبالقلب والحمد يكون باللسان خاصه وقيل الحمد باللسان قولا
قال تعالى وقل الحمد لله والشكر بالاركان فعلا قال تعالى اعملوا
آل داود شكرا وقيل الحمد لله على ما حبا وهو النعما والشكر على
ما زوى وهو البلوى وقيل الحمد لله ابتدا والشكر جزا وقيل

الحمد

الحمد لله على النعما الظاهرة والشكر على النعما الباطنه قال الله
تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه والفرق بين الحمد والمدح
ان الحمد لا يستحق الا على فعل حسن والمدح قد يكون على فعل وغير
فعل فكل حمد مدح وليس كل مدح حمدا ولهذا جاز ان يمدح الله
على صفته بانه عالم قادر ولم يجز ان يحمد به لان العلم والقدرة من
صفات ذاته لا من صفات افعاله ويجوز ان يمدح ويحمد على صفته
بانه خالق رازق لان الخلق والرزق من صفات فعله لا من صفات
ذاته وقد جعل الله تعالى لفظة الحمد زينة كل خطبة وراس
كل مدحة وكل سورة افتتحها الله بالحمد فى كتابه دل على تعظيم
شان السورة كسورة الانعام وسورة الكهف وسورة سبا و
فاطر روى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الحمد لله راس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده وقال ابن عباس
الحمد لله كلمة شكر اهل الجنة لبعضهم

الهى لك الحمد الذى انت اهله على نعم ما كنت منك لها اهلا
اذا زدت تقصيرا تزدنى تفضلا كانى بالتقصير استوجب الفضلا

قوله تعالى لله هذه تسمى لام الاضافة ولها معنيان احدهما
الملك نحو المال لزيد والاخر استحقاق نحو الجل للفرس
اى استحقه وكذلك الباب للدار قوله تعالى رب العالمين
قرا زيد بن على بالنصب على المدح او على احمد رب او على اضمار اعنى
او على الندا وقرى بالرفع على اضمار هو وقرا الباقون رب بكسر
البا على الصفه والبدل والرب مصدر رب يرب ثم جعل صفة
كعدل وخصم والرب يكون بمعنى السيد قال الله تعالى اذكرنى
عند ربك اى عند سيدك ويكون بمعنى المالك قال النبى صلى

الله عليه وسلم لرجل أرب إبل انت ام رب غنم فقال من كل قد اتاني
الله فاكثر وأطيب ويكون بمعنى الصاحب قال ابو ذويب
قد ناله رب الكلاب بكفه بيض رهاب ريشهن مقزع
رهاب رقاق ويكون بمعنى المربي والمدبر ومنه قوله والربانيون
وهم العلما سموا ربانيين لقيامهم بتدبير الناس بعلمهم وقيل ربة
البيت لانها تدبره وقال تعالى وربايبكم سمي ولد الزوجة ربيبه
لتربية الزوج لها قال الشاعر
يرب الذي ياتي من الخير انه اذا فعل المعروف زاد وتمما
والمعنى على هذا انه يربي الخلق ويغذوهم بما ينعم عليهم فعلى هذا ان
وصفت الله بانه رب لانه مالك او سيد فذلك صفة من صفات
ذاته وان قيل لانه مدبر لخلقه ومربيهم فذلك من صفات فعله
قال الحسين بن الفضل الرب الثابت من غير اثبات احد يقال رب
بالمكان وارب ولب والب اذا اقام وفي الحديث انه عليه السلم كان
يعوذ بالله من فقر مرب او ملب واختاره الثعلبي قال لان المتكلمين
اجمعوا على ان الرب لم يزل ربا قال القشيري هذا انما يصح ان لو
سمع منهم بنا الرب من ارب فان اثبت هذا فهو صفة ذات
ايضا ومتى ادخلت على الرب الالف واللام اختص الله به دون
عباده وان حذفتا منه صار مشتركا بين الله وبين عباده فلا
يقال للمخلوق هو الرب وانما يقال على الاضافة هو رب الدار
ورب الغلام لانه لا يملك الكل غير الله تعالى والالف واللام
يدلان على العموم قوله تعالى العالمين جمع تصحيح واحدهم
عالم اسم موضوع للجمع ولا واحد له من اللفظ كالانام والرهط
والجيش ونحوها واختلفوا في معناه على تسعة اقوال احدها انه

ما يعقل من الملايكه والانس والجن والشياطين ولا يقال للبهايم
عالم روي عن ابن عباس واختاره الفرا وابو عبيده والثاني
ان العالم الدنيا وما فيها قال الحسن ومجاهد وقتاده هو عبارة عن
جميع المخلوقات واحتجوا بقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين
قال رب السموات والارض وما بينهما واختاره الثعلبي وقال سفين
بن عيينه هو جميع الاشيا المختلفه والثالث هم بنو ادم قاله ابو معاذ
النحوي والرابع هم الجن والانس لقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا
وهو روايه عطيه العوفي وسعيد بن جبير عن ابن عباس لانه
عليه السلم بعث الى الانس والجن والخامس هم الناس لقوله تعالى
اتاتون الذكران من العالمين قاله الحسين بن الفضل والسادس
هم اسم للجمع الكثير قاله النضر بن شميل والسابع هم الروحانيون
قاله ابو عمرو بن العلاء وهو معنى قول ابن عباس كل ذي روح
دب على وجه الارض والثامن هم اهل الجنة والنار قاله جعفر
بن محمد الصادق والتاسع ان العالم ما خلقه في الدنيا والاخرة
وهو قول ابي اسحق الزجاج واختلفوا في اشتقاقه على قولين احدها
انه مشتق من العلم [illegible]ذا تاويل من جعل العالم اسما لما يعقل والثاني
انه مشتق من العلامة لدلالته على خالقه وهذا تاويل من جعل
العالم اسما لكل مخلوق والعرب تلبث العالمين بالياء في الرفع والنصب
والخفض الا قوما من بني اسد فانهم يقولون في الرفع العالمون
وفي النصب والخفض العالمين حكاه النقاش قوله تعالى الرحمن
الرحيم اعاد تاكيدا وتنبيها على كمال وصفه بالرحمة وقيل لما اشعر
قوله رب العالمين ترهيبا عقبه بما يتضمن ترغيبا وقيل فيه تقديم
وتاخير اي الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين حكاه النقاش

عن القشيري قال النقاس هذا تعسف شديد ما قاله احد من المتقدمين
ولا يحتاج في هذا الى تقديم وتاخير ومن زعم ان بسم الله الرحمن الرحيم ليست
من فاتحة الكتاب فالرحمن الرحيم هاهنا غير مكرر قوله تعالى ملك
يوم الدين اختلف القرا فيه فمنهم من قرا مالك بالالف وكسر
الكاف على النعت وقيل على هذا هو نكرة لان اسم الفاعل اذا اريد
به الحال او الاستقبال لا يتعرف بالاضافة فعلى هذا يكون جره
على البدل لا على الصفة لان المعرفة لا توصف بالنكرة في الكلام
حذف مفعول تقديره مالك امر يوم الدين او مالك يوم الدين
الامر وبالاضافة الى يوم خرج عن الظرفية لانه لا يصح فيه تقدير
في لانها بين المضاف والمضاف اليه وهذه قراة النبي عليه السلم
وابي بكر وعمر وعثمن وعلي وطلحة والزبير وكثير من الصحابة
والقراء ومنهم من قرا مالك بالالف ونصب الكاف باضمار
اعني او حالا واجاز قوم ان يكون ندا وهي قراة الاعمش ومحمد
بن السميفع ومنهم من قرا مالك يوم بالالف ورفع الكاف على
اضمار هو مالك او يكون خبر للرحمن الرحيم على قراة من رفع
الرحمن وهي قراة عون العقيلي ومنهم من قرا ملك بغير الف
وكسر الكاف على النعت وهي قراة زيد ابن ثابت وجماعة من
الصحابة وبه قرا ابو عمرو وابن كثير وابن عامر ومنهم من قرا
ملك بجزم اللام على النعت ايضا ومنهم من قرا ملك بنصب
الكاف على الندا ايضا ومنهم من قرا برفع الكاف من غير الف
وهي قراة ابي حيوة ومنهم من قرا ملك يوم على انه فعل ماض
ويوم مفعول او ظرف وهي قراة الحسن ويحيى بن يعمر وابي
حنيفة ومنهم من قرا مالك بالامالة روى ذلك عن يحيى

بن

بن يعمر وعن ابي بن ايوب السجستاني بين الامالة والتفخيم
وروى ايضا ذلك قتيبة بن مهران عن الكسائي فاما الفرق
بين مالك وملك فقال قوم هما لغتان بمعنى واحد مثل فرهين
وفارهين وحذرين وحاذرين وفكهين وفاكهين وفرق الاخرون
بينهما فقال ابو عبيدة والاصمعي وابو حاتم والاخفش وابو الهيثم
مالك اجمع واوسع وامدح الا ترى انه يقال الله مالك الطير
والدواب والوحش وكل شي ولا يقال ملك كل شي انما يقال
ملك الناس قالوا ولا يكون مالك الشي الا وهو يملكه وقد يكون
ملك الشي وهو لا يملكه كقولهم ملك العرب والعجم والروم وقالوا
ايضا المالك يجمع الاسم والفعل ولان في مالك زيادة الحسنات
لان فيه زيادة حرف وقد قال صلى الله عليه وسلم من قرا القران
فله بكل حرف عشر حسنات وقال تعالى قل اللهم مالك الملك
وقال قطرب بينهما فرق كثير اما ملك فهو ملك من الملوك واما
مالك ~~فهو مالك~~ فهو مالك الملوك وقال ابو عبيد الذي نختار
ملك لان الاسناد فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم اثبت ومن
قرا بها من اهل العلم اكثر وهي مع هذا في المعنى اصح كقوله تعالى فتعالى
الله الملك الحق وقوله تعالى الملك القدوس وقوله ملك الناس
وقوله عز وجل لمن الملك اليوم ولانه مدح وتعظيم من اضافة
وليس كذلك مالك ولان معنى الفعل موجود في ملك ايضا
اذ كان لا يقال ملك الا لمن ملك اشيا كثيرة وحاز امورا عظيمة
وقال ابو حاتم مالك ابلغ في مدح الخالق وملك ابلغ في مدح
المخلوق من مالك والفرق ان المالك من المخلوقين قد يكون غير

ملك وإن كان الله تعالى مالكا كان ملكا فإن وصف الله بأنه ملك
كان ذلك من صفات ذاته وإن وصف بأنه مالك كان من صفات
أفعاله ثم قيل أصله من الشد والربط وهذا قول أبي بكر ابن السراج
وقيل هو من القدرة وهو قول أبي بكر محمد بن علي قال علي بن عيسى والتصريف
يطرد على كلي الأصلين يقال ملكت العجين أي شددته وقويته
قال ويقال أملكت فلانة أي قدرت عليها وملكت بضعها
لخاطبها فأما معنى قوله ملك يوم الدين فيه خمسة أقوال أحدها
الحساب دليله قوله تعالى ذلك الدين القيم أي الحساب المستقيم
قاله ابن عباس والسدي ومقاتل والثاني أن الدين الجزاء يعني يوم
يدين الله العباد بأعمالهم دليله قوله تعالى أإنا لمدينون أي لمجزيون
قال لبيد
حصادك يوما ما زرعت وإنما يدان الفتى يوما كما هو دائن
وهذا قول الضحاك والثالث يوم القهر والغلبة تقول العرب
دنته فدان أي قهرته فخضع وذل قاله يمان الرابع يوم الطاعة
يقال دان الناس لفلان أي أطاعوه ويوم القيمة يوم الطاعة
لأنه إنما ينفع ثم الطاعة قاله الحسين بن الفضل وقال الفراء
دين الرجل خلقه وعمله وعادته وقال محمد بن كعب القرظي
يوم الدين أي لا ينفع فيه إلا الدين أخذه من قوله تعالى يوم لا ينفع
مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والخامس أن الدين الحكم
يقال في دين الملك كذا أي في حكمه ويرجع هذا إلى الطاعة والحكم
لله يوم القيمة حكاه النقاش والقشيري وإنما خص يوم القيمة
بالذكر وإن كان مالكا لكل يوم لأنه ينفرد به في ذلك اليوم بالحكم
بخلاف الدنيا فإنه يحكم فيها الولاة والقضاة وتنقطع دعاوي

الخلق

الخلق يومئذ لتعظيم شأن ذلك اليوم وهذا كقوله تعالى
إن ربهم بهم يومئذ لخبير وهو خبير بهم في ساير الأيام وكقوله
تعالى يومهم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء وفي غير ذلك اليوم
لا يخفى أيضا وقيل خص ذلك اليوم لأن في تذكير القيمة تذكر
الوعد والوعيد والترغيب والترهيب وقوام الخلق في تذكير
القيمة حتى يكون العقاب وطمع الثواب داعيين إلى اقتناء
الطاعات واجتناب الظلم والآفات وأيضا إذا بين أنه ملك
ذلك اليوم وهو أعظم الأيام نبه به على مالك ما دونه من
الأيام ويوم جر بالإضافة وكذلك الدين وهذه الإضافة
متوسع فيها وهو من باب قولهم يا سارق الليلة أهل الدار كأنه
جعل يوما مفعولا على السعة وتقدير الآية مالك يوم الدين
الأحكام وحذف المفعول من الكلام للدلالة عليه ومن قرا ملك
فمعناه أنه ينفرد بالملك في ذلك اليوم وقيل لما قال رب العالمين
يريد به ملك الدنيا قال بعده ملك يوم الدين يريد به ملك
الآخرة ليجمع بين ملك الدنيا والآخرة قوله تعالى إياك نعبد
الجمهور على كسر الهمزة وتشديد اليا وقرى شاذا أياك بفتح الهمزة
والأشبه أن يكون لغة مسموعة وقرا بكسر الهمزة وتخفيف اليا
والوجه فيه أنه حذف إحدى اليائين لاستثقال التكرير في حرف
العلة فإن قيل إياك خطاب والحمد على لفظ الغيبة فكان الأشبه
أن يكون إياه قيل عادة العرب الرجوع من الغيبة إلى الخطاب
ويسمى الالتفات وقد يكون بالعكس فيرجع من الخطاب إلى الخبر
وفيه فوايد لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان
أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من

اجرائه على اسلوب واحد ومما يخص هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق
بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام من الربوبية العامة
والملك الخاص تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالخضوع
والاستعانة من المهمات فخوطب ذلك المعلوم الموصوف
بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة
والاستعانة وانما قرن العبادة والاستعانة ليجمع بين ما يتقرب
به من العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته
وانما قدم العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة قبل طلب
الحاجة ليحصل الحاجة واياك كلمة ضمير لا يكون الا في مواضع
النصب والكاف في محل الخفض باضافة ايا اليها وخص بالاضافة
الى المضمر ولا يضاف الى الاسم المظهر الا شاذا وحكى الخليل
عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهذا
غير سديد لان المضمر لا يضاف لان الاضافة للتعريف والتخصص
والمضمر على نهاية الاختصاص فلا حاجة به الى الاضافة ويدخل
على ايا ~~المكانى عن~~ اليا والنون والكاف والها نحو اياي وايانا واياك
واياه لبيان الخطاب والغيبة والتكلم لا محل لها من الاعراب
كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسما مضمرة وهو مذهب
المحققين وقال الزجاج ايا اسم مظهر خص بالاضافة الى المضمر
فالكاف في اياك في موضع جر باضافة ايا اليها وهذا غير
سديد لان ايا ليس بمظهر لانهم اقتصروا به على ضرب واحد
من الاعراب وهو النصب ولا نجد اسما مظهرا اقتصر به
على النصب الا ما كان ظرفا وليس ايا ظرفا ويستعمل ايا مقدما
على الفعل نحو اياك اعنى واياك نعبد واياك نسل ولا يستعمل

موخرا

موخرا عن الفعل الا ان يفصل بينه وبين الفعل بالا فيقال
ما عنيت الا اياك ونحوها وقال ابو حاتم سهل ابن محمد اياك ضمير
منفصل والضمير ثلثة اقسام ضمير متصل نحو الكاف والها واليا
في قولك اكرمه واكرمك واكرمني سمى بذلك لاتصاله بالفعل
وضمير منفصل نحو اياك واياه واياي وسمى بذلك لانفصاله
عن الفعل وضمير مستكن كالضمير في قولك قعد وقام سمى
بذلك لانه استكن ولم يستبين في اللفظ ويعلم يقينا ان فيه
ضمير الفاعل لان الفعل لا يقوم الا بفاعل ظاهر او مضمر
فيه قال ابو زيد انما هما يا ان الاولى للتنبيه والثانية للندا
تقديرها اي يا فادغمت وكسرت الهمزة لسكون اليا
وقال ابو عبيد اصله اوياك فقلبت الواو يا وادغمت واصلها
من اوى يوى ايوا وقال الكوفيون اياك بكمالها اسم وليس فيه
اضافة لان المضمر لا يضاف وهذا بعيد لان هذا الاسم يختلف
آخره بحسب اختلاف المتكلم والمخاطب والغايب فيقال اياي
واياك واياه وقال قوم الكاف في اياك هي الاسم وايا عماد لها لانها
لا تقوم بنفسها وهذا بعيد لان ايا في انه ضمير منفصل بمنزلة انت
وانا ونحن وليس شي منها معمودا به شي من الضمير المتصل بل هو
قايم بنفسه وكذلك ايا مضمر منفصل ليس معمودا به غيره كما
ان التا في انت وان كان كلفظ التا في قمت فليس اسما مثلها بل الاسم
قبلها وهو ان وهو بعده للخطاب فلذلك ايا هي الاسم وما بعدها
للخطاب تارة وللغيبة اخرى اذا قلت اياه وموضع اياك نصب
بنعبد وبني وان كان اسما على السكون لمشابهة الحروف وقيل

ايا للاختصاص تقول اياك ضربت اي اختص الضرب بك وتقدم
المفعول لقصد الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك
بطلب المعونة وانما لم يقل نعبدك ليكون انفع في العبادة واحسن
في الاشارة ونعبد من العبادة وهي اقصى غاية الخضوع والتذلل
وتحمل النفس على المشاق في طاعة الله تعالى واصله الخضوع
والذلة من قولهم طريق معبد اذا كان مذللا بالاقدام وبه
سمي العبد عبدا لذلته وانقياده لمولاه ولا يستحق العبادة
الا الله تعالى لانها اعلا مراتب الخضوع فلا يستحقها الا المنعم
باعظم النعم كالحياة والعقل والسمع والبصر وغير ذلك
قوله تعالى واياك نستعين اي منك نطلب المعونة والتوفيق
على عبادتك وعلى امورنا كلها وانما كرر اياك ليكون ادل على
الاخلاص والتاكيد كقوله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلم كي
نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا ولم يقل نسبحك ونذكرك كثيرا ولان
لا يتوهم اياك نعبد ونستعين غيرك وايضا اياك في نعبد بدل الكاف
في نعبدك ويقول نعبدك ونستعينك فتكرر الكاف فكذلك
اياك وقال ابو بكر الوراق اياك نعبد لانك الصانع واياك نستعين
لانك هديتنا وقيل اياك نعبد لانك الصانع واياك نستعين لان
المصنوع لا غنا به عن الصانع والعون القوة واعنته قويته فكانه
قال واياك نستقوي على عبادتك وقيل اياك نعبد لانا عبيد
واياك نستعين لانك كريم مجيد وقرى يحيى بن وثاب نستعين بكسر
النون قال الفرا تميم وقيس واسد وربيعة يكسرون علامات
المستقبل الا اليا فيقولون استعين ونستعين وتستعين ونحوها
ويفتحون اليا لانها اخت الكسرة وقريش وكنانة يفتحونها

اياك

وهو

وهو الاصح والاشهر واصله نستعون نستفعل من العون
فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت الى العين ثم قلبت يا
لسكونها وانكسار ما قبلها قوله تعالى اهدنا لفظه امر والامر
مبني عند البصريين ومعرب عند الكوفيين بحذف اليا عند
البصريين علامة السكون الذي هو بنا وعند الكوفيين هو علامة
للجزم والهداية الدلالة اي دلنا على الصراط المستقيم او قدم قلوبنا
الى ذلك وقيل الاصل فيه الامالة ومنه انا هدنا اليك اي ملنا
وخرج صلى الله عليه وسلم في مرضه يتهادى بين اثنين اي يتمايل ومنه
الهدية لانها تمال من ملك الى ملك ومنه الهدى للحيوان الذي يساق
الى الحرم فالمعنى مل بقلوبنا الى الحق والفعل من الهداية قد يتعدى
الى المفعول الثاني من غير حرف جر مثل اهدنا الصراط وقد يتعدى بحرف
الجر كقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى الحمد لله الذي
هدنا لهذا وهداية الله للعبد بخلق الايمان في قلبه و[illegible] الهداية
بمعنى الدعا كقوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي
لتدعوا وقوله ولكل قوم هاد وقوله تعالى واما ثمود فهديناهم
وقد يرد بمعنى التوفيق والتسديد كقوله تعالى يضل من يشا
ويهدي من يشا وكقوله تعالى انك لا تهدي من احببت وسوال
الهداية قد يكون لابتدا الهداية اي كما قد هديت اولا فاهد في المستقبل
وقد يكون للاستدامة اي ثبتنا على ما رزقتنا من الهداية وهذا
قول علي كرم الله وجهه وابي بن كعب وقد تكون للاستزادة
فان العلم النظري يقبل الزيادة بمعنى تواصل اوقاته وقلة
الفترات وبمعنى زيادة الادلة وليس من علم بدليل كمن علم بادلة

وايضا ما يخلقه اليوم للعبد زيادة على ما خلقه امس ولو كان العبد يهتدي بنفسه ولا قدرة للرب على خلق الهداية في قلبه لما كان لسؤال الهداية منه معنى واجمل على سؤال اللطف والتوفيق فهو عند المعتزلة بما يجب على الله فعله فلا معنى للسؤال قال الحسين بن الفضل لو كانت الهداية اقامة الدليل فقد قال تعالى واما ثمود فهديناهم ثم قال اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فليكن النبي عليه السلام مامورا بان يقتدي بثمود فاذا قوله فهديناهم محمول على انه خلق الهداية لقوم منهم قوله تعالى السراط المستقيم السراط بالسين هو الاصل لانه من الاستراط بمعنى الابتلاع وسمي الطريق سراطا لجريان الناس فيه كجريان الشيء المبتلع فمن قرا بالسين فهو على الاصل وهي قراءة ابن عباس رض وبه قرا ابن كثير ومن قرا بالصاد قلب السين صادا لتجانس الطاء في الاطباق والسين تشارك الصاد في الصفير والهمس فلما شاركت الصاد في ذلك قربت منها فكانت مقاربتها لها مجوزة قلبها اليها ومن قرا بالزاي قلب السين زايا لان الزاي والسين من حروف الصفير والزاي اشبه بالطاء لانهما مجهورتان ويحتج بقول العرب زقر في صقر تسمى الطاير زقرا ومن اشم الصاد زايا فضل ان يجعلها بين الجهر والاطباق وكلها لغات صحيحة فصيحة الا ان الاختيار الصاد لموافقة المصحف ولمواخاتها الطاء لانهما موافقتان في الاطباق والاستعلاء والمستقيم المستوي يقال قام اي استوى واقامه اي سواه وقاومه اي ساواه وقيمة الشيء ما يساويه من الثمن واختلف المفسرون في السراط

المستقيم

المستقيم ما هو فقال علي كرم الله وجهه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط المستقيم كتاب الله تعالى ۝ وقال جابر هو الاسلام وبه قال مقاتل لان كل طريق ودين غير الاسلام فليس بمستقيم **وقيل** هو طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما قاله ابو العالية قال بكر بن عبد الله المزني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسالته عن الصراط المستقيم فقال سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي **وقال** السدي ارشدنا الى دين يدخل به صاحبه الجنة ولا يعذب بالنار ابدا ويكون خروجه من قبره الى الجنة وبه قال سعيد بن جبير **وقيل** هو صراط محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابو بردة **وقيل** هو طريق الحق السنة والجماعة لان البدعة لا تكون مستقيمة قاله سهل بن عبد الله التستري **وقال** محمد بن علي الترمذي يعني طريق الخوف والرجاء **قوله** صراط بدل من الاول وهو بدل الشيء من الشيء وهما بمعنى واحد وكلاهما معرفة والذين اسم موصول وصلته انعمت والعايد عليه الهاء والميم والغرض من وضع الذي وصف المعارف بالجمل لان الجمل تفسر بالنكرات والنكرة لا يوصف بها المعرفة والالف واللام في الذي زائدتان وتعريفهما بالصلة الا ترى ان من وما معرفتان ولا لام فيهما فدل ان تعرفهما بالصلة والاصل في الذين الذيون لان واحده الذي الا ان ياء الجمع حذفت ياء الاصل لئلا يجتمع ساكنان والذين بالياء في كل حال لانه اسم مبني ومن العرب من يجعله في الرفع بالواو وفي النصب والجر بالياء كما جعلوا تثنيته بالالف في الرفع وبالياء في الجر والنصب وفي الذي خمس لغات احدها

لذی بلام مفتوحة من غیر لام التعریف وقد قری به شاذا والثانی الذی بسکون الیاء والثالثة بحذفها وبقا کسرة الذال والرابعة حذف الیاء واسکان الذال والخامسة بیاء مشددة **قوله** صراط الذین انعمت علیهم بدل من الصراط المستقیم وهو فی حکم تکریر العامل وفایدة البدل هنا وکونه لم یقل بدیا اهدنا صراط الذین انعمت علیهم ما فیه من التنبیه والاشعار بان الطریق المستقیم هو صراط المومنین فدل علیه بابلغ وجه کما یقول هل ادلك علی اکرم الناس وافضلهم فلان فیکون ذلك ابلغ فی وصفه بالکرم والفضل من قولك هل ادلك علی فلان الاکرم الافضل لانك بینت ذکره مجملا ومفصلا فجعلته علما فی الکرم والفضل کانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتین فعلیه بفلان وفی الذی انعم علیهم خمسة اقوال احدها هم الذین من علیهم بالتوفیق والرعایة والتوحید والهدایة وهم الانبیا والمومنون الذین ذکرهم الله تعالی فی قوله ومن یطع الله والرسول فاولئك مع الذین انعم الله علیهم من النبیین والصدیقین والشهدا والصالحین **والثانی** هم قوم موسی وعیسی قبل ان یغیروا انعم الله علیهم قاله ابن عباس **والثالث** هم اصحاب محمد علیه السلم واهل بیته قاله شهر بن حوشب **والرابع** هم الملایکة حکاه الماوردی **والخامس** هم الذین انعمت علیهم بالشکر علی السراء والصبر علی الضرا قاله علی بن الحسین بن واقد **وقال** مالك ابن انس انعمت علیهم بمتابعة سنة محمد علیه السلم واصل النعمه المبالغة والزیادة یقال دققت الدوا فانعمت دقه ای بالغت فی دقه قال النضر بن شمیل النعمة

فی بعة

فی الملك والنعمة فی البدن والدین ویقال انعم ینعم انعاما وکل شی فی القران من ذکر نعمة بکسر النون فهی المنة والافضال والعطیة والنعمة بفتح النون من التنعم وهو سعة العیش والراحة لقوله تعالی ونعمة کانوا فیها فاکهین والنعمة مشتملة علی کل خیر ومحبوب ومرغوب فیه وقرا الصادق صراط من انعمت علیهم وبه قرا عمر وبن الزبیر وعلی حرف الزام بجر ما بعده وفی علیهم سبع قرات علیهم بکسر الها وجزم المیم وهی قراة العامة وعلیهم بضم الها والمیم والحاق الواو وهی قراة عیسی بن عمر وابن ابی اسحق وعلیهم بکسر الها وضم المیم والحاق الواو وهی قراة ابن کثیر والاعرج وعلیهم بکسر الها والمیم والحاق الیا وهی قراة الحسن وعلیهم بکسر الها وضم المیم مختلسة وهی روایة عبد الله بن عطا عن ابی عمرو وعلیهم بکسر الها والمیم واختلاس کسرة المیم وهی قراة عمرو بن فاید فمن ضم الها رده الی الاصل لانه لو افرد کان مضموما عند الابتدا به ومن کسره فلاجل الیا الساکنة ومن کسر الها وجزم المیم فلانه استثقل الضم مع مجاورة الیا الساکنة والیاء اخت الکسرة والخروج من الکسر الی الضم ثقیل ومن ضم الها والمیم اتبع الضمة الضمة ومن کسر الها وضم المیم فانه کسر الها لاجل الیا وضم المیم علی الاصل والاختلاس للاستخفاف والحاق الواو الیا للاشباع **قوله** غیر تاتی فی الکلام علی ثلثة اوجه یکون بمعنی سوی ویکون بمعنی الجحد وتکون للاستثنا فان قیل ما الفرق بین غیر اذا کانت بمعنی سوی وبینها اذا کانت بمعنی الجحد قیل اجاز النحویون عندی غیر عبد الله ولا زید ولم یجیزوا عندی سوی

عوج

عبد الله ولا زيد فهذا جيد وقال الزجاج اجازوا انت زيدا غير
ضارب ولم يجيزوا انت زيدا مثل ضارب لانهم جعلوا غير بمنزلة
لا فان قيل ما الفرق بين غير اذا كانت صفة وبينها اذا كانت
استثنا فالجواب ان الاستثنا اخراج بعض من كل وليس كذلك
الوصف كقولك عندي درهم غير زايف كانك قلت عندي
درهم جيد يقرا غير بالجر يبدل المظهر من المضمر قال الشاعر
على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالما حاتم •
فجر حاتما على البدل من الها التي في جوده الثاني ان يكون بدلا من
الذين لانه يجوز ان يبدل النكرة من المعرفة لان غيرا نكرة والذين
معرفة وبدل النكرة من المعرفة كثير قال الله تعالى لنسفعا
بالناصية ناصية كاذبة خاطية فناصية بدل من الناصية والثالث
ان يكون نعتا للذين وان كانت نكرة فان قيل وكيف يجوز ان
يوصف بغير المعرفة وهي نكرة كما ذكرت اذ كانت لا يتعرف
بالاضافه فالجواب من وجهين احدهما انها اذا جرت على معرفة
غير موقتة جاز ان يكون صفة لها وان تعرف بالاضافة كقولك
اني لامر بالصادق غير الكاذب فاسله عن كذا وكذا ولو جرت
على موقته لم تجز كقولك مررت بعبيد غير اخيك فهذا لا يجوز
الا على البدل وانما حسن ذلك فيما لم يكن موقتا لانه يجي على طريقة
النقيض فيتعرف كقولك الصادق والكاذب والبر والفاجر
فغير في مثل هذا معرفة لانه انما يدل بها على النقيض وهو
احد فكلما جا على هذه الطريقة جاز فيه الوصف حكاه ابو علي
وابن الرماني والثاني ان غير اذا وقعت بين متضادين وكانا معرفتين
تعرفت بالاضافة كقولك عجبت من الحركة غير السكون وكذلك
الامر هنا لان المنعم عليه والمغضوب عليه متضادان ويقرا

غير

تعريف كل غير

غير بالنصب وفيه ثلثة اوجه احدها انه حال من الها والميم فالعامل
فيها انعمت وتضعف ان يكون حالا من الذين لانه مضاف اليه
والصراط لا يصح ان يعمل بنفسه في الحال وقد قيل انه ينتصب
على الحال من الذين ويعمل فيها معنى الاضافة والوجه الثاني انه
ينتصب على الاستثنا من الذين او من الهاء والميم والثالث انه ينتصب
باضمار اعني فان قيل لم يقل غير المغضوبين عليهم فالجواب
انه خرج الضمير في عليهم فاستغني ان يجمع المغضوب وهذا حكم
كلما تعدى بحرف جر نحو قولك رايت القوم غير مرور بهم استغنيت
بالها والميم في بهم عن جمع الممرور وكذلك ما مجراه والغضب جرى
في اللغة الشدة ورجل غضوب اي شديد الخلق والغضوب
الحية الخبيثة لشدتها والغضبة الدرقة من جلدة البعير
يطوي بعضها على بعض سميت بها لشدتها واختلفوا في معنى
الغضب من الله تعالى فقال قوم هو ارادة الانتقام من العصاة
فهو صفة ذات وقيل هو نفس العقوبة ومنه ان الدمعة
لتطفي غضب الرب فهو صفة فعل وقيل هو جنس من العقاب
يضاد الرضا سمي غضبا كما سميت نعمته رحمة وقيل الغضب
من الله الذم للعصاة على قبيح افعالهم قوله تعالى ولا الضالين
لا زايدة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هي بمعنى غير
كما قالوا جيت بلا شي فادخلوا عليها حرف الجر فيكون لها
حكم غير واجاب البصريون عن هذا بان لا دخلت للمعنى
فتخطاها العامل كما تخطى الالف واللام والجمهور على ترك الهمز
في الضالين وقرا ايوب السختياني بهمزة مفتوحة وهي لغة
فاشية في العرب في كل الف وقع بعدها حرف مشدد نحو
ضال ودابه والعلة في ذلك انه قلب الالف همزة لتصح

حركتها لئلا يجمع بين ساكنين واصل الضلال الغيبوبة يقال ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وضل الكافر اذا غاب عن الحق ومن هذا قوله تعالى ءاذا ضللنا في الارض اي غبنا فيها بالموت وصرنا ترابا وقرا عمر وعلي رضي الله عنهما غير المغضوب عليهم وغير الضالين روى عدي بن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المغضوب عليهم قال اليهود و الضالين قال النصارى وتصديق هذا الحديث حكم الله تعالى على اليهود بالغضب في قوله من لعنه الله وغضب عليه وحكمه على النصارى بالضلال في قوله ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال الواقدي غير (المغضوب) عليهم بالمخالفة والعصيان ولا الضالين عن الدين والايمان قال التستري غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة ويجوز ان يكون وصف كل فريق بصفة هي الاغلب عليهم عند عباده وان اشتركوا مع غيرهم في صفات كثيرة من صفات الذم

(مطلب امين)

فصل في امين يستحب ان يقول القارئ بعد فراغه من الفاتحة امين سواء كان في الصلوة او في غيرها مع سكتة على نون ولا الضالين ليتميز ما هو قرآن مما ليس بقرآن كان صلى الله عليه وسلم اذا قرا ولا الضالين قال امين وقال صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل عليه السلام امين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وفيه لغتان امين بقصر الالف وهو الاصل وزن عمين قال الشاعر

تباعد عني فطحل وابن عمه امين فزاد الله ما بيننا بعدا

وآمين بمد الالف بوزن عامين وليس من ابنية العربية بل هو من الابنية الاعجمية كهابيل وقابيل والوجه فيه ان يكون اشبع

فتحة

فتحة الهمزة فنشات الالف فعلى هذا لا تخرج عن الابنية العربية قال الشاعر

يا رب لا تسلبني حبها ابدا ويرحم الله عبدا قال آمينا

والميم مخففة على اللغتين لا يجوز تشديد الميم لانه من القصد قال تعالى آمين البيت الحرام يريد قاصدين البيت وهو مبني لوقوعه موقع المبني وحرك بالفتح لاجل الياء قبل آخره كما فتحت اين والفتح فيها اقوى لان قبل الياء كسرة فلو كسرت النون على الاصل لوقعت الياء بين كسرتين واختلفوا في تفسيره فقال ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين قال افعل وقال ابن عباس وقتادة معناه كذلك يكون وقال هلال بن يساف آمين اسم من اسماء الله تعالى ولذلك قال مجاهد وتقديره يا آمين استجب دعانا وهذا خطأ من وجهين احدهما ان اسماء الله تعالى لا يعرف الا تلقيا ولم يرد بذلك سمع والثاني انه لو كان كذلك لبني على الضم لانه منادى معرفة او مقصود وقال محمد بن علي الترمذي معناه لا تخيب رجانا وقال عطية العوفي آمين كلمة ليست بعربية وانما هي عبرية او سريانية وقال عبد الرحمن ابن زيد آمين كنز من كنوز العرش لا يعلم تاويله الا الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما حسدتكم النصارى في شيء كحسدهم في آمين يعني انهم يعرفون ما فيها من الفضل وقال وهب بن منبه آمين اربعة احرف يخلق الله تعالى من كل حرف ملكا يقول اللهم اغفر لمن قال آمين قال امين عند الشافعي رحمه الله يجهر الامام به في الصلوة الجهرية وعن مالك روايتان احدهما لا يقولها الامام والثاني

تخفيها واما المأموم فعند الشافعي في الجديد يسمع نفسه وقال
في القديم يجهر به واليه ذهب احمد واسحق وابو ثور وعطاء وقال
بالجديد الثوري وابو حنيفة ويساوي المأموم الامام في التأمين
قال عليه الصلاة والسلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين
فان الملائكة تؤمن عند ذلك فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة
غفر له ما تقدم من ذنبه قال الخطابي رحمه الله قوله صلى الله
عليه وسلم اذا امن الامام فامنوا لا يخالف هذا الخبر ولا يدل على
انهم يؤخرونه عن وقت تأمينه وانما هو كقول القائل اذا رحل
الامير فارحلوا يريد اذا اخذ الامير في الرحيل فتهيئوا للارتحال

تفسير سورة البقرة

وهي مدنية في قول الجميع وحكى الماوردي والقشيري ان فيها آية
واحدة وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها
نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى وهي خمس وعشرون
الف حرف وخمسمائة حرف وستة آلاف ومائة واحدى وعشرون
كلمة ومائتان وست وثمانون آية في العدد الكوفي وعدد علي كرم
الله وجهه وفي عدد اهل البصرة مائتان وثمانون وسبع آيات و
في عدد اهل الشام مائتان وثمانون واربع آيات وفي عدد اهل مكة
مائتان وثمانون وخمس آيات وهي اول سورة نزلت بالمدينة
في قول عكرمة ويقال لها فسطاط القرآن فيها خمسة عشر مثلا وفيها
خمسمائة حكم وآية الدين مائة وثلاثون كلمة فيها اربع عشر حكما وفي
آية الكرسي خمسون كلمة وفيها ثلثمائة وستون رحمة روى عبد الله
بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا سورة
البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة
قيل وما البطلة قال السحرة وعن سهل بن سعد قال قال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء سناما وان سنام القرآن
سورة البقرة من قرأها في بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلثة
ايام ومن قرأها في بيته ليلا لم يدخل شيطان ثلث ليال وقيل
يا رسول الله اي سور القرآن افضل قال البقرة ~~افضل قال البقرة~~
قيل اي آي البقرة افضل قال آية الكرسي ويقال قرأت البقرة اي السورة
التي يذكر فيها البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم اختلف العلماء في الحروف التي في اوائل السور فذهب
كثير منهم الى انها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها فنحن نؤمن
بتنزيلها ونكل الى الله حكمها قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في
كل كتاب سر وسر الله في القرآن اوائل السور وقال علي كرم الله
وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة كتاب الله حروف التهجي وفسرها
الآخرون فقال سعيد بن جبير هي اسماء الله مقطعة لو احسن الناس
تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم الا ترى انه يقول الر ويقول
حم ويقول ن فيكون الرحمن فكذلك سائرها على هذا الوجه
الا انا لا نقدر على وصلها والجمع بينها وقال قتادة هي اسماء القرآن
وقال الحسن سمعت السلف يقولون هي اسماء السور المفتتحة بها
وهو قول عبد الرحمن ابن زيد وقال ابن عباس هي اقسام اقسم الله
بها وروي عنه انه قال انها ثناء اثنى الله بها على نفسه وقال
عبد العزيز بن يحيى معنى هذه الحروف ان الله تعالى ذكرها فقال
اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها
قبل ذلك وكذلك تعلم الصبيان اولا مقطعة وقال ابو روق
انها تسكيت للكفار وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يجهر بالقرآن في الصلوة كلها فكان المشركون يقولون لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فربما صفروا وربما صفقوا

ليغلطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى رسول الله صلى
الله عليه وسلم اسر في الظهر والعصر وجهر في سايرها فكانوا
ايضا يأتونه ببود ونه فانزل الله تعالى هذه الحروف المقطعة
فلما سمعوها بقوا متحيرين متفكرين فاشتغلوا بذلك عن ايذايه
وتغليطه فكان ذلك سببا لاستماعهم وطريقا الى انتفاعهم
وقال الاخفش انما اقسم الله بها لشرفها وفضلها ولانها
مباني كتبه المنزلة بالالسنة المختلفة ومباني اسمايه الحسنى
وصفاته العلا فكانه اقسم بهذه الحروف ان القرآن كتابه وكلامه
لا ريب فيه فان قيل ما الحكمة في القسم من الله وكان القوم في ذلك
الوقت على صنفين مصدق ومكذب فالمصدق يصدق بغير قسم
والمكذب لا يصدق مع القسم قلنا القرآن نزل بلغة العرب والعرب
اذا اراد بعضهم ان يوكد كلامه اقسم على كلامه فانه تعالى اراد
ان يوكد عليهم الحجة فاقسم ان القرآن من عنده قال الثعلبي وغيره
احسن الاقاويل فيها وامتنها انها اظهار لاعجاز القرآن وصدق
النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان كل حرف من هذه الاحرف معبر
عن جميع الحروف الثمانية والعشرين والعرب تعبر ببعض الشي
عن كله كقوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي لا
يصلون وقوله واسجد واقترب اي صل فعبر بالركوع والسجود
عن الصلوة وقال تعالى سنسمه على الخرطوم اي الانف فعبر
بالانف عن الوجه ويقول القايل تعلمت ا ب ت ث وهو يريد جميعها
وقرات الحمد وهو يريد سورة الحمد ونحوها كثير فكذلك عبر الله
تعالى بهذه الحروف عن جملة حروف التهجي والاشارة فيه ان الله
تعالى نبه العرب فقال اني انزلت هذا الكتاب من جملة الحروف

الثمانية

الثمانية والعشرين التي هي لغتكم ولسانكم وعليها مباني كلامكم
فان كان محمد عليه السلام هو الذي تقوله من تلقاء نفسه فاتوا
بمثله او بعشر سور مثله او بسورة مثله فلما عجزوا عن ذلك
بعد التحدي ثبت انه معجز وهذا قول المبرد وجماعة من اهل
المعاني فان قيل فهل يكون حرف واحد موردا للمعنى وهل يجوز
في كلام العرب ان يقال الم زيد قايم وحم عمرو ذاهب قلنا نعم
عادة العرب يشيرون بلفظ واحد الى جميع الحروف ويعبرون
به عنه قال الراجز

قلنا لها قفي لنا قالت قاف لا تحسبي انا نسينا الايجاف

اي قف انت. وانشد سيبويه لغيلان

نادوهم ان الجموا الا تا قالوا جميعا كلهم الا فا

يريد الا تركبون قالوا فاركبوا وهذا كثير قال كعب الاحبار
خلق الله القلم من نور اخضر ثم انطقه ثمانية وعشرين حرفا
هن اصل الكلام وهيا هيا بالصوت الذي يسمع وينطق به فنطق
بها القلم فكان اول ذلك كلمة نقطة فنظرت الى نفسها فتصاغرت
وتواضعت لربها وتمايلت هيبة له فسجدت فصارت همزة
فلما راى الله تواضعها مدها وطولها وفضلها فصارت الفا
ثم جعل القلم ينطق بحرف حرف الى ثمانية وعشرين حرفا فجعلها
مدار الكلام والكتب والاصوات واللغات والعبارات كلها
الى يوم القيمة وجمعها كلها في ابجد فجعل الالف لتواضعها
مفتاح اول اسمايه ومقدما على الحروف كلها فاما قوله تعالى
الم اختلف العلما في تفسيرها فروى سعيد بن جبير عن ابن
عباس انا الله اعلم واليه ذهب الضحاك وابن مسعود وقال

مجاهد وقتادة الم اسم من اسماء القرآن وقال الربيع ابن انس
الف مفتاح اسم الله تعالى ولام مفتاح اسم لطيف وميم مفتاح
اسم مجيد وقال محمد بن كعب الالف الاء الله واللام لطفه والميم
ملكه وفي بعض الروايات عن ابن عباس الالف الله واللام جبريل
والميم محمد عليهما السلام اقسم الله تعالى بذلك ان القرآن لا ريب
فيه وقيل انها حروف من حساب الجمل قال جابر بن عبد الله مر ابو
ياسر بن اخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة
الكتاب وسورة البقرة الم ذلك الكتاب فاتا اخاه حيي بن اخطب
في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما
انزل الله عليه الم ذلك الكتاب قالوا انت سمعته قال نعم فمشى حيي
ابن اخطب في اولئك النفر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا محمد الم يذكر لنا انك تتلوا لنا فيما انزل الله عليك الم
ذلك الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقال اجاءك
بها جبريل من عند الله قال نعم قال لقد بعث الله قبلك انبياء ما
نعلمه بين لنبي منهم كم مدة ملكه وما اجل امته غيرك فقال حيي
ابن اخطب واقبل على من كان معه فقال لهم الالف واحد واللام
ثلثون والميم اربعون فهذه احد وسبعون سنة افتدخلون في
دين نبي انما مدة ملكه احد وسبعون سنة ثم اقبل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل كان مع هذا غيره قال نعم قال
ماذا قال المص قال هذه اثقل واطول الالف واحد واللام ثلثون
والميم اربعون والصاد تسعون فهذه احد وستون ومائة سنة
فهل مع هذا يا محمد غيره قال نعم قال ماذا قال الر قال هذه اثقل واطول
الالف واحد واللام ثلثون والرا مايتان فهذه احد وثلثون

ومايتان

ومايتا سنة فهل مع هذا يا محمد غيره قال نعم المر قال هذه اثقل
واطول الالف واحد واللام ثلثون والميم اربعون والرا مايتان
فهذه احدى وسبعون ومايتا سنة ثم قال لقد التبس علينا
امرك حتى لا ندري اقليلا اعطيت ام كثيرا ثم قاموا عنه فقال
ابو ياسر لاخيه حيي ومن معه من الاحبار ما يدريكم لعله قد جمع
هذا كله لمحمد عليه السلام وذلك سبع مائة سنة واربع وثلثون
سنة قالوا لقد تشابه علينا امره فيزعمون ان هذه الايات
نزلت فيهم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن
ام الكتاب واخر متشابهات وقال ابن جرير هذه الحروف اشارة
الى جميع هذه المعاني فهي مشتركة كاشتراك لفظ العين ويجوز
ان يطلق اللفظ المشترك ويراد به جميع معانيه كقولك العين
مخلوقة وتريد الاخبار عن جميع محامل العين بانها مخلوقة ولكن
هذا انما يجوز عند قيام دليل فاما من غير دليل فليس الا التوقف
وقول الصحابي في تعيين بعض المحامل في مثل هذا الموضع مقبول
لعلمه بقراين الاحوال فاما الالفاظ العامة فيجري على التعميم
الا اذا قام دليل التخصيص وقد اختلف اهل العلم في حروف ابي
جاد على اربعة اقوال احدها انها اسماء الايام الستة التي خلق
الله تعالى فيها الدنيا وهذا قول الضحاك بن مزاحم والثاني انها اسماء
ملوك مدين وهذا الشعبي وفي قول بعض شعراء مدين دليل على
ذلك قال شاعرهم

الا يا شعيب قد نطقت مقالة سببت بها عمرا وحي بني عمرو
ملوك بني حطي وهواز منهم وسعفص اصل للمكارم والفخر
هم صبحوا اهل الحجاز بغارة كمثل شعاع الشمس او مطلع الفجر

قولهم

والثالث ما روى ميمون بن مهران عن ابن عباس ان لابي جاد حديثا
عجبا ابى آدم الطاعة وجد في اكل الشجرة واما هوز فنزل آدم فهوى
من السماء الى الارض واما حطي فحطت عنه خطيئته واما كلمن فاكل
من الشجرة ومن عليه بالتوبة واما سعفص فعصى آدم فاخرج من
النعيم الى النكد واما قرشت فاقر بالذنب فسلم من العقوبة و
الرابع انها حروف من اسماء الله تعالى روى ذلك معوية بن قرة عن
ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل فما موضع الم في الاعراب
قلنا هذا يختلف على اختلاف هذه المذاهب اما على مذهب الحسن
فموضعها على اضمار مبتدا كانه قال هذه الم واجاز علي بن عيسى
ان يكون مبتدا وذلك الكتاب الخبر كانه في التقدير حروف المعجم
ذلك الكتاب وفي هذا بعد لان حكم المبتدا ان يكون هو الخبر في
المعنى نحو قولك زيد اخوك فزيد هو الاخ وانت اذا قلت الم ذلك
الكتاب لم يكن الكتاب حروف المعجم وهذا الذي ذهب اليه علي بن عيسى
قد ذهب اليه الفرا من قبل ويجوز ان يكون الم في موضع النصب
على اضمار فعل تقديره اتل الم او اقرا الم ومن جعلها قسما فموضعها
نصب على تقدير حذف القسم كما يقول الله لافعلن والناصب
فعل محذوف تقديره الزمت الله اي اليمين به وقيل موضعها
الجر على القسم وحرف القسم محذوف وبقي عمله بعد الحذف لانه
مراد فهو كالملفوظ به كما قالوا الله لتفعلن في من جر فاما على
مذهب من جعل هذه الحروف اختصارا من كلام او حروفا
مقطعة فلا موضع لها من الاعراب لانه بمنزلة قولك
زيد قائم في ان موضعه لا حظ له في الاعراب وانما يكون
للجملة موضع اذا وقعت موقع المفرد نحو قولك كان زيد
ابوه قائم لان هذا بمنزلة قولك كان زيد قائما وانما حركت

الميم في الم الله لانه لا يمكن الجمع بين ثلاث سواكن قوله تعالى
ذلك اسم اشارة والالف من جملة الاسم وقال الكوفيون الذال
وحدها هي الاسم والالف زيدت لتكثير الكلمة واما اللام فحرف
زيد ليدل على بعد المشار اليه وقيل هي بدل من ها الا ترى انك
تقول هاذي وهذاك ولا يجوز هاذلك وحركت اللام لئلا
يجتمع ساكنان وكسرت على اصل التقاء الساكنين وقيل كسرت
للفرق بين هذه اللام ولام الجر اذ لو فتحها فقلت ذلك لا
لتبس بمعنى الملك والكاف خطاب وهو اشارة الى الغائب وا
صل
ذلك الاشارة الى ما تراخى واصل هذا الاشارة الى ما قرب كما ان
ثم في العطف لما تراخى والفا لما قرب وقال قوم معناه هذا
الكتاب وهو قول ابي عبيدة وجماعة معه ومن حجتهم ان
قالوا ما قرب وقت تقضيه جاز فيه هذا وذلك لانه على حال
مقتض كقولك اذا حدث انسان بحديث ذلك والله كما قلت
وهذا والله كما قلت وانشدوا

اقول له والرمح ياطر متنه تامل اخفافا انني انا ذلكا

اي انني انا هذا قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك
ومقاتل هو القرآن ومن قال ذلك مبقيا على اصله اختلفوا في
ذلك الكتاب فروى ابو الضحى عن ابن عباس قال معناه ذلك الكتاب
الذي اخبرتك اني اوحيه اليك وقال ابن السايب ذلك الكتاب
الذي وعدتكم يوم الميثاق وقال يمان ذلك الكتاب الذي ذكرته
في التورية والانجيل والكتب المتقدمة وقال الفرا ان الله تعالى
وعد نبيه عليه السلم ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الما ولا يخلق
عن كثرة الرد فلما انزل القرآن قال هذا هو الكتاب الذي وعدتك

به وقال ابن كيسان تأويله ان الله انزل قبل البقرة بضع عشرة
سورة كذب بكلها المشركون ثم انزل سورة البقرة بعدها
فقال ذلك الكتاب يعني ما تقدم البقرة من القرآن وبعض القرآن
قد يسمى قرآنا ومن قال المراد به التورية والانجيل اختلفوا في
المخاطب به على قولين احدهما ان المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم
والثاني ان المخاطب به اليهود والنصارى وتقديره ان ذلك
الكتاب الذي وعدتكم به هذا الكتاب الذي انزلته على محمد عليه السلم
حكاه الماوردي والكتاب بمعنى المكتوب فوضع المصدر موضع
الاسم كما يقال للمخلوق خلق الله ويقال درهم من ضرب الامير اي
مضروبه واصله من الكتب وهو الضم مأخوذ من قولهم كتبت
القربة اذا خرزتها ويقال كتبت البغلة اذا جمعت شفريها
بحلقة ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها وجمعها كتائب فسمي
كتابا لجمع المعاني فيه والحكم وقيل لانضمام بعض حروفه الى بعض
في الخط قوله لا ريب موضعه نصب على الحال اي هذا الكتاب
حقا او غير ذي شك وريب مبني عند الاكثرين لانه ركب
مع لا وصير بمنزلة خمسة عشر وعلة بنائه تضمنه معنى من
اذ التقدير لا من ريب واحتيج الى تقدير من لتدل على نفي الجنس الا
ترى انك تقول لا رجل في الدار فتنفي الواحد وما زاد عليه اذ
يجوز ان يكون فيها اثنان او اكثر وفي الريب قولان احدهما ان
الريب الشك وهو قول ابن عباس ومنه قول عبد الله ابن الزبعري

• ليس في الحق يا امية ريب انما الريب ما يقول الجهول •

والثاني ان الريب التهمة ومنه قول جميل ٥ شعر

• بثينة قالت يا جميل اربتني فقلت كلانا يا بثين مريب •

قوله تعالى فيه فيه قولان احدهما هو في موضع خبر ولا يتعلق

بمحذوف

بمحذوف تقديره لا ريب كائن فيه فتقف حينئذ على فيه والقول
الثاني ان يكون لا ريب آخر الكلام وخبره محذوف للعلم به ثم تستانف
فتقول فيه هدى فيكون هدى مبتدا وفيه الخبر وان شئت كان هدى
فاعلا مرفوعا بفيه ويتعلق في على القولين بفعل محذوف قال
اهل المعاني قوله تعالى لا ريب فيه نفي ومعناه النهي اي لا
ترتابوا فيه كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال اي
لا ترفثوا وقيل معناه انه حق في نفسه وان ارتاب به
المبطلون فالريب في المرتاب لا في الكتاب قوله تعالى هدى
الفه منقلبة عن ياء كقولك هديت والهدى وفي موضعه
قولان احدهما رفع اما مبتدا او فاعل على ما ذكرنا واما ان يكون
خبر مبتدا محذوف اي هو هدى واما ان يكون خبرا والثاني
ان يكون في موضع نصب على الحال من الهاء في فيه اي لا ريب فيه هاديا
فالمصدر في الفاعل والعامل في الحال معنى الجملة تقديره احققه
هاديا ويجوز ان يكون العامل فيه معنى التنبيه والاشارة الحاصلة
من قوله ذلك والهدى هو البيان قوله تعالى للمتقين اللام متعلقة
بمحذوف تقديره هدى كائن او كائنا على ما ذكرنا من القولين في الهدى
ويجوز ان يتعلق اللام بنفس الهدى لانه مصدر والمصدر يعمل عمل
الفعل وواحد المتقين متق ومعنى الاتقاء في اللغة الحجز بين
الشيئين يقال اتقاه بترسه اي جعل الترس حاجزا بينه وبينه
ومنه التقية في الدين تجعل ما يظهر حاجزا بينه وبين ما تخشاه
من المكروه واصل الكلمة من الوقاية وانما خص به المتقين
وان كان هدى لجميع الناس لانهم آمنوا وصدقوا بما فيه من دون
غيرهم كقوله تعالى انما انت منذر من تخشاها وكان عليه السلام

لا ريب فيه نفي ومعناه نهي وهو مشهور

لذلك ح

يبذ من تخشاه من لا تخشى وقال ابن الانباري هدى للمتقين والكافرين
فاكتفى باحد الفريقين عن الاخر كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر
اراد الحر والبرد ولهذا قال في موضع اخر هدى للناس واختلف
العلماء في معنى التقوى وصفة المتقين وحقيقة المتقي فروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال جماع التقوى في قوله تعالى
ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقال ابن عباس المتقي الذي
يتقي الشرك والكبائر والفواحش وقال ابن عمر التقوى ان لا
ترى نفسك خيرا من غيرك وقال الحسن المتقي الذي يقول لكل من
راه هذا خير مني وقال عمر بن عبد العزيز ليس التقوى صيام
النهار وقيام الليل لكن التقوى ترك ما حرم الله تعالى واداء ما
افترض الله تعالى فما رزق بعد ذلك فهو خير الى خير ولعبد الله
ابن المعتز رحمه الله شعر

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
واصنع كماش فوق ارض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصا

وقال ايضا عمر بن عبد العزيز المتقي ملجم كالمحرم في الحرم ولبعضهم

اوصاك ربي بالتقى واولوا النهى اوصوا معه
فاختر لنفسك طول عمرك مسجدا او صومعه

وقال شهر بن حوشب المتقي الذي يترك ما لا باس به حذرا لما به
باس روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انما سموا المتقين بتركهم
ما لا باس به حذرا للوقوع فيما به باس وقال سفين الثوري وفضل
هو الذي يحب للناس ما يحب لنفسه وقال الجنيد ليس المتقي الذي
يحب للناس ما يحب لنفسه وانما المتقي الذي يحب للناس اكثر ما يحب
لنفسه اتدرون ما وقع لاستاذي سري سلم عليه ذات يوم صديق
له فرد عليه السلم وهو عابس لم يبش له فقلت له في ذلك فقال
بلغني ان المرء المسلم اذا سلم على اخيه ورد عليه اخوه تبسمت بينهما

مائه

مائة رحمة فتسعون لابشهما وعشرة للاخر فاحببت ان
يكون التسعون له وقال محمد بن علي الترمذي هو الذي لا خصم له و
قال السري بن مغلس هو الذي يبغض نفسه وقال الشبلي هو الذي
لا يتقي ما دون الله وقال القسم هو المحافظ على اداب الشريعة وقال
ابو يزيد هو المتورع عن الشبهات وقال ايضا المتقي اذا قال قال لله
واذا سكت سكت لله واذا ذكر ذكر لله وقال فضيل بن عياض لا يكون
العبد من المتقين حتى يامنه عدوه وقال سهل المتقي من تبرى من حوله
وقوته وقال ابو القسم الحكيم هو حسن الخلق وقال بعضهم يستدل
على تقوى الرجل بثلاث بحسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد
نال وحسن الصبر على ما فات وقال مالك حدثني وهب بن كيسان ان
بعض فقهاء المدينة كتب الى عبد الله بن الزبير ان لاهل التقوى علامات
يعرفون بها الصبر عند البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء
والتذلل لاحكام القران وقال ميمون بن مهران لا يكون الرجل
تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان
الجائر وقال بعض الحكماء لا يبلغ العبد سنام التقوى الا اذا كان
بحيث لو جعل ما في قلبه على طبق فيطاف به في السوق لم يستحي
ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك
للخلق وقال ابو الدرداء رضي الله عنه

يريد المرء ان يعطى مناه ويابى الله الا ما اراداء
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله افضل ما استفاداء

فان قيل هلا جاءت هذه الحروف على وتيرة واحدة ولم اختلف اعداد حروفها
فوردت صاد وقاف ونون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين
والم والر وطسم على ثلثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص
وحمعسق على خمسة احرف فالجواب ان هذا ورد على عادة العرب

في اساليب كلامهم وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب
متفرقة وكما ان ابنيتهم كلماتهم على حرف وحرفين وثلثة واربعة
وخمسة اصول لم يتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك
فان قيل فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت
بها فالجواب انه اذا كان الغرض التنبيه والتمييز والمبادي
كلها في تادية هذا الغرض سواء الا معاضلة بينها فكان تطلب
وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا
والاخر عمرا لم يقل له لم خصصت هذا بزيد وهذا بعمرو ولان
الغرض التمييز وقد حصل فان قيل ما بالهم عدوا بعض هذه
الفواتح اية دون بعض فالجواب ان هذا علم توقيفي لا مجال
للقياس فيه فالمعدود منها اية الم اين وقعت والمص وطسم
وطه وحم وكهيعص وعدوا حمعسق ايتين وما عدا هذه الفواتح ع
لم يعد اية وهذا مذهب الكوفيين وغيرهم ولم يعد شيئا من الفواتح
اية قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب موضع الذين جر صفة
للمتقين ويجوز ان يكون في موضع نصب اما على موضع المتقين او
باضمار اعني ويجوز ان يكون في موضع رفع على اضمارهم او مبتدأ
وخبره اولئك على هدى اعلم ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب
قال الازهري اتفق العلما على ان الايمان معناه التصديق لقوله
تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق وقال تعالى اولئك كتب
في قلوبهم الايمان وقيل اصله الامان فالمؤمن يؤمن نفسه
من عذاب الله والله المؤمن لاوليائه من عذابه وقيل اصله
الطمانينة فقيل للمصدق للخبر مؤمن لانه مطمئن اليه فاما
محل الاسلام من الايمان فهو محل الضوء من الشمس فكل شمس

ضوء

ضوء وليس كل ضوء شمسا وكل مسك طيب وليس كل طيب مسكا
كذلك كل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن تصديقا
لان الاسلام هو الخضوع والانقياد يدل عليه قوله تعالى قالت
الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا من خوف
السيف وقوله عليه السلم الايمان سر واشار الى صدره والاسلام
علانية وقوله صلى الله عليه وسلم يا معشر من اسلم بلسانه ولم
يدخل الايمان في قلبه وكذلك اختلف جوابه لجبريل عليه السلم
في الايمان والاسلام فاجاب في الايمان بالتصديق وفي الاسلام
بشرايع الايمان واما الغيب فهو ما كان مغيبا عن العيون محصلا
في القلوب وهو مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغايب غيب
كما قيل للصايم صوم وللزاير زور ويجوز ان يكون بمعنى المفعول اي
المغيب كقوله هذا خلق الله اي مخلوقه ودرهم ضرب الامير اي مضروبه
وعن ابي العالية في قوله يؤمنون بالغيب قال يؤمنون بالله وملا ئكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر وجنته وناره ولقائه ويؤمنون بالحيوة
بعد الموت وبالبعث فهذا كله غيب وقال ابن ابي نجود الغيب
القران وقال زر بن حبيش وابن جريج وابو واقد يعني بالوحي
نظيره قوله تعالى اعنده علم الغيب وقوله عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا وقوله وما هو على الغيب بظنين والقراة يؤمنون
فيها وفيما كان مثلها مثل ياكلون ويامرون مما همزته ساكنة او
متحركة مثل يؤاخذكم وروي عن نافع ترك الهمزة في ذلك فاما
ابو عمرو فكان اذا ادرج القراة وقرا في الصلوة لم يهمز كل همزة
ساكنة الاخر وفاء من السواكن تذكر في اماكنها ويهمز المتحركات

واذا كانت الهمزة الساكنة علامة للجزم همزها نحو ننسأها واقرأ
كتابك والهمز وتركه جائز وهما لغتان او ان من همز طلب التحقيق
نظرا الى الاصل ولم يقلبها واواكمن سكن ومن ترك الهمز طلب
التخفيف **قوله تعالى** ويقيمون الصلوة اى يديمونها ويحافظون
عليها بمواقيتها وركوعها وسجودها وحدودها وحقوقها وكل
من واظب على شئ وقام به فهو مقيم له واراد بالصلوة ههنا
الصلوات الخمس وذكرها بلفظ الواحد **كقوله تعالى** فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب يعني الكتب و
اصل الصلوة في اللغة الدعاء ثم ضمت اليها هيآت سميت بمجموعها
صلاة لان الغالب على هذه الدعاء وقيل اشتقاقها من الصلى وهو
النار واصله من الرفق وحسن المعاناة بالشئ وذلك ان الخشبة
المعوجة اذا ارادوا تقويمها سخنوها بالنار ثم قوموها بين
خشبتين فكذلك المصلي ينبغي ان يتانا في صلوته ويحفظ حدودها
ظاهرا وباطنا ولا يعجل فيها وقيل انما سمي فعل الصلوة اقامة
لها لما فيها من القيام ولذلك قيل قد قامت الصلوة والصلوة
مصدر صلى ويراد بها ههنا الافعال والاقوال المخصوصة
فلذلك جرت مجرى الاسماء غير المصادر **قوله تعالى** ومما رزقناهم
اى اعطيناهم والرزق هو المهيأ للانتفاع به فان كان طعاما فللتغذى
به وان كان لباسا فللتدفي والتوقي وان كان مسكنا فللانتفاع
به سكنى وقد ينتفع المنتفع بما هي له الانتفاع على وجهين حلالا
وحراما فلذلك قلنا ان الله رزق الحلال والحرام واصل الرزق
في اللغة الحظ والنصيب فلما مدحهم بالانفاق مما رزقوا علم انه
اراد الانفاق من الحلال يقال رزقه رزقا فالرزق بالفتح المصدر
والرزق الاسم ويجوز ان يوضع موضع المصدر قوله ينفقون

اي يتصدقون واصل الانفاق الاخراج عن اليد او عن الملك يقال
نفق المبيع اذا كثر مشتروه ونفقت الدابة اذا ماتت والنفق
السرب في الارض له مكان اخر تخرج منه وقوله ومما من متعلقة
بينفقون والتقدير ينفقون مما رزقناهم فيكون الفعل قبل المفعول
كما في قوله يؤمنون ويقيمون كذلك وانما اخر الفعل عن المفعول
ليتوافق رؤوس الاي اودلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون
بعض المال بالتصدق وفي هذه النفقة خمسة اقوال احدها
ايتاء الزكوة احتسابا لها لاقترانها باختها وهي الصلوة قاله ابن
عباس والثاني انها نفقة الرجل على اهله وهذا قول ابن مسعود
والثالث التطوع بالنفقة فيما قرب من الله وهذا قول الضحاك
والرابع انه عام في الفرض والنفل والخامس معناه مما علمناهم
يعلمون حكاه القشيري عن بعض المتقدمين واعلم ان الحكمة في
الجمع بين الايمان بالغيب وهو فعل القلب وبين الصلوة وهي
فعل البدن وبين الصدقة وهي تكليف يتعلق بالمال انه ليس في
التكليف قسم رابع اذ ما عدى هذه الاقسام فهو ممتزج بين اثنين
منها كالحج والصوم ونحوهما قوله تعالى والذين يؤمنون بما
انزل اليك الاية قال مجاهد الايات الاربع من اول هذه السورة
نزلت في جميع المؤمنين سواء كانوا من العرب او من اهل الكتاب
وقال ابن عباس وابن مسعود ان ايتين من اول السورة نزلت
في مؤمني العرب والايتان بعدهما نزلتا في مؤمني اهل الكتاب
لانه لم يكن للعرب كتاب كانوا يؤمنون به قبل محمد صلى الله
عليه وسلم وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال نزلت اربع ايات

آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين وآيتان في نعت الكافرين
وثلث عشرة في المنافقين وقوله بما ما بمعنى الذي والذي انزل
اليه القرآن وما انزل من قبلك يعني التورية والانجيل وما تقدم
من كتب الانبيا عليهم السلام بخلاف ما فعلته اليهود والنصارى
في ايمانهم ببعضها دون بعض فان قيل قوله يؤمنون بما انزل
اليك ان عني به القرآن باسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك
منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل بما انزل اليك بلفظ المضي وان
اريد به المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض
المنزل واشتمال الايمان على جميع المنزل سالفه وآنفه واجب
قلنا المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه
مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب
والمخاطب على الغائب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد
تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول
جعل كانه قد نزل ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا قوله
تعالى وبالآخرة الباء متعلقة بيوقنون ولا يمتنع ان يعمل
الخبر فيما قبل المبتدا وهذا يدل على ان تقدم الخبر على المبتدا جائز
اذ المعمول لا يقع في موضع لا يقع فيه العامل والآخرة صفة
والموصوف محذوف تقديره وبالساعة الآخرة وبالدار الآخرة
كما قال تعالى ولدار الآخرة خير وقال تعالى واليوم الآخر وفي
تسميتها بالآخرة قولان احدهما لتاخرها عن الدنيا والثاني
تاخرها عن الخلق كما سميت الدنيا لدنوها من الخلق قوله تعالى
هم يوقنون هم مبتدا ذكر على جهة التوكيد ولو قال وبالآخرة

يوقنون

يوقنون لصح المعنى والاعراب ويوقنون الخبر واليقين العلم الذي
يحصل بعد نظر واستدلال ولهذا لا يجوز ان يسمى علم الله يقينا لان
علمه لم يحصل عن نظر واستدلال يقال ايقن بالامر واستيقن
وتيقن كله واحد والايمان بالآخرة يندرج تحت الايمان بالغيب
فانه مما غاب عن الحس وانما اعاد ليبين شدة الاعتنا بالآخرة وهذا
كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال
فافردهما بالذكر وان شملهما اسم الملائكة تنويها بذكرهما وقيل
هذا تخصيص بعد تعميم فبين ان المراد بالايمان بالغيب هو الايمان
بالآخرة كقوله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من
علق وقيل بين ان ايمانهم بالآخرة يقين لا تقليد قوله تعالى
اولئك هذه صيغة جمع لا واحد له من لفظه ويكون اولئك للمؤنث
والمذكر والكاف فيه حرف للخطاب وليست اسما اذ لو كانت
اسما لكانت اما مرفوعة واما منصوبة ولا يصح شي منهما اذ لا
رافع هنا ولا ناصب واما ان تكون مجرورة بالاضافة والا لا
يصح اضافتها لانها مبهم والمبهمات لا تضاف فبقي ان يكون
حرفا مجردا للخطاب ويجوز مدها وقصرها في غير القرآن وموضعه
هنا رفع بالابتدا على هدى الخبر وحرف الجر متعلق بمحذوف
اي اولئك ثابتون على هدى ويجوز ان يكون اولئك خبر الذين
يؤمنون بالغيب والمعنى هم على بيان وبصيرة من عند ربهم
لان الله تعالى هداهم لدينه قيل اصل على الاستعلاء والهدى
لا يستعلا عليه فكيف يصح معناها قلنا معنى الاستعلا حاصل
لان مثلهم علت باتباع الهدى ويجوز ان يقال لما كانت افعالهم
كلها على مقتضى الهدى كان تصرفهم بالهدى كتصرف الراكب بما

وقف

بركبه قوله تعالى وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثان والمفلحون
خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول ويجوز أن يكون هم فصلا لا موضع
له من الإعراب والمفلحون خبر أولئك وإنما جي بواو العطف
في وأولئك ولم يجي بها في قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل
أولئك هم الغافلون لأن الخبرين لما اتفقا لم يحتج إلى العطف
لأن نسبة الغفلة إليهم وتشبيههم بالبهائم كالشيء الواحد
وهاهنا لما اختلف الخبران جي بالعاطف وقوله هم المفلحون
فيه ثلاثة أقوال أحدها أنهم الفائزون والسعداء ومنه
قول لبيد شعر

فاعقلي إن كنت لما تعقلي ۝ ولقد أفلح من كان عقل

والثاني أنهم الباقون في الثواب والنعيم المقيم وأصل الفلاح في
البقاء قال الشاعر

لو أن حيا مدرك الفلاح ۝ أدركه ملاعب الرماح

مالك من العرب قال ابن الأنباري ومنه قوله حي على الفلاح
معناه هلموا إلى سبب الفوز ودخول الجنة والثالث معناه
المقطوع لهم بالخير لأن الفلح في كلامهم القطع والشق ولذلك قيل
للأكار فلاح لأنه يشق الأرض ومنه قول الشاعر

لقد علمت يا ابن أم صحيح ۝ أن الحديد بالحديد يفلح

قوله تعالى إن الذين كفروا الآية اختلفوا فيمن نزلت على خمسة
أقوال أحدها في قادة الأحزاب قاله أبو العالية والربيع بن أنس
والثاني في أبي جهل وخمسة من أهل بيته قاله الضحاك والثالث
في طائفة من اليهود منهم حيي بن أخطب روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
وبه قال الكلبي والرابع في مشركي العرب كأبي جهل وأبي طالب

وأبي لهب وغيرهم قاله مقاتل والخامس في المنافقين حكاه الثعلبي
والقشيري وحكي أيضا أن الآية في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون
فأما التفسير فالكفر في اللغة التغطية والستر ومنه قيل
للحراث كافر لأنه يستر البذر قال تعالى أعجب الكفار نباته يعني
الزراع وقيل للبحر كافر ولليل ساتر قال لبيد

كافر أي ح

في ليلة كفر النجوم غمامها

فسمي الكافر كافرا لأنه ستر الحق بجحوده وأما الشرك فهو في
حكم الكفر وأصله من الإشراك في العبادة والكفر على أقسام كفر
إنكار كالذي يكفر بقلبه ولسانه وكفر جحود كالذي يعرف بقلبه
ولا يقر بلسانه مثل إبليس وكفر أمية بن أبي الصلت ومنه قوله
تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به يعني كفر الجحود وكفر عناد
وهو أن يكفر بقلبه ويقر بلسانه ولا يقبل ولا يدين به ككفر
أبي طالب حيث يقول

ولقد علمت أن دين محمد ۝ من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ۝ لوجدتني بذاك مبينا

سمحا

وكفر نفاق كالذي يقر بلسانه ويكفر بقلبه قوله تعالى سواء
عليهم رفع بالابتداء أي واحد عليهم ومتساو لديهم وسواء
اسم مصدر واقع موقع اسم الفاعل وهو مستو ومستو يعمل
عمل يستوي ومن أجل أنه مصدر لا يثنى ولا يجمع والهمزة في
سواء مبدلة من ياء لأن باب طويت وسويت أكثر من باب
قوة وحوة فحمل على الأكثر قوله تعالى أأنذرتهم أي خوفتهم وحذرتهم
قال أهل المعاني الإنذار إعلام مع تحذير يقال أنذرتهم فنذروا

اى اعلمتهم فعلموا وفى المثل قد اعذر من انذر كل منذر معلم وليس
كل معلم منذرا وقرا ابن محيصن بهمزة الاستفهام مراده ولكن
حذفها تخفيفا وفى الكلام ما دل عليها وهو قوله تعالى ام لم تنذرهم
لان ام تعادل الهمزة وقرا الاكثرون على لفظ الاستفهام ثم اختلفوا
فى كيفية النطق فحقق قوم الهمزتين ولم يفصلوا بينهما وهذا هو
الاصل الا ان الجمع بين الهمزتين مستثقل لان الهمزة نبره تخرج
من الصدر بكلفه فالنطق بها يشبه التهوع فاذا اجتمعت
همزتان كان اثقل على المتكلم فمن هاهنا لا يحققها اكثر العرب
ومنهم من يخفف الاولى ويجعل الثانية بين بين اى بين الهمزة
والالف وهذه فى الحقيقة ملينة وليست الفا ومنهم من
يجعل الثانية الفا صحيحا كما فعل ذلك فى آدم وآمن ومنهم من
يلين الثانية ويفصل بينهما وبين الاولى بالف ومنهم من يخفف
الهمزتين ويفصل بينهما بالف ومن العرب من يبدل الاولى
ها ويخفف الثانية ومنهم من يلين الثانية مع ذلك ولا يجوز
ان يخفف الاولى ويجعل الثانية الفا صحيحا ويفصل بينهما
بالف لان ذلك جمع بين الفين ودخلت همزة الاستفهام هنا
للتسوية وذلك تشبيه بالاستفهام لان المستفهم يستوى
عنده الوجود والعدم فكذلك يفعل من يريد التسوية ويقع
ذلك بعد سواء كهمزة الاية وبعد ليت شعرى كقولك ليت شعرى
اقام ام قعد وبعد لا ابالى ولا ادرى وام هى المعادلة لهمزة
الاستفهام ولم ترد المستقبل الى معنى المضى حتى يحسن معه
امس فان دخلت عليها ان الشرطية عاد الفعل الى اصله

من الاستقبال وهذه الاية وردت بلفظ العموم والمراد بها الخصوص
لانها آذنت بان الكافر حين انذاره لا يؤمن وقد آمن كثير من الكفار
عند انذارهم ولو كانت على ظاهرها فى العموم لكان خبر الله بخلاف مخبره
فلذلك وجب نقلها الى الخصوص فان قيل اذا علم الله انهم لا يؤمنون
فما معنى دعوتهم الى الاسلام قيل له لان فى الدعوة زيادة الحجة
عليهم ثم ذكر الله سبب تركهم الايمان فقال ختم الله على قلوبهم الختم
الطبع وهو التغطية على الشىء والختم على الوعا يمنع الدخول فيه والخروج
منه كذلك الختم على قلوب الكفار يمنع دخول الايمان فيها وخروج
الكفر منها والقلب قطعة من دم جامد سودا وهو مستكن فى
الفواد وهو بيت النفس ومسكن العقل وسمى قلبا لتقلبه بالخواطر
وقيل لانه خالص البدن وانما خصه بالختم لانه محل الفهم وفى
معنى الكلام اربعة اقوال احدها وهو قول مجاهد ان القلب مثل
الكف فاذا اذنب العبد ذنبا ضم منه كالاصبع فاذا اذنب ذنبا
ثانيا ضم منه كالاصبع الثانية حتى ينضم جميعه ثم يطبع عليه بطابع
والثانى انها تكون سمة تكون علامة فيهم تعرفهم الملائكة
بها من بين المؤمنين والثالث انه اخبار من الله عن كفرهم
واعراضهم عن سماع ما دعوا اليه من الحق تشبيها بما قد انسد
وختم عليه فلا يدخله خير والرابع انها شهادة من الله على قلوبهم
بانها لا تعى الذكر ولا تقبل الحق وعلى اسماعهم بانها لا تصغى اليه
ولا تنتفع به وانما وحد السمع لانه مصدر والمصادر لا تثنى ولا
تجمع وقال سيبويه اكتفى من الجمع بالواحد لانه توسط جمعين
كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقوله عن اليمين

والسماع بمعنى الانوار والايمان وقيل اراد سمع كل واحد منهم
فذكر بلفظ التوحيد والمراد به الجمع ونظيره قوله تعالى
نخرجكم طفلا وقيل معناه على موضع سمعهم لان نفس السمع لا
تختم وانما يختم موضعه وقد قرا عمرو بن العاص وابن ابى عبلة
اسماعهم بالجمع قوله تعالى وعلى ابصارهم غشاوة الغشاوة
الغطا والحجاب فلا يرون الحق ومنه غاشية السرج قال الفرا
قريش وعامة العرب يكسرون الغين وقرا الحسن غشاوة بضم
الغين وقرى الجحدرى بفتح الغين وقرا اصحاب عبد الله غشوة
بفتح الغين من غير الف وقرا غشاوة بالنصب على تقدير وجعل
على ابصارهم غشاوة ومن قرا بالرفع فعلى الابتدا او على ابصارهم خبره
قال الزجاج فى هذه الاية انهم كانوا يسمعون ويبصرون ويعقلون
ولكن ما استعملوا هذه الحواس استعمالا ينفعهم فصاروا كمن لا
يعقل ولا يسمع ولا يبصر فان قيل اذا ختم عليهم فقد منعهم من
الهدى فكيف يستحقون العقوبة قلنا ختم عليهم مجازاة على كفرهم
كما قال تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لان الله تعالى قد يسر عليهم
السبيل فلو جاهدوا لوفقهم كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا
فلما لم يجاهدوا واختاروا الكفر عاقبهم قوله تعالى ولهم عذاب
عظيم اى القتل فى الدنيا والعذاب الدايم فى العقبى والعذاب كلما
يعيى الانسان ويشق عليه وقيل اصله المنع وماء عذب
اى يمنع العطش وفرس عذوب وعاذب اذا بقى على المعلف وامتنع
عن العلف والعذاب يمنع الانسان من مراده وهو فعيل من
العظم وهو كثرة الاجزا ومنه العظم ثم استعير فى الصفات
فقيل كلام عظيم والم عظيم وفيه تنبيه على ان المومن

ان عذب

ان عذب فليس ذلك عظيما **قوله** ومن الناس الواو دخلت
هنا للعطف على قوله الذين يؤمنون بالغيب وذلك ان هذه
الايات استوعبت اقسام الناس فالايات الاول تضمنت ذكر
المخلصين فى الايمان وقوله ان الذين كفروا تضمن ذكر من اظهر
الكفر وابطنه وهذه الاية تضمنت ذكر من اظهر الايمان وابطن
الكفر فمن هاهنا دخلت الواو لنبين ان المذكورين من تتمة الكلام
الاول ومن هاهنا للتبعيض وفتحت نونها ولم تكسر لئلا تتوالى
الكسرتان والناس الجماعة من الآدميين وهو جمع انسان واصل
الناس عند سيبويه اناس حذفت همزته وهى فاء الكلمة وجعل
الالف واللام كالعوض منهما فلا يكاد يستعمل الناس الا بالالف
واللام ولا يكاد يستعمل اناس بالالف واللام فالالف واللام
فى الناس على هذا زايدة وقال غيره ليس فى الكلمة حذف والالف
منقلبة عن واو وهى عين الكلمة وقيل الاناس لغة والناس
لغة اخرى وتصغير اناس انيس وتصغير ناس نويس وواحد
الناس انسان لا من لفظه (بالضم) واختلف العلما فى سبب تسميته
بهذا الاسم فقال ابن عباس سمى انسانا لان آدم عليه السلم عهد
اليه فنسى قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى
وقال القايل
لا تنسين تلك العهود فانما سميت انسانا لانك ناسى
وقال بعض اهل المعانى سمى انسانا لظهوره وادراك البصر اياه
من قولهم آنست كذا اى ابصرته وقال تعالى آنس من جانب الطور
نارا وقال تعالى انى آنست نارا وقيل لانه يستانس به ويقال
لما خلق الله تعالى آدم آنسه بزوجته حوا فسمى انسانا وقيل

الناس من النوس وهو الحركة يقال ناس ينوس اي تحرك وسمي
الناس به لتحركهم الفكرية قوله من يقول من في موضع رفع بالابتداء
وما قبله الخبر او هو مرتفع بالجار قبله ومن هاهنا نكرة موصوفة
ويقول صفة لها ويضعف ان تكون بمعنى الذي لان الذي يتناول
قوما باعيانهم والمعنى هاهنا على الابهام والتقدير ومن الناس
فريق يقول ومن موحدة اللفظ وتستعمل في التثنية والجمع
والتانيث بلفظ واحد والضمير الراجع اليها يجوز ان يفرد حملا
على لفظها وان يثنى ويجمع ويونث حملا على معناها وقد جاء في هذه
الاية على الوجهين فالضمير في يقول مفرد وفي امنا وما هم جمع
قوله وباليوم الاخر اي القيمة قوله وما هم بمومنين الباء موكدة
وانما قيد الايمان في صدر الاية واطلقه في اخرها لانه اراد انهم
ليسوا من الايمان في شيء حيث لم يصدقوا بقلوبهم وان اقروا
بالسنتهم فاطلع الله نبيه عليهم وحذر المومنين شرهم قوله
تعالى يخادعون الله في الجملة قولان احدهما لا موضع لها والثاني موضعها
نصب على الحال وفي صاحب الحال والعامل فيها وجهان احدهما
هي من الضمير في يقول فيكون العامل فيها يقول والتقدير يقول
امنا مخادعين والثاني هي حال من الضمير في قوله بمومنين والعامل
فيها اسم الفاعل والتقدير وما هم بمومنين في حال خداعهم ولا
يجوز ان تكون في موضع جر على الصفة بمومنين لان ذلك يوجب
نفي خداعهم والخداع الحيلة والمكر وسميت خديعة لانها
تكون في خفاء واصل الخداع الاخفاء ومنه قيل للبيت مخدع
تختفي فيه المراة والعرب تسمي الدهر خداعا لتلونه فالمخادع يظهر
خلاف ما يضمر وقيل اصل الخداع الفساد قال الشاعر وهو سويد

ابن

ابن كراع ولرتامة شعر

ابيض اللون لذيذ طعمه طيب الريق اذا الريق خدع
اي فسد فيكون معناه يفسدون ما اظهروا بالسنتهم بما
اضمروا في قلوبهم وانما قال يخادعون الله والله ليس ممن يخادع
حملا على زعمهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ايمانه
نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل
معلوم فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا وهذا
كقوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا يعني بزعمك وعلى
ظنك وقيل يفعلون في دين الله ما هو خداع فيما بينهم وقيل
معناه يخادعون رسول الله كقوله تعالى فلما اسفونا
انتقمنا منهم اي اسفوا نبينا وقوله ان الذين يوذون
الله ورسوله اي اوليا الله لان الله لا يوذى ولا يخادع فبين الله
ان من اذا نبيا او وليا استحق العقوبة كما لو اذى الله وخادعه
يدل عليه الخبر المروي ان الله تعالى يقول من اذى وليا من
اوليائي فقد بارزني بالمحاربة وقيل ان الله تعالى ذكر في قوله
يخادعون الله تحسين وتزيين لافتتاح الكلام والقصد بالمخا
دعه
الذين امنوا كقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه
وللرسول ثم المخادعة على وزن المفاعلة واكثر المفاعلة انما يجي
في الفعل المشترك بين اثنين كالمقاتلة والمضاربة فكان منهم
اظهار الايمان واضمار الكفر ومن الله ادرار النعم ثم التعريض
للنار والنقم او كان منهم افساد دينهم عليهم بالتعذيب
وقد ترد المفاعلة من واحد ايضا كقولك طارقت النعل

وعافاك الله قال تعالى وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين وقال
قاتلهم الله فالمخادعة هاهنا عبارة عن الفعل الذى يختص
بالواحد لان الله تعالى لا يكون منه خداع قوله والذين امنوا
اى ويخادعون الذين امنوا بقولهم اذا راوهم قالوا امنا وهم غير
مؤمنين وقيل خداعهم المؤمنين هو انهم كانوا يجالسون
المؤمنين حتى يانس بهم المؤمنون ويعدونهم من انفسهم
فيفشون اليهم اسرارهم فينقلونها الى اعدايهم قال الله تعالى
وما يخادعون الا انفسهم لان وبال خداعهم يرجع عليهم فكانهم
فى الحقيقة انما يخدعون انفسهم ومتى يعود وبال خداعهم عليهم
فيه قولان احدهما فى الدنيا وذلك بطريقين احدهما بالامهال
والاستدراج الذى يزيدهم عذابا والثانى باطلاع النبى صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين على احوالهم التى اسروها والقول الثانى ان
عود الخداع عليهم فى الاخرة وفى ذلك قولان احدهما ان يعود
عليهم عند ضرب الحجاب بينهم وبين المؤمنين وذلك قوله تعالى
ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا الاية والثانى ان يعود عليهم عند
اطلاع اهل الجنة عليهم وذلك قوله تعالى افيضوا علينا من الماء او
مما رزقكم الله فيجيبونهم ان الله حرمهما على الكافرين واختلف القراء
فى قوله وما يخادعون فقرا شيبة ونافع وابن كثير وابن ابى اسحق
وابو عمرو يخادعون بضم اليا واثبات الالف بين الخاء والدال
جعلوه من المفاعلة التى تختص بها الواحد وقد ذكرنا نظايره وهو
المختار عند اهل البصرة لانه ابلغ فى الرد عليهم اذ لم يعتد بخداعهم
المؤمنين ولانه اشكل بما يستعمله البلغا فى مثله يقولون فلان
يهزا من فلان وما يهزا الا من نفسه وتصديقها الحرف الاول
وهو قوله يخادعون الله وقرا الباقون وما يخدعون بفتح اليا

بغير الف على اشهر اللغتين وافصحهما واختاره ابو عبيد وقرا
يخدعون بضم اليا على ان يكون الفاعل للخدع الشيطان فكانه قال
وما يخدعهم الشيطان الا انفسهم اى عن انفسهم وانفسهم نصب
بانه مفعول وليس نصبه الا على الاستثنا لان الفعل لم يستوف
مفعوله قبل الا قوله وما يشعرون علم الشى ومشاعر الانسان
حواسه وهو من الشعار وهو ما يلى الجسد ولهذا لا يطلق فى وصف
الرب المعنى انهم لتمادى غفلتهم كالذى لا حس له وقيل الشعر
العلم الخفى الذى يستنبط من شعار القلب ومنه الشاعر لدقة
كلامه ومنه قولهم ليت شعرى وفى الذى لم يشعروا به قولان
احدهما اطلاع الله نبيه على كذبهم قاله ابن عباس والثانى اضرارهم
بانفسهم وان وبال خداعهم يعود عليهم قاله ابن زيد قوله
تعالى فى قلوبهم مرض اى شك ونفاق واصل المرض الضعف والفتور
فسمى الشك فى الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين واليقين كالمرض فى
البدن يودى الى الهلاك بالموت وقال ابن جرير اى فى اعتقاد قلوبهم
شك فحذف اكتفا بذكر القلب لانه محل الشك قوله تعالى فزادهم
الله مرضا اى كلما نزل على رسوله الوحى فسمعوه كفروا به فازدادوا
كفرا الى كفرهم فكان هو الذى زادهم ذلك او كلما زاد رسول الله صلى
الله عليه وسلم نصرة وقوة ازدادوا حسدا وغلا فهذا اخبار من الله تعالى
عن زيادة مرضهم وقيل انه دعا عليهم بذلك فان قيل كيف يجوز
ان يحمل على الدعاء وانما يحتاج الى الدعا عند العجز قلنا هذا تعليم من
الله ان يجوز الدعا على المنافقين والطرد لهم وزاد يستعمل لازما
كقولك زاد المال ويستعمل متعديا الى مفعولين كقولك زدته درهما
وعلى هذا جاء فى الاية قوله ولهم عذاب اليم يعنى مولم كالسميع بمعنى

المسمع وهو العذاب الذي يصل وجعه الى قلوبهم **قوله** بما كانوا يكذبون هو في موضع رفع صفة لاليم ويتعلق البا بمحذوف تقديره اليم كاين بتكذيبهم او مستحق وما هنا مصدرية وصلتها يكذبون وليست كان صلتها لانها الناقصة ولا يستعمل منها مصدر ويكذبون في موضع نصب خبر كان وما المصدرية حرف عند سيبويه واسم عند الاخفش وعلى كلا القولين لا يعود عليها من صلتها شي وقرا اهل الكوفة بفتح اليا وتخفيف الذال اي بكذبهم وهو قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وهو اشبه بما قبله وبما بعده لان ما قبله ومن الناس من يقول امنا بالله وهذا كذب منهم وبعده قوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وهذا يدل على كذبهم في دعوى الايمان ومن شدد اراد تكذيب الانبيا والقران **قوله تعالى** واذا قيل لهم اذا في موضع نصب على الظرف وهو اسم للوقت بمعنى حينئذ وهو يوذن بوقوع الفعل المنتظر والعامل فيها جوابها وهو قوله قالوا وقوله قيل لهم فعل ماض مجهول وكان الكسائي يقرا بضم القاف من قيل والحا من حيل والغين من غيض والاكثرون يكسرون ذلك واختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فمنهم من قال نزلت في المنافقين الذين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في قوم لم يكونوا موجودين في ذلك الوقت وانما يجيون بعد قاله سلمان الفارسي وقيل معنى قوله واذا قيل لهم اي اليهود قال لهم المومنون لا تفسدوا في الارض بالكفر والمعصية وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وقال الضحاك بتغيير الملة وتبديل السنة وتحريف كتاب الله تعالى والفساد خروج الشي عن حال استقامته **قوله تعالى** قالوا انما نحن مصلحون فيه اربع تاويلات احدها انهم ظنوا ان في ممالاة الكفار صلاحا لهم وليس كما ظنوا لان الكفار لو ظفروا بهم لم يبقوا عليهم

والثاني انهم ارادوا ان فعلنا هذا هو الصلاح بينهم وبين المومنين والثالث انهم ارادوا ان فعلنا هذا هو الصلاح وتصديق محمد هو الفساد والرابع انهم ظنوا ان مصافاة الكفار صلاح في الدنيا لا في الدين لانهم اعتقدوا ان الدولة ان كانت للنبي عليه السلام فقد امنوه بمتابعته وان كانت للكفار فقد امنوهم بمصافاتهم فان قيل فكيف يصح نفاقهم مع مجاهرتهم بهذا القول عنه جوابان احدهما انهم عرضوا بهذا القول وكنوا عنه من غير تصريح به واطلع الله نبيه على ذلك والثاني انهم قالوا سرا لمن خلوا به من المسلمين ولم يجهروا به فبقوا على نفاقهم **قوله** الا انهم قال الزجاج الا حرف يبتدا بها لتنبيه المخاطب واصلها لا دخلت عليها الف الاستفهام والالف اذا دخلت على النفي اخرجته الى معنى التقرير كقوله تعالى اليس ذلك بقادر وقيل معناها حقا وجوز هذا القايل ان تفتح ان بعدها كما تفتح بعد حقا وهذا في غاية البعد **قوله** هم تاكيد وهو مبتدا والمفسدون خبره والجملة خبر ان ويجوز ان يكون هم في موضع نصب توكيدا لاسم ان ويجوز ان يكون فصلا لا موضع لها لان الخبر هنا معرفة ومثل هذا الضمير يفصل بين الخبر والصفة فيعين ما بعده للخبر **قوله تعالى** ولكن لا يشعرون لكن استدراك بايجاب بعد نفي او نفي بعد ايجاب بين انهم غير معاندين وقيل اي ولكن لا يشعرون ما نزل بهم من العذاب وما اعد الله لهم **قوله عز وجل** واذا قيل لهم يعني المومنين قالوا لليهود امنوا كما امن الناس عبد الله بن سلام وغيره من مومني اهل الكتاب

وانما سماهم الناس لقلة عدد المنافقين بالنسبة الى من آمن
من الاوس والخزرج وقيل المؤمنون وان قلوا فهم الناس على
الحقيقة لانهم الذين اعطوا الانسانية حقها بالتدبر وتامل
العواقب **قوله** قالوا انؤمن كما آمن السفهاء اى الجهال والسفه
نقيض الحلم واصله الخفة وسفهت الرياح الشيء اى استخفته
وفي هذا تسلية للعالم عما يلقى من الجاهل وفيمن عنوا بالسفهاء
ثلثة اقوال احدها جميع الصحابة رضي الله عنهم قاله ابن عباس والثاني
النساء والصبيان قاله الحسن والثالث عبد الله بن سلام واصحابه
قاله مقاتل وفيما عنوه بالعيب من ايمان الذين زعموا انهم السفهاء
ثلثة اقوال احدها انهم ارادوا دين الاسلام قاله ابن عباس
والثاني البعث والجزاء قاله مجاهد والثالث انهم عنوا مكاشفة
الفريقين بالعداوة من غير نظر في العاقبة وهذا الوجه والذي
قبله تخرج على انهم المنافقون والاول تخرج على انهم اليهود وانما
سفهوهم لانهم اعتقدوا ان ما هم فيه من الحق وما عداه الباطل
ولانهم كانوا في رياسة ويسار واكثر المؤمنين فقراء ومنهم
موالي فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم فقال الله تعالى تكذيبا لهم
الا انهم هم السفهاء لفرط جهلهم ولكن لا يعلمون قال مقاتل انهم هم السفهاء
وهذا يدل على انهم ما كانوا معاندين وقيل لا يعلمون ما ينزل بهم
من العذاب وانما قال هاهنا يعلمون وفي الآية قبلها يشعرون
لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل
يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكسب الناظر العلم والمعرفة
واما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي
مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب

واما

وما كان بينهم من التحارب فهو كالمحسوس فلذلك قال فيه
يشعرون ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه
احسن واختلف القراء في قوله السفهاء فخفف بعضهم الهمزتين
وهو مذهب اهل الكوفة ولغة تميم واما ابو عمرو واهل الحجاز فانهم
همزوا الاولى ولينوا الثانية للخفة واختار الفراء حذف الاولى
وهمز الثانية واحتج بان ما يستانف اولى بالهمز مما يسكت عليه
قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا الضمير في قوله لقوا راجع
الى عبد الله بن ابي بن سلول عظيم المنافقين كان اذا لقي سعدا
قال نعم الدين دين محمد واذا رجع الى رؤساء قومه من اهل النفاق
قال شدوا ايديكم بدين آبائكم وقيل ان عبد الله بن ابي لقي ذات
يوم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في جماعة من رهطه
فقال لهم انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ
بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم
وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الباذل نفسه
وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال له مرحبا
بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل
نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال
مرحبا بابن عم رسول الله وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله
فقال له علي كرم الله وجهه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافق
شر خليقة الله فقال له عبد الله مهلا يا ابا الحسن الي تقول هذا والله
ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال عبد الله
لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا لا نزال
بخير ما عشت فينا ثم رجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه
بفعل عبد الله وقوله فنزلت هذه الآية بخلاف ما سبقت له

اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان ذاك في بيان مذهبهم
والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع
المؤمنين من التكذيب لهم وايهامهم انهم معهم واصل لقوا لقيوا
فاستثقلت الضمة على اليا فنقلت الى القاف وسكنت اليا
والواو ساكنة فحذفت لاجتماعهما وقرا محمد بن السميقع اليماني
لاقوا بالالف وفتح القاف وضم الواو وهما بمعنى واحد قوله تعالى

قالوا آمنا

واذا خلوا الى شياطينهم يعني رجعوا ويجوز ان يكون من الخلوة
يقال خلوت به وخلوت معه وخلوت اليه كلها بمعنى واحد
وقال النضر بن شميل الى هاهنا بمعنى مع كقوله تعالى احل
لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم اي مع نسائكم وقوله ولا تاكلوا
اموالهم الى اموالكم يعني مع اموالكم وقوله من انصاري الى الله اي مع
الله وفي شياطينهم قولان احدهما انهم اليهود الذين يامرونهم
بالتكذيب وهذا قول ابن عباس والثاني رؤوسهم في الكفر
وهذا قول ابن مسعود والشيطان المتمرد العاتي من الجن والانس
ومن كل شي قال الله تعالى شياطين الانس والجن واشتقاقه من
شطن اي بعد عن الخير ومنه قولهم شطنت داره اي بعدت
فعلى هذا النون فيه اصلية وقيل هو مشتق من شاط يشيط
اذا التهب واحترق فعلى هذا النون فيه زائدة كانه سمي بما يؤول
اليه حاله قوله تعالى انا معكم اي على دينكم وانصاركم قوله تعالى

قالوا

انما نحن مستهزءون بمحمد واصحابه بما نظهر من التصديق والموافقة
يقرا يستهزءون بتحقيق الهمزة وهو الاصل وبقلبها يا مضمومة
لانكسار ما قبلها ومنهم من يحذف اليا تشبيها باليا الاصلية
في مثل قولك يرمون وبضم الزاي وكذلك الخلاف في تليين همزة

يستهز

يستهزء بهم قوله تعالى الله يستهزئ بهم فيه ثمانية اقوال
احدها معناه انه يجازيهم على استهزائهم فسمي الجزا باسم المجازى
عليه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وليس الجزا سيئة ولا
اعتدا وقال عمرو بن كلثوم
الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
والثاني معناه الله يوبخهم ويعيبهم لان الاستهزاء والسخرية
عند العرب العيب والتجهيل كما يقال ان فلانا يستهزا به اي يعاب
قال الله تعالى اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها اي يعاب
وقال اخبارا عن نوح عليه السلم ان تسخروا منا فانا نسخر منكم
والثالث ما حكي عن ابن عباس هو ان الله تعالى يطلع المؤمنين يوم
القيامة وهم في الجنة على المنافقين وهم في النار فيقولون اتحبون
ان تدخلوا الجنة فيقولون نعم فيفتح لهم باب الجنة ويقال لهم
ادخلوا فاذا انتهوا الى الباب سد عليهم وردوا الى النار ويضحك
المؤمنون منهم فذلك قوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين
آمنوا يضحكون الى قوله هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون اي جوزوا
والرابع يظهر الله المؤمنين على نفاقهم قاله الحسن والخامس ان
الاستهزا بهم اذا ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب باطنه
فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فيبقون في الظلمة فيقال لهم
ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا قاله مقاتل والسادس ان استهزاءه
استدراجه اياهم والسابع انه لما جنس ان يقال للمنافق ذق انك
انت العزيز الكريم وهو في غاية الذل في النار على وجه التوبيخ
صار القول كالاستهزا والثامن ان الاستهزا اظهار شي واضمار
غيره والله اظهر لهم دفع السيف عنهم في الدنيا ويعاقبهم في

الآخرة **قوله تعالى** ويمدهم اى يتركهم ويمهلهم ويملي لهم واصله
الزيادة يقال مد النهر ومده نهر آخر وقرأ شبل ويمدهم بضم اليا
وكسر الميم وهما لغتان بمعنى واحد الا ان المد اكثر ما ياتي في
الشر والامداد في الخير قال الله تعالى في المد ونمد له من
العذاب مدا وقال في الامداد وامددناكم باموال وبنين وقال
تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين وقال بعض
الكوفيين يقال مددت فيما كانت زيادته منه كما يقال مد
النهر وامددت فيما حدثت زيادته من غيره كقولك امددت
الجيش بمدد وامد الجرح لان المدة من غيره **قوله تعالى** في
طغيانهم اى كفرهم وضلالهم واصل الطغيان مجاوزة الحد في
الاستوا قال الله تعالى انا لما طغى الما اى جاوز حده الذي قدر
له وقال في حق فرعون انه طغى اى اسرف في الدعوى حيث
قال انا ربكم الاعلى **قوله عز وجل** يعمهون فيه ثلثة اقوال
احدها يترددون والثاني معناه يتحيرون والثالث يعمهون عن
رشدهم فلا يبصرونه لانه من عمه عن الشئ يقال عمه يعمه
عمها وعموها فهو عمه وعامه والعمه في الراى والعمى في البصر
قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى الاصل اشتريوا
فقلبت اليا الفا ثم حذفت الالف لئلا يلتقي ساكنان الالف
والواو فان قلت فالواو هنا متحركة قيل سكنت اليا لثقل
الضمة عليها ثم حذفت لئلا يلتقي ساكنان وانما حركت الواو
بالضم دون غيره ليفرق بين واو الجمع والواو الاصلية في
نحو قوله لو استطعنا وقيل ضمت لان الضمة هنا اخف من
الكسرة لانها من جنس الواو الضلالة الكفر والهدى الايمان

وقيل

وقيل انها الجهل والهدى العلم ومعناه انهم استبدلوا فاختاروا
وانما اخرجه مخرج الشرا والتجارة توسعا لان الشرى والتجارة
راجعان الى الاستبدال والاختيار وذلك ان كل واحد من
البيعين يختار ما في يد صاحبه على ما في يده وقرا يحيى
ابن يعمر وابن ابى اسحق وبعض اهل المدينة اشتروا بكسر الواو
لان الجزم يحرك الى الكسر وقرا العدوي بفتحه حركه الى اخف
الحركات وفي سبب نزولها ثلثة اقوال احدها انها نزلت في جميع
الكفار قاله ابن عباس وابن مسعود والثاني انها في اهل الكتاب
قاله قتادة والسدي ومقاتل والثالث نزلت في المنافقين قاله
مجاهد وفي كيفية استبدالهم الضلالة بالهدى ثلثة اقوال احدها
انهم امنوا ثم كفروا قاله مجاهد والثاني ان اليهود امنوا بالنبي
صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث كفروا به قاله مقاتل والثالث
ان الكفار لما بلغهم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى فردوه
واختاروا الضلالة كان كأنه في ايديهم فنزلت منزلة من ابدل
شيا بشئ قال القشيري في حمل الاية على اهل الكتاب بعد
لان الآيات المتقدمة في المنافقين الا ان يقال كان في اهل الكتاب
اقوام نافقوا ايضا والباقي **قوله** بالهدى بمعنى على كما يقال مررت
به وعليه وان ربك لبالمرصاد اى على المرصاد وقوله من ان تامنه
بقنطار اى على قنطار **قوله تعالى** فما ربحت تجارتهم اى فما ربحوا
في تجارتهم وهو من مجاز الكلام التجارة لا تربح وانما يربح فيها
تقول العرب ربح بيعك وخسرت صفقتك ونام ليلك اى
ربحت وخسرت في بيعك ونمت في ليلك قال الله تعالى فاذا
عزم الامر اى عزم عليه قال تعالى بل مكر الليل والنهار
يريد مكرهم في الليل والنهار . قال الشاعر .

حارث قد فرجت عني همي فنام ليلي وتجلى غمي

والليل لا ينام وانما ينام فيه وانما يطلق هذا اذا لم يؤد الى اشكال ولا يقال خسر عبدك بمعنى خسرت في عبدك لانه لا يمكن ان يكون العبد تاجرا يربح بنفسه وقرا ابرهيم بن ابي عبلة فما ربحت تجاراتهم بالجمع والتجارة التصرف يقال تجر الرجل يتجر فهو تاجر اي قلب المال لطلب الربح قال بعضهم في الاية دليل على ان الاشترا قد يكون بالمعنى دون اللفظ وهو المبادلة لان الله سمى استبدالهم الضلالة بالهدى شرى ولم يكن هناك لفظ الشرى **قوله تعالى** وما كانوا مهتدين قيل في علم الله تعالى وقيل وما كانوا مهتدين الى تجارة المؤمنين وقيل مصيبين في تجارتهم وقال بعضهم معناه وما هم مهتدين في الحال كقوله تعالى كيف نكلم من كان في المهد صبيا يعني من هو في المهد قال سفين كلكم تاجر فلينظر احدكم ما تجارته قال الله تعالى فما ربحت تجارتهم وقال تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقال بعضهم التاجر قد لا يربح ويكون على اي في تجارته غير مستحق للذهب في ما اعتمده فنفى الله تعالى عنهم الامرين مبالغة في ذمهم **قوله عز وجل** مثلهم كمثل الذي استوقد نارا مثلهم ابتدا وخبره بعده والكاف يجوز ان يكون حرف جر فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون اسما بمعنى مثل فلا يتعلق بشي لما ذكر الله تعالى حقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء النظاير شان ليس بخفي في ابراز خفيات المعاني حتى تريك المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغايب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد فالمثل بالتحريك مستعمل في الامثال المضروبة وبالتسكين يستعمل في الشي المماثل لغيره وقيل

الامثل

المثل

المثل والمثل والمثيل بمعنى واحد كما يقال شبه وشبه وشبيه والذي هاهنا مفرد في اللفظ والمعنى على الجمع بدليل قوله تعالى ذهب الله بنورهم وما بعده وفي وقوع المفرد هنا موقع الجمع وجهان احدهما هو جنس مثل من وما فيعود الضمير اليه تارة بلفظ المفرد وتارة بلفظ الجمع والثاني انه اراد الذين فحذف النون لطول الكلام بالصلة ومثله والذي جا بالصدق وصدق به ثم قال اولئك هم المتقون واستوقد فيه قولان احدهما ان السين زايدة والمعنى اوقد نارا يقال اجاب واستجاب قال الشاعر

وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

والثاني ان السين داخلة للطلب اراد استوقد من غيره نارا والنار مشتقة من النور والوقود بالضم مصدر وقدت النار وقودا وبالفتح الحطب واصل منافع النار خمسة الاستضاة بها والانضاج والاصطلا والتحليل والزجر **قوله تعالى** فلما اضات ما حوله لما هاهنا اسم وهي ظرف زمان وكذا في كل موضع وقع بعدها الماضي وكان لها جواب والعامل فيها جوابها مثل اذا واضات يكون لازما ومتعديا يقال اضا الشي بنفسه واضا غيره واضات النار واضا غيرها والذي في هذه الاية متعديا والاضاة فرط الانارة ودليله قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وفي ما ثلثة اقوال احدها انها زايدة تقديره اضات حوله والثاني انها بمعنى الذي والثالث هي نكرة موصوفة اي مكانا حوله وحول الشي ما دار من جوانبه وحوله منصوب على الظرف والها عايدة على المستوقد **قوله عز وجل** ذهب الله بنورهم البا هاهنا معدية للفعل كتعدية الهمزة له والتقدير اذهب الله نورهم ومثله في القران كثير وقد تاتي البا في مثل هذا الحال كقولك

اصطلا

هاهنا

ذهبت بزيد اي

ذهبت ومعي زيد وجواب لما قوله ذهب الله بنورهم وإنما قال
بنورهم والمذكور في الآية النار لأن النار سبب النور والحرارة
فأذهب الله النور وأبقى الحرارة فإن قلت هلا قال ذهب الله
بضوئهم لقوله فلما أضاءت قلنا ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة
على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة
وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا والفرق بين
أذهبه وذهب به أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا وذهب
به استصحبه ومضى معه فإن قيل كيف وحد فقال كمثل الذي
ثم جمع فقال ذهب الله بنورهم قلنا قال بعضهم معنى الذي الجمع
ووحد أولا للفظ وجمع بعده لمعناه كما سبق وقيل إنما وحد الذي
واستوقد لأن المستوقد كان واحدا من جماعة تولى الاستيقاد
لهم فلما ذهب الضوء رجع ذهابه عليهم جميعا فقال بنورهم **قوله
تعالى** وتركهم في ظلمات لا يبصرون تركهم هنا يتعدى إلى مفعولين
لأن المعنى صيرهم وليس المراد به الترك الذي هو الإهمال فعلى هذا
يجوز أن يكون المفعول الثاني في ظلمات فيتعلق الجار بمحذوف
ويكون لا يبصرون حالا ويجوز أن يكون لا يبصرون هو المفعول
الثاني وفي ظلمات ظرف يتعلق بتركهم أو يبصرون ويجوز
أن يكون حالا من الضمير في يبصرون أو من المفعول الأول وقيل
تركهم معناه لم يأتهم بضياء يبصرون به وقيل لم يخرجهم
منه كما يقال تركه في الدار إذا لم يخرجه منها **فصل**
اختلف العلماء في الذي ضرب له هذا المثل من أحوال المنافقين
فقال ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي يقول مثلهم في
كفرهم ونفاقهم كمثل رجل أوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة

فاستضا

فاستضاء بها واستدفى ورأى ما حوله فاتقى ما يخاف ويحذر
فأمن فبينا هو كذلك إذ طفيت ناره فبقي في ظلمة خائفا متحيرا
كذلك المنافقون إذا أظهروا كلمة الإيمان استناروا بنورها واعتز دا
بعزها وآمنوا وناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا
على أموالهم وأولادهم فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف وبقوا
في العذاب وقال مجاهد إضاءة النار إقبالهم إلى المسلمين والهدى
وذهاب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة وقال سعيد بن
جبير ومحمد بن كعب وعطاء ويمان نزلت في اليهود وانتظارهم
خروج النبي صلى الله عليه وسلم وإيمانهم به واستفتاحهم به على
مشركي العرب فلما خرج كفروا به وذلك أن قريظة والنضير
وبني قينقاع قدموا من الشام إلى يثرب حين انقطعت النبوة من
بني إسرائيل وأفضت إلى العرب فدخلوا المدينة يشهدون
لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة وأن أمته خير الأمم وكان يغشا هم
رجل من بني إسرائيل قبل أن يوحى إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل سنة فيحضهم على طاعة الله تعالى وإقامة التورية
والإيمان بمحمد عليه السلام ويقول إذا خرج فلا تفرقوا عنه
وانصروه وقد كنت أطمع أن أدركه ثم مات قبل خروج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقبلوا منه فلما خرج رسول الله كفروا
به فضرب الله لهم هذا المثل **فصل** في ضرب المثل لهم بالنار
اعلم أن المستضيء بالنار مستضيء بنور من جهة غيره لا من قبل
نفسه فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمة فكأنهم لما أقروا
بألسنتهم من غير اعتقاد قلوبهم كان نور إيمانهم كالمستعا ر
وقيل إن ضياء النار يحتاج إلى مادة الحطب في دوامه فكذلك

نور الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم وقيل ان الظلمة
الحادثة بعد الضوء اشد على الانسان من ظلمة لم يجد معها ضياء
فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم جميعا فقال صم والجمهور على
الرفع على انه خبر ابتداء محذوف اي هم صم وقرا عبد الله صما
بكما عميا بالنصب على معنى وتركهم كذلك وقيل على الذم وقيل
على الحال من الضمير في يبصرون فصم جمع اصم وهو انسداد منافذ
السمع وهو اشد من الطرش يقال رمح اصم اذا لم يكن اجوف وصخرة
صما اذا كانت صلبة وانما وصفوا بالصمم لتركهم قبول ما سمعوا
والعرب تقول لمن سمع ولم يعمل اصم وقيل صم يتصامون عن
سماع الحق وفي البكم اربعة اقوال احدها انه آفة في اللسان لا يتمكن
معه من النطق وقيل ان الخرس يحدث عنه والثاني انه الذي يولد
اخرس والثالث انه المسلوب الفؤاد الذي لا يعي شيئا ولا يفهمه
والرابع انه الذي يجمع بين الخرس وذهاب الفؤاد والمعنى انهم
بكم عن الخير فلا يقولونه عمي عنه فلا يبصرونه ولا يتبعونه
وقيل بكم يتباكمون عن قول الحق عمي يتعامون عن النظر الى الحق
بعين الاعتبار والبكم جمع الابكم وقال ابن جرير فيه تقديم وتاخير
اي وما كانوا مهتدين صم بكم مثلهم كمثل الذي او كصيب لان
قوله وتركهم في ظلمات يريد في الآخرة وقوله صم بكم عمي يرجع
الى الدنيا والباقون يقولون لا حاجة الى التقديم والتاخير ولكن
اعترض بين المثلين قوله صم بكم وهو سائغ قوله تعالى فهم
لا يرجعون اي عن الكفر الى الاسلام تسجيلا عليهم بالطبع ثم قيل
هذا في قوم علم الله انهم لا يؤمنون قوله تعالى او كصيب من
السما هذا مثل آخر ضربه الله لهم ايضا واو حرف مردود على
قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا واختلف العلماء في او

الطرش اهون من الصمم

على

على خمسة اقوال احدها انه للتخيير تقول العرب جالس الفقها
او النحويين اي انت مخير منهما فكانه خيرهم بين ان يضرب لهم المثل
الاول او الثاني والثاني انه داخل للابهام فيما قد علم الله تحصيله
فابهم عليهم ما لا يطلبون تفصيله فكانه قال مثلهم كاحد هذين
ومثله قوله تعالى فهي كالحجارة او اشد قسوة وكقوله تعالى الى مائة
الف او يزيدون اي يشك الرائي لهم في مقدار عددهم والثالث
انه بمعنى بل انشد الفراء

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى ... وصورتها او انت في العين املح

والرابع انه للتفصيل ومعناه بعضهم يشبه بالذي استوقد نارا
وبعضهم باصحاب الصيب ومثله قوله تعالى كونوا هودا او
نصارى معناه قال بعضهم وهم اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى وكذلك قوله تعالى فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون
معناه جاء بعضهم باسنا بياتا وجاء بعضهم وقت القائلة والخامس
انه بمعنى الواو ومثله قوله تعالى ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم
وقال جرير

نال الخلافة او كانت له قدرا ... كما اتى موسى على قدر

ولا يجوز عند اكثر البصريين ان يحمل او على الواو ولا على بل ما وجد
عن ذلك مندوحة فاما التفسير فمعنى الكلام او كاصحاب فاضمر
الاصحاب لان في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم دليلا عليه
والصيب المطر واصله من صاب يصوب صوبا اذا نزل وقيل
انه السحاب واختلف النحاة في وزنه فقال البصريون هو على
وزن فيعل بكسر العين ولا يوجد هذا المثال الا في المعتل نحو
سيد وميت ولين وهين وضيق وطيب واصله صيوب
فجعلت الواو ياء فادغمت احدى اليائين في الاخرى وقال

الكوفيين هو وامثاله على وزن فعيل واصله صيبب فاستثقلت
الكسرة على الياء فسكنت وادغمت احديهما فى الاخرى وحركت
الى الكسر والسما كلما علاك فاظلك واصله سماو لانه من سما
يسمو فقلبت الواو همزة لان الالف لا تخلوا من مدة وتلك المدة
كالحركة وهو من اسماء الاجناس يكون واحدا وجميعا قال الله تعالى
ثم استوى الى السماء ثم قال فسويهن سبع سموات وقيل هو جمع
واحدتها سماوة والسموات جمع الجمع والها فى فيه راجعة
الى الصيب اى فى الصيب وقيل الى الليل اى فى الليل كناية عن
غير مذكور وقيل الى السماء اى فى السماء لان المراد بالسما السحاب
وقيل هو عايد الى السما نفسها على لغة من يذكرها قال الشاعر
فلو رفع السما اليه قوما لحقنا بالسماء مع السحاب
والسما تذكر وتونث قال الله تعالى السما منفطر به وقال تعالى
اذا السما انفطرت **قوله تعالى** ظلمات جمع ظلمة وهو مرفوع بالجار
والمجرور لانه قد قوى بكونه صفة لصيب ويجوز ان يكون
ظلمات مبتدا وفيه خبره والجملة فى موضع جر صفة لصيب والجمهور
على ضم اللام على الاتباع لضمة الظا وقرا الاعمش ظلمات بسكون
اللام على اصل الكلام لانها ساكنة فى التوحيد وقرا العقيلى
ظلمات بفتح اللام وذلك انه لما اراد تحريك اللام حركها الى اخف
الحركات والمطر لا يخلوا من ظلمة لانه ياتى من السحاب والسحاب
يغشى الشمس بالنهار والنجوم بالليل فيظلم الجو **قوله تعالى**
ورعد فيه ثلثة اقوال احدها ما رواه سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال اقبلت اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا ابا القاسم انا نسالك عن اشيا فان اجبتنا عنها
اتبعناك اخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من ملايكة

الله تعالى موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها
السحاب حيث ما شا الله تعالى قالوا فما هذا الصوت الذى
نسمعه قال زجره السحاب اذا زجره حتى ينتهى الى حيث امر
الله تعالى قالوا صدقت قال ابن الانبارى المخاريق ثياب
تلف ويضرب بها بعض القوم بعضا فشبه السوط الذى
يضرب به السحاب بذلك المخاريق قال عمرو بن كلثوم
كان سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بايدى لاعبينا
وقال مجاهد الرعد ملك يسبح بحمد الله تعالى يقال لذلك
الملك الرعد واصوته ايضا رعد وقال عكرمة وشهر بن
حوشب الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقها كما يسوق الراعى
الابل واصل الرعد من الحركة والصوت والثانى انه ريح يختنق
تحت السما وفوق السحاب قاله ابن ابى الجلد والثالث انه
صوت اصطكاك اجرام السحاب قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فانه لا يصيب ذاكرا
وسئل وهب بن منبه عن الرعد فقال الله اعلم **قوله تعالى**
وبرق فيه اربعة اقوال احدها انه ضرب الملك الذى هو الرعد
السحاب بمخاريق من حديد قاله على كرم الله وجهه والثانى
انه ضربه بسوط من نور قاله ابن عباس وقال مجاهد هو مصع
ملك والمصع الضرب والتحريك وهذه الالفاظ متقاربة
والثالث انه نار تنقدح من اصطكاك اجرام السحاب والرابع
هو ما ينقدح من الما عند نزوله من السحاب واصل البرق
من البريق والضو وقال ابو الدردا الرعد للتسبيح والبرق
للخوف والطمع والبرد عقوبة والصواعق بالخطية والجراد

رزق لقوم وزجر لآخرين والبحر بمكيال والجبال بميزان والرعد
مصدر رعد يرعد والبرق مصدر ايضا وهما على ذلك هنا
ويجوز ان يكون الرعد والبرق بمعنى الراعد والبارق كقولهم
رجل عدل وصوم **قوله تعالى** يجعلون اصابعهم في آذانهم
من الصواعق اي من صوت الصواعق وهي جمع صاعقة وهو
صوت شديد من صوت الرعد يقع معه قطعة من نار يحرق
ما تصيبه قال ابن قتيبة انما سميت صاعقة لانها اذا اصابت
قتلت يقال صعقتهم اي قتلتهم **قوله** حذر الموت مفعول له
وقيل مصدر اي يحذرون حذرا مثل حذر الموت والمصدر هنا
مضاف الى المفعول به وقيل على التفسير كقوله تعالى يدعوننا
رغبا ورهبا **قوله** والله محيط بالكافرين اصله من محوط لانه
من حاط يحوط فنقلت كسرة الواو الى الحاء فانقلبت ياء وفي معنى
الكلام ثلثة اقوال احدها انه لا يفوته منهم احد فهو جامعهم
يوم القيمة والثاني ان الاحاطة الاهلاك مثل قوله واحيط بثمره
وكقوله تعالى الا ان يحاط بكم اي تهلكوا جميعا والثالث انه عالم
بهم لا يخفى عليه ما يفعلون يدل عليه قوله تعالى وان الله قد
احاط بكل شيء علما **قوله** يكاد البرق يخطف ابصارهم كاد موضوع
(الخطف الاخذ بالسرعة)
عند العرب لمقاربة الفعل وكدت افعل معناه عند العرب
قاربت الفعل ولم افعل وكذلك لم يدخل عليه ان لان ان تخلص
الفعل للاستقبال وعينها واو والاصل يكود مثل خاف يخاف
وقد سمع فيه كدت بضم الكاف واذا دخل عليها حرف نفي دل
على ان الفعل الذي بعدها وقع واذا لم يكن حرف نفي لم يكن
الفعل بعدها واقعا ولكنه قارب الوقوع وموضع يخطف

(هامش: يقال برق خاطف لنور الابصار)

نصب

نصب لانه خبر كاد والمعنى قارب البرق خطف الابصار و
الخطف اخذ باستلاب ومنه الخطاف وهو الذي يخرج به
الدلو لانه يختطف ما علق به وقرأ الجمهور يخطف بفتح الياء
وسكون الخاء وفتح الطاء وماضيه خطف كقوله تعالى الا من
خطف الخطفة وفيه قراءات شاذة احدها كسر الطاء على
ان ماضيه خطف بفتح الطاء والثانية بفتح الياء والخاء والطاء
وتشديد الطاء والاصل يختطف فابدل من التاء طاء وحركت
بحركة التاء والثالثة كذلك الا انها بكسر الطاء على ما استحقه
في الاصل والرابعة كذلك الا انها بكسر الخاء ايضا على الاتباع
والخامسة بكسر الياء ايضا اتباعا ايضا والسادسة بفتح الياء
وسكون الخاء وتشديد الطاء وهو ضعيف لما فيه من الجمع بين
الساكنين **قوله تعالى** كلما كل حرف جملة ضم الى ما الجزاء فصار
اداة للتكرار وهي منصوبة على الظرف ومعناها متى ما اضاء لهم
مشوا فيه اي في ضوءه والمعنى بضوءه ويجوز ان يكون فيه ظرفا
على اصلها والمعنى انهم يحيط بهم الضوء وفي حرف عبد الله
مضوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا اي قاموا ووقفوا متحيرين
قوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم يعني باسماعهم
وابصارهم فالمراد به الجمع وان كان بلفظ الواحد قال **الشاعر**
كلوا في نصف بطنكم تعيشوا فان زمانكم زمن خميص
وقيل اراد بالسمع المصدر فوحد وقد سبق ذلك عند قوله
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم **قوله** ان الله على كل شيء قدير
من ذهاب سمعهم وابصارهم وهلاكهم وذكر السمع والبصر
ها هنا لانه ذكر في مثلهم المتقدم يكاد البرق يخطف ابصارهم
وقال يجعلون اصابعهم في آذانهم فلذلك ذكرهما مثبتة في

(هامش: اي في قراءة عبد الله)

(هامش: اي ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها)

ذهاب سمعهم وابصارهم **فصل** اختلف العلما ما الذى يشبه
الرعد مما يتعلق باحوال المنافقين على ثلثة اقوال احدها انه التخويف
الذى فى القرآن قاله ابن عباس والثانى ما يخافون ان يصيبهم
من المصايب اذا علم النبى صلى الله عليه وسلم والمومنون بنفاقهم
قاله مجاهد والسدى والثالث ما يخافون من الدعا الى الجهاد
وقتال من يبطنون مودتهم واختلفوا ما الذى يشبه البرق
من احوالهم على ثلثة اقوال احدها انه ما يتبين لهم من مواعظ
القرآن وحكمه والثانى ما يضى لهم من نور اسلامهم الذى
يظهرونه والثالث انه مثل لما ينالونه باظهار الاسلام
من حقن دمايهم فانه بالاضافة الى ما ادخر لهم فى الآجل كالبرق
واختلفوا فى قوله تجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق
على قولين احدهما انهم كانوا يفرون من سماع القرآن لئلا يامرهم
بالجهاد مخافة الموت قاله السدى والثانى انه مثل لاعراضهم
عن القرآن كراهية له قاله مقاتل واختلفوا فى معنى كلما اضا
لهم على اربعة اقوال احدها معناه كلما اتاهم القرآن بما يحبون
تابعوه قاله ابن عباس والسدى والثانى ان اضاة البرق حصول
ما يرجونه من سلامة نفوسهم واموالهم فيسرعون الى متابعته
قاله قتادة والثالث انه تكلمهم بالاسلام ومشيهم فيه اهتدا
به فاذا تركوا ذلك وقفوا فى ضلالة قاله مقاتل والرابع ان
اضاته لهم تركهم بلا ابتلا ولا امتحان ومشيهم فيه اقامتهم
على المسالمة باظهار ما يظهرونه فاما قوله واذا اظلم عليهم
قاموا فمن قال اضاته ايتانهم اياهم بما يحبون قال اظلامه
ايتانه اياهم بما يكرهون وعلى ساير الاقوال التى ذكرناها
بالعكس قال ابن عباس وابن مسعود هرب رجلان من

اهل المدينة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين
فاصابهما هذا المطر فى الطريق ليلة فقالا ان اصبحنا اتينا
محمدا صلى الله عليه وسلم فنضع ايدينا فى يده فاصبحا فاتياه واسلما
فضرب الله شانهما مثلا لمنافقى المدينة فان قيل كيف
قال الله على كل شى قدير والمستحيل شى ولا تتعلق القدرة
به قلنا من حد القدرة انها لا تتعلق بالمستحيل فيكون المستحيل
مستثنى فى حدها فاذا اطلق القادر علم ان المستحيل لا يدخل
فى الذكر وكان حمزة يكسر شا وجا وامثالهما لانكسار فا
الفعل اذا اخبرت عن نفسك قلت شيت وجيت وطبت
ونحوها **قوله تعالى** يا ايها الناس اى اسم مبهم لوقوعه على
كل شى اتى به فى الندا توصلا الى ندا ما فيه الالف واللام اذا
كانت يا لا تباشر الالف واللام وبنيت لانها اسم مفرد مقصود
وها مقحمة للتنبيه لان الاصل ان تباشر يا الناس فلما حيل
بينهما باى عوض من ذلك ها والناس وصف لاى لا بد منه
لانه المنادى فى المعنى ومن هاهنا رفع لان رفعه جعل عوضا
من ضمة البنا واجاز المازنى نصب الناس وشبهه بقولك يا
زيد الظريف حمله على موضع اى واجمع النحويون على خلافه
لان الظريف نعت يستغنى عنه وليس كذلك الناس واعلم
ان حرف الندا فى القرآن على ستة اوجه ندا مدح وندا ذم
وندا تنبيه وندا اضافة وندا نسبة وندا التسمية فاما ندا
المدح فمثل قوله تعالى يا ايها النبى يا ايها الذين آمنوا وندا الذم
مثل قوله تعالى يا ايها الذين كفروا وندا التنبيه مثل قوله يا ايها

الانسان ونداا الاضافة مثل قوله تعالى يا عبادى ونداا النسبة
مثل قوله تعالى يا بنى ادم ونداا التسمية مثل قوله تعالى يا داود
وندا سابع نداا التعنيف مثل قوله تعالى يا اهل الكتاب واعلم ان
الاسم المنادى احد المفعولات وهو ثلثة اضرب مضاف ومشابه
للمضاف من اجل طوله ومفرد علم وكل منادى منصوب الا المفرد
العلم فانه مبنى على الضم وانما بنى واصله الاعراب لتضمنه معنى
الحروف وذلك انك لما قصدت قصده ونحوت نحوه ضارع حرف
الخطاب وهو الثانى انت والكاف فى ادعوك فبنى لذلك وحروف
الندا خمسة وهى يا وهيا واى وايا والالف وتنادى من قرب بغير
حرف الندا قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب اهل مكة ويا ايها
الذين امنوا خطاب اهل المدينة وهو هاهنا عام **قوله تعالى**
اعبدوا ربكم اى وحدوا واطيعوا ربكم الذى خلقكم اى اوجدكم وانشاكم
بعد ان لم تكونوا شيئا **قوله** والذين من قبلكم اى وخلق الذين
من قبلكم وانما ذكر الذين من قبلكم لانه ابلغ فى التذكير واقطع
للجحد وقيل انما احتج الله عليهم بانه خالقهم وخالق من
قبلهم لانهم كانوا مقرين بذلك لقوله تعالى ولان سالتهم من
خلقهم ليقولن الله فعبادة الخالق اولى من عبادة المخلوقين من
الاصنام ومن هاهنا لابتدا الغاية فى الزمان **قوله** لعلكم
تتقون اى لكى تنجوا من السخط والعذاب قال سيبويه لعل
وعسى حرفا ترجى وهما من الله واجب والمعنى كونوا على
رجاء وطمع تتقوا بعبادتكم عقوبة ربكم ان تحل بكم تجرى اطماعه
مجرى وعده المحتوم وقال ابن الانبارى لعل تكون
ترجيا وتكون بمعنى كى تقول اعرنى هذه الدابة لعلى اركبها

اى كى اركبها وقيل معنى الاية اعبدوا ربكم فلا تشركوا به شيئا
فان من تجنب الشرك كان حريا ان يتقى المعاصى الاخر فيرجع
لعلكم تتقون الى اتقاء المحرمات وقيل معناه خلقكم لتتقوا
اى ليامركم بالتقوى كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وانما قال لعلكم تغليبا للمخاطب على الغايب وان كان
قد خلق الذين من قبلهم كما خلقهم ثم ذكر صنعه وقدرته
ونعمه عليهم فقال تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا نصب
جعل فى موضع الذى يتقون او بدلا من ربكم او صفة مكررة
وباضمار اعنى ويجوز ان يكون فى موضع رفع على اضمار هو الذى
وجعل هاهنا متعدى الى مفعول واحد وهو الارض وفراشا
حال ومثله والسما بناء ويجوز ان يكون جعل بمعنى صير فيتعدى
الى مفعولين وهما الارض وفراشا وانما سميت الارض ارضا لسعتها
وقيل لانحطاطها عن السما وكل ما سفل ارض وقيل لان الناس
يرضونها باقدامهم وقيل سميت ارضا لانها تارض ما فى بطنها
يعنى تاكل ما فى بطنها يعنى تاكل ما فيها حكى ذلك عن على كرم
الله وجهه وقوله فراشا يعنى بساطا ومقاما ومناما ولم يجعلها
حزنة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها والفرش البسط
ومنه الفراش الذى يطير لانبساطه فى الهوا والفرش صغار
النعم لانبساطها على الارض فان قيل كيف جعلها فراشا
ومهادا وفيها الجبال والبحار والمهالك والمفاوز وليس كلها
بمهاد قيل انما اراد الله تعالى استقرارهم فيها وثبوتهم عليها
ولم يرد انها تكون كلها سوا وما فيها مما ذكر فكل ذلك محتاج

بعضه الى بعض لا يراه قال تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال
اوتادا الاية **قوله تعالى** والسما بنا اى سقفا وكل ما ارتفع
على شى فقد سمى عليه كقوله تعالى ام السما بناها رفع سمكها فسواها
وسمى السحاب سما لارتفاعه وعلوه **قوله تعالى** وانزل من السما
ما يعنى المطر من نحو السما او من جانب السما فحذف المضاف وان
جعلت السما بمعنى السحاب لم تحتج الى تقدير المضاف والاصل
فى ما موه لقولهم ماهت البير تموه وفى الجمع امواه فلما تحركت
الواو وانفتح ما قبلها قلبت الفا ثم ابدلوا من الها همزة وليس
بقياس **قوله تعالى** فاخرج به من الثمرات رزقا لكم من الثمرات
متعلق باخرج فيكون من لابتدا الغاية ويجوز ان يكون فى موضع
الحال تقديره رزقا كاينا من الثمرات ولكم اى من اجلكم والرزق
هاهنا بمعنى المرزوق وليس بمصدر والثمرات حمل الشجر فى الاصل
ثم صار اسما لكل ما ينتفع به مما هو زيادة على الاصل يقال ثمر الله
مالك وعقل مثمر اذا كان يهدى صاحبه الى رشده قال المفسرون
اراد بالثمرات جميع ما ينتفع به مما يخرج من الارض **قوله تعالى**
فلا تجعلوا لله اندادا اى لا تصيروا ولا تسموا فيكون متعديا
الى مفعولين والانداد جمع ند ونديد وفيه ثلثة اقوال احدها
ان الانداد الاشباه يقال فلان ند فلان ونديده اى يشبهه قال

عوض

حسان رضى الله عنه

اتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفدا

والثانى ان الانداد الاكفا قال ابن عباس والسدى لا تجعلوا
لله اكفا من الرجال تطيعونهم فى معصية الله تعالى وهذا
قول ابن مسعود والاول روى عن ابن عباس والثالث انهم

الاضداد

الاضداد وهو قول المفضل قال ابن زيد الانداد الالهة
التى عبدوها من دون الله وقرا محمد بن السميفع ندا على الواحد
قوله تعالى وانتم تعلمون مبتدا وخبر فى موضع الحال ومفعول
تعلمون محذوف اى تعلمون بطلان ذلك وفيه ستة اقوال
احدها وانتم تعلمون ان الله خلقكم وهذا قول ابن عباس وقتادة
والثانى وانتم تعلمون انه لا ضد له ولا ند وهذا قول مجاهد
والثالث وانتم تعلمون اى تعقلون فعبر بالعلم عن العقل والرابع
وانتم تعلمون انه ليس ذلك فى كتابكم التورية والانجيل والخامس
وانتم تعلمون انه لا يقدر على فعل ما ذكره احد سواه والسادس
وانتم تعلمون انها حجارة حكاه ابن الجوزى عن محمد بن الخشاب
قوله تعالى وان كنتم جواب الشرط فاتوا بسورة وان كنتم
صادقين شرط ايضا جوابه محذوف اغنى عنه جواب الشرط
الاول اى ان كنتم صادقين فافعلوا ذلك ولا تدخل ان الشرطية
على فعل ماض فى المعنى الا على كان لكثرة استعمالها وانها لا تدل
على حدث وقيل ان بمعنى اذ لان الله تعالى علم انهم شاكون كقوله
تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اى اذ كنتم مومنين وقوله
وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مومنين وقوله لتدخلن المسجد
الحرام ان شا الله اى اذا شا الله • وقال الاعشى
• وسمعت حلفتها التى حلفت ان كان سمعك غير ذى وقر
نزلت هذه الاية فى الكفار وذلك انهم قالوا لما سمعوا القران
ما يشبه هذا كلام الله وانا لفى شك منه فانزل الله تعالى وان
كنتم فى ريب فى شك مما نزلنا فى موضع جر صفة لريب

اى ريب كائن مما نزلنا والعائد على ما محذوف اى نزلناه وما
بمعنى الذى او نكرة موصوفة والذى نزلنا هو القرآن على عبدنا
يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والعبد مأخوذ من التعبد وهو
التذلل وسمى المملوك عبدا لتذلله لمولاه **قوله تعالى** فأتوا
اصله ايتوا وماضيه اتا ففاء الكلمة همزة فاذا امرت زدت عليها
همزة الوصل مكسورة فاجتمعت همزتان والثانية ساكنة فابدلت
الثانية ياء لئلا يجمع بين همزتين وكانت الياء اولى للكسرة
قبلها فاذا اتصل بها شئ حذفت همزة الوصل استغناء عنها
والمعنى جيئوا انتم امر تعجيز لان الله تعالى علم عجزهم عنه **قوله**
بسورة سبق معنى السورة فى اول الكتاب **قوله تعالى** من مثله
قال المفسرون معنى الآية ان الله تعالى لما احتج عليهم فى اثبات
توحيده اولا احتج عليهم ايضا فى اثبات نبوة نبيه محمد صلى
الله عليه وسلم بما تقطع عذرهم فقال وان كنتم فى ريب مما
نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وفيه قولان احدهما
مثل محمد صلى الله عليه وسلم من البشر لان محمدا بشر مثلكم
امى لم يعرف الخط والكتابة واختاره ابو عبيدة والزجاج
والثانى من مثله اى من القرآن كقوله تعالى فليأتوا بحديث
مثله وقوله ولا يأتون بمثله والمعنى فأتوا بسورة مثل
ما اتى به محمد عليه السلام فى الاعجاز وحسن النظم والاخبار
عما كان وعما يكون دون تعلم الكتب ودراسة الاخبار
وهذا قول مجاهد وقتادة وقيل معناه فأتوا بسورة من
مثل هذا القرآن من التوراة يعنى فأتوا بسورة من القرآن

فقابلوها

3

فقابلوها بالقرآن تجدوها موافقا لما فى التورية فيعلمون به
ان محمدا لم يختلقه من تلقاء نفسه وانه من الله فان عادت
الها الى النبى صلى الله عليه وسلم فتكون من للابتداء وان عادت
الى القرآن فتكون من زائدة فان قيل ما فائدة تفصيل القرآن
وتقطيعه سورا قلنا فيه فوائد منها ان الجنس اذا انطوت
تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وافخم من ان يكون
بابا واحدا ومنها ان القارى اذا ختم سورة او بابا من كتاب
ثم اخذ فى آخر كان انشط له وابعث على الدرس والتحصيل
منه ولم يعتره الضجر والملل ومثله المسافر اذا علم انه قطع
فرسخا زاد فى نشاطه للمسير ومن ثم جزئ القرآن اجزاء
واخماسا واعشارا واسباعا ومنها ان الحافظ اذا حذق
سورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله تعالى طائفة مستقلة
فيعظم عنده ما حفظه ويجل فى نفسه ويغتبط به الى غير
ذلك من الفوائد ومنها ان تختص كل سورة بقدر مخصوص
كاختصاص القصائد ومنها ان الانسان قد يعجز عن حفظ
الجميع فاذا حفظ سورة كان ذلك سببا يدعوه الى حفظ غيرها
قوله وادعوا شهداكم فيه ثلثة اقوال احدها استعينوا
بآلهتكم التى تعبدونها لانهم كانوا يعتقدون انها تشهد لهم
واختاره الفرا والثانى ناسا يشهدون لكم قاله مجاهد والقرظى
والثالث اعوانكم قاله ابن عباس وانما ذكر الاستعانة بلفظ
الدعا على عادة العرب فى دعائهم القبائل فى الحروب والشدائد
والشهدا جمع شهيد وهو المشاهد كالجليس بمعنى المجالس

الحذف القطع

وقيل الشهيد بمعنى الشاهد كالعليم بمعنى العالم وقيل الشهيد
بمعنى المشهود وفعيل بمعنى مفعول كثير اي استعينوا بآلهتكم وكانت
مشهودة لهم لانهم كانوا يحضرونها **قوله تعالى** من دون الله
اي غير الله كما يقال ما دون الله مخلوق يريد وادعوا من اتخذتموهم
معاونين من غير الله ان كنتم صادقين في ان هذا الكتاب تقوّله
محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه **قوله تعالى** فان لم تفعلوا
حرف الشرط والجزاء كقولك ان تضرب اضرب ولم حرف يجزم
الفعل المضارع ويقع بعدها بمعنى الماضي كما يقع الماضي بعد حروف
الجزاء بمعنى الاستقبال والمعنى فان لم تفعلوا اي فان لم تجيبوا
بمثل هذا القرآن ولن تفعلوا فيما يستقبل ولن حرف قائم
بنفسه وضع لنفي الفعل المستقبل وتنصبه الفعل كنصب
ان وفي الاية دليلان على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
احدهما صحة كون المتحدى به معجزا والثاني الاخبار بانهم لن
يفعلوه وهو غيب لا يعلمه الا الله تعالى وانما قال فان لم
تفعلوا ولم يقل فاذا لم تفعلوا وقد عجزوا عن الاتيان بالسورة
لانه ساق القول معهم على حسب ظنهم وان العجز عن
المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم
على فصاحتهم واقتدارهم على البلاغة **قوله تعالى** فاتقوا
النار التي وقودها اي فاحذروا ان تصلوا النار بتكذيبكم وانما
قيل لهم هذا بعد ان ثبت على الجحد في التوحيد وصدق محمد
صلى الله عليه وسلم بالآيات السابقة واذ ثبتت الحجة صار الخلاف
عنادا وجزاء المعاند النار والوقود بالفتح الحطب وبالضم المصدر
وهو الالتهاب والتوقد كالطهور والبرود ونحوها ومثله

الوضو

الوضوء بالفتح الماء وبالضم المصدر وهو اسم حركات المتوضي
وقرأ الحسن ومجاهد وطلحة وقودها بضم الواو حيث كان
الاختيار الفتح وقرأ عبيد بن عمير وقيدها وانما وصفها بوقود
الناس والحجارة تمييزا لها عن هذه النار الموقودة بالحطب وان
نار الدنيا اذا اريد ان تحرق فيها شيء اوقدت اولا بالحطب وغيره
ثم تحرق بها ما يراد احراقه من انسان او حجر او غيره ونار الآخرة
توقد بنفس ما يراد احراقه في نار الدنيا وانها لافراط حرها
وشدته اذا اتصلت بما لا يشتعل به نار اشتعلت وارتفع
لهبها فالحاصل ان الناس اوقدوا فيها بطريق العذاب والحجارة
لبيان قوتها قال ابن عباس هي حجارة الكبريت لان لها خمسة
اشيا ليست لغيرها احدها اسرع وقودا والثاني ابطا خمودا
والثالث انتن رايحة والرابع اشد حرا والخامس الصق بالبدن
فكذلك جعلها حطب جهنم وقال بعض اهل المعاني اراد الاصنام
لان الهتهم اصنامهم كانت منحوتة من حجر دليله ونظيره قوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وانما قرن
الناس بالحجارة لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها
وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دون الله تعالى وقيل ان
اهل النار اذا عيل صبرهم بكوا وشكوا فتنشا سحابة سوداء مظلمة
فيرجون الفرج ويرفعون رؤوسهم اليها فتمطرهم حجارة عظاما
كحجارة الرحا فتزداد النار اتقادا والتهابا كنار الدنيا اذا زيد
في حطبها زاد لهبها وقيل ذكر الحجارة هاهنا تعظيما لامر النار
لانها لا تاكل الحجارة الا اذا كانت فظيعة هائلة وانما اتت النار
هاهنا معرفة وفي سورة التحريم منكرة في قوله انفسكم واهليكم

نارا الآن تلك الآية نزلت بمكة تعرفوا نارا هذه صفتها ونزلت
هذه بالمدينة إشارة إلى ما عرفوا أولا **قوله تعالى** أعدت للكافرين
أي خلقت وهيئت وفي هذه الآية دليل على أن النار مخلوقة لأن المعد
لا يكون إلا موجودا وقال تعالى أغرقوا فأدخلوا نارا وقال تعالى
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت
النار إلى ربها فأذن لها في نفسين فشدة الحر من فيحها وشدة البرد
من زمهريرها وقال عليه السلم الحر من فيح جهنم وقال صلى الله
عليه وسلم اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء وهذه النار
وإن أعدت للكافرين فهي معدة لغيرهم من مستحقي العقاب
من غير الكافرين وهي نار واحدة وإنما يتفاضل عقابهم فيها
وقيل هذه نار معدة للكافرين خاصة ولغيرهم من مستحقي
العقاب نار غيرها وليس في قوله تعالى أعدت للكافرين
دلالة على أن لا يدخلها أصحاب الكبائر من هذه الأمة كما ذهب
إليه المرجئة لأن الله تعالى قال في الجنة أعدت للمتقين وفيها
الأطفال والحور العين وقد أخبر الله تعالى في كتابه أن أصحاب
الكبائر يدخلون النار فقال تعالى إن الذين يأكلون أموال
اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
وقال تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلى قوله ولا
تقتلوا أنفسكم ثم قال ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف
نصليه نارا وإنما لم يقل أعدت لكم لعلمه بأن قوما منهم
يؤمنون وقرأ ابن مسعود أعتدت من العتاد بمعنى
العدة **قوله تعالى** وبشر الذين آمنوا البشارة أول خبر

شدة ح

يرد

يرد على الإنسان بما يسره وسميت بشارة لأنها تؤثر
في البشرة وهي ظاهر الجلد فإن كان خيرا أثر السرور والا نبساط
وإن كان شرا أثر الانجماع والغم والأغلب في عرف الاستعما ل
أن تكون البشارة بالخير وقد تستعمل في الشر قال تعالى
فبشرهم بعذاب أليم **قوله تعالى** وعملوا الصالحات جمعوا
بين التصديق والأعمال الصالحة قال عثمان بن عفان رضي
الله عنه أخلصوا الأعمال يدل عليه قوله تعالى فليعمل
عملا صالحا وقال علي كرم الله وجهه أقاموا الصلوات
المفروضة دليله قوله تعالى وأقاموا الصلوة إنا لا
نضيع أجر المصلحين وقال معاذ العمل الصالح الذي يكون
فيه أربع أشياء العلم والنية والصبر والإخلاص وقال
سهل لزوم السنة لأن عمل المبتدع لا يكون صالحا وقيل
أداء الأمانة يدل عليه قوله تعالى وكان أبوهما صالحا أي
أمينا وقيل تابوا لقوله وتكونوا من بعده قوما صالحين
أي تائبين وقد قال صلى الله عليه وسلم بشر المشائين
إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يأمر بذلك
أحدا بعينه وقرئ وبشر لما لم يسم فاعله عطفا على أعدت وعلى
القراءة المشهورة عطف وصف ثواب المؤمنين على وصف عقاب
الكافرين ويجوز أن يكون معطوفا على قوله فاتقوا كما يقول
يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد
بإحساني إليهم **قوله تعالى** أن لهم جنات فتحت أن ههنا
لأن التقدير بأن لهم وموضع أن وما عملت فيه نصب ببشر

لان حرف الجر اذا حذف وصل الفعل بنفسه هذا مذهب
سيبويه واجاز الخليل ان يكون في موضع جر بالبا المحذوفة
لانه موضع تزاد فيه فكانها ملفوظ بها ولا يجوز ذلك مع
غير ان فانك لو قلت بشره بانه مخلد في الجنة جاز حذف
البا لطول الكلام ولو قلت بشره الخلود لم يجز وهذا اصل يتكرر
في القران كثيرا فتامله واطلبه هاهنا وجنات جمع جنة
وهي البستان ذو الشجر وسميت الجنة جنة لاستتارها بشجرها
وسمي الجن جنا لاستتارهم والجنين من ذلك ومنه جن عليه
الليل واجنه وجنت الرياض اي كثر نبتها والتف ومنه
المجن وذكر المفضل ان الجنة كل بستان فيه نخل وان لم يكن
فيه شجر غيره وان كان فيه كرم فهو فردوس كان فيه شجر
غير الكرم او لم يكن وانما جمعها ونكرها لان دار الثواب مشتملة
على جنات كثيرة مرتبة على حسب استحقاق العاملين **قوله
تعالى** تجري من تحتها الانهار الجملة في موضع نصب صفة للجنات
والانهار مرفوعة بتجري لا بالابتدا ولا بتحتها لان تجري
لا ضمير فيها اذ كانت الانهار لا تجري وانما تجري انهارها
والتقدير من تحت اشجارها ومساكنها لا من تحت ارضها
فحذف المضاف وقيل بامرهم كقوله تعالى وهذه الانهار
تجري من تحتي اي بامري والانهار جمع نهر وسمي بذلك لسعته
وضيائه ومنه النهار واراد بالانهار المياه فان النهر لا
تجري وانما تجري الما فيه فيستعمل الجري فيه تجوزا وقد
جا في الحديث انهار الجنة تجري في غير اخدود **قوله تعالى**

كلما اي متى ما رزقوا اي اطعموا منها اي من الجنة **قوله** من ثمرة
اي ثمرة ومن صلة وقيل للتبعيض لانهم انما يرزقون بعض
ثمار الجنة **قوله** رزقا اي طعاما **قوله تعالى** قالوا هذا الذي رزقنا
من قبل فيه خمسة اقوال احدها ان معناه هذا الذي رزقناه من
ثمار الجنة مثل الذي رزقناه من ثمار الدنيا قاله ابن عباس وابن
مسعود ومجاهد وقتادة وابن زيد والثاني ان ثمار الجنة
اذا جنيت من اشجارها استخلف مكانها مثلها فاذا راوا ما استخلف
بعد الذي جني اشتبه عليهم فقالوا هذا الذي رزقنا من قبل
قاله يحيى بن ابي كثير وابو عبيدة والثالث معناه هذا الذي اطعمنا
من قبل فرزق الغداة كرزق العشا روى ذلك عن ابن عباس
والضحاك ومقاتل وليس المراد بقولهم هذا الذي رزقنا من قبل
نفس ما اكلوه ولكن ارادوا هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه
بدليل قوله تعالى متشابها كما يقول القايل لغيره فلان اعد لك
الخبز والشوا فيقول هذا طعامي في منزلي يريد هذا الجنس والرابع
معناه هذا الذي وعدنا في الدنيا انه رزقنا في الجنة والخامس
معناه هذا من فضل الله كما ان الاول من فضل الله حكاهما القشيري
قال الزجاج ضم قبل لانها غاية كان يدخلها نحو الاعراب الفتح
والكسر فلما عدلت عن بابها بنيت على ما لم يكن يدخلها نحو الاعراب
قال الله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد **قوله تعالى** واتوا به
يعني جيء به اي بالرزق وقرا هرون بن موسى واتوا بفتح الالف
اراد اتاهم الخدم به **قوله تعالى** متشابها حال من الها في به وفي
معناه اربعة اقوال احدها ان معنى التشابه ان كله خيار يشبه
بعضه بعضا وليس كثمار الدنيا التي تتشابه لان فيها خيارا
وغير خيار وهذا قول الحسن وقتادة وابن جريج والثاني ان

التشابه في اللون دون الطعم فكان ثمار الجنة في الوان ثمار الدنيا
وان خالفتها في الطعم وهذا قول ابن عباس وابن مسعود والربيع
بن انس والثالث تشابه ثمار الدنيا في اللون والطعم جميعا وهو قول
مجاهد ويحيى بن سعيد والرابع ان التشابه في الاسماء دون الالوان
والطعوم فلا يشبه ثمار الجنة شيء من ثمار الدنيا في لون ولا طعم
وهذا قول ابي زيد والاشجعي قال الماوردي وهذا ليس بشيء وروي
عن ابن عباس انه قال ليس في الجنة شيء مما في الدنيا غير الاسم فقط
وقيل فيه تقديم وتاخير اي واتوا به متشابها فقالوا هذا
الذي رزقنا من قبل وفائدة تشابه ثمر الدنيا بالاخرة ان الانسان
بالمالوف آنس والى المعهود اميل فاذا راى ما لم يالفه نفر
عنه طبعه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما الف وعهد وظهر
له فيه فضيلة في القد والشكل واللون والطعم والريح زاد
ابتهاجه به وان قلنا انه متشابه المنظر مختلف الطعم كان
اغرب عند الخلق واحسن فانك لو رايت تفاحة فيها طعم
ساير الفواكه كان نهاية في العجب وان قلنا انه متشابه في
الجودة جاز اختلافه في الالوان والطعوم ولانهم اذا راوا
في الجنة شيئا يشبه ما في الدنيا عرفوا قدر ما انعم الله عليهم
واعطاهم ورزقهم فيزداد شكرهم وحمدهم لله تعالى ولهذا
قالوا لما دخلوا الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الاية
قوله تعالى ولهم فيها ازواج مطهرة ازواج مبتدا ولهم الخبر
وفيها ظرف للاستقرار ولا يكون فيها الخبر لان الفايدة تقل
اذ الفايدة في جعل الازواج لهم وفيها الثانية تتعلق بخالدون
وهاتان الجملتان مستانفتان ويجوز ان تكون الثانية حالا
من الها والميم في لهم والعامل فيها معنى الاستقرار والازواج

جمع زوج وزوجة وشكل كل زوجه قال ثعلب الزوج في اللغة
المراة والرجل والشفع والفرد والنوع واللون **وقوله** مطهرة
اي من البول والغايط والحيض والنفاس والمخاط والبصاق
والقي والمني والولد وكل قذر ونجس وقيل مطهرون من مساوي
الاخلاق لما فيهن من حسن التبعل يدل عليه قوله تعالى عربا
اترابا قال الزجاج مطهرة ابلغ من طاهرة لانه للتكثير ثم قيل
اراد ازواجا بهم من الادميات وقيل من الحور العين روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان اهل الجنة ياكلون ويشربون
ولا يتفلون ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يمتخطون قيل فما بال
الطعام قال جشاء ورشح يجري من اعراضهم كريح المسك يلهمون
التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس • وروي انس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمن في الجنة ثلثون زوجة قلنا يا
رسول الله اوله قوة ذلك قال انه يعطى قوة ماية رجل **قوله
تعالى** هم فيها خالدون اي دايمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها
لان تمام النعمة بالدوام **قوله تعالى** ان الله لا يستحيي هذه الاية
نزلت في اليهود وذلك ان الله تعالى لما ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت
فقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا الاية وقال
تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا كمثل العنكبوت اتخذت
بيتا ضحكت اليهود وقالوا ما هذا الكلام وما اراد الله بذكر هذه
الاشيا الخسيسة في كتابه وما يشبه هذا الكلام فانزل الله
تعالى ان الله لا يستحيي معناه لا يترك وقيل لا يخشى ومثله قوله تعالى
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه اي وتستحيي منهم فالاستحيا

والخشية ينوب كل واحد منهما عن الآخر قال أهل المعاني قوله
إن الله لا يستحيي خرج على لفظهم حيث قالوا إن الله يستحيي أن
يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فرد الله عليهم كما أنهم لما
قالوا للقرآن هذا سحر مفترى قال الله تعالى فأتوا بعشر سور
مثله مفتريات فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على
السؤال وروي عن ابن عباس وابن مسعود أن الله تعالى لما ضرب
المثلين قبل هذه للمنافقين يعني قوله تعالى مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا وقوله أو كصيب من السماء قال المنافقون إن
الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال أنزل الله تعالى إن الله
لا يستحيي أن يضرب مثلا الآية والمعنى على هذا أن الله لا يستحيي
أن يضرب مثلا ما بالصغير والكبير إذا كان في ضربه من الحكمة
ما في ضربه بالكبير ويروى عن الربيع بن أنس أن البعوض تحيا
إذا جاعت فإذا شبعت وسمنت ماتت فكذلك القوم الذين
ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن إذا امتلأوا من الدنيا أخذهم
الله عند ذلك ثم تلا حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا
هم مبلسون وذهب بعض أهل العلم إلى أن الاختيار هذا التأويل
من قبل أنه متصل بذكر المثلين الذين ضربهما الله للمنافقين
في سورة البقرة فكان لذلك أولى من أن يكون جوابا لما ذكر في
سورة غيرها إذ كان ذكر الذباب في سورة الحج وذكر العنكبوت
في سورة العنكبوت والأظهر في هذا أن يكون جوابا لما قيل في
الذباب والعنكبوت لما فيهما من الاحتقار والضآلة فأخبر
الله تعالى أنه لا عيب في ذلك وللعرب في يستحيي لغتان منهم
من يقول يستحي بياء واحدة وبذلك قرأ ابن كثير في رواية
شبل ومنهم من يقول يستحيي بياءين وبه قرأ الباقون

الظاهر قبل

فوجه هذه القراءة أنه الأصل ووجه القراءة أنه حذف
استثقالا لاجتماع الياءين والاختيار في القراءة إثبات الياءين
لأنه إذا اعتل لام الفعل فلا ينبغي أن تعل العين لئلا يجتمع في
الكلمة إعلالان لأن ذلك إخلال ولأن أكثر القراء عليها ولأنها
لغة أهل الحجاز والأخرى لغة تميم والحياء الانقباض والاحتشام
قوله تعالى ما بعوضة في ما أربعة أقوال أحدها أنها صلة كأنه
قال إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا بعوضة قاله أبو عبيدة و
الزجاج وهو اختيار البصريين والثاني أن تكون نكرة مفسرة
بالبعوضة كما تكون نكرة موصوفة في قولك مررت بما معجب
لك أي بشيء معجب لك والثالث أن تكون نكرة وتكون بعوضة
بدلا منها والرابع أن ما بمعنى الذي وتقديره الذي هو بعوضة
وذكر أبو جعفر الطبري أن معناه ما بين بعوضة إلى ما فوقها
فأما بعوضة ففي نصبها ثلاثة أقوال أحدها أن تكون مفعولا
ثانيا ليضرب والثاني أن تكون معربة بتعريب ما كما قال حسان
فكفى بنا فضلا على من غيرنا حب النبي محمد إيانا
وحقيقته البدل والثالث يحكى عن الكوفيين زعموا أن النصب
على إسقاط حرف الخفض كأنه قيل ما بين بعوضة فما فوقها وأنكر
المبرد ما بين هذين الوجهين وأجود هذه الأوجه الوجه الأول
وذلك أن يضرب لما صارت لضرب الأمثال صارت في معنى
جعل فجاز أن يتعدى إلى مفعولين وإذا كانت كذلك من جملة ما
يدخل على المبتدأ والخبر وروي عن نافع بعوضة بالرفع من وجهين
أحدهما أن يكون خبر المبتدأ محذوف فيكون في صلة ما على أن يكون
ما بمنزلة الذي فيكون التقدير إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا
ما هو بعوضة أي الذي هو بعوضة والثاني أن يكون على

اضمار مبتدا لا يكون في صلة ما ولا يكون ما بمعنى الذي كانه لما قال ان
الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما قيل ما هو قيل بعوضة اي هو بعوضة
وقد قيل ان ما هاهنا تكون كافة للفعل فيستانف الكلام بعدها
وهو على معنى المفعول وكيف يمتنع ان يضرب الله المثل بالبعوض ولو
اجتمعت الانس والجن على ان يخلقوا بعوضة لا يقدرون وقيل
انما ذكر المثل بالبعوضة لان خلقة البعوضة اعجب لان خلقتها
خلقة الفيل والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زالوا يضربون
الامثال فقالوا اجمع من ذرة واضعف من فراشة واكل من السوس
ونحو ذلك والبعوضة صغار البق كانها بعض بقة لصغرها
قوله تعالى فما فوقها الفا للعطف وما نكرة موصوفة او بمنزلة
الذي كما سبق واختلفوا في معنى فوقها هنا فقيل فما فوقها في الكبر
قاله ابن عباس وقيل فما فوقها في الصغر فيكون بمعناه فما دونها
لان الغرض المطلوب هاهنا الصغر قاله ابو عبيدة وقال ابن قتيبة
وقد يكون الفوق بمعنى دون وهو من الاضداد ومثله الجون يقال
للاسود والابيض فان قيل كيف يضرب المثل بما دون البعوضة
وهي النهاية في الصغر قلنا ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل
منها وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق
الله تعالى اصغر منها ومن جناحها قوله تعالى فاما الذين آمنوا
يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فيعلمون انه يعني ان هذا
المثل هو الحق الصدق الصحيح من ربهم وان جميع ما ضرب لهم
من مثل اذا تدبروه وتفكروا فيه علموا انه حكمة بالغة قوله عز
وجل واما الذين كفروا يعني بمحمد والقرآن فيقولون ما ذا
اراد الله بهذا مثلا في ما ذا قولان احدهما ان ما اسم للاستفهام
موضعها رفع بالابتدا وذا بمعنى الذي واراد صلة له والعايد
محذوف والذي مع صلته خبر المبتدا والثاني ان ما وذا اسم

واحد

واحد للاستفهام وموضعه نصب باراد ولا ضمير في الفعل
والتقدير اي شي اراد الله ومثلا نصب على الحال وقيل على
التمييز وقيل على القطع اي ما ذا اراد الله بهذا المثل فلما جاء نكرة
نصب على القطع عن اتباع المعرفة قوله تعالى يضل به كثيرا من
الكافرين وذلك انهم ينكرونه ويكذبونه ويهدي به كثيرا من
المؤمنين يعرفونه ويصدقون به قوله وما يضل به الا الفاسقين
يعني الخارجين عن طاعة الله واصل الفسق الخروج قال الله تعالى
ففسق عن امر ربه اي خرج وتقول العرب فسقت الرطبة عن
القشر اي خرجت وفي المراد بالفاسقين هاهنا ثلثة اقوال احدها
اليهود والثاني المنافقون والثالث جميع الكفار ثم وصفهم فقال
تعالى الذين ينقضون عهد الله اي يتركون ويخالفون والنقض ضد
الابرام ومعناه حل الشي بعد عقده ويتصرف النقض الى كل شي
بحسبه وفي هذا العهد اربعة اقوال احدها انه ما عهد الى اهل
الكتاب من صفة محمد صلى الله عليه وسلم والوصية باتباعه قاله
ابن عباس ومقاتل والثاني العهد ما عهد اليهم في كتبه وعلى لسان
رسله فاقروا ثم كفروا فنقضوه والثالث ان عهده ما جعله في عقولهم
من الحجة على توحيده وصدق رسله بالمعجزات الدالة على صدقه
والرابع انه الذي اخذه عليهم حيث استخرج ذرية آدم من ظهره
في قوله واذ اخذ ربك من بني آدم الاية قاله الزجاج وقيل
عهد الله الى خلقه ثلث عهود الاول اخذ الميثاق على الذرية
والثاني خص به الانبيا عليهم السلام ان يبلغوا الرسالة ويقيموا
الدين وهو قوله واذ اخذنا الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس الاية وفي من قولان احدهما انها زايدة والثاني انها لابتدا

الغاية كأنه قال ابتدأ نقض العهد من بعد ميثاقه وفي الكناية
التي في ميثاقه قولان احدهما انها كناية ترجع الى اسم الله وتقديره
من بعد ميثاق الله والثاني انها ترجع الى العهد تقديره من
بعد ميثاق العهد **قوله تعالى** ويقطعون ما امر الله به ان
يوصل فيه ثلثة اقوال احدها صلة الارحام والقرابة قاله
قتادة والثاني هو الايمان بجميع الكتب والرسل وهو نوع من الصلة
لانهم قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض فقطعوا وقال المؤمنون
لا نفرق بين احد من رسله فوصلوا قاله الحسن والثالث انه على
العموم في كل ما امر الله به ان يوصل **قوله** ويفسدون في الارض
يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن **قوله تعالى** اولئك هم الخاسرون الخسران النقصان
ومعناه هاهنا المغبونون بالعقوبة وفوت المثوبة **قوله** كيف
تكفرون بالله كيف في الاصل سؤال عن الحال لان جوابه يكون بالحال
كما يقول كيف زيد فيقال صالح او سقيم قال الزجاج تاويل كيف
هاهنا استفهام في معنى التعجب والتعجب انما هو للخلق اي
اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون بالله وقد ثبتت حجة الله عليهم
وقيل هو استفهام خارج مخرج التوبيخ تقديره ويحكم كيف تكفرون
بالله ثم قيل هذا خطاب مع اليهود لانه قال عقيب هذا هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا ثم انجر الكلام الى قصة آدم صلى الله عليه
وسلم اي اتنكرون محمدا عليه السلم وقد اقررتم بان الله خلق آدم
واكرمه وبعث موسى وبشر في كتابه بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل
هو خطاب لجميع الكفار وتكفرون يتعدى بحرف الجر وقد عدي
بنفسه في قوله الا ان عادا كفروا ربهم وذلك حمل على المعنى

اذ المعنى جحدوا **قوله** وكنتم امواتا كان بمعنى ما قد مضى يقول كان زيد قائما
ومصدره الكون والكينونة وفيه اضمار اي كيف تكفرون وقد كنتم
امواتا كقوله تعالى ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من
الصادقين اي فقد كذبت وفي قوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم ستة اقوال احدها وكنتم امواتا اي لم تكونوا شيئا فاحياكم
اي خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيمة هذا قول ابن عباس وابن
مسعود والثاني وكنتم امواتا يعني في القبور فاحياكم للمسايلة ثم يميتكم
في القبور بعد المسايلة ثم يحييكم عند نفخ الصور للنشور لان حقيقة
الموت ما كان عن حياة وهذا قول ابي صالح والثالث وكنتم امواتا يعني
في اصلاب آبائكم فاحياكم اي اخرجكم من بطون امهاتكم ثم يميتكم الموتة
التي لا بد منها ثم يحييكم للبعث يوم القيمة قاله قتادة والرابع وكنتم
امواتا يعني ان الله تعالى لما اخذ الميثاق على آدم وذريته احياهم في
صورة ذرهم
واخذ عليهم الميثاق ثم اماتهم بعد ذلك ثم احياهم واخرجهم من
بطون امهاتهم وهو معنى قوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا
من بعد خلق فقوله وكنتم امواتا يعني بعد اخذ الميثاق فاحياكم
بان خلقكم في بطون امهاتكم ثم اخرجكم احياء ثم يميتكم بعد انقضاء
آجالكم في الدنيا ثم يحييكم للنشور وهذا قول ابن زيد والخامس ان
الموتة الاولى مفارقة نطفة الرجل جسده الى رحم المراة فهي
ميتة من حين مفارقة الجسد الى ان ينفخ الروح فيها ثم يميته الموتة
الثانية بقبض الروح من جسده فهو ميت الى ان ينفخ في الصور
فذلك موتتان وحياتان والسادس وكنتم امواتا اي خاملي الذكر
فاحياكم في الذكر يقال هذا شيء حي اي له ذكر وهذا ميت

لاذكر له حكاه القشيري والماوردي ثم يميتكم عند انقضاء
آجالكم للبعث واستشهد من قال بهذا التاويل بقول السعدي
فاحييت من ذكري وما كان خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض
قوله تعالى ثم اليه ترجعون فيه قولان احدهما تردون الى الموضع
الذي لا امر لاحد فيه غير الله تعالى والثاني ثم ترجعون الى حكمه
فيفعل بكم ما يشاء وقرا يعقوب ترجعون وبابه بفتح التا واليا وكسر
الجيم جعل الفعل لهم قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا قال المفسرون لما استعظم المشركون امر الاعادة عرفهم
خلق السموات والارض ليدلهم بذلك على قدرته على الاعادة وخلق
الشي ابتداعه واخراجه من العدم الى الوجود قوله لكم اي لاجلكم
فبعضه للانتفاع وبعضه للاعتبار كالسباع والعقارب فان
فيها عبرة وتخويفا لانه اذا راى طرفا من المتوعد به كان ابلغ في
الزجر عن المعصية وقوله جميعا حال في معنى مجتمعا قوله ثم استوى
الى السماء فيه سبعة اقوال احدها اقبل عليها وهذا قول الفرا
والثاني معناه عمد اليها وقصد الى خلقها والثالث معناه ان فعل
الله تحول السما وهذا قول المفضل والرابع معناه ثم استوى امره
وصنعه الذي صنع به الاشيا الى السما وهذا قول الحسن البصري
والخامس معناه ثم استوت به السما والسادس انه فعل فعلا
فسماه استوا كما يقال كان الامير يريد اهل الشام ثم استوى الى
العراق اي تحول فعله اليهم وهو معنى قول المفضل والسابع
ان الاستوا الارتفاع والعلو وممن قال بذلك الربيع بن انس
ثم اختلف قائلوا هذا التاويل في الذي استوى الى السما فعلا عليها
على قولين احدهما انه خالقها ومنشيها والثاني انه الدخان الذي

جعله

الله للارض سما حكى هذا الماوردي والسما لفظها لفظ الواحد
ومعناها معنى الجمع بدليل قوله تعالى فسواهن وقد يرد الواحد
ويراد به الجمع قال الله تعالى انا رسول رب العالمين وقوله فانهم
عدو لي وقيل السما اسم الجنس فهو للجمع كما يقال كثر الدينار والدرهم
في ايدي الناس وقد تقدم عند قوله او كصيب من السما فان
قيل فايهما اسبق في الخلق قلنا فيه قولان احدهما الارض قاله
مجاهد والثاني السما قاله مقاتل وسياتي ذلك ثم سمى السما قبل
ان جعل الدخان المرتفع سموات كما تقول لمن تدفع اليه غزلا اعمل
هذا الثوب ثوبا قبل النسج ويجوز ان يكون المعنى ثم قصد الى
خلق هذه السما التي تردونها فيكون الخبر واقعا بعد تمام الفعل
قوله فسواهن انما جمع الضمير لان السما جمع سماوة وابدلت
الواو فيها همزة لوقوعها طرفا بعد الف زائدة والتسوية
جعل الشيئين والاشيا على استوا قوله سبع سموات سبع
منصوب على البدل من الضمير وقيل التقدير فسوا سبع سموات
كقوله تعالى واختار موسى قومه فيكون مفعولا به وقيل
سوا بمعنى صير فيكون مفعولا ثانيا والمعنى انه خلق سبع
سموات مستويات بلا فطور ولا شطور ولا عمد تحتها ولا
علاقة فوقها والسبع للمؤنث والسبعة للمذكر على خلاف الاصل
في قائم وقائمة قوله تعالى وهو بكل شي عليم قرئ بسكون الهاء
مع الواو والفا واللام كان هذه الحروف من نفس الكلمة والتخفيف
كالتخفيف من سبع وعضد وقرئ بضم الها على الاصل فدلت الاية
على كمال قدرته وعلى كمال علمه قوله تعالى واذ قال ربك

قال ابو عبيدة اذ هاهنا زائدة معناه وقال ربك للملائكة وانكر
الزجاج وغيره هذا القول وقالوا ان الحرف اذا افاد معنا صحيحا
لم يجز الغاؤه قالوا وفي الاية محذوف معناه واذكر يا محمد اذ
قال ربك وكلما ورد في القرآن من هذا النحو فسبيله هذا وقيل
هو خبر مبتدا محذوف تقديره وابتدا خلقي اذ قال ربك واذ
واذا حرفا توقيت الا ان اذ للماضي واذا للمستقبل وقد يوضع
احدهما موضع الاخر قال المبرد اذا جاء اذ مع المستقبل كان
معناه ماضيا نحو قوله تعالى واذ يمكر واذ تقول يريد واذ مكروا
واذ قلت واذا جاء اذا مع الماضي كان معنا مستقبلا كقوله
تعالى واذا جاءت الطامة واذا جاء نصر الله اي يجي وانما ذكر
الواو فقال واذ على نية اعادة ما تقدم ذكره ونظيره وكذلك
نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين اي
اريناه ذلك المعنى هاهنا اذ قال ربك للملئكة خلق لكم ما في الارض
جميعا وقيل هو عطف على المعنى اي لم تكفرون بالله ولم لا تذكرون
نعمة الله اذ احياكم وخلق لكم ما في الارض جميعا واذ قال ربك
للملائكة اني جاعل ونظيره الم تر الى الذي حاج ابرهيم ثم قال او كالذي
مر وكان عطفا على المعنى اي هل رايت كالذي حاج او كالذي
مر وقال البجلي اذ يتعلق بما بعده اي اذ قال ربك للملائكة اني
جاعل كذا قالت الملائكة اتجعل فيها والملائكة مختلف في واحدها
واصلها فقال قوم واحدهم في الاصل مالك على مفعل الا انه مشتق
من الالوكة وهي الرسالة ومنه قول لبيد

وغلام ارسلته امه بالوك فبذلنا ما سال

فالهمزة فا الكلمة ثم اخرت فجعلت بعد اللام فقالوا ملاك قال

الشاعر

الشاعر فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب
ودون ملاك مفعل والجمع ملائكة على مفاعلة قال اخرون اصل الكلمة
لاك فعين الكلمة همزة واصل ملك ملاك من غير نقل وعلى كلا القولين
القيت حركة الهمزة على اللام وحذفت فلما جمعت ردت فوزنه
الان مفاعلة وقال اخرون عين الكلمة واو وهو من لاك يلوك اذا
ادار الشي في فيه فكان صاحب الرسالة يديرها في فيه فيكون اصل
ملك ملاك مثل معاد ثم حذفت عينه تخفيفا فيكون اصل ملائكة
ملاوكة مثل مقاولة فابدلت الواو همزة كما ابدلت واو مصايب
وقال اخرون ملك فعل من الملك وهي القوة فالميم اصل ولا حذف
فيه لكنه جمع على فعائلة شاذا قال الماوردي الملائكة افضل
الحيوان واعقل الخلق الا انهم لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون
ولا يتناسلون ولا يعصون الله في صغير ولا كبير ولهم اجسام
لطيفة لا يرون الا اذا قوى الله ابصارنا على رؤيتهم وسياتي القول
في بيان ان الملائكة افضل ام بني آدم عند قوله تعالى ولقد كرمنا بني
آدم ان شا الله تعالى وفي هولا الملائكة قولان احدهما انهم جميع
الملائكة قاله السدي والثاني انهم الذين كانوا مع ابليس حين اهبط
الى الارض ذكره ابو صالح عن ابن عباس **قوله تعالى** اني جاعل
في الارض خليفة في معنى جاعل قولان احدهما انه بمعنى خالق فيتعدى
الى مفعول واحد والثاني بمعنى فاعل لان حقيقة الجعل نقل الشي
الى صفة وخليفة فعيلة بمعنى فاعل اي يخلف غيره ويقوم مقامه
واصله خليف والها للمبالغة مثل قولك رجل راوية وعلامة والخلف
بتحريك اللام من الصالحين والخلف بتسكينها من الطالحين وفي
التنزيل فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة وفي الحديث ينقل هذا
العلم من كل خلف عدوله وسياتي مستوفا عند قوله تعالى فخلف

من بعدهم خلف ورثوا الكتاب في سورة الاعراف وفي خلافة آدم
وذريته ثلثة اقوال احدها ان الله تعالى خلق السما والارض وخلق
الملايكة والجن فاسكن الملايكة السما واسكن الجن الارض فعبدوا
دهرا طويلا في الارض ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فاقتتلوا وافسدوا
فبعث الله اليهم جندا من الملايكة يقال لهم الجن راسهم ابليس
وهم خزان الجنان اشتق لهم من اسم الجنة فهبطوا الى الارض وطردوا
الجن عن وجهها والحقوهم بشعوب الجبال وجزاير البحر وسكنوا
الارض وكانوا اخف من الملايكة عبادة لان اهل سما الدنيا اخف عبادة
من الذين فوقهم وكذلك اهل كل سما وهو لا الملايكة لما صاروا سكان
الارض خفف الله عليهم العبادة فاحبوا البقا في الارض وكان الله
تعالى قد اعطى ابليس ملك الارض وملك سما الدنيا وخزانة الجنان
فكان يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السما وتارة في الجنة
فاعجب بنفسه وتداخله الكبر فاطلع الله تعالى على ما انطوى عليه
من الكبر فقال له ولجنده اني جاعل في الارض خليفة فجعل الله آدم
وذريته بدلهم قاله الجمهور والثاني انه اراد قوما يخلف بعضهم
بعضا من ولد آدم عليه السلم يخلفون آدم في اقامة الحق وعمارة
الارض الى قيام الساعة وهذا قول الحسن البصري والثالث
انه اراد اني جاعل في الارض خليفة يخلفني في الحكم بين خلقي وهو آدم
ومن اقام مقامه من ولده وهذا قول ابن مسعود واختلفوا ما
المقصود في اخبار الله تعالى الملايكة بخلق آدم على ستة اقوال احدها
انه علم في نفس ابليس الكبر فاحب ان يطلع الملايكة عليه كما سبق
والثاني انه اراد ان يبلوا طاعة الملايكة قاله الحسن والثالث
انه لما خلق النار خافت الملايكة فقالوا ربنا لم خلقت هذه قال لمن
عصاني فخافوا وجود المعصية منهم وهم لا يعلمون بوجود

خلق

خلق سواهم فقال اني جاعل في الارض خليفة قاله ابن زيد
والرابع انه اراد اظهار عجزهم عن الاحاطة بعلمه فاخبرهم
حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها فاجابهم اني اعلم ما لا تعلمون
والخامس انه اراد ان يعظم آدم بذكره بالخلافة قبل وجوده
ليكونوا معظمين له اذا وجد والسادس انه اراد اعلامهم
بانه خليفة ليسكنه الارض وان كان ابتدا خلقه في السما روى
انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله آدم
جعل ابليس يطيف به فلما نظر اليه اجوف قال ظفرت به خلقا
لا يتماسك رواه الحاكم في صحيحه

قوله تعالى

اتجعل فيها من يفسد
فيها هذا جواب من الملايكة حين اخبرهم انه جاعل في الارض خليفة
فان قيل كيف علموا ذلك وهو غيب فالجواب عنه قاله السدي
لما قال الله ذلك قالوا وما يكون من ذلك الخليفة قال يكون له
ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا
قالوا عند ذلك اتجعل فيها من يفسد فيها ومعناه فقالوا وحكى
الزجاج عن بعضهم ان الله اعلم الملايكة انه جاعل في الارض خليفة
وان الخليفة فرقة تسفك الدما واذن الله تعالى للملايكة ان يسالوه
عن ذلك وكان اعلامه اياهم هذا زيادة في التثبيت في نفوسهم
انه يعلم الغيب فكانهم قالوا اتخلق قوما يسفكون الدما وانما
ينبغي اذا عرفوا انك خلقتهم ان يسبحوا بحمدك كما نسبح ويقدسوا
كما نقدس ولم يقولوا هذا الا وقد اذن لهم لان الله تعالى وصفهم
بانهم يفعلون ما يومرون وقال بعضهم فيه اضمار واختصار
معناه اتجعل فيها من يفسد فيها ام تجعل فيها من لا يفسد
فيها كقوله تعالى امن هو قانت آنا الليل معنى كمن هو غير قانت
وهو اختيار الحسين بن الفضل وقال اكثر المفسرين انهم

قالوا ظنا وتوهما لانهم راوا الجن من قبلهم قد افسدوا في الارض
وسفكوا الدما فتصوروا انه ان استخلف غيرهم كان مثلهم فقالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها كما فعل بنو الجان وقيل عرفوا ان
في بني آدم من يفسد ولكن وجه الخطا انهم عمموا الحكم على الجميع
بالمعصية فبين الرب تعالى ان فيهم من يفسد وفيهم من لا يفسد
وقيل وجه الخطا انهم اغتروا بطاعتهم وعجبهم فبين تعالى
ان فيهم ايضا من يعصي اذا ركبت فيه الشهوة التي في بني آدم
وفي بني آدم من لا يعصي قالوا ليخلق ربنا ما يشا فلن يخلق خلقا اشرف
ولا اكرم منا وقيل لما قالوا هذا نزل نار من السما فاحرقتهم وهم
عشرة آلاف ملك ومثل هذا لا يستبعده العقل ولكنه يتوقف
على النقل الصحيح وقيل قبل توبتهم لما قالوا لا علم لنا وقيل
قالوا ذلك لانه شق عليهم الصعود الى السماء لان عبادة اهل
السما اشق واثقل وفي هذا نوع اعتراض على الله ايضا وقيل
ما قالوه اعتراضا ولكن سالوه ان يبقيهم في الارض فبين انه
اعلم بمصالح عباده وميل اقوام الى تفضيل الملايكة وتنزيههم عن
الاعتراض ومقارفة الذنب قال القشيري القول الحق ان
التفضيل بكثرة احسان الله الى العبد لا بالجنس والجوهر
فان الجواهر متماثلة ولا بكثرة الطاعات فلا يستحيل في العقل
ان يفضل آدميا على الملايكة وليس فيه خبر قطعي بل ظاهر هذه
الآية يدل على تفضيل بني آدم ونعلم ان المراد تفضيل خيارهم
قوله تعالى ويسفك الدما السفك صب الدم خاصة دون
غيره من الما والمايع والسفح مثله الا انه مستعمل في كل
مايع على وجه التضييع ولذلك قالوا في الزنا انه سفاح

لتضييع

لتضييع ما به فيه والجمهور على تخفيف يسفك وكسر الفاء
وقد قرئ بضمها وهما لغتان ويقرا بالتشديد للتكثير
وهمزة الدما منقلبة عن يا لان الاصل دمي على وزن فعل
لانهم قالوا دميان وقيل وزنه فعل والاصل فيه دمي
قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك معنى التسبيح تنزيه الله تعالى
من كل سو وكل من اثنى على الله تعالى وبعده عن السو فقد
سبح الله ولا يجوز تسبيح غير الله وان كان منزها لانه صار
علما في الدين على اعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها الا الله
تعالى وفي المراد بقوله ونحن نسبح بحمدك ثلثة اقوال احدها
سبحان الله وبحمده قاله الحسن وهي صلاة الخلق وتسبيحهم
وعليها يرزقون يدل عليه الحديث المروي عن ابي ذر انه
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الكلام افضل فقال ما
اصطفاه الله لملايكته سبحان الله وبحمده والثاني معناه نصلي
لك بامرك ومنه قيل للصلوة سبحة وفي التنزيل فلولا انه
كان من المسبحين اي من المصلين وهذا قول ابن عباس وابن
مسعود والثالث معنى نسبح بحمدك اي نتكلم بالحمد لك والنطق
بالحمد تسبيح له كما قال تعالى والملايكة يسبحون بحمد ربهم
وقال تعالى فسبح بحمد ربك اي احمده ويكون حمد الحامد لله تسبيحا
له لان معنى الحمد لله الثنا عليه والشكر له وهذا تنزيه له واصل
التسبيح التبعيد يقال سبح في الارض اي تباعد فيها قوله عز
وجل ونقدس لك اصل التقديس التطهير ومنه الارض المقدسة
اي المطهرة والمعنى ننزهك ونطهرك عما لا يليق بك من النقص
واللام زايدة اي نقدسك وقال الزجاج اي نطهر انفسنا لاجلك
فاللام لام اجل اي لاجلك نطهر قلوبنا من الشرك وابداننا

من المعصية ويجوز ان يكون معدية للفعل كتعدية الباء مثل
سجدت لله وقال بعض العلماء في الاية تقديم وتاخير مجازها
ونحن نسبح ونقدس لك بحمدك لانه اذا حملت الاية على التاويل
الاول ضاهى قول الملائكة التزكية والادلال بالعمل واذا حملت
على هذا التاويل ضاهى قولهم التحدث بنعمة الله واضافة المنة
الى الله تعالى فكانهم قالوا انا سبحنا وقدسنا واطعنا وعبدنا
فذلك كله بحمدك لا بانفسنا **قوله تعالى** اني اعلم ما لا تعلمون
الاصل انني تحذف النون الوسطى لا نون الوقاية هذا هو
الصحيح واعلم يجوز ان يكون فعلا ويكون ما مفعولا اما بمعنى
الذي او نكرة موصوفة والعائد محذوف ويجوز ان يكون اسما
مثل افضل فيكون ما في موضع جر بالاضافة ويجوز ان يكون
في موضع نصب باعلم كقولهم هؤلاء حواج بيت الله بالنصب
والجر وسقوط التنوين لان هذا الاسم لا ينصرف فان قلت
افعل لا ينصب مفعولا قيل اذا كانت من معه مرادة
لم ينصب واعلم هاهنا بمعنى عالم وفي قوله اني اعلم ما لا
تعلمون سبعة اقوال احدها اعلم ما لا تعلمون من استخلافي
في الارض ووجه المصلحة فلا تعترضوا علي في حكمي وتدبيري
والثاني اني اعلم ان في ذرية ادم من استخلفه في الارض
انبيا واوليا وعلما وصلحاء والثالث اعلم انهم يذنبون واني
اغفر لهم والرابع اعلم ما في نفس ابليس من المعصية والبغي
قاله ابن عباس ومجاهد والسدي والخامس اني اعلم اني املا
جهنم من الجنة والناس قاله ابن زيد والسادس اني اعلم
عواقب الامور فاني ابتلي من تظنون انه مطيع فيوديه

الابتلا

الابتلا الى المعصية كابليس ومن يظن به المعصية فيطيع
قاله الزجاج والسابع اعلم ما لا تعلمون من تفضيل ادم عليكم
وما اتعبدكم به من السجود له وافضله به عليكم من تعليم
الاسما وذلك انهم قالوا فيما بينهم ليخلق ربنا ما شا فلن يخلق
افضل منا وان كان خيرا منا فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا
ما لم يره فلما اعجبوا بعلمهم فضل الله عليهم ادم بالعلم فعلمه الاسما
كلها وقال بعض الحكما ان الله تعالى اخرج ادم من الجنة قبل ان ادخله
فيها بقوله اني جاعل في الارض خليفة ثم كان خروجه من الجنة بذنبه
فدل انه كان بقضا الله وقدره **فصل** في معنى الخليفة ذكر ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه سال طلحة والزبير وكعبا وسلمان ما الخليفة
من الملك فقال طلحة والزبير ما ندري فقال سلمان الخليفة الذي
يعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة
الرجل على اهله والوالد على ولده ويقضي بكتاب الله تعالى فقال
كعب ما كنت احسب ان في المجلس احدا يعرف الخليفة من الملك
غيري ولكن الله الهم سلمان علما وحلما وعدلا **وروي** ان عمر بن
الخطاب قال لسلمان املك انا ام خليفة فقال سلمان ان انت
جبيت من المسلمين درهما او اقل او اكثر ووضعته في غير حقه
فانت ملك وان فعلت بالعدل والانصاف فانت خليفة فبكى
عمر رضي الله عنهما **وكان معوية** رضي الله عنه يقول على المنبر ايها
الناس ان الخلافة ليست بجمع المال ولا تفريقه ولكن الخلافة العمل
بالحق والحكم بالعدل واخذ الناس بامر الله تعالى **قوله تعالى**
وعلم ادم الاسما كلها فيه اضمار اي خلق ادم وعلمه الاسما ويجوز
ان يكون مستانفا وان يكون معطوفا على قال ربك وموضعه
جر كموضع قال وقرئ ذلك اضمار الفاعل وقرئ وعلم ادم

على ما لم يسم فاعله وفي تسميته آدم قولان احدهما انه سمي آدم
لانه خلق من اديم الارض وادمها هو وجهها الظاهر قاله
ابن عباس وابن جبير والزجاج روى ابو موسى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق آدم من قبضة
قبضها من جميع الارض فجا بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر
والاسود وبين ذلك والسهل والحزن وبين ذلك والخبيث
والطيب قال الترمذي هذا حديث صحيح وقد اخرج البخاري
ومسلم في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة
آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ما بين العصر الى
الليل قال ابن عباس لما نفخ فيه الروح اتت النفخة من قبل
راسه فجعلت لا تجري في شي منه الا صار لحما ودما ومر ابليس
على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطايف لا روح فيه فقال
لامر ما خلق هذا ثم دخل من فيه وخرج من دبره وقال انه
خلق لا يتمالك لانه اجوف والثاني انه اسم ماخوذ من الادمة
وهي السمرة قاله الضحاك والنضر بن شميل وقطرب وآدم
افعل والالف فيه مبدلة من همزة هي فاء الفعل ولا يجوز ان
يكون وزنه فاعلا اذ لو كان كذلك لانصرف مثل عالم وخاتم و
التعريف وحده لا يمنع وليس باعجمي وقيل سمي آدم لبياضه يقال
ناقة ادما اي بيضا وكنيته ابو محمد وابو البشر قال قتادة ليس
في الجنة احد يكنى الا آدم يكنى ابا محمد ووجه تعلمه آدم ان خلق
في قلبه علما بالاسما على سبيل الابتدا والهمه العلم بها وفي الاسما
التي علمه قولان احدهما انه علمه اسم كل شي حتى القصعة والقصيعة
وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والثاني

انه

انه علمه اسما معدودة ثم فيها اربعة اقوال احدها انه علمه
اسما الملايكة قاله ابو العالية والثاني انه علمه اسما الاجناس دون
انواعها كقولك انسان وملك قاله عكرمة والثالث انه علمه اسما
ما خلق في الارض من الدوات والهوام والطير قاله الكلبي ومقاتل
وابن قتيبة والرابع انه علمه اسما ذريته قاله ابن زيد فان قيل
هل التعليم مقصور على الاسم دون المعنى قلنا فيه قولان احدهما
انه مقصور على الاسم دون المعنى والثاني انه علمه الاسما ومعانيها
اذ لا فايدة في علم الاسما بلا معان واذ قلنا بالقول الاول ففيه
وجهان احدهما انه علمه اياها باللغة التي كان يتكلم بها والثاني
علمه بجميع اللغات وعلمها آدم ولده فلما تفرقوا تكلم كل قوم منهم
بلسان استسهلوه منها والفوه ثم نسوا غيره بتطاول الزمان
وزعم قوم انهم اصبحوا وكل قوم منهم يتكلمون بلغة قد نسوا غيرها
في ليلة ومثل هذا في العرف ممتنع قاله الماوردي **قوله تعالى**
ثم عرضهم يعني اصحاب الاسما فلذلك ذكر الضمير ومعنى العرض
في اللغة الاظهار ومنه عرض الجارية وعرض الجند ويقال عرضت
المتاع على البيع اذا اظهرته للمشتري قال تعالى وعرضنا جهنم
يومئذ للكافرين عرضا اي ابرزناها حتى راوها قال مقاتل ان الله
خلق كل شي الحيوان والجماد ثم علم آدم اسماها ثم عرضهم على الملايكة
لانه كنى عن المسمين والمسميات وكان فيهم من الجن والانس والملايكة
فلما اجتمع من يعقل ومن لا يعقل غلب من يعقل وقرى ابن مسعود
عرضهن وقرى ابي عرضها ردا الى الاسما والى المسميات ايضا
وقيل عرض الاسما دون المسميات ثم في زمان عرضهم قولان
احدهما انه عرضهم بعد ان خلقهم والثاني انهم صورهم لقلوب
الملايكة ثم عرضهم قبل خلقهم فقال تعالى انبيوني اي اخبروني
والنبا الخبر وهذا امر تعجيز على سبيل التبكيت لانه كان عالما

بعجزهم عن الاخبار **قوله تعالى** باسمآ هؤلآ يعني الاسمآ التي علمها
آدم يقرأ بتخفيف الهمزتين على الاصل ويقرأ بهمزة واحدة ثم قيل
المحذوفة هي الاولى لانها لام الكلمة والاخرى اول الكلمة الاخرى
وحذف الاخرى اولى وقيل المحذوفة الثانية لان الثقل بها
حصل ويقرأ بتليين الهمزة الاولى وتخفيف الثانية وبالعكس
ومنهم من يبدل الثانية يا ساكنة كانه قدرهما في كلمة واحدة
طلبا للخفة **قوله تعالى** ان كنتم صادقين فيه خمسة اقوال احدها
ان كنتم صادقين اي لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم منه والثاني ان كنتم
صادقين فيما زعمتم ان خلفاي يفسدون في الارض صح والثالث ان كنتم صادقين
ان استخلفكم فيها سبحتموني وقدستموني وان استخلف غيركم
فيها عصاني والرابع معنى قوله ان كنتم صادقين اي عالمين والخامس
معناه ان كنتم صادقين فقالت الملائكة اقرارا بالعجز واعتذارا
سبحانك تنزيها لك وعن الاعتراض عليك في حكمك وهو نصب
على المصدر عند الخليل والفرآء لانك اذا قلت سبحانك الله
فكانك قلت سبحت الله تسبيحا فجعل السبحان في موضع التسبيح
وقيل على النداء المضاف اي يا سبحانك **قوله تعالى** لا علم لنا الا
ما علمتنا ما مصدرية اي الا علما علمتناه وموضعه رفع على البدل
من موضع لا علم كقولك لا اله الا الله ويجوز ان يكون ما بمعنى معلوم
اي لا معلوم لنا الا الذي علمتناه **قوله تعالى** انك انت العليم انت
مبتدأ والعليم خبره والجملة خبر ان ويجوز ان يكون انت توكيدا
للمنصوب ووقع بلفظ المرفوع لانه هو الكاف في المعنى ولا يقع
هاهنا اياك للتوكيد لانها لو وقعت لكانت بدلا واياك لم يؤكد
بها ويجوز ان يكون فصلا لا موضع لها والحكيم خبر ثاني او صفة
لعليم على قول من اجاز صفة الصفة وهو صحيح لان هذه الصفة

هي الموصوف في المعنى والعليم بمعنى العالم وفي الحكيم ثلثة اقوال
احدها المحكم لافعاله كقولك عذاب اليم وضرب وجيع اي المولم
الموجع وعلى هذا التاويل هو صفة فعل والثاني انه بمعنى الحاكم
وحينيذ تكون صفة ذات واصل الحكمة في كلام العرب المنع
يقال للحديدة المعترضة في فم الدابة حكمة اللجام لانها تمنع الدابة
عن الاعوجاج والحكمة تمنع من الباطل ومالا يجمل وقال جرير شعر
ابني حنيفة احكموا سفهاكم اني اخاف عليكم ان اغضبا
اي امنعوهم والثالث انه المصيب للحق ومنه سمي القاضي حاكما لانه
يصيب الحق في قضاياه وهذا قول المبرد **قوله تعالى** قال يا آدم
انبيهم يقرأ بتحقيق الهمزة على الاصل وبالياء على تليين الهمزة ولم
يقلبها قلبا قياسيا لانه لو كان كذلك حذفت الياء كما تحذف من قولك
قال انفهم من نعيت وقرئ انبيهم بكسر الياء من غير همز ولا ياء
على ان يكون ابدل الهمزة ياء ابدالا قياسيا وانبا يتعدى بنفسه الى
مفعول واحد والى الثاني بحرف الجر وهو قوله باسمائهم وقد يتعدى
بعن كقولك انبأته عن حال زيد قال المفسرون لما ظهر عجز الملائكة
عن علم اسما الموجودات قال الله تعالى يا آدم انبيهم باسمائهم فسمى
كل شي باسمه والحق كل شي بجنسه فلما انباهم اخبرهم باسمائهم فالهاء
والميم يعودان على المخلوقات التي عرضها قاله الاكثرون وقيل يعودان
الى الملائكة قاله الربيع ابن انس **قوله تعالى** الم اقل لكم اي قال الله
للملائكة وفي الم معنى التوبيخ والتقرير **قوله عز وجل** اني اعلم غيب
السموات والارض اي ما غاب عنكم فيهما **قوله تعالى** واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون تبدون مستانف وليس بمحكي بقوله الم اقل لكم ويجوز
ان يكون محكيا ايضا فيكون في موضع نصب وفي معنى الكلام ثلثة

اقوال احدها ما يبدون من الخضوع والطاعة لآدم حين مروا على
جسد آدم فقال ابليس ان فضل عليكم هذا ما تصنعون فقالوا
نطيع ربنا فقال ابليس في نفسه ان فضلت عليه لاهلكنه ولان
فضل علي لاعصينه قاله ابن عباس ومقاتل والثاني هو قولهم اتجعل
فيها من يفسد فيها قاله السدي وما تكتمون ما اضمروه في
انفسهم ان الله لن يخلق خلقا الا كانوا اكرم عليه منه وهو قول
الحسن وقتادة والثالث ما يبدون من الاقرار بالعجز والاعتذار
وما تكتمون ما اسره ابليس من الكبر والعصيان قاله ابن مسعود
فذكر بلفظ الجمع لان ابليس كان منهم **فصل** في حد الاسم واقسامه
الاسم كل لفظة دلت على معنى ما وشي ما وهو مشتق من السمة
وهي العلامة التي يعرف بها الشي كما سبق عند قوله تعالى بسم
الله واقسامه ثمنية منها اسم علم مثل زيد وعمرو وداود ونحوها ومنها
اسم لازم كقولك رجل وامراه وشمس وقمر وحجر ومدر سمي لازما
لانه لا ينقلب ولا يفارق فلا يقال للشمس قمر ولا للقمر حجر ومنها
اسم مفارق مثل صغير وكبير وطفل وكهل وقليل وكثير وقيل
له مفارق لانه كان ولم يكن له هذا الاسم ويزول عنه بزوال
المعنى المسمى به ومنها اسم مشتق مثل كاتب وخياط وصايغ
وصباغ فالاسم مشتق من فعله ومنها اسم مضاف مثل غلام جعفر
وثوب عمرو ودار زيد ومنها اسم مشبه كقولك فلان اسد
وحمار وشعلة نار ومنها اسم منصوب يثبت بنفسه ويثبت
غيره كقولك ام واب واخ واخت وابن وزوج وزوجة فاذا قلت
اب فقد اثبته واثبت له الولد واذا قلت اخ فقد اثبته واثبت
له الاخت ونحوها ومنها اسم الجنس وهو اسم واحد يدل على
اشيا كثيرة كقولك حيوان وناس وغير ذلك **قوله تعالى** واذ
قلنا

قلنا للملائكة اسجدوا لادم اذ في معنى نصب نسقا على التي قبلها
قلنا هو من خطاب الاكابر والعظما يقول الواحد منهم فعلنا
لعلمه بان اتباعه يفعلون كفعله فاخبر الله تعالى عن نفسه على
الجمع لانه ملك الملوك والجمهور على كسر التا وقرى بضمها وهي
قراة ضعيفة واحسن ما يحمل عليه ان يكون الراوي لم يضبط عن
القاري وذاك ان يكون القاري اشار الى الضم تنبيها على ان
الهمزة المحذوفة مضمومة في الابتدا ولم يدرك الراوي هذه
الاشارة وقيل انه نوى الوقف على التا ساكنة ثم حركها بالضم
اتباعا لضم الجيم وهذا من اجرا الوصل مجرى الوقف واختلفوا
في الملائكة الذين امروا بالسجود لادم عليه وعليهم السلام
فقيل انهم جميع الملائكة حتى جبريل وميكائيل لانه قال تعالى فسجد
الملائكة كلهم اجمعون وهذا تاكيد للعموم وهو الاصح والثاني
هم الذين كانوا مع ابليس في الارض واصل السجود في اللغة الخضوع
والتذلل وكل من ذل وخضع لما امر به فقد سجد وسجدة كل
موات في القران طاعته لما سخر له قال ابو عبيدة عن ساجد
اذا كانت فاترة ونخلة ساجدة اذا مالت لكثرة حملها واختلفوا
في صفة سجود الملائكة لادم فقال بعضهم هو سجود تحية وتعظيم
لا سجود صلاة وعبادة نظيره في قوله تعالى وخروا له سجدا وكان
ذلك تحية الناس وتعظيم بعضهم بعضا ولم يكن وضع الوجه
على الارض انما كان الانحنا فلما جا الاسلام ابطل ذلك بالسلام وفي
الحديث ان معاذ بن جبل رضي الله عنه رجع من اليمن فسجد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فتغير وجهه صلى الله عليه وسلم فقال ما

هذا فقال رايت اليهود يسجدون لاحبارهم والنصارى يسجدون
لقسيسيهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب اليهود والنصارى
انما السجود لله وقال بعضهم كان سجودا على الحقيقة جعله الله قبلة
لهم والسجود لله كما جعلت الكعبة قبلة لصلاة المؤمنين والصلاة لله
تعالى وفي ذلك ضرب من التعظيم وقال ابي بن كعب معناه اقروا لادم
انه خير واكرم على الله منكم فاقروا بذلك والسجود على قول ابن مسعود
وابي بمعنى الخضوع والطاعة والتذلل **قوله تعالى** فسجدوا الا ابليس
اختلفوا في هذا الاستثنا على قولين احدهما انه استثنا من الجنس وابليس
على هذا القول من الملائكة قال مجاهد وطاوس عن ابن عباس كان ابليس
قبل ان يرتكب المعصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان
الارض وكان سكان الارض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة
اشد اجتهادا ولا اكثر علما منه فلما تكبر على الله تعالى وابى السجود
لادم وعصاه غير صورته وجعله شيطانا وغير اسمه فسماه ابليس
وهذا قول ابن مسعود وابن جريج وقتادة واكثر المفسرين وقيل
انه جعل من الجن لانه كان من خزان الجنة فاشتق اسمه منها روي عن
ابن مسعود وقيل سمي بذلك لانه جن عن طاعة الله وقيل ان الجن
اسم لكل ما اجتن فلم يظهر والقول الثاني انه ليس من الملائكة وانما
هو ابو الجن كما ان ادم عليه السلام ابو البشر وهذا قول الحسن وقتادة
وابن زيد وهذا استثنا من غير الجنس وهو غير ممتنع كما قال تعالى
ما لهم به من علم الا اتباع الظن وهذا استثنا منقطع ولانه امر بالسجود
معهم فاستثنى من انه لم يسجد وهذا كما يقول امرت عبدي واخوتي
فاطاعوني الا عبدي هذا قول الزجاج واحتجوا على صحة هذا القول
بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فنفى
المعصية عنهم نفيا عاما واحتجوا ايضا بقوله تعالى الا ابليس

كان

كان من الجن ومتى اطلق لفظ الجن لم يجز ان يعنى به الا الجنس المعروف
ولان ابليس له نسل وذرية ولانه مخلوق من النار وقال
تعالى جاعل الملائكة رسلا فعمها بالوصف بالرسالة ولا يجوز على
رسول ان يكفر كما لا يجوز ذلك على رسله من البشر من قبل انهم
حجة الله على خلقه فالملائكة بهذه المنزلة ولو جاز عليهم الفسق
لجاز عليهم الكذب وكان يكون لا سبيل الى الفرق بين الصدق
والكذب فيما اخبروا به عن الله تعالى والجمهور على انه كان من
الملائكة واحتجوا بانه لو كان من غير الملائكة ما كان ملوما في ترك
السجود لان الامر انما تناول الملائكة دون غيرهم واما ما احتج به
من انهم لا يعصون الله ما امرهم وانه نفى نفيا عاما فان العموم قد
يخصص منه الشي نحو قوله تعالى واوتيت من كل شي اي من كل
شي يؤتى الملوك ولم يرد جميع الاشيا واما قوله تعالى الا ابليس
كان من الجن فان الجن جنس من الملائكة وقيل يقع الجن على جميع
الملائكة لاجتنانها عن العيون قال الله تعالى وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا وهم الملائكة واما قولهم ان لابليس نسلا والملائكة
ليست كذلك فلا دليل فيه لان الله لما اهبطه الى الارض
تغير حاله عن حال الملائكة كما ذكرناه واما قولهم انه مخلوق
من النار فقد قال الحسن الملائكة خلقوا من النور والنار والنور
سوا ومنعهم جواز الفسق على الملائكة لا يصح لقصة هاروت
وماروت واختلفوا في تسميته بابليس على قولين احدهما وهو
قول اكثر اهل اللغة والتفسير انه سمي بهذا الاسم لانه ابلس
من رحمة الله تعالى اي ايس من رحمة الله ومن كل خير ومنه
قوله تعالى فاذا هم مبلسون اي ايسون من الخير والثاني

من الملائكة

وهو قول ابن الانباري لا يجوز ان يكون مشتقا من ابليس
لانه لو كان كذلك لانصرف ونون كما ينون اكليل وباية ترك
تنوينه في القرآن يدل على انه اعجمي معرب والاعجمي لا يعرف
له اشتقاق **قوله تعالى** ابى هو في موضع نصب على الحال
من ابليس تقديره ترك السجود كارها له ومستكبرا ومعنى
الاستكبار الانفه **قوله تعالى** وكان من الكافرين فيه ثلثة اقوال
احدها معناه وصار من الكافرين كقوله تعالى وحال بينهما الموج
فكان من المغرقين والثاني وكان في سابق علم الله من الكافرين
الذين وجبت لهم الشقاوة والثالث انه قد كان قبله قوم
كفار وكان ابليس منهم وهذا قول من قال ما كان من الملايكة
وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا قرا ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول
يا ويلاه امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود
فابيت فلي النار وعن ابي العالية انه قال لما ركب نوح السفينة
اذ هو بابليس على كوثلها فقال له ويحك قد غرق الناس من اجلك
قال فما تامرني اني افعل قال تب قال سل ربك هل لي توبة فسال
فقال ان توبته ان يسجد لقبر آدم فقال تركته حيا واسجد له ميتا
قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ساق الكلام
الى ان ابليس لما ابى استنزل آدم واخرجه من الجنة والمعنى اتخذ
الجنة ماوى ومنزلا وليس معناه استقر في مكانك ولا تتحرك
وانت توكيد للضمير الذي في الفعل اتى به ليصح العطف عليه
ومثله اذهب انت وربك وزوجك يعني حوا قال الفرا اهل
الحجاز يقولون لامراة الرجل زوج ويجمعونها الازواج وكان

على

الاصمعي

الاصمعي يوثر ترك الها في الزوجة والقرآن كله عليه وتميم
وكثير من قيس واهل نجد يقولون زوجة ويجمعونها زوجات
وهو اختيار الكسائي والاولى حذف الها لان الاضافة لازمة لهذا
الاسم فاكتفى بالاضافة عن الها وسميت امراة لانها خلقت من
المرء واما تسميتها حوا ففيه ثلثة اقوال احدها سميت حوا لانها
خلقت من حي وهذا قول ابن عباس وابن مسعود والثاني سميت
بذلك لانها ام كل حي والثالث سميت حوا لان في شفتها كان حوة
يعني حمرة واختلفوا في الوقت الذي خلقت فيه حوا على قولين احدهما
ان آدم عليه السلم كان في الجنة وحشيا لم يكن معه من يجالسه
ويوانسه فنام نومة فخلق الله تعالى حوا من قصيراه من شقه
الايسر من غير ان احس آدم بذلك ولا وجد له الما ولو الم
بذلك ما عطف رجل على امراة فلما هب آدم من نومه اذا هو بحوا
جالسة عند راسه كاحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من
انت قالت زوجتك خلقني الله لك تسكن الي واسكن اليك فقالت
الملايكة عند ذلك امتحانا لعلم آدم ما هذه قال امراة قالوا وما
اسمها قال حوا قالوا ولم سميت حوا قال لانها خلقت من حي
قالوا اتحبها يا آدم قال نعم فقالوا لحوا اتحبينه قالت لا وفي قلبها
اضعاف ما في قلبه من حبها فقيل لو صدقت امراة في حبها لزوجها
لصدقت حوا وهذا قول ابن عباس وابن مسعود القصيرى
والقصيرى الضلع التي تلي الشاكلة وهي الواهنة في اسفل الاضلاع
والثاني انها خلقت من ضلعه قبل دخول الجنة ثم ادخلا معا
الى الجنة لقوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وهذا قول
ابن اسحق فعلى هذا يجوز ان يقال جرى هذا الخطاب قبل دخول

وقيل لانها نشات من المرء

جها

الجنة ويجوز ان يقال جرى بعد دخول الجنة وعلى القول الاول
يجوز ان يقال جرى قبل اسكانه الجنة كما يقول اسكن انت وزوجك
دار كذا لمن يريد ان يتزوج ولم يتزوج بعد على معنى انها ستصير
زوجة ويجوز ان يقال جرا الخطاب بهذا فى الجنة بعد خلق حوا
واختلفوا فى الجنة التى اسكناها على قولين احدهما انها جنة الخلد
والثانى انها جنة اعدها الله لهما وقالت القدرية الجنة التى اسكنها
الله ادم وحوا لم تكن جنة الخلد وانما كانت بستانا من بساتين الدنيا
واجمعوا بان الجنة لا يكون فيها ابتلا وتكليف والجواب انا قد جمعنا
على ان اهل الجنة مامورون فيها بالمعرفة ومكلفون بذلك وجواب
اخر وهو ان الله تعالى قادر على الجمع بين الاضداد فارى ادم المحنة
فى الجنة وارى ابرهيم عليه السلم النعمة فى النار لئلا يامن العبد
ربه ولا يقنط من رحمته وليعلم ان له ان يفعل ما يشا واجمعوا
ايضا ان من دخل الجنة يستحيل عليه الخروج منها قال تعالى وما هم
منها بمخرجين والجواب ان من دخلها للثواب فلا يخرج منها ابدا وادم
لم يدخلها للثواب الا ترى ان رضوان وخزان الجنان يدخلونها ثم
يخرجون منها وابليس ايضا كان خازن الجنة فاخرج منها كما سبق ذكره
قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما الاصل فى كلا اوكل مثل اقتل
الا ان العرب حذفت الهمزة الثانية تخفيفا ومنها اى من ثمرها
فحذف المضاف وموضعه نصب بالفعل قبله ومن لابتدا الغاية
ورغدا صفة مصدر محذوف اى اكلا رغدا ويجوز ان يكون مصدرا
فى موضع الحال تقديره كلا مستطيبين وفى الرغد ثلثة اقوال احدها
انه العيش الهنى وهذا قول ابن عباس وابن مسعود ومنه قول
امرا القيس

بينما

بينما المرء تراه ناعما يامن من الاحداث فى عيش رغد
والثانى انه العيش الواسع وهذا قول ابى عبيد والثالث انه ارا
الحلال الذى لا حساب فيه وهو قول مجاهد وقال الليث الرغد
ان ياكل ما شا اذا شا حيث شا **قوله تعالى** حيث شئتما حيث ظرف
مكان والعامل فيه كلا ويجوز ان يكون بدلا من الجنة فيكون حيث
مفعولا به لان الجنة مفعول وليس بظرف لانك تقول سكنت
البصرة وسكنت بالدار بمعنى نزلت فهو كقولك انزل من الدار حيث
شئتم وحيث مبنى على الضم تشبيها بالغاية نحو قبل وبعد **قوله
تعالى** ولا تقربا هذه الشجرة الها بدل من اليا فى هذى لانك تقول
للمونث هذى وهاتا وهاتى واليا للمونث مع الذال لا غير والها
بدل منها لانها تشبهها فى الخفا والشجرة نعت لهذه وقرى فى
الشاذ هذه الشيرة وهى لغة ابدلت الجيم فيها يا لقربها منها
فى المخرج فتكونا جواب النهى لان التقدير ان تقربا تكونا وحذف
النون هاهنا علامة النصب لان جواب النهى اذا كان فهو منصوب
ومعنى لا تقربا هذه الشجرة اى لا تاكلا منها لان ادم عصى بالاكل
منها لا بالدنو فهو نهى بابلغ لفظ يكون والشجرة فى اللغة ما لها
ساق يبقى فى الشتا والنجم ما ليس له ساق ومنه قوله تعالى والنجم
والشجر يسجدان واختلفوا فى الشجرة التى نهى ادم عنها فقال
بعضهم وقع النهى عن جنس من الشجر وقال بعضهم بل وقع على
شجرة مخصوصة واختلفوا فيها فقال على كرم الله وجهه هى
شجرة الكافور وقيل هى شجرة يقال لها شجرة العلم من اكل
منها علم الاشيا وفيها من الوان الثمار كلها قاله ابو صالح
عن ابن عباس وهو قول قتادة وقيل هى السنبلة وهو

قول ابن عباس وعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن منبه
وعطية العوفي ومحارب بن دثار ومقاتل وقيل هي الكرم روي
ذلك عن ابن مسعود وسعيد بن جبير وقيل هي التين وروي ذلك
عن عطاء والحسن وابن جريج وقيل هي النخلة وقيل هي شجرة الخلد
روي ذلك عن وهب بن منبه وهو الأبعد وجهاً لأن الله تعالى قد
سماها شجرة الخلد وإنما الكلام في جنسها وقيل الأترج حكاه القشيري
وحكي أيضاً أنه نهى عن شجرة معينة ولم يعينها لنا وسمي الشجر شجراً
لتشابك الأغصان يقال تشاجر بينهم شيء **قوله تعالى** فتكونا من
الظالمين أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن أمثال العرب من
أباه فما ظلم قال الأصمعي أي ما وضع الشبه في غير موضعه ويقال
ظلم الماء الوادي إذا وصل منه إلى مكان لم يكن يصل إليه فيما مضى
والمعنى فتكونا من العاصين الذين وضعوا أمر الله في غير موضعه
فإن قيل ما الحكمة في تخصيص تلك الشجرة بالنهي قلنا إنه ابتلاء من
الله تعالى واختلفوا في معصية آدم عليه السلام بأكله من الشجرة
على أي وجه وقعت منه فمنهم من قال أكل منها وهو ناسي النهي
لقوله تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي وزعم صاحب هذا
القول أن الأنبياء يلزمهم من التحفظ والتيقظ ما لا يلزم غيرهم
لكثرة معارفهم وعلو منازلهم فيكون تشاغله عن تذكر النهي
تضييعاً صار به عاصياً ومنهم من قال أكل منها وهو عامد
عالم بالنهي وتأول قوله فنسي أي فترك ليكون بالعمد في معصية
يستحق عليها الذم وقيل أكل منها على جهة التأويل وصار عاصياً
بإغفال الدليل لأن الأنبياء لا يجوز أن يقع منهم الكبائر ولقوله في
إبليس فدلاهما بغرور وهو ما صرفهما إليه من التأويل واختلف
من قال بهذا في تأويله الذي استجاز به الأكل فمنهم من قال

تأول

تأول على جهة التنزيه دون التحريم وقيل تأول النهي عن
عين الشجرة دون جنسها وأنه إذا أكل من غيرها من الجنس
لم يعص وقيل إن التأويل ما حكاه الله تعالى عن إبليس في
قوله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين
أو تكونا من الخالدين وقال البجلي نهي عن الأكل فعصى بالذوق
وقال سعيد بن المسيب سقته حواء الخمر فسكر فأكل وكان يحلف
بالله ما أكل من الشجرة وهو يعقل وممن قال عصى بالأكل قال
كان ذلك قبل النبوة وقيل بعد النبوة على الأنبياء الصغائر
فيما لا يتعلق بالتبليغ وإخراج آدم من الجنة بسبب الأكل علامة
ظاهرة على أن ما جرى منه كان ذنباً **قوله تعالى** فأزلهما الشيطان
عنها يقرأ بتشديد اللام من غير ألف أي حملهما على الزلة وقرأ
حمزة فأزالهما أي نحاهما وهو من قولك زال الشيء يزول إذا فارق
موضعه وأزلته نحيته ونسب الفعل إلى الشيطان لأن زوالها
عنها إنما كان بتزيينه وتسويله فلما كان ذلك منه أسند الفعل
إليه لأنه السبب والشيطان هو إبليس **قوله تعالى** عنها يعني
عن الجنة وقيل عن الطاعة وقيل عن الشجرة فمعنى أزلهما بزلة صدرت
عن الشجرة **قوله تعالى** فأخرجهما مما كانا فيه ما بمعنى الذي ويجوز
أن يكون نكرة موصوفة أي من نعيم أو عيش وذلك أن إبليس أراد
أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة فأتى الحية
وكانت أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من
خزان الجنة وكانت لإبليس صديقة فسألها أن تدخله في فمها
فأدخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة واستعلم
من الطاووس الشجرة التي نهي عنها آدم وقد كان آدم لما دخل

الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة فقال لو أن خلدا فاغتنم
الشيطان ذلك منه فأتاه من قبل الخلد فلما دخل الجنة وقف
بين يدي آدم وحوا وهما لا يعلمان أنه إبليس فناح عليهما وبكى
وهو أول من ناح فقالا له ما يبكيك فقال أبكي عليكما تموتان
فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما
واغتما ومضى ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله إنه لهما لمن
الناصحين فاغترا وما كانا يظنان أن أحدا يحلف بالله تعالى كاذبا
فبادرت حوا إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها وقيل إنه
وقف على باب الجنة وناداهما لأنهما كانا يخرجان من الجنة قاله
الحسن وقيل إنه وسوس إليهما وأوقع في نفوسهما من غير مخاطبة
ولا مشاهدة فوصلت وسوسته بالقوة التي خلقها الله له إلى
الجنة ويدل عليه قوله فوسوس لهما الشيطان قاله محمد بن إسحق
قوله تعالى وقلنا اهبطوا الجمهور على كسر الباء وهي اللغة الفصيحة
وقرئ بضمها وهي لغة وهو الانحدار من علو وبفتح الهاء المكان
الذي يهبط فيه وإلى من ينصرف هذا الخطاب قيل إلى آدم وحوا
والحية وإبليس حكاه السدي عن ابن عباس وقيل إلى آدم وحوا
والحية قاله أبو صالح عن ابن عباس وقيل إلى آدم وإبليس قاله
مجاهد وقيل إلى آدم وحوا فحسب ويكون لفظ الجمع واقعا على
التثنية كقوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين ذكره ابن الأنباري
وقيل اهبطوا أي من الجنة أو من السما أو من الحالة العالية التي
أنتما فيها فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند وحوا بجدة و
إبليس بالأبلة والحية بأصفهان وقيل بنصيبين وروى ذلك

عن

عن ابن عباس واختلفوا هل هبطوا جملة أم متفرقين على قولين
أحدهما أنهم هبطوا جملة لكنهم نزلوا في مواضع متفرقين قاله
وهب وكعب والثاني أنهم اهبطوا متفرقين فهبط إبليس قبل
آدم وهبط آدم بالهند كما سبق يدل عليه قوله اخرج منها فإنك
رجيم لجمع الخبر للنبي صلى الله عليه وسلم لأنهم قد اجتمعوا في الهبوط
وإن كانت أوقاتهم متفرقة فيه **قوله تعالى** بعضكم لبعض
عدو فيه ثلثة أقوال أحدها أن ذريته بعضهم أعدا البعض قاله
مجاهد والثاني أن إبليس عدو للمؤمنين وهم أعداؤه قاله الزجاج
والبعض من الشي طايفة منه ولم يجوز الأصمعي دخول الألف
واللام في بعض وكل لأنهما معرفة فإن من غير ألف ولام
وجوز المعظم إدخال الألف واللام في بعض وكل والعدو
يصلح للواحد والجمع المذكر والمؤنث إذا ذكرته بمعنى الاسم
والمصدر والعداوة مأخوذة من المجاوزة من قولك لا يعدنك
هذا الأمر أي لا يجاوزنك وعداه كذا أي جاوزه فسمي عدوا لمجاوزة
الحد ومنه العدو بالقدم لمجاوزة المشي وهذا إخبار من الله لهم
بالعداوة تحذيرا لهم وليس بأمر لأن الله تعالى لا يأمر بالعداوة
قوله تعالى ولكم في الأرض مستقر يجوز أن يكون مستأنفا ويجوز
أن يكون حالا أيضا وتقديره اهبطوا متعادين ومستحقين
الاستقرار ومستقر يجوز أن يكون مصدرا بمعنى الاستقرار ويجوز
أن يكون مكان الاستقرار وفيه قولان أحدهما أن المستقر من
الأرض موضع مقامهم عليها لقوله تعالى جعل لكم الأرض قرارا
وهذا قول أبي العالية والزجاج وابن قتيبة والثاني موضع قبورهم
منها وهذا قول السدي **قوله عز وجل** ومتاع هو ما يتمتع به أي
شي كان وكلما حصل التمتع به فهو متاع ومنه سميت متعة النكاح
ومنه قوله تعالى فمتعوهن أي ادفعوا إليهن ما ينتفعون به

قوله تعالى الى حين الحين وقت من الزمان يصلح للاوقات كلها
طالت ام قصرت ويجمع على الاحيان ثم يجمع الاحيان على احايين والمراد
بالحين هاهنا فيما ذكره اهل التفسير حين الموت وقال مجاهد
الى قيام الساعة وقال الربيع الى اجل قوله تعالى فتلقى آدم
يقرأ آدم برفع الميم ونصب الكلمات وقرأ ابن كثير بنصب الميم
ورفع التاء بمعنى جاءت الكلمات آدم من ربه اى استقبل يقول
خرجنا نتلقى الحجيج اى نستقبلهم وكان صلى الله عليه وسلم يتلقى
الوحى اى يستقبله ويأخذه ويتلقفه وقيل تلقى اى تلقن وهذا
في المعنى صحيح ولكن لا يجوز ان يكون التلقى من التلقين في الاصل
لان احد الحرفين انما يقلب ياء اذا تجانسا مثل تقضى من تقضض
والكلمات جمع الكلمة والكلمة تقع على الكثير والقليل قال سيبويه
اوقع لفظ الكلمة على الاسم المفرد والحرف المفرد واستعمل
لفظ الكلام فيما يؤلف من هذه الكلم الثلاث والكلام ماخوذ
من التاثير لان له تاثيرا في النفس بما يدل عليه من المعاني وكذلك
سمي الجرح كلما للتاثيره في البدن واللفظ مشتق من قولك لفظت
الشيء اذا اخرجته من فيك واختلفوا في تلك الكلمات فقال
ابن عباس هو ان آدم عليه السلم قال رب الم تخلقني بيدك قال
بلى قال الم تنفخ فيّ من روحك قال بلى قال الم تسبق رحمتك
غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال فلم اخرجتني
منها قال بشؤم معصيتك قال يا رب ارايت ان تبت واصلحت
أراجعي انت الى الجنة قال بلى فهن الكلمات وقال عبيد بن عمير
ان آدم عليه السلم قال يا رب ارايت ما اتيت به اشيء ابتدعته
من تلقاء نفسي ام شيء قدرته علي قبل ان تخلقني قال لا بل شيء قدرته
عليك قبل ان اخلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي وقال

محمد

محمد بن كعب القرظي هو قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك
رب عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت ارحم الراحمين وقال
سعيد بن جبير الكلمات قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين وكذلك قال مجاهد والحسن وقال
بعضهم ان آدم عليه السلم نظر الى العرش فراى على ساقه مكتوبا
لا اله الا الله محمد رسول الله فقال رب بحق محمد اسألك ان تغفر
لي فغفر له ويدل على صحة هذا التاويل ما روى عطاء عن ابن عباس
عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما عرج بي الى السماء رايت على ساق العرش مكتوبا لا اله الا
الله محمد رسول الله وابو بكر الصديق وعمر الفاروق وقيل هي
ثلثة اشياء الحياء والدعاء والبكاء قال شهر بن حوشب بلغني ان آدم
عليه السلم لما اهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع راسه حياء
من الله تعالى وقال ابن عباس بكا آدم وحوا على ما فاتهما من نعيم
الجنة مائتي سنة ولم ياكلا ولم يشربا اربعين يوما ولم يقرب آدم
حوا مائة سنة قوله تعالى فتاب عليه معنى التوبة في اللغة الرجوع
وفي الشريعة رجوع العبد من المعصية الى الطاعة والعبد يتوب
الى الله والله يتوب عليه اى يرجع عليه بالمغفرة فان قيل لم قال
فتاب عليه ولم يقل فتاب عليهما والتوبة توجهت اليهما قلنا
لما ذكر آدم وحده بقوله فتلقى آدم من ربه كلمات ذكر بعده
قبول توبته ولم يذكر توبة حوا وان كانت مقبولة التوبة لانه
لم يتقدم ذكرها وقيل ان الاثنين اذا كان معنى فعلهما واحدا جاز
ان يذكر احدهما ويكون المعنى لهما كما قال تعالى واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها وكما قال تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه
وكقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ولانها كانت تبعا له قوله
تعالى انه هو التواب الرحيم اى الكثير القبول للتوبة وعقبه

ع

بالرحمة لان لا يخلي عباده من نعمه ولسعة رحمته قبل التوبة
وهو هنا مثل انت في قوله تعالى انك انت العليم الحكيم قوله عز
وجل قلنا اهبطوا منها جميعا حال اي مجتمعين اما في زمن واحد او
في ازمنة بحيث يشتركون في الهبوط وكرر الامر بالهبوط للتاكيد
وقيل نزلت احدى الايتين بعد الاخرى بزمان فلذلك كرر
كثير من قصص القران وقيل الهبوط الاول من السماء الى الارض
كقوله تعالى ولكم في الارض مستقر والثاني من الجنة الى السماء وقيل
الهبوط الاول لادم وحوا وابليس والحية والثاني لادم وذريته
فانهم المخاطبون بقوله فاما ياتينكم مني هدى ذكر الماوردي
ان الله تعالى لم يخرج ادم من الجنة ويهبطه الى الارض عقوبة لامرين
احدهما ان ذنبه كان صغيرا والثاني انه اهبط بعد قبول توبته
وانما اهبط لاجل امرين اما تاديبا واما تغليظا للمحنة وقال الحسن
لم يخلق الله تعالى ادم الا للارض ولو لم يعص لخرج على غير تلك الحال
وقال غيره ويجوز ان يكون خلقه للارض ان عصى ولغيرها ان لم
يعص قوله تعالى فاما ان حرف شرط وما حرف موكد له
ياتينكم فعل الشرط موكد بالنون الثقيلة والفعل يصير بها
مبنيا ابدا وما جاء في القران من افعال الشرط عقيب اما كله موكد
بالنون وهو القياس لان زيادة ما يؤذن بارادة شدة التوكيد
وقد جاء في الشعر غير موكد بالنون وجواب الشرط فمن تبع هداي
الى اخر الاية ومعنى الاية فان ياتكم مني شريعة ورسول وبيان
ودعوة فمن تبع هداي قبل امري والخطاب لادم وحوا وذريتهما
وانما جاء بكلمة الشك وهي اما واتيان الهدى كاين لا محالة للايذان
بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال
الكتب وقيل يعني الهداية التي يخلقها الله في قلب العبد قوله عز
وجل فمن تبع هداي فلا خوف عليهم فيما يستقبل من العذاب

ذكر الماوردي اهبط ادم بعد قبول التوبة

ولا هم يحزنون على ما خلفوا والحزن غليظ الهم من الارض الحزنة
اي الغليظة وفي الاية تحذير من صغير المعاصي وكبيرها لان
الله تعالى اهبط ادم بذنب صغير وفيها احسن وعد لمن اتبع
الله واطاعه ولزم تقواه فلا احد اسعد ممن لا يخاف ولا يحزن
وقد جمع الله في قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون مع قلة هذه
الحروف ضروب النعم وجميع اصناف الخير قوله تعالى والذين
كفروا وكذبوا باياتنا هذه الاية ايعاد بالنار للكافرين بكتب
الله وشرايعه وهي مما خاطب الله به ادم وحوا وفي الاية ثلثة
اقوال احدها انها العلامة ومنه قوله واية منك وارزقنا اي
علامة لاجابتك دعانا قال ابو عبيدة معنى الاية انها علامة
لانقطاع الكلام الذي قبلها وانقطاعه من الذي بعدها والثاني
انها سميت اية لانها جماعة حروف من القران دالة على معنى
مخصوص قاله ابن السكيت يقال خرج القوم بايتهم اي بجماعتهم
لم يدعوا وراهم شيا والثالث سميت اية لانها عجب وذلك ان
قاريها يستدل اذا قراها على مباينتها لكلام المخلوقين وهذا كما
يقال فلان اية من الايات اي عجب من العجايب ذكره ابن الانبا ري
ويحتمل انه اراد بها المعجزات ويحتمل ان يراد بها الايات الدالة
على وحدانية الله تعالى ووجوده ذكره القشيري قوله
تعالى اولئك اصحاب النار اي سكانها سموا اصحابا لصحبتهم اياها
بالملازمة قوله تعالى يا بني اسرايل يعني يا اولاد يعقوب واسرايل
هو يعقوب ولا ينصرف لاجتماع العجمة فيه والمعرفة وكل اسم
اجتمعتا فيه وزاد على ثلثة احرف لم ينصرف وقد تكلمت به العر ب
بلغات مختلفة فمنهم من يقول اسرايل بهمزة بعدها يا بعدها
لام ومنهم من يقول كذلك الا انه يقلب الهمزة يا ومنهم من

يبقى الهمزة ويحذف اليا ومنهم من يحذفهما فيقول اسرال ومنهم
من يقول اسراين بالنون ومعنى اسرايل صفوة الله وايل هو
الله تعالى وقيل معناه عبد الله وقال كعب انما سمي يعقوب اسرايل
لانه كان يخدم بيت المقدس وكان اول من يدخل واخر من يخرج
وكان يسرج القناديل فيصيبها بالغداة مطفاة فبات ليلة
في بيت المقدس فاذا بجني يطفيها فاخذه واسره الى سارية في
المسجد وكان يسمى الجني ايل فقال الناس اسر ايل فسمي اسرايل
وسمي يعقوب لانه خرج من بطن امه بعقب اخيه العيص وكانا
توامين وكان عيص احبهما الى ابيه وكان يعقوب احبهما الى
امه **قوله تعالى** اذكروا نعمتي الذكر اسم مشترك فالذكر بالقلب
ضد الانصات والذكر الشرف وقال الكسائي ما كان بالقلب
فهو مضموم الذال وما كان باللسان فهو مكسور الذال وقال
غيره هما لغتان يقال ذكر وذكر ومعناهما واحد والمراد بالاية
الذكر بالقلب وتقديره لا تغفلوا عن نعمتي قال الحسن ذكر النعمة
شكرها يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم
يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة
الله شاكر وتاركها كافر والجماعة رحمة والفرقة عذاب **وقوله** نعمتي
يريد نعمي فاوقع الواحد موقع الجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد
ذلك ظهيرا اي ظهراء **قوله تعالى** التي انعمت عليكم اي على اسلافكم
واجدادكم وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر وانجاهم من فرعون
واهلك عدوهم واورثهم ديارهم واموالهم وظلل عليهم الغمام في
التيه يقيهم الحر وجعل لهم عمودا من نور يضي بالليل اذا لم يكن
ضوء القمر وانزل عليهم المن والسلوى وانزل عليهم التورية

فيها

فيها بيان كل شي تحتاجون اليه والنعم على الاباء نعم على الابناء لان
فخر الاباء فخر للابناء وعار الاباء عار على الابناء فان قيل اليهود
ابدا يذكرون هذه النعمة فلم ذكروا ما لم ينسوه قيل المراد بقوله
تعالى اذكروا اشكروا كما سبق واذا لم يشكروها حق شكرها
فكانهم نسوها وان اكثروا ذكرها قال ابن الانباري اراد اذكروا
ما انعمت عليكم فيما استودعتكم من علم التورية وبينت لكم من
صفة محمد صلى الله عليه وسلم والزمتكم من تصديقه واتباعه فلما
بعثه الله ولم يتبعوه كانوا كالناسين لهذه النعمة وفي الخبر لو
امن بي عشرة من احبار اليهود لامن كلهم وقرئ نعمتي التي
من غير فتح اليا وقرئ بفتح اليا **قوله تعالى** واوفوا بعهدي
يقال في الماضي وفا ووفى واوفى ومن هنا قرئ اوف بعهدكم
واوف بالتخفيف والتشديد قال ابن قتيبة يقال وفيت بالعهد
واوفيت به واوفيت الكيل لا غير قال ابن عباس هذا العهد هو
ان الله تعالى عهد اليهم في التورية انه باعث نبيا يقال له محمد فمن
تبعه كان له اجران اثنان باتباعه موسى وايمانه بالتورية واجر
باتباعه محمدا صلى الله عليهما وسلم وايمانه بالقران ومن كفر به تكاملت
اوزاره وكانت النار جزاءه وقال قتادة هو العهد الذي اخذ الله
عليهم في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل وبعثنا منهم
اثني عشر نقيبا الاية ثم قال لاكفرن عنكم سياتكم الاية فهذا
قوله تعالى اوف بعهدكم وقيل امتثال الاوامر واجتناب المناهي
رواه الضحاك عن ابن عباس **وقوله تعالى** اوف بعهدكم اي ادخلكم
الجنة وقال مقاتل هو قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرايل لا
تعبدوا الا الله وقال الحسن هو قوله واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة الاية فهي شريعة

التورية وقال اسمعيل بن زياد لا تفروا من الزحف ادخلكم
الجنة دليله قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار الاية وقيل اوفوا بشرط العبودية اوف بشرط
الربوبية **قوله تعالى** وإياي فارهبون تقديره وإياي فارهبوا
ولا يجوز ان يكون منصوبا بارهبون لانه قد تعدى الى مفعوله
والمعنى خافون في نقض العهد واثبت يعقوب هذه اليا آت في
كل القرآن على الاصل وحذفها الباقون اتباعا للمصحف **قوله عز**
وجل وآمنوا بما انزلت يعني القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا
حال مؤكدة من الهاء المحذوفة في انزلت اي بما انزلته ومعكم منصوب
على الظرف والعامل فيه الاستقرار والمعنى بما معكم من التورية
في التوحيد والنبوة وذكر القرآن **قوله تعالى** ولا تكونوا
اول كافر به قال الفراء اراد اول من يكفر فحذف من واقيم الاسم
المشتق من الفعل مقامه وهو الكافر وقال البصريون اراد اول
كافر وحزب كافر ثم حذف المنعوت واقيم نعته مقامه والهاء في
به تعود الى ما في قوله بما انزلت وهو القرآن والمعنى ولا تكونوا
اول كافر بالقرآن من اهل الكتاب لان قريشا كفرت قبل اليهود
بمكة والخطاب لعلماء اليهود واذا كفروا بالقرآن كفر اتباعهم
فيكونون ائمة في الضلالة هذا قول ابن جريج وغيره وقيل تعود
الى النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تكونوا اول كافر بمحمد صلى الله
عليه وسلم وان صفته في كتابكم قاله ابو العالية وقيل تعود الى
كتابهم والمعنى ولا تكونوا اول كافر بما معكم من كتابكم لانكم اذا
جحدتم ما فيه من صفة محمد عليه السلم فقد كفرتم حكاه الزجاج
ثم كما لا يجوز للعبد ان يكون اولا في الكفر لا يجوز ان يكون ثانيا

فيه ايضا ولكنه تفخيم الامر فان من كفر اولا فعليه وزره ووزر
الاتباع ايضا ونصب اول كافر لانه خبر كان **قوله تعالى** ولا
تشتروا بآياتي ثمنا قليلا فيه ثلثة اقوال احدها ولا تاخذوا على
تغيير صفة محمد عليه السلم ونعته في التورية عوضا يسيرا من
الدنيا وذلك ان رؤساء اليهود كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم
وعوامهم فخافوا ان بينوا صفة محمد عليه السلم وتابعوه ان يفوتهم
تلك المآكل والرياسة فاختاروا الدنيا على الآخرة قاله الحسن وغيره
والثاني هي اخذ الاجرة على تعليم الدين وهو مكتوب عندهم يا ابن
آدم علم مجانا كما علمت مجانا وهو قول ابي العالية والثالث لا تاخذوا
طعاما قليلا على كتم ما فيه من ذكر محمد وتصديق القرآن قاله
السدي وهذا يدل على انه لا يجوز اخذ الثمن على الكفر لان متاع
الدنيا قليل بالنسبة الى الدين **قوله تعالى** وإياي فاتقون اي
فاخشوني في امر محمد صلى الله عليه وسلم لا ما يفوتكم من الرياسة
والماكلة **قوله تعالى** ولا تلبسوا الحق بالباطل يقال لبست الثوب
ألبسه لبسا ولبست عليه الامر ألبسه لبسا اذا خلطته
وعميته ومنه قوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون والمعنى
لا تخلطوا الحق الذي انزل عليكم من صفة محمد عليه السلم بالباطل
الذي تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وتبديل نعته قال مقاتل
ان اليهود اقروا ببعض صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموا
بعضا ليصدقوا في ذلك فقال الله تعالى ولا تلبسوا الحق
الذي تقرون به وتبينونه بالباطل يعني ما تكتمونه فالحق
بيانهم والباطل كتمانهم وقيل معناه ولا تلبسوا الحق
يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم بالباطل بصفة الدجال

حكاه الثعلبي قوله تعالى وتكتموا الحق هو عطف على المجزوم
في قوله ولا تلبسوا الى اي ولا تكتموا وقيل هو نصب على
الجواب بالواو اي لا تجمعوا بينهما كقولك لا تاكل السمك
وتشرب اللبن قوله تعالى وانتم تعلمون اي ان محمدا نبي
مرسل واليهود جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع العلم
بانه نبي فلم ينفعهم ذلك العلم لان جاحد النبوة كافر وقيل
وانتم تعلمون لو نظرتم وقد يتفق من اقوام لا يحصون الاعراض
عن الاستدلال والاطباق على الكفر لتوافق الروم على التثليث
حكاه القشيري قوله تعالى واقيموا الصلوة يعني حافظوا
على الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وركوعها وسجودها
قوله تعالى واتوا الزكوة يعني وادوا زكوة اموالكم المفروضة
واصل الزكوة النما والزيادة يقال زكا الزرع يزكوا زكاء
ممدود وكل شي يزداد فهو يزكوا زكا قال النابغة

وما اخرت من دنياك نقص ... وان قدمت عاد لك الزكاء

يعني الزيادة وسمي ما يخرج من المال للمساكين بايجاب الشرع
زكاة لانها تزيد في المال الذي تخرج منه وتوفره وتقيه الافات
ويقال هذا ازكى من ذلك اي ازيد فضلا منه وقيل هي ماخوذة
من التطهير ومنه قوله تعالى اقتلت نفسا زاكية اي طاهرة
من الذنوب وهي تطهر المال حتى يصير باداء الحق منه حلالا
ولولاه لخبث وقيل اصلها الثنا الجميل ومنه زكى القاضي الشاهد
فكان من يخرج الزكوة يحصل لنفسه الثنا الجميل والف الزكوة
منقلبة عن واو كقولهم زكا الشي يزكوا وقال في الجمع زكوات
قوله تعالى واركعوا مع الراكعين ظرف ومعنى الركوع في

اللغة

في اللغة الانحناء يقال للشيخ اذا انحنى من الكبر ركع قال
المفضل والاصمعي وهو ماخوذ من المذلة والخضوع قال الشاعر

لا تهين الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه

قال المفسرون معناه وصلوا مع المصلين محمد واصحابه فعبر
بالركوع عن جميع الصلوة اذ كان ركنا من اركانها كما عبر باليد
عن الجسد في قوله تعالى ذلك بما قدمت يداك وقوله تعالى
فبما كسبت ايديكم ويعبر بالعنق عن النفس في قوله الزمناه
طائره في عنقه وبالانف عن الوجه في قوله سنسمه على الخرطوم
وانما قال واركعوا بعد قوله واقيموا الصلوة لانه اراد الحث
على اقامتها جماعة وقيل لانه لم يكن في دين اليهود ولا صلاتهم
ركوع فذكر ما اختص بشريعة الاسلام والاية خطاب
لليهود وقيل اركعوا اي تذللوا بالطاعة قوله تعالى اتامرون
الناس بالبر قال ابن عباس نزلت في اليهود كان الرجل يقول
لقرابته وصهره ورضيعه وحليفه من المسلمين في السر
اذا ساله عن محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على ما انت عليه من
الدين فانه حق وما يامركم به هذا الرجل يعنون محمدا عليه
السلم فان امره حق وقوله صدق والالف في اتامرون الف
استفهام ومعناه التوبيخ وفي البر ثلثة اقوال احدها انه
التمسك بكتابهم كانوا يامرون باتباعه ولا يقومون به الثاني
انه اتباع محمد عليه افضل السلم روى القولان عن ابن عباس الثالث
انهم كانوا يامرون بالصدقة ويبخلون بها ذكره الزجاج قوله
وتنسون انفسكم النسيان هاهنا بمعنى الترك ومنه قوله تعالى
نسوا الله فنسيهم اي تركهم قوله تعالى وانتم تتلون الكتاب

فيه قولان احدهما انه التوراة وفيها صفة محمد صلى الله عليه وسلم
ونعته قاله الجمهور والثاني القرآن فلا يكون هذا الخطاب على
هذا القول لليهود واصل التلاوة من قولهم تلاه يتلوه اذا تبعه
والتلاوة اتباع الحروف بالقراءة قوله تعالى افلا تعقلون استفهام
في معنى التوبيخ ولا موضع له يقال عقل الرجل يعقل عقلا اذا كان
عاقلا وعقل الانسان هو تمييزه الذي به فارق جميع الحيوان سمي
عقلا لانه يعقله اي يمنعه عن التورط في الهلكة كما يعقل
العقال البعير عن ركوب راسه قوله تعالى واستعينوا بالصبر
والصلوة استعينوا استفعلوا من العون والمعنى استعينوا
على ما يستقبلكم من انواع البلاء وقيل في طلب الآخرة وقيل
في ترك الرياسة واصل الصبر هو الحبس والصابر حابس
نفسه على ما يكرهه ومنه صبر صاحب المصيبة اي يحبس نفسه
عن الجزع وسمي الصوم صبرا لحبس النفس عن الطعام والشراب
ومنه الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل امسك رجلا
وقتله آخر اقتلوا القاتل واصبروا الصابر يعني احبسوا الذي
امسكه ونهى عليه السلم عن قتل الدواب صبرا وهو ان يحبس حيا
ثم يرمى حتى يموت قال مجاهد الصبر في هذه الآية الصوم
وكان صلى الله عليه وسلم اذا احزنه امر استعان بالصلوة
والصيام وقيل الواو ها هنا بمعنى على واستعينوا ايمانكم
بالصبر على الصلوة كقوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر
عليها قالت الحكما الصبر ردية العدل والشكر ردية
الفضل وروي ان ابن عباس نعي اليه بنت له وهو في سفر

فاسترجع

فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤونة كفاها الله و
استعينوا بالصبر والصلوة فصلى ركعتين ثم قال صنعنا ما
امرنا الله واستعينوا بالصبر والصلوة قوله تعالى وانها
ولم يقل وانهما واختلف العلما في وجهه فقال المورج ردها
الى ما هو الاغلب والاهم وهو الصلوة وكقوله تعالى والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها لانها اعم واغلب وقال
تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها ردها الى التجارة
لانها الاهم وقال الاخفش رد الكناية الى كل واحد منهما
اراد وان كل خصلة منهما لكبيرة كقوله تعالى كلتا الجنتين
آتت اكلها يعني كل واحدة منهما وقال تعالى وجعلنا ابن
مريم وامه آية ولم يقل آيتين اراد جعلنا كل واحد منهما
آية قال الشاعر

لا شيء احسن من علم يزينه حلم ومن ناله قد فاز بالفرج

اي نال كل واحد منهما وقيل رد الصبر الى الصلوة لان الصبر
داخل في الصلوة كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه
ولم يقل يرضوهما لان رضى الرسول داخل في رضا الله تعالى
فرد الكناية الى الله تعالى وقال الحسين بن الفضل رد الكناية
الى الاستعانة معناه وان الاستعانة بالصبر والصلوة وقيل
معنى قوله وانها يعني اجابة محمد عليه السلم وان لم تجر للاجابة
ذكر لان الحال يدل عليها حكاه الماوردي وغيره وقيل وانها
اي الكعبة والتوجه اليها لدلالة الصلوة عليها كان التحول
الى الكعبة شديدا على اليهود والنصارى كما قال تعالى وان
كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله حكاه القشيري وغيره فان

قيل ما وجه الاستعانة بالصلوة قلنا لما كان في الصلوة القرآن
وفيها الدعاء والخضوع لله عز وجل كان ذلك معونة على ما تنازع
عليه النفس من حب الرياسة والانفة من الانقياد الى الطاعة
وهذا الخطاب وان كان لاهل الكتاب فهو ادب لجميع العباد **قوله
تعالى** لكبيرة اي شديدة ثقيلة مثل قوله تعالى كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه اي ثقل والاصل في ذلك ان ما يكبر يثقل على الانسان
حمله كالاجسام الجافية **قوله تعالى** الا على الخاشعين في موضع نصب
بكبيرة والا دخلت للمعنى ولم تعمل لانه ليس قبلها ما يتعلق بكبيرة
يستثنى منه فهو كقولك هو كبير على زيد وفي معنى الكلام اربعة اقوال
احدها الثقيلة الا على المؤمنين والثاني المصلين قاله ابن عباس والثالث
المتواضعين قاله مقاتل والرابع الخائفين قاله الحسن قال الزجاج
الخاشع الذي يرى اثر الذل والخضوع عليه والخشوع في اللغة السكون
قال الله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن وقيل الخضوع في البدن
والخشوع في الصوت والبصر وانما لم تكن كبيرة عليهم لانهم يتوقعون
ما ادخر الله تعالى للصابرين فيهون عليهم الا ترى الى قوله تعالى
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ومعنى يظنون يعلمون ويستيقنون
كقوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه اي ايقنت والظن من
الاضداد يكون شكا ويقينا وقيل بل هو بمعنى يتوقعون ويطمعون
في لقاء ثوابه ومن جعله بمعنى اليقين اراد يستيقنون انهم مبعوثون
وانهم محاسبون وقيل معناه معاينو ربهم في الآخرة وقيل
يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لاشفاقهم من المعاصي التي كانت
منهم فيرجع الظن الى هذا لا الى اعتقاد للحشر واصل ملاقوا

ملاقون

ملاقون وحذفت النون تخفيفا لانه نكرة اذا كان مستقبلا ولما
حذفها اضاف اليه **قوله** وانهم اليه راجعون فيه ثلثة اقوال
احدها يصدقون بالبعث ويقرون بالنشاة الثانية وجعل
رجوعهم بعد الموت الى المحشر رجوعا اليه قاله ابو العالية
والثاني انه اراد بالرجوع الموت والثالث راجعون الى الله اذ لا
يملك احد لهم ضرا ولا نفعا غيره كما كانوا في بدو الخلق **قوله عز
وجل** يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم تقدم تفسيره واعاد
تاكيد الحجة عليهم **قوله تعالى** واني فضلتكم على العالمين يعني عالمي
زمانكم والتفضيل الزيادة على التسوية يقال فضلته اي حكمت
له بالزيادة والخطاب للموجودين في وقت النبي صلى الله عليه وسلم
والمراد سلفهم لانهم الذين جعل فيهم الانبياء ثم في تفضيل الآباء
شرف الابناء وقيل فضلتكم على البهائم في الخلقة دون الناس
وقيل فضلتكم في كثرة الانبياء منكم فهو مقيد كما يقول زيد افضل
من عمرو في الشجاعة ثم قد يكون عمرو افضل منه في خصال اخر
فلا بد من التخصيص كقوله تعالى كنتم خير امة ثم كما فضل بني
اسرائيل بكثرة الانبياء فضل هذه الامة بمحمد صلى الله عليه وسلم فهم
مامورون بشكر النعمة قال عمر رضي الله عنه قد مضى والله بنوا
اسرائيل وما يعني بما تسمعون غيركم وفائدة الاقاصيص التنبيه
ولهذا قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب **قوله
تعالى** واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا قال الزجاج كانت
اليهود تزعم ان اباءها الانبياء تشفع لهم يوم القيمة فايسهم
الله تعالى بهذه الآية من ذلك والمعنى احذروا واجتنبوا

عقاب يوم لا تجزي اي لا تغني كما يقال البقرة تجزي عن
سبعة اي تغني وهو قول السدي وقيل لا يقضي ومنه
قولهم جزا الله فلانا عني خيرا اي قضاه وهو قول المفضل
والمراد باليوم يوم القيمة قال الزجاج في الاية اضمار معناه
لا تجزي فيه نفس عن نفس شيا من الشدايد قالوا والمراد
بالنفس هاهنا النفس الكافرة فلا يغني عنها نفس مؤمنة ولا
كافرة فعلى هذا يكون من العام الذي اريد به الخاص وقال الكسائي
المحذوف الها اي اتقوا يوما لا تجزيه نفس عن نفس شيا فجعل
اليوم مفعولا على التوسع ثم حذف الها كما يقول رايت رجلا احب
اي احبه وحذف الها اهون من حذف فيه تقول الذي ضربت
زيدا اي الذي ضربته ولا يقال الذي رغبت زيد بمعنى الذي
رغبت فيه ولا يقال الذي مررت زيدا اي الذي مررت به زيد
وقرى في الشاذ لا تجزي نسمة عن نسمة شيا **قوله تعالى** ولا
يقبل منها شفاعة قرا اهل مكة والبصرة بالتا لتانيث الشفاعة
اي لا يقبل الله يقال قبلت الشي اقبله قبولا وقبولا ويقال على
فلان قبول اي تقبله العين ومعنى الشفاعة كلام الشفيع من
هو فوقه في حاجة يسلها لغيره وهو من الشفيع الذي هو خلاف
الوتر وذلك ان سوال الشفيع يصير شفعا لسوال المشفوع له
والشفيع والشفاعة بمعنى كالموعظة والوعظ والاية عامة
فخصصها باخبار الشفاعة فيكون المعنى لا يقبل الشفاعة الا من اذن
له في الشفاعة او اراد لا شفاعة لمن مات على الكفر كما سبق
وقال الحسن معناه ولا يجي بشفيع تقبل شفاعته لعجزه عنه و
قال غيره بل معناه ان الشفيع لا يجيبه الى الشفاعة وان كان

لو شفع لشفع **قوله تعالى** ولا يوخذ منها عدل كما كان يوخذ
في الدنيا والمراد بالعدل في هذه الاية الفدا قال تعالى وان
تعدل كل عدل لا يوخذ منها اي تفتد كل فداء وسمي الفدا عدلا
لانه يعادل المفدي ويماثله قال تعالى او عدل ذلك صياما
ويقال ما يعدلك عندنا شي ان لا يماثلك واختلف اللغويون
هل العدل بفتح العين وكسرها يختلفان ام لا فقال الفرا
العدل بفتح العين ما عادل الشي من غير جنسه والعدل
بكسرها ما عادل الشي من جنسه فهو المثل يقول عندي عدل
غلامك بفتح العين اذا اردت قيمته من غير جنسه وعندي
عدل غلامك بكسر العين اذا كان غلاما يعدل غلاما وحكى الزجاج
عن البصريين انهما في معنى المثل وان المعنى واحد سوا كان المثل
من الجنس او من غير الجنس **قوله تعالى** ولا هم ينصرون اي لا
يمنعون من عذاب الله فان قيل ما معنى قوله لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا قلنا فيه اربعة اقوال احدها ان الصرف
العمل والعدل الفدية وهذا قول الحسن البصري والثاني
ان الصرف الدية والعدل رجل مكانه وهذا قول الكلبي والثالث
ان الصرف التطوع والعدل الفريضة وهذا قول الاصمعي والر
ابع ان الصرف الحيلة والعدل الفدية قاله ابو عبيدة **قوله تعا**
لى واذ نجيناكم اذ في موضع نصب معطوفا على اذكروا نعمتي وكذلك
قوله واذ فرقنا واذ وعدنا واذ قلتم يا موسى وما كان مثله من
المعطوف والمعنى اذكروا اذ انجيناكم يريد اسلافكم واباكم كما قال
تعالى انا لما طغى الما حملناكم في الجارية اي حملنا اباكم فاعتدها
منة عليهم لانهم نجوا بنجاتهم وماثر الاباء مفاخر الابناء
و**قوله تعالى** نجيناكم اصله القيناكم على النجوة وهو ما ارتفع

واتسع من الارض هذا هو الاصل ثم سمي كل فايز ناجيا لانه
خرج من الضيق والشدة الى الرخا والراحة **قوله تعالى**
من ال فرعون اي اشياعه واتباعه وعترته واهل دينه و
اصله من الاول وهو الرجوع وال الرجل هم الذين يول امرهم
اليه ومنه الال للسراب لانه يرجع بعضه الى بعض كالماء
واختلفوا في الال والاهل على قولين احدهما انهما سوا واصل
ال اهل فابدلت الها همزة لقربها منها في المخرج ثم ابدلت الهمزة
الفا لسكونها وانفتاح الهمزة قبلها مثل ادم وتصغيره اهيل
لان التصغير يرد الى الاصل وعلى الاول اويل والثاني وهو قول
الكساي انه يقال ال الرجل اذا ذكر اسمه فان كني عنه قيل
اهله ولم يقل اله كما يقال اهل العلم واهل البصرة ولا يقال ال
العلم والبصرة ويقال الال اتباع الرجل قريبه كان او غيره
واهله قريبه اتبعه او لم يتبعه روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قيل له من الك قال الى كل تقي الى يوم القيمة وفرعون
اسم اعجمي معرفة وقيل هو لقب وعلم لكل ملك من ملوك العمالقة
مثل قيصر للروم وكسرى للفرس وخاقان لملك الترك واختلفوا
في اسم فرعون موسى فقيل هو الوليد بن مصعب بن الريان قاله
الاكثرون وقيل اسمه مصعب حكاه القشيري وابن جرير وقيل
نبطوس قاله مقاتل وعند اهل الكتاب اسمه قابوس وقيل فرعون
بلغة القبط التمساح وقيل اسمه مغيث ذكره بعض المفسرين
وعمر اكثر من اربع مائة عام **قوله تعالى** يسومونكم في موضع نصب
على الحال من ال قوله سو العذاب مفعول به لان يسومونكم متعد
الى مفعولين وفيه ثلثة اقوال احدها يكلفونكم ويذيقونكم اشد
العذاب واسوه وذلك ان فرعون جعل بني اسرايل خولا وخدما
وصنفهم في اعمالهم فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف

يزرعون

يزرعون وصنف يخدمون ومن لم يكن منهم في عمل من هذه
الاعمال فعليه الجزية فذلك سو العذاب والثاني انهم
كلفوهم الاعمال القذرة والثالث هو قوله تعالى يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم والسوم عرض السلعة على البيع والمعنى
يعرضونكم على سوء العذاب وهو اشقه وان كان العذاب
كله سيئا وسبب الذبح ان فرعون راى في منامه كان نارا
اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها
واحرقت القبط وتركت بني اسرايل فهاله ذلك ودعا السحرة
والكهنة وسالهم عن رؤياه فقالوا له انه يولد في بني اسرايل
غلام يكون على يده هلاكك وتبديل دينك وزوال ملكك
فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرايل وجمع القوابل
فقال لا يسقط غلام من بني اسرايل الا قتل ولا جارية الا تركت
ووكل بهن نكن يفعلن ذلك فدخل رؤس القبط على فرعون
فقالوا ان الموت قد وقع في بني اسرايل فامر فرعون ان يذبحوا
سنة ويتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبحون فيها
فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها قال الزجاج العجب
من حمق فرعون ان كان الكاهن عنده صادقا فما ينفع القتل وان
كان كاذبا فما معنى القتل قوله ويستحيون نساءكم اي يتركوهن
احيا فلا يقتلون وانما استبقاهم للاستذلال واسم النساء يقع
على الصغار والكبار وقيل بل ينطلق على الكبار وانما سموا الصغار
نسا على معنى انهم يبقون حتى يصرن نسا **قوله تعالى** وفي ذلكم
بلاء من ربكم عظيم يعني في سومهم اياكم سو العذاب محنة وفتنة
عظيمة وقيل معناه وفي انجاي اياكم منه نعمة عظيمة وهو
قول ابن عباس ومجاهد والسدي واصل الابتلا الاختبار في
الخير والشر كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فيبلوا

عباده بالصنيع الحسن ليمتحن شكرهم عليه ويبلوهم بالبلوى
التي يكرهونها ليمتحن صبرهم قال تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات غير ان الاكثر انه يستعمل في الشر يقال في الشر
بلوته ابلوه بلاء وفي الخير ابليته ابلاء وفي ذلك قول زهير
جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وابلاهما خير البلاء الذي يبلو
فجمع بين اللغتين **قوله تعالى** واذ فرقنا بكم البحر الفرق الفصل
بين الشيئين وبكم بمعنى لكم وفيه قولان احدهما ان الله تعالى امر
موسى عليه السلم ان يذهب ببني اسرايل الى البحر فينفلق له
حتى يخوض فيه هو وبنو اسرايل فلما ذهب بهم وانتهى الى البحر
فرق الله البحر اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق حتى مروا
فيه وهو منفلق وكان عددهم ستماية الف وعشرين الفا لا
يعد فيهم ابن عشرين لصغره ولا ابن ستين لكبره وكان على
مقدمة فرعون هامان في الف الف وسبع ماية الف وكان
فيهم سبعون الفا من دهم الخيل سوا ساير الشيات وذلك
قوله تعالى فارسل فرعون في المداين حاشرين ان هولا لشرذمة
قليلون وهذا قول السدي والثاني معناه واذ فرقنا بينكم
وبين البحر وحجزنا الماء عنكم فانجيناكم والاول اصح وسمي البحر
بحرا لاستبحاره وسعته ومنه قولهم تبحر فلان في العلم اذا
اتسع فيه وقيل سمي البحر بحرا لانه شق في الارض والبحر الشق
ومنه البحيرة وهي الناقة التي شق اذنها ويجوز ان يكون بكم اي
بسببكم ويجوز ان يكون الباء المعدية كقولك ذهبت بزيد فيكون
التقدير افرقناكم البحر ويكون في المعنى كقوله تعالى وجاوزنا
ببني اسرايل البحر ويجوز ان يكون الباء للحال اي فرقنا البحر وانتم

ابليته ع

به

به فيكون اما حالا مقدرة او مقارنة **قوله تعالى** واغرقنا
آل فرعون ولم يذكر فرعون لانه قد ذكره في مواضع كقوله
تعالى مما ترك آل موسى وآل هرون يعني موسى وهرون **قوله عز
وجل** وانتم تنظرون يعني فرق البحر حين سلكوا فيه وانطباقه
على فرعون وقومه وقيل هو بمعنى العلم كقوله تعالى الم تر الى
ربك كيف مد الظل قاله الفراء وقال ابن عباس لم ينظروا اليهم
حين غرقوا ولكن اخرجوا فنظروا اليهم والقوم في وقت النبي
صلى الله عليه وسلم ما نظروا الى هذا الذي اخبر به ولكن يعني
سلفهم وقيل وانتم بحيث لو نظرتم اليهم لرايتموهم **قوله
تعالى** واذ وعدنا موسى اربعين ليلة قال المفسرون ان الله تعالى
لما انجى موسى وبني اسرايل واغرق فرعون وامن بنو اسرايل
من عدوهم ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة مهملة
فواعد الله موسى عليه السلم ان يوتيه الكتاب فيه بيان ما ياتون
وما يذرون وامره ان يصوم ثلثين يوما فصامها وصالا ولم
يطعم شيا فتغيرت رايحة فمه فعمد الى لحا شجرة فمضغها فاوحى
الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصايم اطيب عندي من ريح المسك
وامره ان يصل بها عشرا فتم ميقات ربه اربعين ليلة وخرج
موسى من بني اسرايل تلك الايام فاتخذ السامري عجلا وقال لبني
اسرايل هذا الهكم واله موسى فافتتن بالعجل ثمنية الف رجل
منهم وعكفوا عليه يعبدونه واعلم ان وعد يتعدى الى مفعولين
تقول وعدت زيدا مكان كذا ويوم كذا فالمفعول الاول موسى
واربعين المفعول الثاني وفي الكلام حذف تقديره تمام اربعين
وليس اربعين ظرفا اذ ليس المعنى وعده في اربعين وقراه اكثر

القراء واعدنا بالالف من المواعدة لان ما كان من الله من الوعد ومن موسى من القبول يقوم مقام الوعد فصار كالتواعد من الفاعلين وايضا فان المفاعلة قد تقع من الواحد مثل قولك عافاه الله وعاقبت اللص ومثله قوله تعالى لا تواعدوهن سرا وقرا ابو عمرو وابو جعفر ويعقوب وعدنا بغير الف في جميع القران لان الله تعالى هو المنفرد بالوعد والقران ينطق به كقوله تعالى وعد الله الذين امنوا وقوله تعالى الم يعدكم ربكم وقوله عز وجل واذ يعدكم الله وقوله جل وعلا ان الله وعدكم وعد الحق وقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة ويقال وعد في الخير والشر قال الله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وقال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا واوعد في الشر وتقدير الكلام واذ وعدنا موسى انقضاء اربعين ليلة للتكلم معه او لاتيانه الكتاب وفي هذه المدة قولان احدهما انه ذو القعدة وعشر من ذي الحجة وهذا قول من قال كان الوعد لاعطاء التورية والثاني انها ذو الحجة وهذا قول من قال كان الوعد للتكليم وانما قرن التاريخ بالليل دون النهار لان شهور العرب وضعت على سير القمر والهلال انما يهل بالليل وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء والليل خلق قبل النهار وقال تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار الاية فصار الايام تبعا لليالي وقال النقاش انما ذكر الليل لانه امره ان يصوم هذه الايام ويواصلها بالليالي فلذلك ذكر الليالي وموسى اسم اعجمي يجمع كلمتين بالعبرانية موسا وهما ما وشجر فمو هو الما وسا هو الشجر وانما سمي بهذا الاسم الجامع لهذين الكلمتين

كما ذكره السدي ان امه لما خافت عليه جعلته في التابوت والقته في اليم كما اوحى اليها فالقاه اليم بين اشجار عند بيت فرعون فخرجت جواري اسية امراة فرعون يغتسلن فوجدنه فسمي باسم المكان وقيل موسى مفعل من اوسيت راسه اذا حلقته فهو مثل اعطى فهو معطى وقيل هو فعلى من ماس يميس اذا تبختر في مشيته فموسى الحديد من هذا المعنى لكثرة اضطرابها وتحريكها وقت الحلق قالوا في موسى على هذا بدل من اليا لسكونها وانضمام ما قبلها وقرا زيد بن علي اربعين بكسر وهي الباء لغة وليلة نصب على التمييز وجمع موسى مذكور في سورة الاعراف قوله تعالى ثم اتخذتم العجل من بعده يعني الها فحذف المفعول الثاني كقوله باتخاذكم العجل وقد ياتي اتخذت متعدية الى مفعول واحد اذا كانت بمعنى جعل وعمل كقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا وكقولك اتخذت دارا وثوبا وما اشبه ذلك ويجوز ادغام الذال والتا لقرب مخرجهما ويجوز الاظهار على الاصل وقوله من بعده اي من بعد انطلاقه الى الميقات واستخلافه هرون عليهم وسبب ذلك فيما ذكره ابن عباس ان السامري كان رجلا صايغا من اهل باجرى وكان من قوم يعبدون البقر وكان رجلا منافقا قد اظهر الاسلام وحب البقر في قلبه وكان قد عرف جبريل عليه السلم لان امه حين خافت عليه ان يذبح خلفته في غار واطبقت عليه وكان جبريل ياتيه فيغذيه باصابعه فلما راه حين عبر البحر عرفه فقبض قبضة من تراب فرسه وكان جبريل على فرس يقال له فرس الحيوة لا يصيب ترابه شيا الا حيي ولم تزل القبضة في يده حتى قصد موسى الى ربه وخلف هرون في بني اسرايل فقال لهم هرون قد حملتم اوزارا من زينة القوم يعني امتعة وحليا فتطهروا منها فانها نجس وقيل غنيمة والغنيمة لا تحل لكم فاوقد لهم نارا وامرهم

بقذف ما كان معهم ففعلوا فاقبل السامري الى النار وقال يا
بني اسرايل القي ما في يدي قالوا نعم فقذفه وقال كن عجلا جسدا
له خوار وقيل ان السامري امرهم بالقا ذلك الحلي وقال انما
طالت غيبة موسى عنكم لاجل ما معكم من الحلي فاحفروا له
حفرة وقربوه الى الله تعالى يبعث لكم نبيكم فانه كان عارية
ذكره ابو سليمن الدمشقي وفي اتخاذ العجل ثلثة اقوال احدها
حب السامري البقر والثاني ان بني اسرايل لما مروا على قوم يعكفون
على اصنام لهم اعجبهم ذلك فلما سالوا موسى ان يجعل لهم الها
وانكر عليهم اخرج لهم السامري في غيبته عجلا لما راى من
استحسانهم ذلك قاله ابن زيد والاول عن ابن عباس والثالث
ذكره القشيري انهم اختاروا صورة العجل لكثرة منافع البقر
من الزرع والضرع واختلفوا هل صار حيوانا لحما ودما ام لا فقال
الحسن انقلب حيوانا لحما ودما وقال غيره لا يجوز ذلك لان ذلك
من آيات الله التي لا يظهرها الا المعجزة نبي وانما جعل فيه خروق فاذا دخلها
الريح فيحدث فيه صوتا كالخوار والذي قال بالقول الاول اعتذر
بان ذلك لا يجوز في غير زمان الانبيا ويجوز في زمان الانبيا لانهم
يظهرون ابطاله وقد كان ذلك في زمن نبيين ولانه لما قال هذا
الهكم واله موسى فقد ابطل على نفسه ان يدعي بذلك اعجاز
الانبيا فاذا ان يصح ذلك منه امتحانا واختلفوا في تسميته عجلا فقال
ابو العالية لانهم عجلوا فاتخذوه الها قبل ان ياتيهم موسى وقال
غيره بل سمي بذلك لانه عجل بان صار عجلا جسدا وقيل افتتن
بالعجل ثمنية الاف منهم وقيل لا بل المتنعون عن عبادة العجل
كانوا ثمنية الاف وعبد معظمهم العجل **قوله تعالى** وانتم
ظالمون اي ضارون لانفسكم وواضعون العبادة في غير

موضعها

موضعها وقيل وانتم ظالمون بمخالفة محمد عليه السلم **قوله
تعالى** ثم عفونا عنكم اي تركناكم ولم نستاصلكم قال الله تعالى فمن
عفي له من اخيه شي اي ترك ومنه قوله عليه السلم احفوا الشوا
واعفوا اللحا وقيل محونا ذنوبكم تقول العرب عفت الرياح
الآثار عفوا اذا درستها ومحتها وقيل العفو ما فضل عن الكفاف
وسمحت النفس ببذله ومنه قوله تعالى ويسلونك ماذا ينفقون
قل العفو اي ما فضل عن القوت والمراد بالعفو قبول التوبة
من عبدة العجل **قوله** من بعد ذلك اي من بعد عبادة العجل ولم
يقل من بعد ذلكم وان كان الخطاب للجمع لانفصال الخطاب بذا
وهو منهم فصار يجمع على الاصل في مخاطبة الجمع وتارة يوخذ
على اللفظ لان لفظ المبهم على الواحد **قوله تعالى** لعلكم تشكرون
ليس فيه ترديد ولكن ذكره على ما يخاطب به العباد الى هذا
مما يرجى به الشكر فيما بين العباد وقيل لعلكم تشكرون اي
لكي تشكرون واراد به المومنين الذين يشكرون هذه النعمة
وقيل اي ليكون المومنون على رجا من شكركم واصل لعل من
تكرار الشي من قولهم شرب عللا بعد نهل واللام للتاكيد مثل
قد ولقد يقال علك ان تفعل كذا اي لعلك فاذا قلت افعل كذا
لعلك تظفر بحاجتك ومعناه افعله فان فعله يوكد طلبك ويقو
عليه واختلف العلما في ماهية الشكر فقال ابن عباس هو الطاعة
بجميع الجوارح لرب الخلايق في السر والعلانية وقال الحسن
شكر النعمة ذكرها قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقال الفضيل
شكر كل نعمة ان لا تعصي الله بعد تلك النعمة وقال الجنيد حقيقة
الشكر العجز عن الشكر وروي ذلك عن داود عليه السلم
انه قال سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا
كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال ابو بكر محمد

ابن عمر الوراق حقيقة الشكر معرفة المنعم وان لا تعرف
لنفسك في النعمة حظا بل تراها من الله تعالى قال تعالى وما
بكم من نعمة فمن الله وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال قال موسى عليه السلم يا رب كيف استطاع آدم
ان يؤدي شكر ما اجريت عليه من نعمك وخلقته بيدك واسجدت
له ملائكتك واسكنته جنتك فاوحى الله تعالى اليه يا موسى ان
آدم علم ان ذلك كله مني ومن عندي فذلك شكره ۝ وعن وهب
ابن منبه قال قال داود عليه السلم الهي كيف لي ان اشكرك وانا
لا اصل الى شكرك الا بنعمتك فاوحى الله تعالى اليه الست تعلم ان
الذي بك من النعم مني قال بلى يا رب قال ارضى بذلك لك شكرا
وكذلك قال موسى عليه السلم يا رب انعمت علي بالنعم السوابغ و
امرتني بالشكر لك عليها وانما شكري اياك نعمة منك علي فقال
الله تعالى له يا موسى تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي
ان يعلم انما به من نعمة فهو مني وقال ابو عثمن الحيري صدق
الشكر ان لا تمدح بلسانك غير المنعم وقيل اشكر الشاكرين الطاهر
من الذنوب يعد نفسه من المذنبين والمجتهد في النوافل بعد
اداء الفرايض يعد نفسه من المقصرين والراضي بالقليل من
الدنيا يعد نفسه من الراغبين والقاطع بذكر الله دهره
يعد نفسه من الغافلين والذايب في العمل عمره يعد نفسه
من المفلسين فشكر المنعم واجب شرعا ومقتضى عادة وعرفا
ولا منعم على الحقيقة الا الله تعالى لانه هو الموجد للنعم ابتداء
وموصل منافعها الى المنعم عليه انتهاء وحقيقة شكره تعالى رؤية
القلب النعمة منه وحده لا من غيره ثم الثنا عليه بها باللسان
ثم الاستعانة بها على طاعته وعبادته بالاركان قال الله تعالى

يا ايها

يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ونعم الله على عبده
لا تحصى الا ان منها ما ينفرد الحق به ابتداء ومنها ما يوصله الى
العبد على ايدي الوسايط والاسباب حكمة وابتلا فاوجب
للوسايط حقا من الشكر بقوله صلى الله عليه وسلم لا يشكر
الله من لا يشكر الناس فوسايط النعم الدينية كالانبيا عليهم
السلم اوجب الله تعالى طاعتهم والصلاة عليهم والدعا لهم ثم
العلما بالدين جعلهم سببا لوصول نعمة العلم على ايديهم اوجب
شكرهم وحرمتهم وتعظيمهم ومن اشبههم في نعمة من نعم الدين
ثم الايمة لما انتظمت بهم نعم الدين والدنيا فقال تعالى اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ثم الوالدين اذ جعلهما
سببين نعمة الوجود ثم من جعله من الادميين سببا يجري الى
العبد على يديه نعمة الارزاق والارفاق اوجب لكل من الشكر
بحسب ما اجرى على يديه من البر وقد قال صلى الله عليه وسلم
من اسدى اليكم معروفا فكافوه فان لم تستطيعوا فادعوا
له حتى تعلموا ان قد كافاتموه فحث صلى الله عليه وسلم على شكر
الوسايط للنعم بعد شكره تعالى فمن ضيع حق العباد الذي
هو ايسر الشكرين اما مقابلة مع القدرة او دعا وثنا حسنا مع
العقد كان لشكر الله الذي هو اعظم قدرا والخلق عنه اعجز
اضيع ويجوز ان يكون الحث على شكر الوسايط ليتفرغ قلب العبد
من منتهم ويتخلص عن محبتهم اذا جازاهم بما امر مجازاته على
تسببهم فيخلى قلبه لله تعالى بكليته فيصح منه اداء شكره
بحسب وسع طاقته **قوله تعالى** واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان
الفرقان مصدر فرقت بين الشيئين افرق فرقا وفرقانا كالرجحان
ويسمى كل فارق فرقانا كما سمي كتاب الله الفرقان لفصله بين الحق
والباطل وسمى الله تعالى يوم بدر يوم الفرقان لانه فرق في

ذلك اليوم بين الحق والباطل وقوله ان تتقوا الله يجعل لكم
فرقانا اي يفرق بينكم وبين ذنوبكم واختلفوا في معنى الفرقان
في هذه الاية فقال مجاهد هو بمعنى الكتاب وهما شي واحد وهو
اختيار الفرا والعرب تكرر الشي اذا اختلفت الفاظه على التوهم
كقول عدي بن زيد

وقددت الاديم لراهشيه ؞ والفى قولها كذبا ومينا

وقال عنترة

حييت من طلل تقادم عهده ؞ اقوى واقفر بعد ام الهيثم

وارتضى الزجاج هذا القول قال لان الله تعالى ذكر لموسى الفرقان
في غير هذا الموضع وهو قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون
الفرقان فعلى هذا القول الفرقان هو الكتاب والكتاب
هو الفرقان وقيل ان الفرقان ما في التورية من الفرق بين
الحق والباطل والوعد والوعيد فيكون الفرقان نعتا للكتاب
وهو قول ابي العالية واختاره الكسائي قال وزيدت الواو فيه
كما يزاد في النعوت من قولهم فلان حسن وطويل ودليل هذا
التاويل قوله تعالى ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن
وتفصيلا لكل شي وقال قطرب اراد بالفرقان القران وفي
الاية اضمار ومعناه واذ آتينا موسى الكتاب ومحمدا الفرقان فحذف
لدلالة الكلام عليه وكانهم خاطبهم فقال قد اعطيناكم علم
موسى وعلم محمد عليهما السلم لعلكم تهتدون بهذين الكتابين
وقال ابن عباس اراد بالفرقان النصر على الاعداء يدل عليه قوله
تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان فنصر الله موسى عليه السلم
واهلك فرعون وقومه وقيل الفرقان هو المخرج عن الشبهات
وقيل الفرقان انفلاق البحر لبني اسرايل حتى عبروا يدل عليه

وقد

قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر ويجوز التكرير تاكيدا وان سبق
ذكر هذه النعمة قاله يمان واختاره الزجاج قوله تعالى واذ
قال موسى لقومه يعني الذين عبدوا العجل والقوم اسم الرجال دون
النسا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ولا نسآء من نسآء وانما
سموا قوما لانهم يقومون بالامور قوله تعالى يا قوم ندا مضاف
حذف منه اليا اكتفا بالكسر وهذا يجوز في الندا خاصة لانه لا يلبس
ومنهم من يثبت اليا ساكنة كقوله تعالى يا عبادي ومنهم من يفتحها
كقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم ومنهم من يقلبها
الفا بعد فتح ما قبلها ومنهم من يقول يا قوم بضم والاجود الاكتفاء
بالكسرة قوله تعالى انكم ظلمتم انفسكم اي نقصتم حظ انفسكم باتخاذكم
العجل فيه اضمار اي باتخاذكم العجل معبودا قالوا باي شي نصنع وما الحيلة
قال فتوبوا الى بارئكم اي ارجعوا اليه بالطاعة والتوحيد والبارئ
الخالق والبرية الخلق وهي فعيلة بمعنى مفعوله واختلفوا في هذه
التسمية على اربعة اقوال احدها انها ماخوذة من برا الله الخلق
يبراهم برا والثاني انها فعيلة من البرا وهو التراب والثالث انها
ماخوذة من بريت العود والرابع انها ماخوذة من بري الشي
من الشي وهو انفصاله منه ومنه البراة من الدين لانفصاله
عنه وابراه الله من المرض اذا ازاله عنه والقرا بكسر الهمزة في
بارئكم ويامركم وينصركم لان كسرها اعراب وروي عن ابي عمرو
انه كان يختلس حركة الهمزة كانه يخفف الحركة ويقرا بها من الجزم
فرارا من توالي الحركات وسيبويه لا يثبت هذه الرواية وكان
يقول ان الراوي لم يضبط عن ابي عمرو لان ابا عمرو اختلس
الحركة فظن السامع انه سكن قوله فاقتلوا انفسكم اي فقالوا
كيف نتوب قال فاقتلوا انفسكم اصل القتل اماتة الحركة ومنه

قلت الخمر بالماء اذا مزجتها لانك امتّ حركتها وقوله انفسكم
فيه ستة اقوال احدها ليقتل البري المجرم وذكر قتل النفس
اراد به الاخوان كقوله ولا تلمزوا انفسكم اي لا تغتابوا اخوانكم
والثاني من قتل اباه او اخاه فكانه قتل نفسه الثالث معناه واستسلموا
للقتل وجعل ذلك بمنزلة القتل توسعا هذا قول ابن اسحق والرابع
ان هذا الخطاب للكل قاله السدي والخامس هذا خطاب لعبدة
العجل ان يقتل بعضهم بعضا والسادس انه امر السبعون الذين
خرجوا مع موسى عليه السلم بقتل الباقين حكاه القشيري وقال
اجمعوا على انه لم يؤمر كل واحد من عبدة العجل بان يقتل نفسه بيده
وهكذا ذكره النقاش لا مري الى قوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون
انفسكم اي نظراءكم في الدين وقوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا
اي من جنسكم قال قتادة انما جعلت توبتهم القتل لانهم ارتدوا بعبادة
العجل والردة موجبة للقتل وقرأ قتادة فاقتلوا انفسكم من الاقالة
اي استقيلوا العثرة بالتوبة فلما امرهم موسى عليه السلم بالقتل
قالوا نصبر لامر الله فجلسوا بالافنية محتبين واصلت القوم عليهم
الخناجر فكان الرجل يرى ابنه واباه وقريبه وجاره وصديقه فلا
يقتله فارسل الله عليهم ضبابة وسحابة سودا لا يبصر بعضهم
بعضا وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد
او رجل فهو ملعون مردود توبته فكانوا يقتلونهم الى المساء
فلما كثر القتل فيهم دعا موسى وهرون وبكيا وجزعا وتضرعا وقالا
يا رب هلكت بنو اسرائيل فكشف الله السحابة وامرهم ان يرفعوا
السلاح عنهم ويكفوا عن القتل فكشف الله عنهم السحابة وانجلت
عن الوف من القتلى فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله اليه اما يرضيكم
اني ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن
بقي مكفرا عنه ذنوبه فبشر موسى بذلك بني اسرائيل قال ابن

جريج انما جعل القتل توبة لان من كف عن الانكار لعبادة العجل انما
كف خوفا من القتال والقتل فجعلت توبتهم بالقتل الذي خافوه
قوله تعالى ذلكم خير لكم عند بارئكم اي توبتكم خير لكم قوله تعالى فتاب
عليكم اي فعلتم ما امرتم به فتاب عليكم وقيل فتوبوا فانكم ان فعلتم
ذلك تاب عليكم انه هو التواب الرحيم قوله تعالى واذ قلتم لن
نؤمن لك انما قال لك لا بك لان المعنى لن نؤمن لاجل قولك او يكون
محمولا على ان نقر لك بما ادعيته ذكر سببا آخر من جهلهم ومن نعمته
عليهم باحيائهم بعد الصاعقة وفي القائلين لذلك قولان احدهما
جميع بني اسرائيل الا من عصم الله منهم قاله ابن زيد وذلك انه
اتاهم بكتاب الله فقالوا والله لن ناخذ بقولك حتى نرى الله جهرة
فيقول هذا كتابي والثاني انهم السبعون المختارون قاله ابن عباس
وابن مسعود قال المفسرون ان الله امر موسى ان يأتيه في ناس
من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين
رجلا من خيارهم وخرج بهم الى طور سينا وسمعوا كلام الله تعالى وكان
موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد من
بني اسرائيل ولا غيرهم ان ينظر اليه ويغشاه عمود من غمام فلما
فرغ موسى وانكشف الغمام قالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
وجهرة مصدر في موضع الحال من اسم الله اي نراه ظاهرا غير مستور
وقيل هو حال من التا والميم في قلتم قراءة العامة بجزم الها وقرى
ابن عباس جهرة بفتح الها وهما لغتان والمعنى معاينة بلا ساتر
بيننا وبينه واصل الجهر الكشف والظهور ومنه الجهر بالقراءة
والمجاهرة بالمعاصي قوله تعالى فاخذتكم الصاعقة وقرأ عمر وعثمن
وعلي رضي الله عنهم اجمعين بغير الف وقرأ الباقون الصاعقة بالالف
وهما لغتان اي ما يصعقون به اي يموتون لانه قال ثم بعثناكم

يا موسى

اي قلتم مجاهرين
وقيل هو مصدر
منصوب بفعل
محذوف اي جهرتم
جهرة

من بعد موتكم ثم قيل كانت هذه الصاعقة صوتا يزيل العقل والفهم
والحياة وقيل جاءت نار من السما فاحرقتهم جميعا قيل كانت رجفة
قال الله تعالى فلما اخذتهم الرجفة وقيل ارسل الله جنودا فلما
سمعوا حسها ماتوا وفيها ثلث لغات الصاعقة والصعقة
والصاقعة وقال ابو زيد الصاعقة ما يخرج من السما والصاقعة
التي تصيب الراس وانما اخذتهم الصاعقة لانهم اقترحوا معجزة
بعد ان راوا المعجزات واما موسى عليه السلم فلم يعاقب لما سال
الروية لانه سال ايمانا وتصديقا لا شكا وتعنتا وقيل علقوا
ايمانهم على شي اعتقدوه محالا وعرضهم لن نومن لك قط فلهذا
عاقبهم وقال القفال انهم عوقبوا لانهم سالوا ما يستحيل
في حق الله واما موسى عليه السلم فانما طلب الروية لقومه ولهذا
عاقبهم قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفها
منا قال والسفهاء الذين سالوا الروية وعند اهل الحق فعل السفها
عبادة العجل **قوله تعالى** وانتم تنظرون يريد ينظر بعضكم الى بعض
عند نزول الصعقة وقيل ينظر بعضكم احيا بعض وقيل تنظرون
العذاب كيف ينزل بكم وهذه الاية تتضمن التوبيخ لهم على مخالفة الرسول
عليه السلم مع قيام معجزته كما خالف اسلافهم موسى وقيل هو خطاب
لاهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم والنظر الانتظار اي انتم تنظرون
عقوبة الله ان لم تومنوا حكاه القشيري **قوله تعالى** ثم بعثناكم
من بعد موتكم وذلك انهم لما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول
يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل ولم يزل يناشده حتى احياهم الله تعالى
رجلا رجلا ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون واصل البعث
الارسال وقيل بل اصله اثارة الشي عن مكانه ونشر الميت كبعث
النايم قال ابن الانباري كل موت جعل البعث عنه في الدنيا فحكمه

وقال

الصانع

حكم

حكم النوم لان الله تعالى اثبت للخلق الاماتة في دار الدنيا مرة
واحدة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة
وقال قتادة بعثهم الله ليستوفوا بقية اجالهم وارزاقهم ولو
ماتوا باجالهم لم يبعثوا ولكن ذلك الموت كان عقوبة لهم على ما
قالوا وقال السدي انهم بعد الاحيا سالوا ان يبعثوا انبيا فبعثهم
الله انبيا وهذه الاية حجة على مشركي العرب الذين كفروا بالبعث
فاحتج النبي صلى الله عليه وسلم باحيا من بعث بعد موته في الدنيا
فيما يوافق عليه اليهود والنصارى **قوله تعالى** لعلكم تشكرون
اي نعمة البعث وقيل لكي تومنوا لان الشكر من صفات المومنين **قوله
تعالى** وظللنا عليكم الغمام اي جعلناه ظلا وسترا عن حر الشمس
والظل معناه في اللغة الستر يقال ادام الله عنا ظل فلان اي
ستره وقال تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل وليس كقولك
ظللت زيدا بظل لان ذلك يودي الى ان يكون الغمام مستورا
بظل اخر والغمام جمع غمامة وهي السحاب سمي غماما لانه يغم السما
اي يسترها وكل مغطى مغموم وقيل الغمام السحاب الابيض والصحيح
ان يقال هو جنس فاذا اردت الواحد زدت عليه التا قال المفسر
وهذا كان حين امتنعوا من دخول مدينة الجبارين وقالوا لموسى
اذهب انت وربك فقاتلا الاية فعاقبهم الله بان يبقوا اربعين سنة في
التيه وكانت المفازة اثنا عشر فرسخا يعني التيه ثم ندموا على ذلك
وشكوا الى موسى عليه السلم حر الشمس فانزل الله عليهم غماما ابيض
رقيقا وليس بغمام المطر بل ارق واطيب وابرد منه فاظلهم وكان
لهم عمود من نور يمد لهم من السماء يسير معهم بالليل مكان القمر
وقيل كان هذا في البرية قبل ان يضرب عليهم التيه فلما خالفوا موسى

ون

عليه السلام ظلموا انفسهم وقال مجاهد الغمام الذي اظلهم
هو الذي اتت الملائكة في يوم بدر مثل قوله تعالى هل ينظرون
الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام فقالوا هذا الظل قد حصل
فاين الطعام فانزل الله عليهم المن والسلوى كرامة لهم ومعجزة
لنبيهم وفي المن والسلوى ستة اقوال احدها انه شيء كالصمغ
يقع على الاشجار طعمه كالشهد قاله مجاهد والثاني الخبز الرقاق
قاله وهب والثالث انه عسل كان يقع على الشجر من الليل قاله السدي
والرابع انه شيء انزله الله عليهم مثل الرب الغليظ قاله عكرمة و
الخامس انه الزنجبيل حكي عن السدي والسادس انه شراب كان ينزل
عليهم يشربونه بعد مزجه بالماء قاله الربيع بن انس قال الزجاج
المن ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب وان لم يتعين لنا ما وقعت
به الكفاية وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكماة
من المن وماؤها شفاء للعين فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته
فادع لنا ربك اللحم فدعا موسى عليه السلام فانزل الله تعالى عليهم
السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس واكثر المفسرين هو طائر
يشبه السماني وقيل هو السماني قال مقاتل كان الله يبعث سحابة
تمطر لهم السماني وقال عكرمة هو طير يكون بالهند اكبر من العصفور
والواحد سلواة وقيل السلوى وضعت للواحد والجمع واشتقاقها
من السلو كانه يسلي عن غيره قال عامة المفسرين انهم كانوا ياخذونها
ويذبحونها وقال بعضهم كان يأتيهم مشويا وقال المورج هو العسل
بلغة كنانة قال الشاعر

وقاسمها بالله حقا لانتم الذ من السلوى اذا ما نشورها

وهذا على قول من يقول المن الخبز قال ابن جريج كان الله تعالى يرسل

عليهم

عليهم المن والسلوى فياخذ كل واحد منهم ما يكفيه يومه و
ليلته فان اخذ زيادة عن طعام يومه وليلته فسد عليه الا يوم
الجمعة فانهم كانوا ياخذون ليوم السبت لم يكن ينزل عليهم فيه
شيء قوله تعالى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات من هاهنا للتبعيض
او لبيان الجنس والمفعول محذوف والتقدير كلوا شيئا من طيبات
وفيه قولان احدهما انها الحلال والحرام يكون خبيثا واصل الطيب
الطاهر سمي الحلال طيبا لانه طاهر لم يتدنس بكونه حراما والثاني
انها المشتهات اللذيذة ونهاهم الله عن الادخار فخالفوا فقطع الله
ذلك عنهم ودود وفسد ما ادخروا فذلك قوله تعالى وما ظلمونا
اي ما ضرونا بالمعصية ولكن كانوا انفسهم يظلمون يضرون باستيجابهم
عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا كلفة ولا مؤنة
ولا حساب ولا تبعة في العقبى قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا
هذه القرية القرية نعت لهذه قال المفسرون ان بني اسرائيل لما
خرجوا من التيه قال الله لهم ادخلوا هذه القرية قال ابن عباس هي
اريحا وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم
العمالقة ورأسهم عوج بن عنق وقيل هي بلقاء وقال ابن كيسان هي
الشام وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وتدمر
وقال مجاهد بيت المقدس وقال مقاتل هي ايليا والقرية بفتح
القاف والجمع قرى والقرية لغة مثل كسوة وكسى واشتقاقه
القرية من قريت اي جمعت ومنه المقراة للحوض يجمع فيه الماء
يقال لبيت النمل قرية لانه يجمع النمل فالقرية يجمع اهلها قوله
تعالى فكلوا منها حيث شئتم رغدا الرغد الكثير بغير فوت ولا حساب
والمعنى موسعا عليكم قوله تعالى وادخلوا الباب يعني بابا من

ابواب القرية وكان لها سبعة ابواب وقال مجاهد والسدي
هو باب حطة وهو معروف وقال غيره الباب وجها من وجوه
القرية كما يقال هذا باب الامير اي وجهه حكاه القشيري قوله
تعالى سجدا حال وهو جمع ساجد وهو ابلغ من السجود قال ابن
عباس ركعا وهو شدة الانحناء وقال وهب قيل لهم ادخلوا الباب
فاذا دخلتموه فاسجدوا شكرا لله تعالى اذ ردهم اليها وقيل معناه
خاضعين متواضعين واصل السجود الخضوع قوله تعالى وقولوا
حطة خبر مبتدا محذوف اي سوالنا حطة بالنصب على المصدر
اي حط عنا خطايانا وهي فعلة من الحط وهو وضع الشي من اعلى الى اسفل
وفي حطة خمسة اقوال احدها انه قول لا اله الا الله لانها تحط
الذنوب قاله عكرمة وروي عن ابن عباس والثاني ان حطة المغفرة
فكانه امر بالاستغفار وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس
والثالث هو لهم هذا الامر حق كما قيل لكم وهو رواية الضحاك عن ابن
والرابع معناه حط عنا خطايانا وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد
وهذا اشبه بظاهر اللفظ والخامس هو بسم الله فيكون المعنى قولوا
ما هو سبب لحط ذنوبكم ثم قيل تعبد وبلفظه مخصوصة فخانوا
وقيل لم يعين لهم لفظ بل امروا بالاعتقاد على الجملة قوله تعالى يغفر
لكم جواب الامر وهو مجزوم في الحقيقة بشرط محذوف تقديره ان
تقولوا ذلك يغفر لكم واجمع القرا على اظهار الرا عند اللام الا
ما روي عن ابي عمرو من ادغامه الرا عند اللام عند اللام قال الزجاج
وهو خطا فاحش واحسب الذين رووا ذلك عن ابي عمرو غالطين
ولا يدغم الرا في اللام لان الرا حرف مكرر فهو في تقدير حرفين ولا
يدغم الزايد في الناقص فلو ادغمت الرا في اللام لذهب التكرير
من الرا واللام المشددة لا تكرر فيها وقرا اهل المدينة يغفر

بيا

بياء
مضمومة على ما لم يسم فاعله وقرا اهل الشام بتا مضمومة كذلك
لانه فصل بين الفعل والفاعل ولان تانيث الخطاب غير حقيقي
واصل الغفر الستر والتغطية وغفر الله ذنوبه اي سترها
والمغفر يكون تحت بيضة الحديد قوله تعالى خطاياكم هو
جمع خطيئة واصله عند الخليل خطايئ بهمزتين الاولى منهما مكسو رة
وهي المنقلبة عن الياء الزائدة في خطيئة مثل صحيفة وصحايف
فاستثقل الجمع بين الهمزتين فنقلوا الهمزة الاولى الى موضع الثانية
فصار وزنه فعالى وانما نقلوا ذلك لتصير المكسورة طرفا فتنقلب
ياء فتصير فعالي ثم ابدلوا من كسرة الهمزة الاولى فتحة فانقلبت
اليا بعدها الفا كما قالوا في يالهفي ويا اسفي فصارت الهمزة بين الفين
فابدل منها ياء لان الهمزة قريبة من الالف فاستكرهوا اجتماع
ثلث الفات وقال الفرا الواحدة خطية بتخفيف الهمزة والادغام
فهو مثل مطية ومطايا والخطيئة الذنب على عمد قال ابو الهيثم
يقال خطي ما صنعه عمدا واخطي ما صنعه خطا غير عمد قوله عز
وجل وسنزيد المحسنين اي الذين لم يكونوا من اهل تلك الخطيئة
احسانا وثوابا قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا في الكلام حذف
تقديره فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل
يتعدى الى مفعول واحد بنفسه والى اخر بالباء والذي مع الباء يكون
هو المتروك والذي بغير باء هو الموجود ويجوز ان يكون بدل محمولا
على المعنى تقديره فقال الذين ظلموا قولا غير الذي لان تبديل القول
كان بقول والمعنى انهم بدلوا ما امروا به من قول وفعل فالفعل
السجود والقول حطة فاما تغيير الفعل قال مجاهد طوطي الباب
ليخفضوا روسهم فاله ابن مسعود وقيل دخلوا مستقلين قاله

لهم

قاله مقاتل وقيل دخلوا منحرفين على شق وجوههم واما تغيير القول
فقيل انهم قالوا مكان حطة حبة في شعيرة مستهزئين بذلك
رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا حطة قاله
ابن عباس وعكرمة ومجاهد ووهب وابن زيد استخفافا بامر
الله وقيل قالوا هطا سمقاثا يعنون حنطة حمرا استخفافا بامر
الله بلغة النبط **قوله تعالى** فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء
الرجز العذاب قال الله تعالى لئن كشفت عنا الرجز اي العذاب
ويسمى كيد الشيطان رجزا لانه سبب العذاب قال الله تعالى ليذهب
عنكم رجز الشيطان وقال تعالى والرجز فاهجر قيل اراد به عبادة
الاوثان لانه سبب العذاب والرجز بكسر الرا لغتان وفي ما
هيئة هذا العذاب خمسة اقوال احدها ان الله تعالى ارسل عليهم
ظلمة وطاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا قاله
الضحاك والثاني ظلمة وموت قاله ابن عباس والثالث ثلج قاله سعيد
ابن جبير والرابع انه الغضب قاله ابو العالية والخامس نزلت نار
فاحرقتهم وقيل بقوا فيه اربعين يوما واصل الكلمة تتابع الحركات
وناقة رجزا اذا كانت ترتعد قوائمها عند قيامها والرجز ضرب
من الشعر لقصر ابياته وسرعة الخروج من بيت الى بيت والرجز
العذاب المقلقل لشدته **قوله تعالى** بما كانوا يفسقون اي بخروجهم
عن الطاعة فالبا بمعنى السبب وفي تكرار الذين ظلموا زيادة في تقبيح
امرهم وايذان ان انزل الرجز عليهم من اجل ظلمهم ثم رجع الى قصة
موسى عليه السلم حين كانوا في التيه فقال تعالى واذ استسقى موسى
لقومه فيه سين السؤال اي سال السقيا لقومه وذلك انهم
عطشوا في التيه فقالوا يا موسى من اين لنا الشرب فاستسقى
لهم موسى فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك الحجر وكانت عصا

الاولى كابر عن كابر

موسى من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى لها شعبتان
تتوقدان في الظلمة وكان آدم عليه السلم معه من الجنة الى الارض
فتوارثه الانبيا عليهم السلام صاغرا عن كابر من لدن آدم عليه
السلام حتى وصل الى شعيب عليه السلم فاعطاه موسى عليه السلم
والف العصا من واو ولان تثنيتها عصوان وتقول عصوت
بالعصا اي ضربت بها واختلفوا في الحجر فقال وهب بن منبه
هو غير معين والمامور به ضرب حجر اي حجر اكان وقال ابن
عباس وابن جبير وقتادة وعطية انه حجر مخصوص معين
والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الالف واللام للتعريف
ثم اختلفوا فيه ما هو فقال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا
مثل راس الرجل امر ان يحمله وكان يضعه في مخلاته فاذا احتا جوا
الى الماء وضعه وضربه بعصاه وفي بعض الكتب انها كانت
رخاما وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع عليه موسى عليه
السلم ثوبه ليغتسل فجاه جبريل عليه السلم فقال ان الله تعالى
يقول لك ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فكان
اذا احتاج الى الما ضربه وقيل رفعه موسى عليه السلام من اسفل
البحر حيث مر فيه مع قومه وقيل ذلك الحجر كان من الجنة **قوله
تعالى** فانفجرت منه اي فضربه فانفجرت اي انشقت والانفجار
الانشقاق وسمي فجر النهار لشقه ظلمة الليل والانبجاس اضيق
منه لانه يكون انبجاسا ثم يصير انفجارا وقيل الانفجار والانبجاس
بمعنى واحد **قوله تعالى** اثنتا عشرة عينا قراة العامة بسكون
الشين على التخفيف وقرا العباس بن الفضل الانصاري بفتح الشين
على الاصل وقرا ابو جعفر المدني بكسر الشين ولما كان القوم اثني عشر

سبطا اخرج الله لهم اثنى عشرة عينا والعين من الاسما المشتركه
قوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم اراد كل انسان منهم
يعني الاسباط والمشرب يجوز ان يكون مصدرا مثل المدخل والمخرج
ويجوز ان يكون موضعا اى موضع شربهم قال المفسرون كان
في ذلك الحجر اثنى عشر حفرة وكانوا اذا نزلوا وضعوا الحجر
وجا كل سبط منهم الى حفرته فيفجر والجداول الى اهلها فاذا
ارتحلوا انقطع الما والحكمة في ذلك ان الاسباط كان بينهم مباهاة
وكل سبط لا يتزوج من سبط آخر واراد كل سبط تكثير سبط
نفسه فجعل لكل سبط منهم نهر على حدته يسقى منه اهله ودوابه
لئلا يقع نزاع قوله تعالى كلوا واشربوا اى قلنا لهم ذلك قوله
تعالى ولا تعثوا يقال عثى عثا ويقال ايضا عثا يعثوا وعاث يعيث
وهو اشد الفساد وقوله مفسدين حال موكده وقيل العثى الخلط
اى لا تخلطوا في اموركم مفسدين قوله تعالى واذ قلتم يا موسى
لن نصبر على طعام واحد يريد نوعا آخر من عتوهم واعتراضهم على
انبيائهم وهوانهم قالوا لن نصبر على طعام واحد والطعام اسم
جامع لما يوكل وانما قالوا طعام واحد وهما اثنان المن والسلوى
لان العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد وعن الواحد بلفظ الاثنين
كقوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من الملح منهما
دون العذب وقال عبد الرحمن ابن زيد بن اسلم كانوا يعجنون المن
والسلوى فيصير طعاما واحدا فياكلونه قال المفسرون انهم
ملوا عيشهم وما كانوا ياكلونه وذكروا عيشا كان لهم بمصر
فقالوا لموسى ادع لنا ربك اى ادع لاجلنا ربك وسله ان يخرج
لنا مما تنبت الارض وابقلت لغتان قوله وقثائها فيه لغتان كسر

القاف

ده

س

ان مصيرهم الى النار اذا ما تواد معنى الحرص شدة الطلب وفي مصحف
ابي على الحيوة والوجود بمعنى العلم تقول وجدت فلانا اوثقه الناس
وان كنت لم تره والمومن ايضا لا يتمنى الموت ولكن لخوف تقصيره
في حقوق الله تعالى لا كقولهم نحن ابنا الله واحباوه وقولهم ان الدار
الآخرة لنا والعشرة الذين بشروا بالجنة ما كانوا يكرهون الموت
الا كراهية الطبع وكم في المسلمين ممن يتسارع الى الجهاد والحرص
على الشهادة قوله تعالى ومن الذين اشركوا قيل هو متصل
بالكلام الاول معناه واحرص من الذين اشركوا قال الفرا وهذا
كما يقال هو اسخى الناس ومن حاتم اى واسخى من حاتم وقيل هو ابتدا
وتمام الكلام عند قوله على حيوة ثم ابتدا بواو الاستفهام واضمر
ليود اسما تقديره ومن الذين اشركوا من يود احدهم ومعنى
الاشراك عبادة غير الله تعالى وهو ان يجعل عبادته مشتركه
بين الله وغيره قال ابو العالية والربيع اراد بالذين اشركوا المجوس
وانما وصفوا بالاشراك لانهم يقولون بالنور والظلمة وانما ذكر
الف سنة لانها كانت نهاية ما تدعوا المجوس لملوكها كان الملك
يحيا بان يقال له عش الف سنة والف مهرجان وقال ابن عباس
اراد بالذين اشركوا منكري البعث ومن انكر البعث احب الحيوة
ومعنى يود يريد ويتمنى وماضي يود وددت بكسر الدال العين
فكذلك صحت الواو لانها لم تكسر ما بعدها في المستقبل وفرق
بين ان يقول احرص الناس وبين ان تقول احرص من الناس
فان قولك احرص الناس تقتضي تفضيله في الحرص وعلى الناس
الحريص منهم وغير الحراص وقولك احرص من الناس تقتضي ان
يكون الناس كلهم حراصا ثم يزيد حرصه على حرصهم قوله تعالى

نيروز

لو يعمر يقال عمره الله اي اطال عمره واصله من العمارة التي هي
ضد الخراب والعمر اسم للمدة التي يعمر فيها البدن بالحياة الف
سنة سمي الالف الفا لانه تاليف العشرات والميات في عقد والالف
يذكر وان انث على الجمع فهو سايغ والسنة مدة اثني عشر شهرا
ولو هنا بمعنى ان الناصبة للفعل ولكن لا ينصب وليست التي
يمتنع بها الشي لامتناع غيره يدل على ذلك شيان احدهما ان هذه
يلزمها المستقبل والاخرى معناها في الماضي ويعمر يتعدى
الى مفعول واحد وقد اقيم مقام الفاعل الف سنة ظرف قوله
تعالى وما هو بمزحزحه في ضمير احدا اي وما احدهم بمزحزحه من
العذاب تعميره والثاني ان يكون هو ضمير التعمير وقد دل عليه
قوله لو يعمر وقوله ان يعمر بدل من هو ولا يجوز ان يكون هو ضمير
الشان لان المفسر لضمير الشان مبتدا وخبر ودخول البا في بمزحزحه
يمنع من ذلك والزحزحة الابعاد والتنحية يقال زحزحته
فتزحزح والمعنى ما زحزحه تعميره قوله تعالى والله بصير بما
تعملون قري بالتا قوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل من شرطية
جوابها محذوف تقديره فليمت غيظا او نحوه قال ابن عباس
اقبلت اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا من ياتيك من الملايكة
قال جبريل فقالوا ذاك ينزل بالحرب والقتال ذاك عدونا فنزلت
هذه الاية تليها وقال مقاتل قالت اليهود ان جبريل عدونا امر
ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فانزل الله هذه الاية وقال
قتادة وعكرمة والسدي كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
ارض باعلا المدينة وممرها على مدارس اليهود وكان عمر رضي الله
عنه

عنه اذا اتى ارضه ياتيهم ويسمع منهم ويكلمهم فقالوا له يا
عمر ما في اصحاب محمد احب الينا منك انهم يمرون علينا فيوذونا
وانت لا توذينا وانا لنطمع فيك فقال عمر رضي الله عنه والله
ما اتيتكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل اليكم
لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى اثاره في كتابكم
فقالوا من صاحب محمد الذي ياتيه من الملايكة قال جبريل عليه
السلم قالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب
وخسف وشدة وان ميكاييل عليه السلم ياتي بالخصب والسلم
فلو كان بدل جبريل ميكاييل لامنا فقال عمر رضي الله عنه فاني
اشهد ان من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكاييل ومن كان عدوا
لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الايات فقال عمر رضي الله عنه والذي
بعثك بالحق ما جيت الا اخبرك بقول اليهود فاذا اللطيف
الخبير قد سبقني فقال صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا
عمر فقال عمر رضي الله عنه لقد رايتني في دين الله بعد ذلك
اصلب من الحجر وفي جبريل سبع لغات جبريل بكسر الجيم والرا
من غير همز وهي لغة اهل الحجاز وبها قرا ابن عامر وابو عمرو و
الثانية جبريل بفتح الجيم وكسر الرا وبعدها يا ساكنة من غير
همز على وزن فعليل وبها قرا الحسن البصري وابن كثير الثالثة
جبرئيل بفتح الجيم والرا وبعدها همزة مكسورة على وزن جبرعيل
وبها قرا الاعمش وحمزة والكسايي قال الفرا وهي لغة تميم

وكثير من اهل نجد قال الزجاج هي اجود اللغات قال جرير
عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبريل وكذبوا ميكالا
الرابعة جبرائل بفتح الجيم والراء وهمزة بين الراء واللام مكسورة
من غير مد روى ذلك عن عاصم الخامس جبرال بفتح الجيم وكسر
الهمزة وتشديد اللام مع فتح الراء وهي قراءة ابان عن عاصم
السادسة جبرايل بيائين بعد الالف اولاهما مكسورة السابعة
جبرين بفتح الجيم ونون مكان اللام واما التفسير فجبريل اسم
اعجمي وكذلك ميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقال جماعة
من اهل العلم جبر وميك هو العبد بالسريانية وايل هو الله تعالى
مثل قولك عبد الله وعبد الرحمن وهذا في لغة العبرانية وقيل
جبريل ماخوذ من جبروت الله وميكائيل من ملكوت الله تعالى
قوله تعالى فانه نزله يعني جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير
مذكور كقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها
من دابة يعني الارض وقوله حتى توارت بالحجاب يعني الشمس وقيل
فان الله انزل جبريل على قلبك يا محمد والاول اصح واحسن لقوله
باذن الله اي بامر الله **قوله تعالى** مصدقا حال من الهاء في نزله وكذلك
هدى وبشرى اي هاديا ومبشرا **وقوله** مصدقا لما بين يديه
اي موافقا لما قبله من الكتب التي انزلها الله وهدى وبشرى
للمؤمنين رد على اليهود حين قالوا جبريل ينزل بالحرب والشدة
فقيل انه وان ينزل بالحرب والشدة على الكافرين فانه ينزل
بالهدى والبشر على المؤمنين وعني بالهدى والبشرى القرآن
فان فيه هدى من الضلالة وبشرا بالجنة لمن آمن به **قوله تعالى**

من كان

من كان عدوا لله اي من كان لله عدوه ولا يصح العداوة لله على
الحقيقة لان العداوة للشيء طلب الاضرار به وانما قيل للكافر
عدو الله من عداوة الله له او لانه يفعل فعل المعادي **قوله**
وملائكته ورسله يعني محمدا وعيسى وجبريل وميكائيل فان قيل
جبريل وميكائيل يدخلان في جملة الملائكة فلم خصهما بالذكر قلنا
تشريفا لهما وتمييزا كقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان
وكقوله وان المساجد لله بعد قوله تعالى ولله ما في السموات
وما في الارض والثاني ان اليهود لما قالت جبريل عدونا وميكائيل
ولينا خصا بالذكر لان اليهود تزعم انهم ليسوا باعداء الله
وملائكته لان جبريل وميكائيل مخصوصان من جملة الملائكة
فنص عليهما لابطال ما بينا ولونه من التخصيص وفي ميكائيل
اربع لغات ممدود مهموز مشبع على وزن ميكاعيل وهي قراءة
اهل مكة غير حفص والشام وميكائل ممدود مهموز مختلس
وهي قراءة اهل المدينة وميكئل مهموز مقصود وهي قراءة الاعمش
وابن محيص وميكال على وزن مفعال وهي قراءة اهل البصرة
وقيل الواو في ملائكته ورسله بمعنى او تقديره من كان عدوا
لاحد هؤلاء لقوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه الاية لان
الكافر بالواحد كافر بالكل فكذا عدو الواحد عدو الجميع **قوله**
تعالى فان الله عدو للكافرين معناه انه تولى تلك العداوة
بنفسه وكفى رسله وملائكته امر من عاداهم وانما قال عدو
للكافرين ولم يقل عدو لهم ليدل على انهم كافرون بهذه العداوة
ولم يقل فانه لئلا يتوهم ان المراد فان جبريل عدو لهم ايضا لو
قال فانه كان شايعا **قوله تعالى** ولقد انزلنا اليك آيات

بينات قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا وهو حبر من احبار اليهود حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل الله من آية بينة فنتبعك لها فانزل الله هذه الآية والبينة الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة لانها من ابانة احد الشيئين عن الآخر فيزول الالتباس بها **قوله تعالى** وما يكفر بها الا الفاسقون الخارجون عن اديانهم واليهود خرجت بالكفر عن شريعة موسى صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** او كلما الواو للعطف والهمزة قبلها للاستفهام على معنى الانكار والعطف هنا على معنى الكلام المتقدم في قوله افكلما جاءكم رسول وما بعده وقيل الواو زائدة وقيل هي او التي لاحد الشيئين حركت بالفتح وقد قرئ شاذا بسكونها وكلما ظرف **قوله تعالى** عاهدوا عهدا مصدر من غير لفظ الفعل المذكور ويجوز ان يكون مفعولا به اي اعطوا عهدا قال المفسرون ان اليهود عاهدوا فيما بينهم لئن خرج محمد صلى الله عليه وسلم لنؤمنن به ولنكونن معه على مشركي العرب فلما بعثه الله نقضوا العهد وكفروا به قال عطاء هي العهود التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنضير عاهدوا ان لا يعينوا عليه احدا فنقضوا ذلك واعانوا عليه قريشا يوم الخندق وقرا ابو رجاء العطاردي او كلما عوهدوا عهدا جعله مفعولين ودليل هذا التاويل **قوله تعالى** واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الآية وقيل سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن اشياء مرارا وكانوا يقولون كل مرة لئن اجبت لنؤمنن بك فيجيبهم ويبين لهم محل الاشكال

وكانوا

وكانوا ينقضون العهد ولا يؤمنون **قوله تعالى** نبذه اي نقضه واستخف به واصل النبذ الرمي والرفض **قوله** بل اكثرهم لا يؤمنون لانهم من بين كافر بنقض العهد وكافر بالجحد لامر محمد صلى الله عليه وسلم فاكثرهم غير مؤمنين لانه اسلم منهم شرذمة كعبد الله بن سلام واصحابه **قوله تعالى** ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم اي من نعته وصفته جاءهم على النعت الذي نعت به في التوراة **قوله** نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب يعني علماء اليهود تواطؤوا على كتمان امر محمد عليه السلم **قوله تعالى** كتاب الله اي القرآن وقيل التوراة لان الذين كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم نبذوا التوراة **قوله تعالى** وراء ظهورهم اي رفضوه فلم يعملوا به وهذا مثل لمن استخف بالشيء ولا يعمل به لقول العرب اجعل هذا خلف ظهرك ودبر اذنك وتحت قدمك اي اتركه واعرض عنه قال الشعبي هو بين ايديهم يقرؤونه ولكن نبذوا العمل به وقال سفيان بن عيينة ادرجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ **قوله تعالى** كانهم لا يعلمون اي امر محمد في كتابهم وقيل كانهم جهال ليسوا من اهل الكتاب **قوله تعالى** واتبعوا ما تتلوا الشياطين هو معطوف على واشربوا او على نبذه فريق اخبر عن الطائفة الذين نبذوا الكتاب بانهم اتبعوا السحر ايضا وتتلوا بمعنى تلت والمراد بلفظ الاستقبال المضي وقال ابن الفضل هو محتمل تقديره واتبعوا ما كانت تتلوا الشياطين اي تقراه وتحدث به وقرا الحسن الشياطون بالواو في موضع الرفع كل القرآن قال بعضهم هو لحن فاحش عند اكثر اهل الادب غير ان الاصمعي زعم انه سمع اعرابيا يقول بستان فلان

في ظهور السحر

جوله بستاتون قوله تعالى على ملك سليمن اى في زمن ملك سليمن
وفي بمعنى على كقوله تعالى في جذوع النخل اى عليها واذا جاز ان يكون
على بمعنى في والملك تمام القدرة واستحكامها قاله الزجاج وقصة
الاية ان الشياطين كتبوا السحر على لسان آصف هذا ما علم آصف سليمن
الملك ثم دفنوها تحت مصلاه حين نزع الله ملكه وهو لا يشعر
بذلك فلما مات عليه السلم استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا
للناس انما ملككم سليمن بهذا فتعلموه فاما علما بنو اسرائيل وصلحاؤهم
فقالوا معاذ الله ان يكون هذا من علم سليمن وان كان هذا علمه لقد
هلك سليمن واما السفلة فقالوا هذا علم سليمن واقبلوا على تعلمه
ورفضوا كتب انبيائهم فلم يزل هذه حالهم حتى بعث الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم فانزل عذر سليمن عليه وعلى واله السلام
على لسانه واظهر برآته مما رمي به فقال تعالى واتبعوا ما تتلوه
الشياطين الاية هذا قول الكلبي وقال السدي كانت الشياطين
تصعد السما فتقعد منها مقاعد السمع فيسمعون كلام الملايكة
فيما يكون في الارض من موت او غيره فياتون الكهنة ويخلطون
بما سمعوا كذبا وزورا في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بذلك
فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني اسرائيل ان الجن تعلم الغيب فبعث
سليمن في الناس وجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنها
تحت كرسيه وقال لا اسمع احدا يقول ان الشيطان يعلم الغيب
الا ضربت عنقه فلما مات سليمن عليه السلم وذهب العلما الذين
كانوا يعرفون امر سليمن ودفنه للكتب وخلف من بعدهم خلف
تمثل شيطان على صورة انسان فاتى نفرا من بني اسرائيل فقال
هل ادلكم على كنز لا تاكلونه ابدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي

وذهب

وذهب معهم فاراهم المكان وقام ناحية فقالوا ادن فقال
لا ولكني ها هنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك انه لم يكن احد من
الشياطين يدنوا من الكرسي الا احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب
فلما اخرجوها قال الشيطان ان سليمن كان يضبط الجن والانس
والطير والشياطين بهذا ثم طار الشيطان وذهب وفشا في الناس
ان سليمن كان ساحرا فاتخذ بنو اسرائيل تلك الكتب فلذلك اكثر
ما يوجد السحر في اليهود فلما جا محمد صلى الله عليه وسلم خاصمته
اليهود بها فبرا الله سليمن من ذلك وانزل هذه الاية وسليمن
لا ينصرف وفيه ثلثة اسباب العجمة والتعريف والالف والنون
واعاد ذكره ظاهرا تفخيما وكذلك يفعل في الاعلام والاجناس
كقول الشاعر

لا ارى الموت يسبق الموت شي ... نغص الموت ذا الغنا والفقرا

قوله تعالى ولكن الشياطين كفروا قرا اهل الكوفة والشام ولكن
بتخفيف النون ورفع الشياطين وكذلك في الانفال ولكن الله
قتلهم ولكن الله رمى وقرا الباقون بالتشديد ونصب ما بعده
ولكن لها معنيان نفي الخبر الماضي واثبات الخبر المستقبل وهي
مبنية من ثلث كلمات اصلها لا ك ان لا نفي والكاف خطاب
وان اثبات وتحقيق فذهبت الهمزة استثقالا وهي تثقل و
تخفف فاذا ثقلت نصبت بها ما بعدها من الاسماء كما تنصب
بان الثقيلة واذا خففتها رفعت بها كما ترفع بان الخفيفة وفي
قوله ولكن الشياطين كفروا قولان احدهما انهم كفروا بما نسبوه
الى سليمن من السحر والثاني انهم كفروا بما استخرجوه من السحر

ذكرها الماوردي وذكر الواحدي والقشيري انهم كفروا بالله
تعالى قوله تعالى يعلمون الناس السحر فيه ثلثة اقوال احدها انهم
القوه في قلوبهم ولخذ ثوابه فيما بين الناس فتعلموه والثاني انهم
دلوهم على اخراجه من تحت الكرسي فتعلموه والثالث يجوز
ان يكون هذا التعليم من فعل اليهود الذين اتبعوا ما تتلو الشياطين
ذكره القشيري فان قيل ما معنى السحر قلنا اختلف الناس
فيه فقال قوم السحر علم وحذق بالشي قال الله تعالى وقالوا
يا ايها الساحر اي العالم فالساحر يقدر ان يقلب الاعيان
بسحره فيحول الانسان حمارا وينشي اعيانا واجساما وقال
قوم هو تمويه ومعان يفعلها الساحر فيخيل الى المسحور
انه بخلاف ما هو به ويتوهم انه شي ولا حقيقة كالسراب
التي تراه من بعد انه ماء وكراكب السفينة السايرة سيرا
حثيثا تخيل اليه ان ما عاين من الاشجار والجبال سايرة معه
وقال عايشة رضي الله عنها سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الاعصم حتى كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيل اليه انه يفعل الشي وما فعله
قالوا ولو كان في وسع الساحر انشا الاجسام وقلب الاعيان
لم يكن بين الباطل والحق فصل ولجاز ان يكون جميع الاجساد مما
سحرته السحرة وقلبت اعيانها وقال آخرون هو قول الشافعي
رحمه الله ان الساحر قد يوسوس بسحره فيمرض وربما قتل لان
التخيل بدو الوسوسة والوسوسة بدو المرض والمرض بدو
التلف واصله الخفاء ومنه السحر للغداه والسحر للرية ويقال

يقال

ما سحرك عن كذا اي ما صرفك ثم في السحر ما يكون بخفة اليد
كالشعوذة ومنه ما يكون بالقول كالسعاية بين الناس بالنميمة
وما اشبه ذلك حتى يتوهم السامع انه حق ومن السحر ما يكون
كفرا من فاعله مثل ما يدعون من تغيير صور الناس واخراجهم
انفسهم في هيئة بهيمة وقطع مسافة شهر في ليلة والطيران
في الهوا فكل من فعل هذا ليوهم الناس انه محق فيه فذلك كفر
منه قال القفال ومن صدقهم فهو كافر وهذا مذهب المعتزلة
في انكار السحر والكرامات وعند اهل الحق يجوز ان يظهر على ايدي
الاوليا ما يجوز ان يظهر على ايدي الانبيا ويجوز ان يظهر من الساحر
خرق العادات فالكفر من السحر ان يعتقد الساحر القدرة
لنفسه وهو السحر الذي عده رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الموبقات اذ قال صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات
الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل
الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف والزنا وايضا اذا
تعاطى بالسحر شيا لاجل وهو مستحل له فهو ايضا كفر واما ما يتعلق
بخفة اليد فقد قال قوم انه معصية وقال قوم انه مكروه ويظهر
انه مباح قاله القشيري فان قتل بسحره وقال سحري يقتل مثله
وتعمدت ذلك قتل قودا وان قال قد يقتل وقد لا يقتل ففيه
الدية وقال احمد يكفر بسحره قتل به او لم يقتل به وهل تقبل
توبته على روايتين وقال احمد ايضا ساحر اهل الكتاب لا يقتل الا
ان يضر بالمسلمين فيقتل بنقض العهد وسوا في ذلك بين الرجل والمراة
وقال ابو حنيفة حكم ساحر اهل الكتاب حكم ساحر المسلمين في
ايجاب القتل فاما المراة الساحرة فتحبس ولا تقتل فصل

المهلكات

مطلب قتل الساحر

في اثبات الكرامات

في اثبات الكرامات وتمييزها من المعجزات والسحر الذي
صار اليه اهل الحق جواز انخراق العادات في حق الاوليا ومنعت
المعتزلة ذلك والذين جوزوا الكرامات تحزبوا فمنهم من قال يشترط
الكرامة الخارقة للعادة ان تجري من غير ايثار واختيار من الولي
وقالوا الكرامة تفترق المعجزة من هذا الوجه وصار آخرون
الى تجويز وقوع الكرامة على حكم الاختيار ولكنهم منعوا وقوعها
على قضية الدعوى وقالوا لو ادعى الولي الولاية واعتضد
في اثبات دعواه بما يخرق العادة فان ذلك ممتنع قال امام
الحرمين وهذه الطريقة غير مرضية ولا يمتنع ظهور خوارق
العوايد مع الدعوى المفروضة وقال بعضهم ما وقع معجزة لنبي
لا يجوز تقدير وقوعه كرامة لولي فيمتنع عند هؤلاء ان
ينفلق البحر وتنقلب العصا ثعبانا واحيا الموتى كرامة لولي
الى غير ذلك من آيات الانبيا قال الامام وهذه الطريقة
غير مرضية ايضا والمرضي عندنا تجويز خوارق العوايد في
معرض الكرامات فلا فرق بين الكرامة والمعجزة في جواز
العقل لا بوقوع المعجز على حسب دعوى النبوة ووقوع الكرامة
والمعجزة في جواز العقل الا بوقوع المعجز على حسب دعوى
النبوة ووقوع الكرامة دون ادعا النبوة وقد تمسك مثبتوا
الكرامات بما لا سبيل في دفعه في مواضع السمع فان اصحاب
الكهف وما جرى لهم من الآيات لا سبيل الى جحده وما كانوا
انبيا اجماعا وكذلك خصت مريم عليها السلم بضروب من
الآيات وكان زكريا عليه السلم يصادف عندها فاكهة الشتا
في الصيف وفاكهة الصيف في الشتا ويقول متعجبا انى لك

هذا

المعتزلة

تفترق

هذا وتساقط الرطب الجني عليها الى غير ذلك من آياتها وكذلك
ام موسى عليه السلم الهمت في امره ما لا اخفاء به وجرى من
الآيات في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا ينكره منتم
الى الاسلام وذلك قبل النبوة والمعجزة لا يسبق دعوى النبوة
ثم اعلم ان السحر لا يظهر الا على يد فاسق فان قيل ما مذهبكم في الشياطين
والجن قلنا نحن قايلون بثبوتهم وانكرهم معظم المعتزلة وليس
في اثباتهم مستحيل عقلي وقد دلت نصوص الكتاب والسنة
اثباتهم وهذا مستقصى في اصول الدين فليطلب منه
قوله تعالى وما انزل على الملكين ما بمعنى الذي وهو في موضع نصب
عطفا على السحر اي يعلمون الذي انزل على الملكين وقيل هو عطف
على ما يتلوا وقيل ما في موضع جر عطفا على ملك سليمن اي وعلى
عهد سليمن الذي انزل على الملكين وقيل ما نافية اي وما انزل
السحر على الملكين كما تزعم اليهود وانما يعلمونه من تلقا انفسهم
او ما انزل اباحة السحر والقول الاول اصح في الملكين قراتان
احدهما بكسر اللام وهي قراة ابن عباس والحسن والضحاك و
يحيى بن ابي كثير وهما رجلان ساحران كانا ببابل لان الملايكة لا يعلمو
الناس السحر وفسرهما الحسن فقال علجان ببابل والقراة الثانية
بفتح اللام من الملايكة وفيه قولان احدهما ان سحرة اليهود زعموا
ان الله تعالى انزل السحر على لسان جبريل عليه السلم وميكائيل
الى سليمن فاكذبهما الله تعالى بذلك وفي الكلام تقديم وتاخير
تقديره وما كفر سليمن وما انزل على الملكين ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت والثاني ان هاروت

عوضه
يصيب

ابن كثير

العلج بوزن العجل الواحد من كفار العجم

وماروت ملكان اهبطهما الله تعالى الى الارض وسبب ذلك
ان الله تعالى لما اطلع الملائكة على معاصي بني آدم وكان ذلك
في زمان ادريس عليه السلام عيرتهم بذلك ودعت عليهم و
قالت هولاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم يعصونك فقال
الله تعالى لهم لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم
لركبتم ما ركبوا فقالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك فقال
الله لهم اختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا
هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم فركب الله
تعالى فيهما الشهوة التي ركبها في بني آدم واهبطهما الى الارض
واحل لهما كل شيء الا ان لا يشركا بالله شيئا ولا يسرقا ولا يزنيا
ولا يشربا الخمر ولا يقتلا النفس التي حرم الله الا بالحق وكانا
يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم
وصعدا الى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك انه اختصم
اليهما ذات يوم الزهرة وزوجها وكانت من اجمل النساء قال
علي كرم الله وجهه وكانت من اهل فارس فلما رآها اخذت
بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت فقال احدهما للآخر هل لك
ان تقضي لها على زوجها فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من
العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من المغفرة
والرحمة فسالاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لي على زوجي
فقضيا لها ثم سالاها عن نفسها فقالت لا الا ان تقتلاه فافرغ
لكما فقال احدهما للآخر اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب
فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من المغفرة والرحمة فقتلاه ثم
سالاها نفسها فقالت لا الا ان لها صنما تعبده ان انتما صليتما

مع

معي عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه مثل القول الاول وقال له
صاحبه مثل قوله الاول فصليا معها عنده فمسخت عند ذلك
شهابا واخذا عند ذلك فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا
عذاب الدنيا قال عطا فبلغني انهما معلقان بارجلهما مصوبة
رؤسهما تحت اجنحتهما وقيل هما معلقان بشعورهما قاله ابن
مسعود وقيل لما امتنعت عليهما قالت لا افعل حتى تعبدا لما
اعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر
فقالا الصلوة لغير الله تعالى عظيم وقتل النفس عظيم واهون
الثلثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا على المراة فلما
فرغا رآهما انسان فقتلاه وسجدا للصنم قال علي كرم الله
وجهه والسدي والكلبي قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني
بالذي تصعدان به الى السماء فقالا باسم الله الاكبر فعلماها
ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا قال
كعب فوالله ما امسيا من يومهما الذي هبطا فيه حتى استكملا
جميع ما نهيا عنه فتعجب الملائكة من ذلك ثم لم يقدر هاروت
وماروت على الصعود الى السماء فكانا يعلمان السحر ه وذكر عن
الربيع ان نزولهما كان في زمن ادريس عليه السلام عن علي
كرم الله وجهه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى
سهيلا قال لعن الله سهيلا انه كان عشارا باليمن ولعن الله
الزهرة فانها فتنت ملكين قال نافع كان ابن عمر اذا رأى
الزهرة قال لا مرحبا بها ولا اهلا وكشف الله الملائكة عن
احوالهم حتى نظروا اليهما وهما على تلك الحالة ففزعوا من
ذلك وهم من ذلك الوقت ليس لهم شان الا انهم يستغفرون

لمن في الارض ولما علم الملكان انهما افتتنا جاآ الى سليمن في
رواية الى ادريس في رواية الى بعض العلماء في رواية وقالا لا
رأيناه ثم لك جاها وعملا يصعد الى السماء فتشفع لنا الى ربك
ففعل فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا
عذاب الدنيا اذ علما انه منقطع قيل علقا بشعورهما في جب من
النار الى يوم القيمة حكي عن مجاهد وقال عمير بن سعد منكسان
يضربان بسياط الحديد ومثل هذا لا ينكره العقل اذ في قدرة
الله كل موهوم واما وقوع هذا الجابر لا يدرك الا بالسمع قوله عز
وجل لا يعصون الله ما امرهم محمول على الاغلب اذ على المرسلين
منهم وقيل تفسير الصحابي سنة اذا نقل شيا من هذه الاشياء
فلا يظن بهم التقول بل علموه بتوقيف فاذا نقلت هذه الاشيا
شيا من الصحابة وجوزها العقل فليس الا القبول وتاول
بعضهم هذا وقال الزهرة من الكواكب السبعة السيارة
واقسم الله بها فقال فلا اقسم بالخنس وانما كانت التي فتنت
هاروت وماروت امراة كانت تسمى زهرة من جمالها فلما بعث
مسخها الله شهابا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة
ذكر هذه المراة لموافقة الاسمين فلعنها وكذلك سهيل العشار
كان رجلا فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم النجم ذكره فلعنه يدل
عليه ما روى قيس بن ع[illegible] عن ابن عباس في هذه القصة قال
كانت امراة فضلت على الناس بالحسن كما فضلت الزهرة على
ساير الكواكب ومثله قال كعب الاحبار وغيره قوله تعالى
ببابل يجوز ان يكون ظرفا لانزل ويجوز ان يكون حالا من الملكين

او من

او من الضمير في انزل وهو لا ينصرف لانه اسم موضع معروف
وفي ارض بابل ثلثة اقوال احدها انها الكوفة وسوادها سميت
بابل لان الله لما اراد ان يخالف بين السنة بني آدم بعث ريحا فحشرتهم
من كل افق الى بابل فبلبل الله السنتهم فلم يدر احد ما يقول
الآخر ثم فرقتهم تلك الريح في البلاد قاله الخليل وقيل سميت
بابل لتبلبل السنة الناس بها عند سقوط صرح نمرود اي تفرقها
والبلبلة التفريق وهذا قول ابن مسعود والثاني انها من
نصيبين الى راس العين قاله قتادة والثالث انها جبل في هذه
من الارض تسمى جبل دنباوند قوله تعالى هاروت وماروت
اسمان سريانيان وهما في محل الخفض على تفسير الملكين بدلا منهما
الا ترى انهما منعا لعجمتهما ومعرفتهما قوله تعالى وما يعلمان
من احد يعني الملكين ومن صلة اي لا يعلمان السحر احدا واختلفوا
في تعليم الملكين السحر فذكر اهل التفسير واصحاب المعاني فيه
وجهين احدهما انهما كانا لا يتعمدان تعليم السحر ولكنهما يصفانه
ويذكران بطلانه ويامران باجتنابه وفي ذلك حكمة لان سايلا
لو سال ما الزنا وما اللواط لوجب ان يوقف عليه ويعلم انه
حرام فلذلك ذكر الملكين السحر للناس وامر السايل باجتنابه
وتعريفه انه حرام ويؤيد ذلك ما روي عن ابن الاعرابي انه
قال علم بمعنى اعلم وذلك ان التعليم لا ينفك عن الاعلام كما يقال
تعلم بمعنى علم لان من تعلم شيئا فقد علمه قال ابن الاعرابي من هذا
قوله تعالى وما يعلمان من احد معناه ان الساحر ياتي الملكين فيقول
اخبراني عما نهى الله عنه حتى انتهي فيقولان عن الزنا فيقول وما
الزنا فيصفانه فيقول وعن ماذا فيقولان عن السحر فيقول

وما السحر فيقولان هو كذا فيحفظ وينصرف فيخالف ويكفر فهذا
معنى يعلمان انما هو يعلمان ولا يكون تعليم السحر اذا كان اعلاما
كفرا ولا تعلمه اذا كان معنى الوقف عليه ليجتنبه كفرا الوجه
الثاني وهو الاصح ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت
وجعله المحنة في الكفر والايمان ان يقبل القابل تعلم السحر فيكفر
بتعلمه ويؤمن بترك التعلم فيكون ذلك ابتلاء للمعلم والمتعلم ولله
ان يمتحن عباده بما يشاء كما امتحن بنهر طالوت في قوله تعالى ان
الله مبتليكم بنهر يدل على صحة هذا قوله تعالى انما نحن فتنة
فلا تكفر اي محنة من الله نخبرك ان عمل السحر كفر بالله وننهاك
عنه فان اطعتنا في ترك العمل بالسحر نجوت وان عصيت في ذلك
هلكت وهذان الوجهان ذكرهما الزجاج واعتمدهما وقوله حتى
يقولا اي الى ان يقولا والمعنى انهما كانا يتركان تعليم السحر الى ان
يقولا انما نحن فتنة وقيل حتى بمعنى الا اي وما يعلمان من احد الا
ان يقولا واحدها هاهنا يجوز ان يكون المستعملة في العموم كقولك
ما بالدار احد ويجوز ان يكون هاهنا بمعنى واحد او انسان ومعنى
الفتنة الابتلاء والامتحان ماخوذ من قولهم فتنت الذهب والفضة
اذا اذبتهما بالنار ليتميز الردي من الجيد ومنه قوله تعالى ان
يقولوا آمنا وهم لا يفتنون اي لا يبتلون في انفسهم واموالهم
وانما وحد الفتنة وهما اثنان لان الفتنة مصدر والمصادر
لا تثنى ولا تجمع كقوله تعالى وعلى سمعهم غشاوة قوله تعالى فيتعلمون
منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وفي المراد بقوله منهما
ثلثة اقوال احدها يعني هاروت وماروت والثاني من السحر
والكفر والثالث من الشيطان والملكين فيتعلمون من الشيطان

السحر

السحر ومن الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه وقوله ما
يفرقون به يجوز ان يكون بمعنى الذي وان يكون نكرة موصوفة
ولا يجوز ان يكون مصدرية لعود الضمير من به الى ما والمصدرية
لا يعود عليها ضمير وفي المرء اربع لغات قرا الحسن بين المر بفتح
الميم وتشديد الرا جعله عوضا من الهمز وقرا الزهري بضم الميم
والهمز خفيفة الرا والتفرقة ان يبغض كل واحد منهما الى
صاحبه بالسحر الذي جعله سببا لذلك او يتعلمون الارتداد
والكفر فانه سبب الفرقة او سقي الادوية التي تفتر الشهوة
حتى تصير سببا للتفريق قوله تعالى وما هم بضارين به من
احد يعني السحرة وقيل الشياطين وقيل اليهود المتعلمين للسحر
وقوله به اي بالسحر او التفريق وقوله من احد اي احدا ومن
صلة قوله تعالى الا باذن الله اي بعلمه وقضائه ومشيته قوله
تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم وهو معطوف على الفعل
قبله ودخلت لا للنفي ويجوز ان يكون مستانفا وهو لا ينفعهم
فيكون حالا ولا يصح عطفه على ما لان الفعل لا يعطف على
الاسم قال المفسرون المعنى انهم يضرهم في الآخرة وان تعجلوا
في الدنيا نفعا وقيل يضرهم في الدنيا ايضا لان ضرر السحر والتفريق
يعود على الساحر في الدنيا لانه يودب ويزجر عن السحر
ويلحقه الشوم قوله تعالى ولقد علموا يعني اليهود لمن اشتراه
اللام هاهنا التي يوطى بها للقسم مثل التي في قوله لئن لم ينته
المنافقون ومن في موضع رفع بالابتدا وهي شرط وجواب
القسم ما له في الآخرة من خلاق وقيل من بمعنى الذي والمعنى
لقد علم اليهود ان من اختار السحر ما له في الآخرة من خلاق

وفيه ثلاثة اقوال احدها من نصيب قاله مجاهد والسدي
والثاني من دين ولا وجه عند الله تعالى قاله الحسن والثالث
من خلاص قاله امية
يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم الا السرابيل من قطر واغلال
اي لا خلاص لهم **قوله تعالى** ولبئس ما جواب قسم محذوف
لو كانوا جواب لو محذوف تقديره لو كانوا ينتفعون بعلمهم
لامتنعوا من شرا السحر والمعنى بئس شي باعوا به حظ انفسهم
حيث اختاروا السحر والكفر في تعليمه وفعله وقيل من اضافهم
السحر الى سليمن عليه السلام فان قيل كيف اثبت لهم العلم اولا
في قوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ثم نفاه عنهم في قوله تعالى
لو كانوا يعلمون قلنا وجه الجمع انهم علموا من عمل بالسحر لا خلاق
له في الاخرة ثم اقدموا على السحر نوصفهم بانهم لا يعلمون اي
لم ينتفعوا بعلمهم فجعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون
منه كما قال تعالى صم بكم عمي اي لم ينتفعوا باسماعهم وابصارهم
والسنتهم وقيل ولقد علموا اراد الشياطين والذين يعلمون
الناس السحر وقوله لو كانوا يعلمون اراد المتعلمين فالمعلمون
ارتكبوا الخطية عالمين والمتعلمين اتوا ما اتوه جاهلين وقيل
ولقد علموا بما وجدوا في التورية ان الاشتغال بالسحر لا يجوز
فاشتغلوا به طمعا في شي نزر من الدنيا ولبئس ما رضوا به عوضا
من انفسهم في الاخرة لو كانوا يعلمون ان ما قدره الله من نعيم
الدنيا لا يتم بل يفني سريعا وقيل اشار الى فريقين من اليهود
فريق علموا ان السحر مجتنب ولكن عاندوا وفريق هم المقلدة

لم يعلموا

لم يعلموا انهم يبيعون انفسهم بالكفر والسحر فلا نصيب لهم في
الاخرة وقيل ولقد علموا ان من اشتغل بالسحر لا نصيب له
من ثواب الاخرة وبئس ما فعلوه لو كانوا يعلمون ما ينالهم
من العقاب **قوله تعالى** ولو انهم امنوا يعني بالقران ومحمد
واتقوا اليهودية والسحر **قوله تعالى** لمثوبة من عند الله خير
المثوبة كالثواب ومعنى الاية ان ثواب الله لهم لو امنوا خير من
كسبهم بالسحر والكفر لو كانوا يعلمون المثوبة جواب لو ومثوبة
مبتدا ومن عند الله صفته وخير خبره **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا لا تقولوا راعنا المراعاة المراقبة وحفظ ما يكون من احوال
الشي يقال راعنا سمعك اي اسمع بمعنى قال الكلبي عن ابن عباس
كان المسلمون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا سمعك وكان
هذا بلسان اليهودية شيا قبيحا فلما سمعوا هذه الكلمة يقولونها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعجبتهم فكانوا يا تونه ويقولون
ذلك ويضحكون منه فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي
الله عنه وكان يعرف لغتهم فقال لليهود عليكم لعنة الله لئن
سمعتها رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالت اليهود
او لستم تقولونها فانزل الله تعالى هذه الاية ونهوا عن ذلك
وقيل كان رجل من اليهود يقال له رفاعة بن زيد يحضر النبي
صلى الله عليه وسلم فيقول راعني سمعك فظن المسلمون انها
كلمة تعظيم فنهوا عن ذلك قاله السدي وقيل انها كلمة كانت
الانصار في الجاهلية تقولها فنهاهم الله تعالى في الاسلام عنها
ذكره الماوردي قرا الجمهور راعنا بلا تنوين من المراعاة وقرا

الحسن بالتنوين من الرعونة اي لا يقولوا جهلا وحمقا وقرا ابى
ابن كعب راعونا بالجمع **قوله تعالى** وقولوا انظرنا قرا ابى بن كعب
انظرنا بقطع الالف اى اخرنا وقراة العامة موصولة اى انظر الينا
فحذف حرف التعدية وقيل معناه انتظرنا وتان بنا وقال مجاهد
معناه فهمنا وقال يمان بين لنا وهذا النهي اختص بذلك الوقت
لاجماع الامة على جواز المخاطبة الان بهذه اللفظة فيقولن
راعني وارع كلامي **قوله تعالى** واسمعوا اى ما يقال لكم وما تومرون
به ومعناه اطيعوا وقيل فرغوا قلوبكم لما يذكره النبي صلى الله عليه
وسلم لئلا يحتقه كره في افهامكم **قوله تعالى** وللكافرين عذاب
اليم اى موجع تخلص الى القلوب **قوله تعالى** ما يود اى ما يحب وما
يويد الذين كفروا من اهل الكتاب قال المفسرون ان المسلمين كانوا
اذا قالوا لحلفايهم من اليهود امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا
الذي تدعونا اليه بخير مما نحن عليه ووددنا لو كان خيرا حتى نومن
به فانزل الله تعالى تكذيبا لهم هذه الاية **قوله تعالى** ولا المشركين
اى من العرب مجرور في اللفظ بالنسق على من اهل وان كان قد قرى
المشركون بالرفع فهو معطوف على الفاعل **قوله تعالى** ان ينزل عليكم
اى على رسولكم قوله من خير من ربكم من صلة موكدة اى خير وهو
القران وقال ابو سليمن الدمشقي اراد بالخير العلم والفقه والحكمة
قوله والله يختص برحمته من يشا اى القران وقيل المراد بالرحمة
النبوة والاختصاص الانفراد بالشى يقال خصه واختصه بمعنى
والخصاصة الفقر لانها خلل في الحال **قوله تعالى** والله ذو الفضل
العظيم ذو اسم ناقص ومعناه الصاحب العظيم لان ذلك الفضل
فوق استحقاق العبد لا استحقاق لاحد عليه تفضل بالنبوة

محمد

صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين بدينهم الاسلام **قوله تعالى**
ما ننسخ من اية وذلك ان المشركين قالوا الا ترون الى محمد يامر
اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا
ويرجع عنه غدا فانزل الله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية وانزل
ما ننسخ من اية وما شرطية جازمة لننسخ منصوبة الموضع بننسخ
مثل **قوله تعالى** ايا ما تدعوا وجواب الشرط نات بخير منها
ومن اية في موضع نصب على التمييز والمميز ما والتقدير اى
شى ننسخ من اية ولا يحسن تقدير اى اية ننسخ لانك لا تجمع
بين هذا وبين التمييز باية ويجوز ان يكون زائدة واية حالا
والمعنى اى شى ننسخ قليلا كان او كثيرا وقد جات الاية حالا
في قوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية وقيل ما هنا مصدر واية
مفعول به واعلم ان النسخ في اللغة على ضربين احدهما ابطال الشي
واقامة اخر مقامه تقول العرب نسخت الشمس الظل اى اذهبته
وحلت محله فهذا نسخ الى بدل لان الظل يزول ويكون الشمس
بدلا عنه والضرب الثاني رفع الشي وابطاله من غير بدل يقال
نسخت الرياح الاثار اى ابطلتها وازالتها ويقال النسخ بمعنى
التحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان يحول من كتاب الى كتاب
فينقل ما فيه اليه قال الله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اى
نامر الملايكة بنسخها قال ابن عباس السنم عرنا هل يكون نسخه
الا من اصل كان قبل ذلك فعلى هذا الوجه القران كله منسوخ
لانه نسخ من اللوح المحفوظ فانزل على النبي صلى الله عليه وسلم
ايا بعد اي وعلى الاول فهو ينقسم الى ما نسخ حكمه ولفظه كاشيا

كانت الصحابة تقرؤها ورفعت من بينهم لفظا وحكما مثل قوله
تعالى لو كان لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثا ولا
يملأ عين ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب الثاني ما
نسخ لفظه دون حكمه كآية الرجم وهي الشيخ والشيخة إذا زنيا
فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم الثالث ما نسخ
حكمه دون لفظه وهو في القرآن كثير مثل عدة المتوفى عنها
زوجها كانت سنة لقوله متاعا إلى الحول ثم نسخت بقوله أربعة
أشهر وعشرا وكذلك قوله تعالى إن يكن منكم عشرون صابرون
الآية ثم نسخت بقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقرئ
ننسخ بضم النون وكسر السين وهي قراءة ابن عامر قال أبو حاتم
هو غلط لأنه لم يرد في اللغة أنسخ بمعنى نسخ وقال غيره له
وجهان أحدهما نجعله نسخة من قولك نسخت الكتاب إذا كتبته
وأنسخته غيري إذا جعلته نسخة له ومعناها ما ننسخه وهو قول
أبي عبيد والوجه الثاني نجعله في جملة المنسوخ كقولك طردت
الرجل إذا نفيته وأطردته إذا جعلته طريدا أو روي أن الحجاج
صلب رجلا فقال له قومه أقبرنا فلانا اجعله ذا قبر فصل النسخ
في الشريعة عبارة عن الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت
بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه
وإنما آثرنا لفظ الخطاب على لفظ النص ليكون شاملا للفظ و
الفحوى والمفهوم وكل ذلك إذ يجوز النسخ بجميع ذلك وإنما
قيدنا الحد بالخطاب لأن ابتداء إيجاب العبادات في الشرع مزيل
حكم العقل من براءة الذمة ولا يسمى نسخا لأنه لم يزل حكم خطاب
وإنما قيدنا بارتفاع الحكم ولم نخصص بارتفاع الأمر والنهي ليعم
جميع أنواع الحكم من الندب والكراهة والإباحة فجميع ذلك

قد

قد نسخ وإنما قلنا لولاه لكان الحكم من الندب والكراهة ثابتا
لأن حقيقة النسخ الرفع فلو لم يكن ثابتا لم يكن هذا رفعا لأنه
إذا ورد أمر بعبادة مؤقتة وأمر بعبادة أخرى بعد تصرم ذلك
الوقت لا يكون الثاني نسخا فإذا قال أتموا الصيام إلى الليل ثم
قال في الليل لا تصوموا لا يكون ذلك نسخا بل الرفع ما لا يرتفع
الحكم لولاه وإنما قلنا مع تراخيه عنه لأنه لو اتصل به لكان
بيانا وإتماما لمعنى الكلام وتقديرا له بمدة أو شرط وأما المعتزلة
فإنهم حدوه بأنه عبارة عن بيان مدة الحكم وهو باطل
فإنه يطلق ويستعمل في اللغة بمعنى الإزالة تارة وبمعنى
النقل أخرى فتعين حمله على الرفع موافقة لدلالة اللفظ فإنه
لم يعهد استعماله في اللغة بمعنى البيان فإن قيل ما الفرق بين
التخصيص والنسخ قلنا هما مشتركان من وجه إذ كل واحد يوجب
اختصاص الحكم ببعض ما تناوله اللفظ لكن التخصيص بيان أن
ما أخرج من عموم اللفظ ما أريد باللفظ الدلالة عليه والنسخ
يخرج عن اللفظ ما قصد به الدلالة عليه فإن قوله افعلوا
أبدا يجوز أن ينسخ وما أريد باللفظ بعض الأزمنة بل الجميع
لكن كان بقاؤه مشروطا بأن لا يرد ناسخ كما إذا قال ملكتك
أبدا ثم يقول فسخت فالنسخ هو أبدا ما ينافي شرط استمرار
الحكم بعد ثبوته وقصد الدلالة عليه باللفظ فلذلك يفترقان
من أربعة أوجه أحدها أن الناسخ يشترط تراخيه والتخصيص
يجوز اقترانه لأنه بيان بل يجب اقترانه عند من يجوز تأخير البيان

البيان الثاني ان التخصيص لا يدخل في الامر بمامور واحد والنسخ
يدخل عليه الثالث ان النسخ لا يكون الا بقول وخطاب والتخصيص
قد يكون بادلة العقل والقراين وساير ادلة السمع الرابع ان
التخصيص يبقي دلالة اللفظ على ما بقي تحته حقيقة كان او مجازا
على ما فيه من الاختلاف والنسخ يبطل دلالة المنسوخ في مستقبل
الزمان بالكلية **فصل** في اثباته على منكريه والمنكر اما جوازه
عقلا واما وقوعه سمعا فاما جوازه عقلا فيدل عليه انه لو امتنع
لكان اما ممتنعا لذاته وصورته او لما يتولد منه من مفسدة او اداه
الى محال ولا يمتنع لاستحالة ذاته وصورته بدليل ما حققناه
من معنى الرفع ولا يمتنع لادائه الى مفسدة وقبح اذ لا يبعد ان
يعلم الله مصلحة عباده في ان يامرهم بامر مطلق حتى يستعدوا له
ويمتنعوا بسبب العزم عن معاص وشهوات ثم يخفف عنهم واما
وقوعه سمعا فيدل عليه الاجماع والنص اما الاجماع فاتفاق الامة
قاطبة على ان شريعة محمد صلى الله عليه وسلم نسخت شريعة من
قبله اما بالكلية واما فيما تخالفه فيه فهذا الاجماع حجة وان لم
يكن حجة على اليهود اما النص فما سبق **فصل** يجوز نسخ القران
بالسنة والسنة بالقران لان الكل من عند الله تعالى فما المانع
ولم يعتبر التجانس مع العقل لا يحيله كيف وقد دل السمع على وقوعه
اذ التوجه الى بيت المقدس ليس في القران فهو من السنة وناسخه
في القران وكذلك قوله تعالى فالآن باشروهن نسخ لتحريم المباشرة
وليس التحريم في القران واما نسخ القران بالسنة فنسخ الوصية
للاقربين بقوله صلى الله عليه وسلم الا لا وصية لوارث لان آية

الميراث

الميراث لا تمنع الوصية اذ الجمع ممكن وقال قوم لا يجوز نسخ
القران بالسنة لقوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت
بقران غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي
ان اتبع الا ما يوحى الي فدل على انه لا يجوز نسخ الكتاب بالسنة قلنا
ولا خلاف انه لا ينسخ من تلقاء نفسه بل بوحي من الله لكن لا يكون
بنظم القران **فصل** يعرف به تاريخ الناسخ اعلم انه اذا تعارض
نصان فالناسخ هو المتاخر ولا يعرف تاخيره بدليل العقل ولا
بقياس الشرع بل بمجرد النقل وذلك بطرق الاول ان يكون في
اللفظ ما يدل عليه كقوله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها الثاني ان يجمع الامة في حكم على انه منسوخ وان
ناسخه متاخر الثالث ان يذكر الراوي التاريخ مثل ان يقول سمعت
عام الخندق او عام الفتح وكان معلوما ما قبله ولا فرق بين ان
يروي الناسخ والمنسوخ راو واحد او راويان **فصل** انكرت
اليهود جواز النسخ وزعموا انه بدا فيقال لهم اليس قد اباح الله
تعالى تزويج الاخت من الاخ ثم حظره وكذلك بنت الاخ وبنت
الاخت اليس قد امر الله تعالى ابرهيم عليه افضل السلام بذبح ولده
ثم قال له لا تذبحه اليس قد امر الله تعالى موسى عليه السلام
ان يامر بني اسرائيل ان يقتلوا من عبد منهم العجل ثم امرهم
برفع السيف عنهم اليست نبوة موسى عليه السلم غير متعبد
بها قبل مبعثه ثم تعبد بذلك فلما لم يلحقه من تلك الاشياء
بدا فكذلك في نسخ الشرايع ولا يلحقه بدا بل هو نقل عباده

الى عبادة وحكم الى حكم لضرب من المصلحة اظهارا لحكمته
وكمال مملكته وله ذلك **فصل** اعلم ان النسخ لا يجوز
الا في الامر والنهي ولا يجوز في الخبر والقصص لان الخبر اذا
نسخ صار المخبر كذابا الا ان ترد صيغة الخبر ويراد بها الامر
فهذه جملة ما علم النسخ وهو نوع كثير من علوم القران لا يسع
جهله لمن شرع في التفسير فلهذا المعنى ذكرنا منه طرفا على
خلاف عادة المفسرين قال السلمي مر علي كرم الله وجهه بقاص
يقص فقال هل تعلم الناسخ والمنسوخ قال لا قال هلكت
واهلكت **قوله تعالى** او ننسها قرئ بضم النون وكسر السين
اي ننسها نبينا صلى الله عليه وسلم قاله اكثر المفسرين قال
الحسن هو ما انسا الله نبينا عليه السلم وقال ابن عباس اي
نتركها لا نبدلها قال تعالى نسوا الله فنسيهم وقال تعالى
كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى كل هذا
من الترك كانه جعل انسى ونسي بمعنى واحد وقرا ابي ابن
كعب ننسك وقرا عبد الله ما ننسك من اية او ننسخها وقرا
سالم مولى ابي حذيفة او ننسكها وقرئ ننسها بالتشديد
وقرا الضحاك او تنسها بضم التاء وفتح السين على المجهول وقرا سعد
ابن ابي وقاص ما ننسخ من اية او تنساها بتاء مفتوحة من النسيان
وقرا مجاهد او ننسها بفتح النون مخففة اي نتركها وقرا عمر بن
الخطاب وابن عباس وعبيد بن عمير وعطاء وابن كثير وابو عمرو
والنخعي او ننساها بفتح النون الاولى وفتح السين مهموزة اي

نوخرها

نوخرها ولا نبدلها ولا ننسخها يقال نسا الله في اجله وانسا
الله اجله ومنه النسيئة في البيع **قوله تعالى** نات بخير منها
اي بما هو اجدى وانفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجركم لا ان اية
خير من اية لان كلام الله تعالى واحد وكله خير **قوله تعالى**
او مثلها اي في المنفعة والثواب والفائدة في ذلك ان يكون
الناسخ اسهل في الماخذ من المنسوخ والايمان به والناس اليه
اسرع كالذي كان من نسخ استقبال بيت المقدس باستقبال
الكعبة فهذا وان كان السجود الى ساير النواحي متساويا في
العمل والثواب فالذي امر الله تعالى به في ذلك الوقت كان
اصلح والادعى للعرب وغيرهم الى الاسلام **فصل** قال قوم
يجوز النسخ بالاثقل فنقول امتناع النسخ بالاثقل عرفتموه
عقلا او سمعا لا يستحيل عقلا لانه لا يمتنع لذاته ولا لا
ستصلاح فانا نتكره وان قلنا به لم يستحيل ان يكون
للمصلحة في التدريج والترقي من الاخف الى الاثقل كما كان
الصلاح في ابتداء التكليف ورفع الحكم الاصل فان قيل انه
يمتنع سمعا كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر وبقوله يريد الله ان يخفف عنكم قلنا فينبغي ان
يتركهم واباحة الفعل ففيه اليسر ثم ينبغي ان لا ينسخ
بالمثل لانه لا يسر فيه اذ اليسر في دفعه الى غير بدل
او بالاخف وهذه الايات وردت في صور خاصة اريد
فيها التخفيف وليس فيه منع ارادة التثقيل والتشد

بالاخف ولا يجوز

يد

فان قيل فقد قال تعالى ما ننسخ من آية او ننسها الاية وهذا
خبر عام والخير ما هو خير لنا والا فالقرآن خير كله والخير لنا
ما هو اخف علينا قلنا لا بل الخير ما هو اجزل ثوابا واصلح لنا في
المآل وان كان اثقل في الحال فان قيل يمتنع ذلك سمعا لانه
لم يوجد في الشرع نسخ بالاثقل قلنا ليس كذلك اذ امر الصحابة
اولا بترك القتال والاعراض ثم بنصب القتال مع التشديد
بثبات الواحد للعشرة وكذلك نسخ التخيير بين الصوم والفدية
بالاطعام بتعين الصيام وهو تضييق وحرم الخمر ونكاح المتعة
ولحوم الحمر الاهلية بعد اطلاقها ونسخ صوم عاشورا بصوم [شهر] رمضان
الى غير ذلك **قوله تعالى** الم تعلم ان الله على كل شي قدير اي قادر
على الخير وعلى ما هو خير منه وعلى مثله في الخير **قوله تعالى** الم تعلم
ان الله له ملك السموات والارض فان قيل افكان النبي صلى الله عليه
وسلم غير عالم بان الله على كل شي قدير وان الله له ملك السموات
والارض قلنا عنه اجوبة ثلثة احدها ان قوله الم تعلم بمعنى اما
علمت والثاني انه خارج مخرج التقدير لا مخرج الاستفهام
كقوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم انت قلت للناس خرج
مخرج التقدير لا مخرج الاستفهام والثالث ان هذا خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته اي ينبغي ان لا يخفى عليكم
هذا الاثر قال بعد ذلك وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
وقوله له ملك مبتدا وخبر في موضع خبر ان ويجوز ان يرتفع ملك
بالظرف عند الاخفش والملك بمعنى الشي المملوك يقول لفلان
ملك عظيم اي مملوكه كثير والملك ايضا بالكسر المملوك الا انه

لا يستعمل

لا يستعمل بضم الميم في كل موضع بل في مواضع الكثرة وسعة
السلطان والمعنى انه يملك السموات والارض ومن فيهن
فهو اعلم بما يتعبدهم به من ناسخ ومنسوخ **قوله تعالى** وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير الولي فعيل بمعنى فاعل ومن ذلك
يقال هو والي الامر ووليه اي القايم به والمعنى ما لكم من دون الله
والي يلي امركم وناصر يمنعكم من العذاب **قوله تعالى** ام تريدون ان
تسالوا رسولكم الاية قال المفسرون ان اليهود وغيرهم من المشركين
تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قايل يقول ايتنا بكتاب
من السما جملة كما اتى موسى بالتورية ومن قايل يقول وهو عبد الله
ابن امية المخزومي ايتني بكتاب من السما فيه من الله رب العالمين الى
ابن امية اعلم اني قد ارسلت محمدا الى الناس ومن قايل يقول لن
نومن لك حتى تاتي بالله والملايكة قبيلا وقيل كان لبعض العرب
شجرة يعبدونها فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يتخذ لهم مثل
تلك الشجرة وقيل قال [قوم من] المسلمين سل الله ان يجعل لنا الصفا ذهبا
فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم كالمايدة لبني اسرايل من كفر
بعد ذلك حل به العقاب قاله مجاهد وقيل سالوا اشيا بعد
قيام البراهين وظهور الايات ولهذا قال تعالى ومن يتبدل
الكفر بالايمان ثم على هذا قيل هو كقول من قال احجتنا لعامنا
هذا ام للابد وكقولهم في المجلس المشهور اخبرنا عن والدنا
وعن كذا وكذا وكان في ذلك ما يسوهم وفيه نزل ايضا لا تسالوا
عن اشيا وقال صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك

من قبلكم بكثرة اختلافهم على انبياهم ثم قوله ام تريدون مردود
على الالف في قوله الم تعلم لان المراد ثم الجمع الم تعلمون كذا ام تريدون
وقيل يرجع الى قوله لا تقولوا راعنا اي فهل تاخذون بهذا ام
تريدون ان تسالوا ويجوز ان يقال ام منقطع مما قبله فهو استفهام
مبتدا مثل قوله تعالى الم تنزيل ام يقولون افتراه جاءت ام وليس
قبلها استفهام اي بل يقولون افتراه ولكن لا بد من كلام سابق
فام استفهام متوسط على هذا القول وهو قول الفراء انما يجوز
ان يكون ام بمعنى بل اذا سبقها استفهام لا يصح فيه اي فان قولك
اخرج زيد ام عمرو معناه ايهما خرج فقولك هل لك حق ام
انت رجل ظالم معناه بل انت رجل ظالم وقيل الميم زائدة وقوله
ان تسالوا رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من الاقتراح والتمني
كما سال موسى من قبل يعني قولهم ارنا الله جهرة والجمهور على همز
سيل بالياء وقرى ابو جعفر سيل بتليين الهمز وقرا الحسن سيل مثل
قيل قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان اي يستبدل الكفر
بالايمان فقد ضل سواء السبيل اخطا وسط الطريق قوله تعالى
ود كثير من اهل الكتاب الاية قال ابن عباس نزلت في نفر من
اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة احد الم تروا الى ما اصابكم ولو
كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل فقال
لهم عمار بن ياسر كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد
عاهدت الله تعالى ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما
هذا فقد صبى وقال حذيفة بن اليمان اما انا فقد رضيت بالله

ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة
وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه
بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله هذه الاية والمعنى
تمنى واراد كثير من اليهود لو يردونكم به يا معشر المؤمنين
من بعد ايمانكم كفارا لو بمعنى ان المصدرية وانتصب كفارا لانه
حال من الكاف والميم ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لان يرد بمعنى
يصير قوله تعالى حسدا نصب على المصدر اي يحسدونكم
حسدا وقيل هو مفعول له اي يفعلون هذا الحسد قوله تعالى
من عند انفسهم من متعلقة بحسدا اي ابتدا الحسد من عند انفسهم
لا من عند الله تعالى اذ لم يامرهم به وقيل قوله من عند انفسهم
تاكيد لان حسد الانسان لا يكون من غير نفسه وقيل من عند
انفسهم اي في مذهبهم وحلمهم كما يقول هذا عند الشافعي حلال
اي في مذهبه وقال الزجاج من عند انفسهم يتعلق بود ويردونكم
اي ود الذين كفروا من عند انفسهم لو يردونكم حسدا منهم لكم وقيل
اي حسدا يجدونه من انفسهم واصل الحسد في اللغة القشر
ومنه الحسدل للقراد لانه يقشر الجلد فيمص الدم فالحسد
يقشر القلب واللام زائدة وقيل الحسد تمني زوال نعمة الله
تعالى عن المحسود وان لم يصر للحاسد مثلها ويفارق الغبطة
فانها تمني ان له مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تحاسدوا ولا تباغضوا

ولا تناجشوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وروى ابو
هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والحسد
فانه ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب او قال العشب وعنه
صلى الله عليه وسلم انه قال دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضا
فالحسد اضر شيء بالدين وافسده له لانه يبكا في الباطن فيفسد
القلب ويذهب قوى ايمانه ومعرفته بتمنيه خلاف مراد الله
تعالى ومضادته لما جرى من قضاء الله بنعمة لاخيه وقد قال
الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقد روى
عن الله تعالى انه قال الحاسد مضاد لقضاي فان قيل من اي
وجه ياكل الحسد الحسنات قلنا من وجوه منها انه كالمضاد
لتقديره كما ذكرنا ومنها لسخطته وكراهيته لصنيعه تعالى مع
محسوده ومنها ان لا يراه اهلا لما انعم الله عليه بل يرى نفسه
احق بنعمته كانه يعترض على الحكيم الاعلى في عطايه ومنعه او
كانه متهم له في فعله وهذه مخازي وفواحش في باطنه تكاد تذهب
قدر ما ياتيه من طاعاته فاي حسنة تبقى حسنة مع سوء هذا
الباطن وقبح طويته ومنها ان الحاسد لا ينفك عن ان يحمله شوم
حسده على قصد المحسود باذيته وتتبع زوال نعمته بظلم او سعايه
الى ظالم او ذكر قبيح يذكره به الى غير ذلك من اسباب البغي عليه
والتعدي والظلم له قال بعض الحكما كل احد يمكن ان ترضيه الا
الحاسد فانه لا يرضيه الا زوال نعمتك ٥ لبعضهم

وكل اداريه على حسب حاله سوى حاسدي فهي التي لا انالها
وكيف يداري المرء حاسد نعمة اذا كان لا يرضيه الا زوالها

وقال آخر

وقال آخر

الا قل لمن كان لي حاسدا اتدري على من اسات الادب
اسات على الله في فعله لانك لم ترض لي ما وهب
فزادني الله من فضله وسد عليك وجوه الطلب

قوله تعالى من بعد ما تبين لهم الحق يعني في التورية ان قول محمد
صلى الله عليه وسلم صدق ودينه حق قوله تعالى فاعفوا واصفحوا
اي عن مساوي كلامهم قوله تعالى حتى ياتي الله بامره اي اعفوا
الى هذه الغاية وفيه اربعة اقوال احدها ان امره اجلا بني النضير
وقتل قريظة وفتح خيبر وفدك قاله عطا والثاني انه اراد به
القيمة فيجازيهم باعمالهم والثالث بعلمه وحكمه فيهم حكم
لبعضهم بالاسلام ولبعضهم بالسبي والقتل والجزية قاله ابن
كيسان والرابع ان امره هو القتال روى ابن مسعود وابن عباس
وابو العالية وقتادة ان العفو والصفح منسوخ بقوله تعالى قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله الاية وابى هذا القول جماعة من المفسرين
والفقها واحتجوا بان الله لم يامر بالصفح والعفو مطلقا وانما امر
به الى غاية وما بعد الغاية يخالف حكم ما قبلها وما هذا سبيله
لا يكون من باب المنسوخ بل يكون الاول قد انقضت مدته بغايته
قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير اي يقدر على اهلاكهم الان ولكن
لكل اجل كتاب قوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي اعرضوا عنهم
واشتغلوا بما امرتم به من الصلوة والزكوة قوله تعالى وما تقدموا
اي تسلفوا لانفسكم من خير اي طاعة وعمل صالح تجدوه عند

الله اى تجدوا ثوابه ونفعه عند الله لا ينساه وقيل اراد
بالخير المال كقوله تعالى ان ترك خيرا ومعناه وما تقدموا
لانفسكم من زكوة وصدقة تجدوه عند الله الثمرة واللقمة
مثل احد ان الله بما تعملون بصير اى يدركه ولا يعزب عنه
شئ وفي الحديث اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت
الملائكة ما قدم وقال انس بن مالك ماتت فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علي كرم الله وجهه وانشا
يقول رضي الله عنه

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذى دون الفراق قليل
يريد الفتى ان لا يفارق اهله ... وليس الى ما يبتغيه سبيل
وان افتقادي واحدا بعد واحد ... دليل على ان لا يدوم خليل

ثم دخل المقابر فقال السلم عليكم يا اهل القبور اموالكم قسمت
ودوركم سكنت ونسائكم نكحت فهذا خبر ما عندنا فما خبر
ما عندكم فهتف هاتف وعليكم السلم ما اكلنا ربحنا وما قدمنا
وجدنا وما خلفنا خسرنا **قوله تعالى** وقالوا لن يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى قال الفرا اراد يهودا فحذف اليا الزائدة
ورجع الى الفعل من اليهودية وقال الاخفش اليهود جمع
هايد مثل عايد وعود وحايل وحول وهو من هاد يهود اذا
تاب وفي مصحف ابي الا من كان يهوديا او نصرانيا قال ابن
عباس اختصم يهود المدينة ونصارى نجران عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت اليهود ليست النصارى على شئ ولا
يدخل الجنة الا من كان يهوديا وكفروا بالانجيل وعيسى وقالت

النصارى

النصارى ليست اليهود على شئ وكفروا بالتورية وموسى
فقال الله تعالى تلك امانيهم ومعنى الاية وقالت اليهود
لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل
الجنة الا من كان نصرانيا ولم يقل كل فريق منهم جمع في اللفظ
وان كان في المعنى تفريق ولهذا قالت اليهود ليست النصارى
على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وقيل جمع بين
الفريقين لاجتماعهما على الايمان بالتورية فالنصارى يعترفون
بالتورية فلاجرم تقول لن يدخل الجنة الا اليهود والنصارى
وقيل جمع بينهما لاجتماعهما على عداوة الاسلام وان كان بينهما
تفريق **قوله تعالى** تلك امانيهم يعنى شهواتهم التي اشتهوها
وتمنوها على الله بغير الحق وقيل اباطيلهم بلغة قريش وقد مضى
في قوله لا يعلمون الكتاب الا اماني **قوله تعالى** قل اى قل لهم يا محمد هاتوا
برهانكم فعل معتل اللام تقول في الماضي هاتا يهاتي مهاتاة مثل رامى
يرامي مراماة وهاتوا مثل راموا واصله هاتيوا ثم سكنت اليا وحذفت
لما ذكرنا في اشتروا ونظايره وتقول للرجل في الامر هات مثل رام
وللمراة هاتي مثل رامي وعليه فقس تصاريف هذه الكلمة وهاتوا
فعل متعد الى مفعول واحد وتقديره احضروا برهانكم والنون
في برهان اصل عند قوم لقولهم برهنت وقد ثبتت النون في الفعل
وزايدة عند قوم لانه من البره وهو القطع والبرهان الدليل القا طع
وجمعه براهين مثل قربان وقرابين ولم يقل براهينكم لان البرهان
الواحد اذا قام لواحد منهم فقد قام لهم جميعا وفي الاية دليل

على المنع من التقليد قوله تعالى ان كنتم صادقين اى فى دعواكم قوله
تعالى بلى رد لامر وايجاب لغيره رد الله عليهم قولهم انهم فى الجنة
واخبر ان اهل الجنة من اسلم وجهه لله وقيل فيه اضمار كان قيل اما
يدخل الجنة احد منهم فقيل بلى من اسلم وجهه ثم قيل الوجه صلة
اى من انقاد لله تعالى قال مجاهد ومقاتل اخلص دينه وعمله وقيل
فوض امره الى الله وقيل خضع وتواضع لله واصل الاسلام الاستسلام
والخضوع وقيل اسلم وجهه اى اسلم نفسه وجميع بدنه لامر الله تعالى
وقوله كل شى هالك الا وجهه اى الا هو وانما خص الوجه لانه
اذا خضع الوجه لله خضع جميع البدن لانه اشرف الاعضا
وايضا اثر الخضوع وانما يتبين فى الوجه قال تعالى وعنت الوجوه
للحى القيوم قوله تعالى وهو محسن وهو كقولك جائنى وهو راكب اى
راكبا فهو فى معنى الحال اى وهو فى خضوعه محسن لاعماله وقال ابن
عباس وهو محسن اى مؤمن موحد مصدق وموضع من اسلم مبتدا
وهو شرط وجوابه فله اجره اى ثوابه قوله تعالى ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ذكر بلفظ الجمع وفى الابتدا قال فله اجره لان من
تعلم للواحد والجمع قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى
على شى اى على حق وصواب وكل ما لا منفعة فيه كالمعدوم كما بينا فى
قوله صم بكم عمى وقال تعالى يا اهل الكتاب لستم على شى اى على دين
حق قوله تعالى وقالت النصارى ليست اليهود على شى اى
منذ دانت باليهودية التى هى تكذيب عيسى عليه السلم اى
اليهود على ضلالتهم لانكارهم النسخ وانكارهم عيسى عليه السلم
وبعض الانبيا ومن كفر بنبى فقد كفر بالجميع وكان سفيان

اذا

اذا ترى هذه الاية بقول صدقوا جميعا والله قوله تعالى وهم يتلون
الكتاب فى موضع نصب على الحال والعامل فيها قالت واصل يتلون
يتلوون فسكنت الواو ثم حذفت بينهما هذا الاختلاف وكتابهم
واحد فدل بهذا على ضلالتهم وقيل كل منهم يتلو كتابه وهذا
تعجب منهم وفيه بيان ان الانكار من غير برهان لا وقع له قوله
تعالى كذلك اى مثل هذا القول وعلى هذا المنهاج قالت مشركوا
العرب قالوا لمحمد واصحابه لستم على شى قاله السدى ومقاتل وقيل
وقيل قال اباؤهم الذين مضوا مثل قولهم وقيل هم امم كانت قبل اليهود
والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب صلوات الله
عليهم اجمعين ونحوهم قالوا فى نبيهم انه ليس على شى وان دينا قاله
عطا وقوله مثل منصوب بيعلمون او بقال على انه مفعول به او صفة لمصدر
محذوف قوله تعالى فالله يحكم بينهم يوم القيمة اى يقضى بين المحق
والمبطل يوم القيمة فيما كانوا فيه من الدين ومعنى لا يعلمون اى لا
يعلمون الكتاب مثل اليهود والنصارى قوله تعالى ومن اظلم ممن منع
مساجد الله من نكرة موصوفة او بمعنى الذى ان يذكر فيها فيه ثلاثة
اقوال احدها هو فى معنى نصب على البدل من مساجد بدل الاشتمال
تقديره ذكر اسمه فيها والثانى ان يكون فى موضع نصب على
المفعول تقديره كراهية ان يذكر والثالث ان يكون فى موضع
جر تقديره ان يذكر اما المساجد فهى موضع العبادة وفى المراد بها
هاهنا قولان احدهما ما نسب الى التعبد من بيوت الله تعالى
لحقيقة الاسم والثانى انه كل موضع من الارض اقيمت فيه عبادة
من بيوت الله وغيرها لقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لى الارض
مسجدا وفى المانع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه اربعة اقوال

الدين صح

احدها جماعة من الروم غزوا بنى اسرائيل فقتلوا مقاتلتهم
وسبوا ذراريهم وحرقوا وخربوا بيت المقدس ورموا فيه
الجيف وذبحوا فيه الخنازير فكان خرابا الى ان بناه المسلمون
فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه والثانى بخت نصر
واصحابه من المجوس غزوا اليهود وخربوا بيت المقدس واعانهم
على ذلك النصارى قاله قتادة قال السدى من اجل انهم قتلوا
يحيى بن زكريا وقال قتادة حملهم بغض اليهود على معاونة
بخت نصر والثالث انهم مشركوا قريش منعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام يوم الحديبية قاله عبد الرحمن
ابن زيد والرابع انه عام فى كل مشرك منع من كل مسجد حكاه
الماوردى والقشيرى وقوله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها
فيه قولان احدهما فى نقضها والثانى منع ذكر الله فيها وكل مسجد
منع من عبادة الله فيه فقد سعى فى خرابه قوله تعالى اولئك ما كان
لهم ان يدخلوها الا خائفين قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها
الا خائفا ولو علم به قتل وقال السدى خائفين باداء الجزية وقال
اهل المعانى انه خبر ومقصوده الامر اى جاهدوهم واستاصلوهم حتى
لا يدخل احد منهم المسجد الحرام الا خائفا كقوله تعالى وما كان لكم
ان تؤذوا رسول الله فانه نهى ورد بلفظ الخبر الا خائفين حال من
الضمير فى يدخلوها قوله تعالى لهم فى الدنيا خزى جملة مستانفة
وليست حالا مثل خائفين لان استحقاقهم الخزى ثابت فى كل
حال لا فى دخولهم المساجد خاصة والمعنى لهم فى الدنيا عذاب وهوان
قال قتادة هو القتل للحربى والجزية للذمى وقال مقاتل والكلبى

فتح

فتح مدائنهم واستبيصالهم وقهرهم وقال ابن زيد طردهم
عن المسجد الحرام فلا يدخله مشرك ظاهرا ابدا قوله ولهم فى
الاخرة عذاب عظيم اى اشد من كل عذاب قوله تعالى ولله المشرق
والمغرب هما موضع الشروق والغروب واختلفوا فى سبب
نزولها فقال ابن عباس فى رواية الوالبى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة امره الله ان يستقبل بيت
المقدس ففرحت اليهود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحب قبلة ابراهيم صلى الله عليه وسلم فلما صرفه الله اليها عيرت
اليهود المؤمنين فانزل الله فاينما تولوا فثم وجه الله وقيل
ان الصحابة كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فى ليلة
مظلمة فلم يعرفوا القبلة فجعل كل واحد منهم مسجدا بين يديه
وصلى فلما اصبحوا اذا هم على غير القبلة فذكروا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه فانزل الله هذه الاية رواه عامر عن ربيعة وقيل
نزلت فى التطوع بالنافلة فى السفر قاله ابن عمر وقال عطاء
وقتادة نزلت فى النجاشى وذلك انه توفى فقال جبريل عليه السلم
ان اخاكم النجاشى مات فصلوا عليه فقالت الصحابة كيف نصلى
على رجل مات وهو يصلى الى غير قبلتنا وكان يصلى الى بيت المقدس
حتى مات فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مجاهد والحسن و
الضحاك لما انزل وقال ربكم ادعونى استجب لكم قالوا اين ندعوه
فنزلت هذه الاية قوله تعالى فاينما شرط وتولوا مجزوم به
وهو الناصب لاين والجواب فثم وقرى شاذا تولوا بفتح التاء ونيه

وجهان احدهما هو مستقبل ايضا وتقديره تتولوا فحذف
التاء الثانية الثاني انه ماض والضمير للغائبين والتقدير
اينما يتولون وقيل يجوز ان يكون ماضيا وقد وقع لا يكون اين
شرطا في اللفظ بل في المعنى كما تقول ما صنعت صنعت اذا
اردت الماضي وهذا ضعيف لان اين اما استفهام واما شرط
وليس لها معنى ثالث وثم اسم للمكان البعيد عنك وبني لتضمنه
معنى الاشارة وقيل بني لتضمنه معنى حرف الخطاب لانك تقول
في الحاضر هنا وفي الغائب هناك وثم ناب عن هناك والمعنى فاين
ما تولوا وجوهكم فحذف المفعول للعلم به واختلفوا في قوله تعالى
فثم وجه الله فقال الكلبي والقتيبي فثم الله يعلم ويرى والوجه صلة
كقوله يريدون وجهه اي يريدون به الدعا وقوله كل شيء هالك
الا وجهه اي الا هو وكذلك قوله ويبقى وجه ربك اي ربك وكذلك
قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله اي لله وقال الحسن ومجاهد
ومقاتل بن حيان فثم قبلة الله اضافها الى نفسه تخصيصا وتفضيلا
كما يقال بيت الله وناقة الله والوجه الجهة والوجه القبلة
والعرب يسمي القصد الذي يتوجه اليه وجها قال الشاعر
استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل
معناه اليه القصد بالعبادة وقيل فثم يجدون الوجاهة من الله
فالوجه للعبد واضيف الى الله اكراما كقوله تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان اي مقامه من ربه قوله تعالى ان الله واسع عليم
قال الكلبي واسع المغفرة قال تعالى ان ربك واسع المغفرة وقال
ابو عبيد الواسع الغني يقال فلان يعطي من سعة اي من غنا قال

تعالى

تعالى لينفق ذو سعة من سعته وقال الفرا الواسع الجواد
الذي يسع عطاؤه كل شيء دليله قوله تعالى ورحمتي وسعت
كل شيء وقيل الواسع العالم الذي يسع علمه كل شيء قال تعالى وسع
كرسيه السموات والارض اي علمه على راي وعليم اي بنياتهم حيث
ما صلوا ودعوا قال بعض السلف دخلت ديرا فجا وقت الصلوة
فقلت لبعض من في الدير من النصارى دلني على بقعة طاهرة اصلي
فيها فقال لي طهر قلبك عمن سواه وقف حيث شئت قال فخجلت
منه ومن قوله وانا المؤمن وهو الكافر قوله تعالى وقالوا اتخذ
الله ولدا يقرا بالواو عطفا على قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة
ويقرا بغير واو على الاستيناف نزلت هذه الاية ردا على اليهود
والنصارى والمشركين فانهم وصفوا الله بالولد فقالت اليهود
عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله وقالت المشركون
الملايكة بنات الله فنزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد فقال
سبحانه اي نزه عن ذلك قوله تعالى بل له اي ليس الامر كما
قالوا له ما في السموات والارض عبيدا وملكا قوله تعالى كل
له قانتون اي مطيعون والقنوت الطاعة والقانت المطيع له ومنه
قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل وقال تعالى والقانتين والقانتات
وقال ابن كيسان قايمون بالشهادة واصل القنوت القيام سال
صلى الله عليه وسلم اي الصلوة افضل قال طول القنوت فان
قيل كيف عم بهذا القول وكثير من الخلق ليس له بمطيع قلنا عنه
ثلثة اجوبة احدها ان هذا من العموم الذي اريد به الخصوص

وسلكوا في تخصيصه طريقين احدهما قالوا هو راجع الى عزير
والمسيح والملائكة عليهم السلام هذا قول مقاتل ويمان و
الطريق الثاني قالوا هو راجع الى اهل طاعته دون غيرهم وهذا
قول ابن عباس والفرا الجواب الثاني ان الاية عامة في جميع الخلق
ثم سلكوا في الكفار طريقين احدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه
وهذا قول مجاهد دليله قوله تعالى تتفيؤا ظلاله وقوله وظلالهم
بالغدو والاصال فنسب القنوت اليهم لذلك والطريق
الثاني ان هذا في يوم القيمة قاله السدي تصديقه **قوله تعالى**
وعنت الوجوه للحي القيوم الجواب الثالث قاله اهل المعاني ان
كل مخلوق قانت له باثر صنعه فيه وجرى احكامه عليه وقوله
كل له قانتون اي كل واحد منهم او كلهم لان الاصل في كل ان
تستعمل مضافة ومن هنا ذهب جمهور النحويين الى منع دخول
الالف واللام على كل لان تخصيصها بالمضاف اليه فاذا لم يكن ملفوظا
به كان في حكم الملفوظ به وحمل الخبر على معنى كل جمعه في قوله
قانتون ولو قال قانت جاز على لفظ كل **قوله تعالى** بديع السموات
والارض البديع الذي يبدع الاشيا اي يحدثها مما لم يكن وبديع
المعنى مبدع قال الزجاج بديع السموات والارض منشيها على غير
مثال سبق وكل من انشا ما لم يسبق اليه فقد ابدع ولهذا قيل
لمن خالف السنة مبتدع لانه احدث في الاسلام ما لم يسبقه اليه
السلف **قوله** اذا قضى امرا اي قدره واراد خلقه واصل القضا
اتمام الشي واحكامه ومنه قيل للحاكم قاض لفصله الامور وقيل
للميت قد قضى اي فرغ من الدنيا **قوله تعالى** فانما يقول له كن

قيل لمن خالف السنة مبتدع

فان

فان قيل في اي حال يقول كن اي في حال عدمه ام في حال وجوده
فان كان في حال عدمه استحال ان يامر الا مامورا كما يستحيل
الامر الا من امر وان كان في حال وجوده فتلك حال لا يجوز ان
يومر فيها بالوجود والحدوث لانه موجود حادث قلنا عنه اجوبة
ثلثة احدها انه خبر من الله تعالى عن نفوذ اوامره في خلقه الموجود
كما امر بني اسرايل ان يكونوا قردة خاسين ولا يكون هذا واردا
في ايجاد المعدومات الثاني ان الله تعالى عالم بما هو كاين قبل كونه
فكانت الاشيا التي لم تكن وهي كاينة لعلمه بها مشابهة للاشيا
التي هي موجودة فجاز ان يقول لها كوني ويامرها بالخروج من
حال العدم الى حال الوجود لتصور جميعها له ولعلمه بها في حال
العدم الثالث ان ذلك خبر من الله تعالى عام عن جميع ما يحدثه
ويكونه اذا اراد خلقه وانشاده كان ووجد من غير ان يكون هناك
قول يقوله وانما هو قضا يريده فعبر عنه بالقول وان لم يكن قولا
قوله فيكون الجمهور على الرفع عطفا على يقول او على الاستيناف
اي فهو يكون لان الكلام تم عند قوله كن ثم قال فيكون ما اراد الله
قال الفرا وانه لاجب الوجهين الي وقرا ابن عامر فيكون بالنصب
على جواب لفظ الامر بالفا في ظاهرا اللفظ وهو ضعيف لوجهين
احدهما ان كن ليس بامر على الحقيقة اذ ليس هناك مخاطب به وانما
المعنى على سرعة التكوين ولفظ الامر يرد ولا يراد به حقيقة
الامر كقوله اسمع بهم وابصر وكقوله فليمدد له الرحمن
والوجه الثاني ان جواب الامر لا بد ان يخالف الامر اما
في الفعل او في الفاعل او فيهما ومثال ذلك قولك اذهب

جود

متفعك زيد فالفعل والفاعل في الجواب غيرهما في الامر ويقول
اذهب يذهب زيد فالفعلان متفقان والفاعلان مختلفان
ويقول اذهب تشفع فالفاعلان متفقان والفاعلان مختلفان
فاما ان يتفق الفعلان والفاعلان فغير جايز كقولك اذهب
تذهب والعلة فيه ان الشي لا يكون شرطا لنفسه فالله تعالى
لا يلحقه نصب في شي من كان هكذا لا يحتاج الولد **قوله تعالى**
وقال الذين لا يعلمون قال ابن عباس هم اليهود وقال مجاهد
هم النصارى بين تحكمهم واقتراحهم بعد ما بان لهم صدق
الرسول وقال الحسن وقتادة هم مشركوا العرب قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم لا نؤمن لك حتى يكلمنا الله انك رسوله او
تاتينا بمثل الايات التي اتت بها الرسل وقوله لولا بمعنى
هلا وكلما في القران لولا يفسر على هلا غير التي في الصافات
فلولا انه كان من المسبحين **قوله تعالى** كذلك قال الذين من
قبلهم مثل قولهم فيهم ثلثة اقوال احدها انهم اليهود قاله
مجاهد والثاني انهم النصارى قاله قتادة والثالث انهم اليهود
والنصارى وغيرهما من الكفار اعلم الله ان كفرهم في التعنت بطلب
الايات ككفر الذين من قبلهم في قولهم لموسى صلى الله عليه وسلم
ارنا الله جهرة وما اشبه ذلك وفي هذه تعزية للنبي صلى الله عليه
وسلم **قوله تعالى** تشابهت قلوبهم اي اشبه بعضها بعضا في
الكفر والقسوة ومسالة المحال كقوله تعالى يضاهون قول الذين
كفروا من قبل **قوله تعالى** قد بينا الايات لقوم يوقنون يريد من
ايقن وطلب الحق فقد اتته الايات والبيان نحو المسلمين ومن

لم يعاند من علماء اليهود **قوله تعالى** انا ارسلناك بالحق فيه خمسة
اقوال احدها ان الحق القران دليله قوله تعالى بل كذبوا بالحق و
قوله تعالى حتى جاءهم الحق قاله ابن عباس والثاني انه الاسلام دليله
قوله تعالى وقل جاء الحق قاله ابن كيسان والثالث انه الصدق من
قولهم فلان محق في دعواه اذا كان صادقا دليله قوله تعالى ويستنبؤنك
احق هو اي صدق وقال مقاتل معناه لن نرسلك عبثا لغير شي بل
ارسلناك بالحق دليله قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق وهو ضد الباطل والرابع هو قسم اي بالله
لقد ارسلناك بشيرا ونذيرا فالحق هو اسم الله تعالى والخامس
بالحق اي مع الحق كقوله تعالى وقد دخلوا بالكفر **قوله تعالى** بشيرا
اي مبشرا لاوليائي واهل طاعتي بالثواب **قوله** ونذيرا اي منذرا
ومخوفا لاعدائي واهل معصيتي بالعذاب الاليم وبشيرا ونذيرا
حالان **قوله تعالى** ولا تسل عن اصحاب الجحيم قال مقاتل ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لو ان الله انزل باسه باليهود امنوا فانزل الله
ولا تسل عن اصحاب الجحيم اي لست بمسول عنهم وليس عليك
من شانهم عهدة ولا تبعة فلا تحزن عليهم وقرا نافع تسال بفتح
التاء وجزم اللام على النهي للنبي صلى الله عليه وسلم اي بلغ الرسالة
ولا تسال عن احد ممن كذبك هل لك ان تشفع فيهم فلم ينفعهم
شفاعة ولو قال فلا تسال بالفا الحسن ايضا قال ابن عباس على هذا
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل عليه السلم عن قبر ابيه
وامه فدله عليهما فذهب الى القبر فدعا لهما وتمنى ان يعرف

نك

جالهما في الآخرة فنزل ولا تسأل عن أصحاب الجحيم رواه عطا عن ابن
عباس فما ذكرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى
توفاه الله قال ابن عباس وفيه نزل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين وقيل ولا تسأل عن النهي تعظيما للأمر وتعجيب أي ولا
تسأل عن بلائهم كما تقول لا تسأل عما فيه فلان من البلاء فإنه أعظم
من أن يوصف وقرأ ابن مسعود ولن تسأل يؤيد قراءة الجمهور تسأل
بالرفع وقرأ أبي وما تسأل عن أصحاب الجحيم والجحيم النار المتلظية
العظيمة يقال جحمت النار تجحم جحوما فهي جاحمة قال تعالى فألقوه في
الجحيم **قوله تعالى** ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم قال المفسرون كانت اليهود والنصارى يسألون النبي صلى الله
عليه وسلم الهدنة ويطمعونه ويرونه أنه إن هادنهم اتبعوه فأنزل
الله تعالى هذه الآية وأخبر أنه لا يرضيهم إلا ما يستحيل وجوده لأن
اليهود لا ترضى عنه إلا بالتهود والنصارى بالتنصر ويستحيل الجمع
بينهما قال ابن عباس هذا في القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى
نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي صلى الله عليه وسلم إلى قبلتهم فلما صرف
الله نبيه إلى الكعبة شق ذلك عليهم وايسوا منه أن يوافقهم على
دينهم فأنزل الله هذه الآية **وقوله** حتى تتبع قال الخليل الناصب أن
ولكنها لا تظهر مع حتى وذلك لأن حتى خافضة للاسم كقوله تعالى
حتى مطلع الفجر وما يعمل في الاسم لا يعمل في الفعل البتة وما يخفض
اسما لا ينصب شيئا وملتهم أي دينهم وسمي الدين بها لأنه يمل أي
يملى على المدعو إليه وأمل وأملى بمعنى وقيل الملة فعلة من مله يمله أي
ألقاه في الرماد الحار سمي الدين بها لما فيه من المشاق وترك هوى النفس
وقيل الملة الطريقة والسنة ومنه الملة لأنها تؤثر في مكانها كما يؤثر

السلوك

السلوك في الطريق فأصل الكلمة التأثير قاله الزجاج **قوله تعالى**
قل إن هدى الله هو الهدى يجوز أن يكون هو توكيدا للاسم إن وفصلا
ومبتدأ قال ابن عباس يريد أن الذي أنت عليه هو دين الله الذي
رضيه **قوله** ولئن اتبعت أهواءهم قال ابن عباس صليت نحو قبلتهم **قوله**
تعالى بعد الذي جاءك من العلم بأن دين الله الإسلام وأن القبلة
هي الكعبة ما لك من الله من ولي ولا نصير أي من يتولاك فيدفع عنك
العقوبة ثم قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته لأنه
معصوم عن اتباع هوى الكافرين وقيل الخطاب له ولغيره **قوله**
تعالى الذين آتيناهم الكتاب الذين مبتدأ وآتيناهم صلته ويتلونه حال
مقدرة من هم أو من الكتاب لأنهم لم يكونوا وقت إيتائه تالين له قال
ابن عباس نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب
رضي الله عنه وعنهم وكانوا أربعين رجلا اثنان وثلثون من الحبشة
وثمنية من رهبان الشام منهم بحيرا وقال الضحاك هو من آمن من
اليهود عبد الله بن سلام ومن تابعه وقال قتادة وعكرمة هم أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم المؤمنون عامة **قوله تعالى** يتلونه حق
تلاوته قال الكلبي يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس
وعلى هذا القول تكون الهاء راجعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال
آخرون هي عائدة إلى الكتاب قال ابن مسعود يتلونه حق تلاوته
يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويقرؤونه كما أنزل ولا يحرفونه
عن مواضعه وقال الحسن يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون
علم ما أشكل عليهم إلى عالمه وحق منصوب على المصدر لأنها
صفة التلاوة تقديره تلاوة حقا وإذا قدم وصف المصدر

واضيف اليه انتصب المصدر ويجوز ان يكون وصفا لمصدر محذوف **قوله تعالى** اولئك يؤمنون به اولئك مبتدأ ويؤمنون به خبره والجملة خبر الذين وفي به قولان احدهما بالنبي صلى الله عليه وسلم والثاني بالكتاب وقيل بالعلم المذكور في قوله الذي جاءك من العلم وما بعد هذا قد تقدم تفسيره الى **قوله تعالى** واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات اذ في موضع نصب على المفعول به اي اذكروا الالف في ابتلى منقلبة عن واو واصله من بلا يبلو اذا اختبر وابتلا يعود الى اعلامه عبادة الله لا الى استعلامه لانه يعلم ما يكون فلا يحتاج الى الابتلا ليعلم والمعنى انه عامله معاملة المختبر وفي ابرهيم اربع لغات قرا ابن الزبير ابرهام بالف واحد بين الهاء والميم وقرا ابو بكر ابراهم وقرا عامر بالفين والباقون ابرهيم وهو اسم اعجمي معرفة وقرئ برفع ابرهيم ونصب ربه ويروى في ذلك عن ابن عباس وابي حنيفة على معنى دعا وسال فعل المختبر هل تجيبه البهرام لا وهذا غير قوي لاجل الباقي بكلمات واختلفوا في مسكنه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من ارض الاهواز وقيل بابل وقيل كوثي وقيل حران ولكن اباه نقله الى بابل ارض نمرود بن كنعان واختلف العلما في الكلمات التي ابتلا بها ابرهيم عليه السلم فقال عكرمة عن ابن عباس هي ثلثون سهما وهي شرايع الاسلام ولم يبتل احد بهذا الدين فقام به كله غير ابرهيم صلى الله عليه وسلم فاتمهن فكتب الله له البراة فقال تعالى وابرهيم الذي وفي وهي عشرة في براة التائبون العابدون الى اخرها، وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى اخرها، وعشرة في المؤمنين وسال سايل قد افلح المؤمنون الى قوله تعالى على صلاتهم حافظون

وروى طاوس عن ابن عباس قال ابتلاه بعشرة اشيا من سنن الاسلام خمس في الراس وخمس في الجسد فالتي في الراس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس والتي في الجسد تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجا بالما وقال الربيع وقتادة هي مناسك الحج وقال الحسن ابتلاه بسبعة اشيا ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس فاحسن في ذلك وعلم ان ربه دايم لا يزول وابتلاه بالنار فصبر وابتلاه بالهجرة وابتلاه بذبح ولده فصبر وبالختان فصبر على ذلك وقال سعيد بن جبير هي قول ابرهيم واسمعيل اذ يرفعان البيت ربنا تقبل منا الاية فرفعاها بسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال يمان هي محاجته قومه قال تعالى وحاجه قومه الى قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه وقال ابو روق هي قوله الذي خلقني فهو يهدين وقال بعضهم هي ان الله تعالى ابتلاه في نفسه وماله وولده فسلم ماله للضيفان وولده الى القربان ونفسه الى النيران وقلبه الى الرحمن فاتخذه خليلا **روى** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا اخبركم لم سمى الله ابرهيم خليله الذي وفى لانه كان يقول كلما اصبح وكلما امسى سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون **وروى** ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اختتن ابرهيم بالقدوم وهو ابن ثمنين سنة رواه البخاري ومسلم وحكى عن ابن عباس وابي هريرة اختتن بعد عشرين ومائة سنة وكان سعيد بن المسيب يقول كان ابرهيم اول الناس اضاف

الضيف واول الناس اختتن واول الناس قص شاربه
وقلم اظفاره واستحد واول الناس راى الشيب فلما
راه قال يا رب ما هذا فقيل له هذا الوقار قال يا رب زدني
وقارا **قوله تعالى** فاتمهن اي ذاهن تامات غير ناقصات
فقال الله له اني جاعلك للناس اماما جاعلك يتعدى الى
مفعولين لانه من جعل التي بمعنى صير وللناس يجوز ان يتعلق
بجاعل اي لاجل الناس ويجوز ان يكون موضع نصب على الحال
والتقدير اماما للناس فلما قدمه نصبه على ما ذكرنا قال ابن
عباس اوحى الله تعالى اليه اني جاعلك للناس اماما يقتدي بك
الصالحون من بعدك والامام كل من ائتم به قوم واصله من الام
وهو القصد فالنبي امام امته والخليفة امام رعيته لانهم قصدوا
سلوك طريقه فقال ابرهيم ومن ذريتي وفيه قولان احدهما
انه طمع في الامامة لذريته فسال الله ذلك لهم والثاني
انه قال ذلك استخبارا عن حالهم هل يكونوا اهل طاعة فيصيروا
ائمة فاخبره الله ان فيهم ظالما لا يستحق الامامة واصل الذرية
الاولاد الصغار مشتق من الذر لكثرته وقيل من الذرا وهو
الخلق فخفف الهمزة وادخل التشديد عوضا من الهمزة كالبرية
وفيها ثلث لغات ذرية بكسر الذال وهي قراءة زيد بن ثابت
وذرية بفتحه وهي قراءة جعفر وذرية بضمه وهي قراءة العامة
والذرية يقع على الاباء والابناء والاولاد والنساء قال الله تعالى
واية لهم انا حملنا ذريتهم اراد اباءهم الذين حملوا مع نوح في السفينة
وقال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا الى قوله ذرية بعضها

من

من بعض فدخل فيها الاباء والابناء وتكون الذرية واحدا وهو
قوله هب لي من لدنك ذرية طيبة يعني ولدا صالحا **قوله تعالى**
قال الله لا ينال عهدي اي لا يصيب عهدي الظالمين وقرا ابن
مسعود الظالمون على الفاعل وقرا ابو رجا والاعمش وحمزة
وحفص عهدي الظالمين مرسلة اليا وعهدي الظالمين بفتح اليا
وهي قراءة العامة وفي هذا العهد ستة اقوال احدها انه النبوة
قاله السدي دليله قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه والثاني انه الامانة قاله مجاهد دليله قوله تعالى واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم وهو قول ابي حذيفة فليس لظالم ان يطاع
في ظلمه والثالث انه الامان قاله قتادة وابو عبيدة دليله قوله
تعالى واتموا اليهم عهدهم والرابع انها الرحمة قاله عطا والخامس
انه دين الله قاله الضحاك والسادس انه الجزاء والثواب حكاه
الماوردي والسابع انه الميثاق وحكاه القشيري وفي المراد
بالظالمين هاهنا قولان احدهما انهم الكفار قاله السدي والثاني
العصاة قاله عطا **قوله تعالى** واذ جعلنا البيت مثل واذ ابتلى
وجعل هاهنا يجوز ان يكون بمعنى صير ويجوز ان يكون بمعنى خلق او
وضع فيكون مثابة حالا وعني بالبيت البنية التي هي الكعبة ولهذا
ذكر بالالف واللام **قوله** مثابة يقال ثاب يثوب مثابا ومثابة و
ثووبا وثوبانا فالمثاب مصدر وصف به ويراد به الموضع الذي
يثاب اليه وليست الها للتانيث بل هو كما يقال درهم ضرب الامير
والمصدر وقد يوصف به يقال رجل عدل رضى اي معدل مرضي والمصدر

المونث قد يكون خبرا عن المذكر يقول اكل الرمان لذة وذكر اخبار
الصلحين عظة وقيل المثابة الموضع الذى يثاب اليه وليست الهاء
للتانيث بل هو كما يقال للمجلس مقام ومقامة فالهاء للتخصيص كالقطنة
والصوفة وقيل الهاء للمبالغة فى كثرة من يثوب اليه كقولك رجل علامة
ونسابة وقيل مثابة اى تحجون فتثابون عليه قال ابن قتيبة المثاب
المعاد من قولك ثبت الى كذا اى عدت اليه فاراد ان الناس لا يقضون
منه وطرا كلما اتوه وانصرفوا اشتاقوا الى الرجوع اليه وقال قتادة
وعكرمة مجمعا لاجتماع الناس عليه فى الحج والعمرة وقرا طلحة بن
مصرف مثابات على الجمع قوله تعالى للناس صفة لمثابة ويجوز ان
يتعلق بجعلنا ويكون التقدير لاجل نفع الناس قوله وامنا يريد
مامنا قال ابن عباس يريد ان من احدث حدثا فى غيره ثم لجا اليه
فهو امن ولكن ينبغى لاهل مكة ان لا يبايعوه ولا يطعموه ولا يسقوه
ولا يؤذوه حتى يخرج فاذا خرج اقيم عليه الحد وهو مذهب ابن
عمر وعطا والشعبى وسعيد بن جبير وطاوس وابى حنيفة ومن
احدث فى الحرم حدثا اقيم عليه الحد فيه اجماعا لانه هتك حرمة الحرم
ومذهب الشافعى انه لا يامن بالالتجا الى الحرم ويستوفى منه ما وجب
عليه فى الحرم على ما ورد فى الخبر ان الحرم لا يعيذ عاصيا ولا فارا بدم
فعلى هذا معنى قوله وامنا الاولى ان يامن فيه الجانى فان اخيف باقامة
الحد عليه جاز فقد قال كثير من المفسرين من شا امن ومن شا لم
يؤمن كما انه لما جعله مثابة من شا ثاب ومن شا لم يثب وكان قبل الا
سلام يرى الرجل قاتل ابيه فى الحرم فلا يتعرض له وهذا شى كانوا

توارثوه

توارثوه من دين اسمعيل عليه السلم فبقوا على ذلك الى ايام محمد
صلى الله عليه وسلم واليوم من اصاب فيه جريرة اقيم عليه الحد بالاجماع
وقيل وامنا اى يامن ان يبخس فيه الثواب ثم وصف الله البيت
بالامن والمراد جميع الحرم كما قال تعالى هديا بالغ الكعبة قوله
تعالى واتخذوا قرا شيبة ونافع وابن عامر والاعرج والحسن وابن
ابى اسحق بفتح الخاء على الخبر اخبر عن ولد ابرهيم اى وجعلنا البيت
مثابة واتخذوه مصلى وقرا الباقون بكسر الخاء على الامر فيكون على
هذا مستانفا يدل عليه ما روى انس قال قال عمر رضى الله عنه وافقنى
ربى فى ثلث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابرهيم مصلى فانزل
الله واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقلت يا رسول الله انه يدخل
عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فانزل الله
اية الحجاب قال وبلغنى بعض ما اذين رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى نساءه
فدخلت استقريهن واحدة واحدة قلت والله لتكففن عن رسول
الله او ليبدلنه الله ازواجا خيرا منكن حتى اتيت على زينب فقالت
يا عمر اما كان فى رسول الله ما يعظ ازواجه حتى تعظهن انت
فانزل الله تعالى عسى ربه ان طلقكن الاية رواه البخارى فى تفسير
هذه الاية ومن مقام يجوز ان يكون من للتبعيض اى بعض مقام
ابرهيم مصلى ويجوز ان يكون من فى معنى فى ويجوز ان يكون زائدة
على قول الاخفش واختلفوا فى مقام ابرهيم على خمسة اقوال
احدها انه الحرم كله قاله النخعى ومجاهد والثانى انه عرفة و
مزدلفة والجمار قاله عطا والشعبى والثالث انه البيت والرابع

انه المسجد حكاهما القشيري والخامس انه الحجر الذي في
المسجد وهو مقامه المعروف امروا بالصلوة عنده ولم
يومروا بمسحه ولا بتقبيله وهذا اصح والمقام في اللغة موضع
القدمين حيث يقوم عليه الانسان وهو الحجر الذي وضعه
اسمعيل تحت قدم ابرهيم في حال بنا البيت لما ضعف ابرهيم
عليه السلم عن رفع الحجارة قال انس رايت المقام فيه اثر اصا بعه
وعقبه واخمص قدمه غير انه اذهبه مسح الناس بايديهم وعلى
هذا قوله من مقام ابرهيم كقوله اتخذت من فلان صديقا فمن
لبيان المتخذ وتمييزه وعن جابر ابن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام
ركعتين وشرب من ما زمزم غفر الله له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت
وكان عمرو بن العاص يقول عند المقام اشهد بالله اشهد بالله
اشهد بالله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن
اي لقد سمعت
والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان
نورهما طمس لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب وفي قوله مصلا
قولان احدهما مدعا يدعا فيه وهو قول مجاهد والثاني وهو الاظهر
مصلى يصلى فيه وقيل سبب وقوف ابرهيم عليه السلم على الحجر
ما روى ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان ابرهيم عليه السلم
اتى باسمعيل وهاجر الى مكة وتزوج اسمعيل امراة بها ثم استاذن
ابرهيم عليه السلم سارة ان ياتي اسمعيل فاذنت له وشرطت عليه
ان لا ينزل فقدم ابرهيم عليه السلم وقد ماتت هاجر فذهب الى
بيت اسمعيل فقال لامراته اين صاحبك قالت ليس هاهنا ذهب

يتصيد

يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع فقال لها
ابرهيم هل عندك ضيافة هل عندك طعام او شراب قالت ليس
عندي وما عندي احد فقال لها ابرهيم عليه السلم اذا جاء زوجك
فاقريه السلم وقولي له يغير عتبة بابه وذهب ابرهيم عليه
السلم فجا اسمعيل عليه السلم ووجد ريح ابيه فقال لامراته
هل جاءك احد قالت جاني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة
بشانه قال فما قال لك قالت قال سلمي على زوجك وقولي له
يغير عتبة بابه فطلقها وتزوج اخرى فلبث ابرهيم ما شاء
الله ان يلبث ثم استاذن سارة ان يزور اسمعيل عليه السلم فاذنت
له واشترطت عليه ان لا ينزل فجا ابرهيم عليه افضل السلام
حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامراته اين صاحبك قالت
ذهب يتصيد وهو يجي الان ان شا الله فانزل يرحمك الله قال لها
هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لها بالبركة
فلو جاءت يومئذ بخبز او بر او شعير او تمر لكانت اكثر اهل
الارض برا وشعيرا وتمرا فقالت له انزل حتى اغسل راسك
فلم ينزل فجاءته بالحجر فوضع رجله عليه وهو راكب فغسلت شق
راسه الايمن ثم رفعته وقد بقي اثر قدمه عليه فوضعته تحت
شقه الاخر وغسلته فجعله الله من شعائره ثم قال لها اذا جاء
زوجك فاقريه السلم وقولي له قد استقامت عتبة بابك
فلما جاء اسمعيل عليهما السلم وجد ريح ابيه فقال لامراته

هل جاءك احد قالت شيخ احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال
لي كذا وقلت له كذا وغسلت راسه وهذا مقامه وموضع قدميه
فقال ذاك ابرهيم عليه السلم قوله تعالى وعهدنا الى ابرهيم و
اسمعيل اي امرناهما واوصينا اليهما واسمعيل اسم اعجمي وفيه لغتان
اسماعيل واسماعين قوله تعالى ان طهرا بيتي فيه ثلثة اقوال احدها
من الاصنام والثاني من الكفار والثالث من الانجاس قال سعيد بن
جبير وعطا ومقاتل طهراه من عبادة الاوثان والشرك وقول الزور
وقوله بيتي يريد البيت الحرام فان قيل فلم يكن على عهد ابرهيم عليه
السلم قبل بناء البيت بيت يطهر قلنا عنه جوابان احدهما ابنياه
مطهرا قاله السدي والثاني معناه طهرا مكان البيت وكانت هناك
اصنام فامروا باخراجها وقيل كان مكان البيت قبل ان يبنى مزبلة
يلقى عليها الفرث والدم وكان ذلك المكان يسمى بيتا قال ابن عباس
طهرا بيتي اي نظفاه ونحراه واضاف البيت اليه تخصيصا وتفضيلا
وسمع عمر رضي الله عنه صوت رجل في المسجد فقال ما هذا اتدري
اين انت وروى حذيفة بن يمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اوحى الله الي يا اخا المرسلين يا اخا المنذرين انذر قومك ان
لا يدخلوا بيتا من بيوتي الا بقلوب سليمة والسنة صادقة وايد
نقية وفروج طاهرة ولا يدخلون بيتا من بيوتي ولاحد عندهم
مظلمة فاني العنه ما دام قائما بين يدي يصلي حتى يرد تلك الظلامة
الى اهلها فاكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويكون
من اوليائي واصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين و
الشهدا والصالحين وعن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم انه قال جنبوا مساجدكم علمائكم يعني صبيانكم ومجانينكم
وسل سيوفكم ورفع اصواتكم وحدودكم وخصومتكم وبيعكم وشراكم
ونحروها يوم جمعكم واجعلوا على ابوابها مطاهركم وكره الحسن
واهل المدينة بيتي بفتح الياء قوله تعالى للطائفين تقول طاف
يطوف ويطيف طوفا وطوافا وطوفانا واطاف يطيف بمعنى واحد
وفي الطائفين قولان احدهما ان الغربا الذين ياتون البيت من
افاق الارض قاله سعيد بن جبير والثاني انهم الذين يطوفون بالبيت
قاله عطا قوله تعالى والعاكفين فيهم اربعة اقوال احدها انهم
اهل البلد الحرام قاله سعيد بن جبير وقتادة والثاني انهم المعتكفون
قاله مجاهد وعكرمة والثالث انهم المصلون قاله بن عباس والرابع
انهم المجاورون البيت الحرام بغير طواف ولا اعتكاف ولا صلوة
قاله عطا وروي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان لله في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على اهل
البيت ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين
قوله تعالى والركع يريد اهل الصلوة لانها تجمع ركوعا وسجودا
والسجود جمع ساجد وقيل هو مصدر وفيه حذف مضاف اي الركع
ذوي السجود وقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الطواف بالبيت صلوة الا ان الله عز وجل قد احل فيه
المنطق فمن نطق فلا ينطق الا بخير قوله تعالى واذ قال ابرهيم
رب اجعل هذا بلدا امنا اي واذكروا دعوة ابرهيم عليه السلم
حتى لا تنكروا ان تجعل هذا البيت قبلة والبلد جمع بلدة ويجوز ان
يكون واحدا وجمعه بلدان وبلاد ويطلق البلد على كل موضع

من الارض عامرا او غامرا مسكونا او خاليا ومنه يقال للموضع الخالي من الكواكب بين النعائم وسعد الذابح بلدة والذي ليس بمقرون الحاجبين ابلد لخلو ذلك المكان عن الشعر والاصل في الكلمة الاثر وفي الغالب يسمى الموضع المسكون البلد لان اثر الناس قد بدا فيه بالاستيطان ومقصود ابرهيم عليه السلم بهذا الدعاء ان يجعل الله ذلك الموضع مسكونا ويقال رجل بليد اذا ظهر اثر الجهل فيه وقوله تعالى اجعل اي صير وهذا المفعول الاول وبلدا المفعول الثاني واما صفة المفعول الثاني والبلد مكة وآمنا اي مأمونا لا يصاد طيره ولا يقطع شجره ولا يختلى خلاه ومن قتل صيد مكة فعليه جزاؤه واختلفوا في ان مكة هل صارت حرما بسؤال ابرهيم عليه السلم ام كانت قبله كذلك على قولين احدهما انها لم تزل حرما آمنا من الجبابرة المسلطين ومن الخسوف والزلازل وانما سأل ابرهيم عليه السلم ان يجعلها آمنا من الجدب والقحط وان يرزق اهلها من الثمرات روى ابو شريح الخزاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة قتلت خزاعة رجلا من هذيل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال يا ايها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى يوم القيمة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك فيها دما او يعضد بها شجرا وانها لا تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا هذه الساعة غضبا على اهلها الا وهي قد رجعت على حالها بالامس الا ليبلغ الشاهد الغائب فمن قال ان رسول الله قد قتل بها فقولوا ان الله قد احلها لرسوله ولم يحلها لك والقول

الثاني

الثاني ان مكة كانت حلالا قبل دعوة ابرهيم عليه السلم كسائر البلاد وانما بدعوته صارت حرما آمنا كما صارت المدينة بتحريم النبي صلى الله عليه وسلم حراما بعد ان كانت حلالا لقوله عليه السلم ان ابرهيم عليه السلم حرم مكة واني حرمت المدينة قوله تعالى وارزق اهله من الثمرات يعني انواع حمل الاشجار فاستجاب الله دعاء ابرهيم عليه السلم في المسلمين قال المفسرون ان الله تعالى بعث جبرئيل عليه السلم الى الشام حتى اقتلع الطائف من موضع الاردن ثم طاف بها حول الكعبة فسميت الطائف ثم انزلها تهامة ومنها تجبى الثمرات الى مكة قوله تعالى من آمن منهم بالله واليوم الآخر من بدل من اهله وهو بدل البعض من الكل كقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وهذا كما يقول اخذت المال ثلثيه ورأيت القوم ناسا منهم وانما خص ابرهيم عليه السلم بطلب الرزق للمؤمنين لان الله تعالى ادبه بقوله لا ينال عهدي الظالمين فتوهم انه كما لا يعطيهم النبوة الا اذا كانوا مؤمنين كذلك لا يرزق اهل مكة الا ان يكونوا مؤمنين فقال ومن كفر فامتعه قليلا فسأرزقه الى منتهى اجله وقال ابن عباس كانت دعوة ابرهيم يومئذ واهلها مؤمنون فما زالوا على ايمان حتى غير ذلك عمرو بن لحي الخزاعي وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته في جهنم يجر قصبه يعني امعاءه في النار وكان اول من غير دين ابرهيم وعبد الاصنام وسيب السائبة ونحر البحيرة وقهر

اهل مكة وقرا العامة فامتعه بالتشديد من التفعيل وعليه
التنزيل كقوله تعالى يمتعكم متاعا حسنا وقوله متعنا متاع
الحيوة الدنيا وقوله ومتعناهم الى حين وقرا ابن عامر بضم
الالف وجزم الميم خفيفة من الامتاع وافعل قد تكون بمعنى
فعل في كثير من المواضع نحو فرحته وافرحته وقرا ابى بن
كعب نمتعه قليلا ثم نضطره بالنون فيهما وقرا ابن عباس
فامتعه بفتح الالف وكسر التاء خفيفة ثم اضطره موصولة
الالف مفتوحة الراء على جهة الدعاء من ابرهيم عليه السلم و
قوله ومن كفر من بمعنى الذي او نكرة موصوفة وموضعها
نصب والتقدير قال وارزق من كفر وحذف الفعل لدلالة
الكلام عليه فامتعه عطف على الفعل المحذوف وقيل من
شرطية والفاء جوابها وكفر بمعنى يكفر ومعنى قليلا اى زمانا قليلا
وانما وصف بالقلة من حيث كان الى نفاد وقيل قليلا اى الى
خروج محمد صلى الله عليه وسلم فاذا بعثته منع الكفار من مكة
فالمتاع هو المقام في الحرم فكان ابرهيم عليه السلم يسال ان لا يسكن
مكة الا مومن فقال الله يسكنها الكفار الى مبعث محمد عليه السلم
حكاه القشيري **قوله تعالى** ثم اضطره اى الجئه في الاخرة الى
عذاب النار وبئس المصير اى المرجع يصير اليه وقرا الجمهور اضطره
على رفع الراء وقرئ بفتحها وقرا ووصل الهمزة على اللام كما تقدم **قوله**
تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل اى واذكر
ذلك القعود الثابت ومنه قوله تعالى تبوئ المومنين مقاعد للقتال

اى مثابت

اى مثابت ومراكز وقعدت المراة عن الحيض اى ثبتت على حالة
الطهر فالقواعد اصول الاساس الواحدة قاعدة ويقال لخشبات
اسفل الهودج القواعد لانها كالاساس له قال ابن عباس جاء ابرهيم
عليه السلم الى ابنه اسمعيل عليه السلم فقال يا اسمعيل ان الله تعالى
قد امرني بامر قال اطع ربك قال اتعينني فقال اعينك قال ان الله
امرني ان ابني له بيتا هاهنا فعند ذلك رفع ابرهيم القواعد من البيت
واسمعيل ربنا تقبل منا اى يقولان هذا كقوله تعالى والملائكة باسطوا
ايديهم اخرجوا انفسكم المعنى يقولان اخرجوا انفسكم ومثله يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم اراد يقولون وقرا ابى وابن مسعود
يقولان ربنا تقبل منا وقيل ان الله تعالى امد ابرهيم واسمعيل بسبعة
املاك يعينونهما على بناء البيت **قوله تعالى** انك انت السميع العليم
يريد السميع لدعائنا العليم بما في قلوبنا قال الخطابي ويكون السميع
بمعنى القبول والاجابة كقوله عليه السلم اعوذ بك من دعاء
لا يسمع اى لا يستجاب وقول المصلي سمع الله لمن حمده اى قبل
الله حمد من حمده **فصل في بناء البيت** روى انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال كانت الملائكة تحج الى هذا البيت قبل ادم
عليه السلم قال ابن عباس لما اهبط ادم قال الله يا ادم اذهب
فابن لي بيتا وطف به واذكرني حوله كما رايت ملائكتي تصنع
حول العرش فكان ادم عليه السلم اول من اسس البيت وطاف
به وحج اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه ولم يزل كذلك
الى زمن الطوفان فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور

ع

مطلب بنا البيت

٤٠ حجة

يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم
القيمة وبعث الله جبريل عليه السلم حتى خبا الحجر الاسود في
جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى
زمن ابرهيم عليه السلم ثم ان الله تعالى امر ابرهيم واسمعيل عليهما
السلم ببنا البيت فلم يدر ابرهيم عليه السلم اين يبني فسال الله
ان يبين له موضع البنا فبعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت
تسير وابرهيم يمشي في ظلها الى ان وافت مكة ووقفت على
موضع البيت ونودي منها ابرهيم ان ابن على ظلها فبنى على حيالها
وقال بعضهم ارسل جبريل عليه السلم ليدله على موضع البيت
وقال علي كرم الله وجهه بعث الله اليه السكينة لتدله على
موضع البيت وهي ريح خجوج لها راسان شبه الحية فتبعها
ابرهيم عليه السلم حتى اتيا مكة والخجوج هي التي تلتوي في هبوبها
وقال الاصمعي هي من الرياح الشديدة الممر وفي رواية عنه
ان الله تعالى انزل عليه كهيئة السحابة فيها راس تتكلم وتقول
يا ابرهيم علم على ظلي فلما علم ارتفعت وبنا البيت من خمسة
اجبل ١ طور سينا ٢ وطور زيتا ٣ ولبنان ٤ والجودي
وحرا ٥ وكانت القواعد من حرا فلما انتهى ابرهيم عليه السلم
الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل جيئني بحجر حسن يكون
للناس علما فاتاه بحجر فقال جيئني بحجر يكون احسن من هذا فمضى
اسمعيل عليه السلم يطلبه فصاح ابو قبيس يا ابرهيم ان لك عندي
وديعة فخذها فاخذ الحجر الاسود ووضعه مكانه **قوله تعالى**

ربنا

ربنا واجعلنا مسلمين لك اي مطيعين مستسلمين منقادين لحكمك
والمسلم المستسلم لامر الله تعالى وقرا عوف بن ابي جميلة مسلمين
بكسر الميم على الجمع **قوله تعالى** ومن ذريتنا امة مسلمة لك كل قوم
نسبوا الى نبي فاضيفوا اليه فهم امته وكل جيل من الناس امة على
حدة قال ابن الانباري والامة ايضا اتباع الانبيا قال ابن عباس يريد
امة محمد صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان
وانما خصا بالدعوة بعض الذرية لان الله تعالى اعلمهما ان في ذريتهما
من لا ينال العهد في قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين ويقال انه
لم يدع نبي الا لنفسه ولامته الا ابرهيم صلى الله عليه وعلى اله وسلم فانه
دعا مع دعايه لنفسه ولامته لهذه الامة لقوله تعالى ومن ذريتنا
امة مسلمة لك **وقوله** ومن ذريتنا ويجوز ان يكون من لابتدا غاية اجعل
فيكون مفعولا ثانيا وامة مفعولا اول ومسلمة نعت للامة **قوله تعالى**
وارنا مناسكنا قال الزجاج الاجود كسر الرا لان الاصل ارانا فالكسرة
في الرا انما هي كسرة همزة القت وطرحت حركتها على الرا فالكسرة
دليل الهمزة وحذفها قبيح وهو جائز على بعد لان الكسرة والضمة
تحذف استثقالا كقولهم في فخذ فخذ وقرا ابن مسعود وارهم ردا
الى الذرية وقرا ابن كثير وارنا بسكون الرا واختلس ابو عمرو كسرة
الرا واشبعها الباقون والمعنى عرفنا متعبداتنا والمواضع التي
تتعلق بها النسك لنفعله نحو المواقيت التي نحرم منها والموضع
الذي نوقف فيه بعرفة وموضع الطواف ورمي الجمار وقال
مجاهد مذابحنا والنسك الذبيحة واصل النسك العبادة ويقال

للعابد ناسك وقيل سمي منسكا لانه معتاد يتردد الناس اليه
في الحج والعمرة من قولهم لفلان منسك اذا كان له موضع معتاد
لخير او شر قوله تعالى وتب علينا اي تجاوز عنا وارجع علينا
بالرأفة والنعمة وقيل اراد من الصغاير وقيل المقصود ان يتاد
بادبهما في الرغبة في التوبة وقيل رجع الدعا اليهما والى الذرية
اي ارهم مناسكهم وتب عليهم قوله تعالى انك انت التواب اي
المتجاوز الرجاع بالرحمة على عباده الرحيم قوله تعالى ربنا وابعث
فيهم قال ابن عباس يريد في ولدي والكناية تعود الى الذرية والى
الامة في قوله امة مسلمة لك وكلاهما ولد ابرهيم عليه السلم وهم
العرب قوله تعالى رسولا منهم قال ابن عباس يريد محمدا عليه
السلم وقد روى خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك قال نعم انا دعوة
ابرهيم عليه السلم وبشرى عيسى عليه السلم وقوله منهم اي من
جملتهم يعرفون مولده ومنشاه ونسبه ليكون ذلك اقرب الى علمهم
بصدقه وليكون اشفق عليهم من اجنبي لو ارسل اليهم قوله تعالى
يتلوا عليهم اياتك اي القران جمع اية وهي العلامة وقيل عني الايات الدالة
على التوحيد وصدق الرسل وعلى احكام الشرع قوله تعالى ويعلمهم
الكتاب اي الكتب المنزلة على ساير الانبياء وذلك انه اذا علمهم
القران ففيه معاني ساير الكتب وقيل الايات والكتاب بمعنى
واحد وافردهما بالذكر لان التعليم انما يحصل بالتكرير عليه لا
بالتلاوة مرة وبالتعليم تخرج عن ان يكون اميا قوله تعالى والحكمة
قيل الحكمة هاهنا الكتاب فجمع لاختلاف اللفظين كقول الحطية

الاجدا

(الا حبذا هند وارض بها هند وهند اتى من دونها النأي والبعد)
وقال الشافعي رحمه الله الحكمة سنة الرسول عليه السلم لان الذي يقرن
بالكتاب هو السنة قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن
من ايات الله والحكمة اي السنة وقال مقاتل مواعظ القران
وما فيه من الاحكام وبيان الحلال والحرام وقال مجاهد فهم القران
وقال ابن منبه هي العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمع بينهما
وقيل هي كل كلمة وعظتك او زجرتك او دعتك الى مكرمة او نهتك
عن قبيح عمل فهي حكمة وحكم ومنه قوله عليه السلم من الشعر حكمة
وجاء في بعض الالفاظ حكما وقال محمد بن يعقوب هي كل صواب من
القول ورث فعلا صحيحا وحالا مستقيما وقال يحيى بن معاذ الحكمة
جند من جنود الله تعالى يرسلها الى قلوب العارفين حتى يروح عنها
وهج الدنيا وقيل هي وضع الاشيا مواضعها وقيل الحكمة والحكم
كلها وجب عليك فعله قال الشاعر
(قد قلت قولا لم يعنف قايله الصمت حكم وقليل فاعله)
اي واجب العمل بالصمت وقيل هي الفصل بين الحق والباطل وهو
الحكم والاصل فيه المنع وقد ذكرناه فيما تقدم وفيه مزيد كلام
نذكره عند قوله تعالى يوتي الحكمة من يشا قوله تعالى ويزكيهم
فيه اربعة اقوال احدها يرشدهم الى افضل عبادتك قاله ابن عباس
والثاني يطهرهم من الشرك والذنوب قاله ابن جريج والثالث يشهد
لهم يوم القيمة بالعدالة اذا شهدوا للانبيا بالبلاغ قاله ابن كيسان
والرابع باخذ زكوة اموالهم قاله الفرا قوله تعالى انك انت العزيز

الحكيم فيه خمسة اقوال احدها وهو قول الزجاج ان العزيز في
صفات الله هو المنيع فلا يغلبه شي والعزيز المنيع الذي لا تناله
الايدي من عز يعز بفتح العين في المستقبل اي اشتد وتعزز لحم
الناقة اي صلب والعزاز الارض الصلبة والثاني ان العزيز لا يوجد
مثله من عز يعز بكسر العين في المستقبل اذا قل حتى لا يكاد يوجد
قاله ابن عباس والفرا والثالث ان العزيز المنتقم ممن يشا بيانه
قوله تعالى والله عزيز ذو انتقام قاله الكلبي والرابع ان العزيز
الغالب القوي من عز يعزه بضم العين اي غلبه ومنه قوله تعالى
وعزني في الخطاب اي غلبني ويقال في المثل من عزيز اي من غلب سلب
قاله الكسائي والخامس العزيز المعز كالسميع بمعنى المسمع بيانه
قوله تعالى وتعز من تشا قوله تعالى الحكيم سبق تفسيره قوله تعالى
ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه وذلك ان عبد الله
بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما لقد
علمتما ان الله قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد
فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم
سلمة وابا مهاجر ان يسلم فانزل الله هذه الاية قال الزجاج معنى
من التوبيخ ولفظها لفظ الاستفهام ولذلك جات الا بعدها
لان المنكر منفي وهو في موضع رفع بالابتدا ويرغب الخبر وفيه
ضمير يعود على من والمعنى من يترك شريعته ودينه الا من سفه
نفسه يقال رغبت في الشي اذا اردته ورغبت عنه اذا تركته واصل
الرغبة رفع الهمة عن الشي واليه يقال رغبت في فلان واليه اذا
سمت نفسه اليه والاصل فيه الكبر فمعنى قوله ومن يرغب

عن ملة

عن ملة ابرهيم اي يرفع نفسه عنها الا من سفه نفسه فيه
ثلثة اقوال احدها سفه في نفسه فحذف حرف الجر كما يحذف في
ساير المواضع كقوله تعالى ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم
ومثله قوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح اي عليها قاله الاخفش
والثاني جهل نفسه فوضع سفه موضع لانه لم يعلم خالقها و
العرب تضع سفه موضع جهل ومنه الحديث الكبر ان
تسفه الحق وتغمص الناس اي جهل الحق قاله الزجاج وابن كيسان
ويؤيد هذا القول ما روي في الحديث من عرف نفسه عرف
ربه قيل في معناه انما يقع الناس في البدع والضلال لجهلهم
انفسهم وظنهم انهم يملكون الضر والنفع دون الله وحكي
عن ابي بكر الوراق انه قال في هذا الحديث من عرف مخلوقه
مرزوقه بلا حول ولا قوة عرف ربه خالقا ورازقا بالحول
والقوة وقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلم كيف عرفتني
وكيف عرفت نفسك فقال عرفتك بالقدرة والقوة والبقا
وعرفت نفسي بالضعف والعجز والفنا قال الان عرفتني
والثالث معناه اهلك نفسه واوبقها قاله ابو عبيدة و
قال الفرا سفه نفسه نصب على التمييز وكان الاصل سفهت
نفسه فلما اضاف الفعل الى صاحبها خرجت النفس مفسرة
ليعلم موضع السفه ويقال ضقت به ذرعا فمعناه ضاق
ذرعي به وانكر الزجاج هذا وقال معنى التمييز لا يحتمل التعريف
لان التمييز انما هو واحد يدل على جنسه فاذا عرفته صار

مقصودا وقيل هو تمييز على تقدير الانفصال كما تقول مررت
برجل مثله اي مثل له قال المبرد وثعلب سفه بكسر
الفا يتعدى وسفه بضم الفا لا يتعدى قوله تعالى ولقد
اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه للرسالة ولفظه سبق في الصفوة
قوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين قال عطا يريد من نوح
وادم وقال الحسن اي من الذين يستوجبون على الله الكرامة
وحسن الثواب وقال الزجاج يريد من الفائزين لان الصالح
في الآخرة فائز ولما كان الثواب والفوز في الآخرة خصهما
بالذكر والا فهو في الدنيا من الصالحين ايضا وقال الحسين
ابن الفضل والبجلي في الآية تقديم وتاخير تقديره اصطفيناه
في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين ومثله في النحل وآتيناه
في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين قوله عز وجل
اذ قال له ربه اسلم اذ متعلق بالاصطفا على معنى اصطفيناه اذ
قال له ربه اسلم اي في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من
قوله في الدنيا ويجوز ان يكون التقدير اذكر اذ قال وروى الكلبي
عن ابن عباس انه قال رفع ابرهيم عليه السلم الصخرة عن باب
السرب ثم خرج منه فنظر الى الكواكب والشمس والقمر كما
اخبر عنه قوله تعالى فلما جن عليه الليل الآيات قال له ربه
اسلم اي اخلص دينك بالتوحيد وقال عطا اسلم نفسك الى الله
وفوض امرك وقيل اخضع واخشع ثم قيل له اسلم بلا واسطة
اسماعا وقيل لم يكن ثم قول ظاهر بل كان له دلالة كقوله
تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم فجعل دلالة البرهان

كلاما وقيل انما قال له هذا بعد ما وفا بالكتاب وبعد النبوة
اي دم على الاسلام كقوله لنبينا عليه السلام فاعلم انه لا اله
الا الله وقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا قوله قال اسلمت
لرب العالمين مقتضى اللفظ ان يقول اسلمت لك لتقدم ذكر
الرب الا انه اوقع المظهر موقع المضمر تعظيما لان فيه ما ليس
في اللفظ الاول لان اللفظ الاول يتضمن انه ربه وفي الثاني
اعتراف بانه رب الجميع قال الكلبي اخلصت بلا اله الا الله
وقال ابن عباس يريد بقلبه ولسانه وجوارحه ورضي ان يحرق
بالنار في طاعة الله ورضاه ولم يستعن باحد من الملائكة قوله
تعالى ووصى وفي مصحف ابي توصى وقرا اهل المدينة والشام
واوصى بالالف وكذلك هي في مصاحفهم قال ابو عبيدة وكذلك
رايت في مصحف عثمان رضي الله عنه وقرا الباقون ووصى مشدد دا
وهما لغتان يقال اوصيته بكذا ووصيته به مثال التشديد
قوله تعالى فلا يستطيعون توصية وقوله ووصينا الانسان
بوالديه ومثال الايصا قوله يوصيكم الله وقوله من بعد وصية
توصون بها قال الزجاج وصى ابلغ من اوصى لان اوصى جاز ان
يكون قال لهم مرة واحدة ووصى لا يكون الا لمرات كثيرة واصل
الكلمة من الوصل وسميت الوصية وصية لاتصالها بالميت
وامره قوله بها قال مقاتل والكلبي بكلمة الاخلاص لا اله الا
الله وقال ابو عبيدة وان شئت رددت الكناية الى الملة
لانه ذكر ملة ابرهيم وهو اختيار الزجاج وان شئت رددتها

الوصية لانه ذكر وصى والفعل يدل على المصدر وعلى الاسم منه
وقال المفضل ترجع الكناية الى غير مذكور والمعنى وصى بالطاعة
ومثل هذا جائز كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وقوله ولا يلقاها
الا الصابرون الى الجنة ولم يسبق لها ذكر ويعقوب معطوف
على ابرهيم ومفعوله محذوف تقديره واوصى يعقوب بنيه لان
يعقوب اوصى بنيه ايضا كما اوصى ابرهيم بنيه ودليل ذلك قوله
اذ قال لبنيه ما تعبدون والتقدير قال يا بني فيجوز ان يكون
ابرهيم عليه السلم قال يا بني ويجوز ان يكون يعقوب وكذا هو
في مصحف ابي وابن مسعود قال يا بني وحكى مجاهد عن بعضهم
ويعقوب نصبا نسقا على بنيه داخلا في جملة الموصين وهو بعيد
لان يعقوب لم يكن فيما بين اولاد ابرهيم عليه السلم لما اوصاهم
ولم ينقل ان يعقوب ادرك جده ابرهيم وانما ولد بعد موت ابرهيم
وبنى ابرهيم ثمنية وبنى يعقوب اثنى عشر روى انس بن مالك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت على اثر ثمنية
الاف نبي اربعة آلاف من بني اسرائيل **قوله تعالى** ان الله
اصطفى لكم الدين كسرت ان لان الوصية قول والمعنى اعطاكم
الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام فالالف واللام
للعهد **قوله تعالى** فلا تموتن الا وانتم مسلمون فان قيل كيف ينهون
عن الموت وليس من فعلهم وانما يموتون قلنا ان ابا بكر ابن السراج
قال لم ينهوا عن الموت وان كان اللفظ على ذلك وانما نهوا في الحقيقة
عن ترك الاسلام لئلا يصادفهم الموت وانتم على غيره ومثله في

كلام العرب لا أرينك هاهنا فالنهي في اللفظ للمتكلم وهو
في المعنى للمخاطب كأنه قال لا تتعرض لأن تكون هاهنا فان من
كان هاهنا اراه قال الفضيل في قوله تعالى فلا تموتن الا وانتم
مسلمون اي محسنون بربكم الظن وقال غيره مؤمنون **قوله
تعالى** ام كنتم شهداء الآية نزلت في اليهود حيث قالوا للنبي عليه
السلام الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية
فنزلت هذه الآية والمعنى بل كنتم كأنه ترك الكلام الاول واستفهم
على جهة التوبيخ وقيل ام هاهنا بمعنى هل **قوله تعالى** اذ حضر
يعقوب الموت اي وقت حضر والشهود الحضور والجمهور على
نصب يعقوب ورفع الموت وقرئ بالعكس والمعنيان متقاربان
قوله تعالى اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قال ابن عباس
ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى تخيره بين الموت والحياة فلما خير
يعقوب عليه السلم قال انظرني حتى اسأل ولدي واوصيهم فجمع
ولده وهم اثنا عشر رجلا وهم الاسباط وجمع اولادهم فقال لهم
قد حضرت وفاتي وانا اريد ان اسألكم ما تعبدون من بعدي قالوا
نعبد الهك الذي لا اله غيره واله آبائك الآية فطابت نفسه
وما هاهنا بمعنى من ولهذا جاء في الجواب الاله ويجوز ان يكون ما
على بابها ويكون ذلك امتحانا لهم من يعقوب عليه وعليهم السلام
ومن بعدي اي من بعد موتي فحذف المضاف واله آبائك اعاد
ذكر الاله لئلا يعطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار
وقرا الجحدري واله ابيك على الواحد قال لان اسمعيل عليه السلم

عم يعقوب لا ابوه وقراة العامة آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق
على الجمع فالواعم الرجل صنو ابيه فان النبي عليه السلم قال للعباس
هذا بقية آبائي والعرب تسمي العم ابا كما تسمي الخالة اما وقدم ذكر
اسمعيل لانه كان اسن من اسحق قوله تعالى الها واحدا انتصب
على وجهين احدهما الحال كانهم قالوا نعبد الهك في حال وحدانيته
والثاني على البدل من قوله الهك قوله تعالى ونحن له مسلمون ظاهر
قوله تعالى تلك امة قد خلت تلك من اسماء الاشارة للمؤنث واللام
عماد للتاء والكاف خطاب وكسرت التاء من تلك علامة للتانيث
وخلت اي مضت ومنه قوله تعالى في الايام الخالية اي الماضية
المتقدمة قوله تعالى لها ما كسبت من العمل ولكم ما كسبتم يا معشر
اليهود وانما تسالون عن اعمالكم لا عن اعمالهم وهو قوله تعالى
ولا تسالون عما كانوا يعملون قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او
نصارى قال ابن عباس نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران
قال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا تهتدوا فلا
دين الا ذلك فقال تعالى قل يا محمد بل ملة ابرهيم اي بل نتبع ملة
ابرهم حنيفا وهو حال من ابرهيم والحال من المضاف اليه بعيد
في القياس قليل في الاستعمال وسبب ذلك ان الحال لا بد لها
من عامل فيها هو العامل في صاحبها ولا يصح ان يعمل المضاف في
مثل هذا الحال ووجه قول من نصبه على الحال انه قدر العامل
معنى اللام او معنى الاضافة وهو المصاحبة والملاصقة وقيل
حسن جعل حنيفا حالا لان المعنى نتبع ملة ابرهيم حنيفا وهذا جيد
لان الملة هي الدين والمتبع ابرهيم وقيل هو منصوب باضمار اعني

وفي

وفي الحنيف قولان احدهما انه المائل الى العبادة قال الزجاج الحنيف
في اللغة المائل الى الشي اخذ من قولهم رجل احنف وهو الذي
يميل قدماه كل واحد منهما الى اختها باصابعها والثاني ان المستقيم
فسمي دين ابرهيم الحنيفية لاستقامته وقرا الاعرج بل ملة
ابرهيم رفعا على الخبر حنيفا نصبا على القطع اراد بل ملة ابرهيم
الحنيف فلما سقطت اللام واللام لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع
منه فنصب قاله نحاة الكوفة قوله تعالى وما كان من المشركين
اي انتم معاشر اليهود والنصارى مشركون لان النصارى مثلثة
واليهود مشبهة وفيهم من يقول عزير ابن الله كما قالت النصارى
المسيح بن الله قوله تعالى قولوا آمنا بالله الاية روى ابو هريرة
رضي الله عنه انه قال كان اهل الكتاب يقرؤن التورية بالعبرانية
ويفسرونها لاهل الاسلام بالعربية فقال صلى الله عليه وسلم
لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما انزل
الينا الاية قال الضحاك علموا اولادكم واهاليكم وخدمكم اسماء
الانبياء الذين ذكرهم الله في كتابه حتى يؤمنوا بهم ويصدقوا بما
جاؤا به فان الله يقول قولوا آمنا بالله الاية قوله تعالى
والاسباط قال الزجاج الاسباط في ولد اسحق بمنزلة القبايل
وفي ولد اسمعيل قبيله فولد كل واحد من ولد يعقوب سبط
وولد كل واحد من ولد اسمعيل قبيلة وانما سموا هولاء الاسباط
وهولاء القبايل ليفصل بين ولد اسمعيل وولد اسحق قال ابن
الاعرابي السبط في كلام العرب خاصة الاولاد وكان في

الاسباط ابنا لذلك قال وما انزل اليهم قال ابو سعيد الضرير
اصل السبط في اللغة شجرة ملتفة كثيرة الاغصان فسمي الاسباط
بها لكثرتهم **قوله تعالى** وما اوتي موسى وعيسى اي من الايات
وقوله وما اوتي النبيون من ربهم اي من المعجزات والكتب ثم
قيل الها والميم في ربهم يعود الى النبيين خاصة وقيل تعود الى
موسى وعيسى ايضا ويكون وما اوتي الثانية تكريرا **قوله تعالى**
لا نفرق بين احد منهم اي لا نقول انهم متفرقون في اصول الديانات
بل هم مجتمعون على الاصول والاحد يقع على الاثنين والجمع يقول
ما عندي احد يتكلمون فلهذا جاز دخول بين عليه كما تقول لا نفرق
بين قوم منهم **قوله تعالى** ونحن له مسلمون اي مخلصون ديننا عن
الشرك بالله تعالى قال العلما لا يكون الرجل مومنا حتى يومن
بسائر الانبيا السابقين عليهم السلام وجميع الكتب التي انزلها
الله تعالى على الرسل **قوله تعالى** فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فيه ثلثة
اقوال احدها معناه مثل ايمانكم فزيدت البا للتوكيد كما زيدت
في قوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة قاله ابن الانباري و
الثاني ان المراد بالمثل هاهنا الكتاب تقديره فان آمنوا بكتابكم
كما آمنتم بكتابهم قاله ابو معاذ النحوي والثالث ان المثل هاهنا
صلة والمعنى فان آمنوا بما آمنتم به وهكذا كان يقراها ابن عباس
ومثله قوله تعالى ليس كمثله شي اي ليس كهو شي وانشدوا

يا عاذلي دعني من عذلكا مثلي لا يقبل من مثلكا

اي انا لا اقبل منك والها في به ترجع الى الله تعالى والى القران
او محمد صلى الله عليه وسلم وما مصدرية **قوله تعالى** فقد

اهتدوا اي فقد صادوا مسلمين **قوله تعالى** وان تولوا اي
اعرضوا عن الايمان بكتابكم ونبيكم فانما هم في شقاق اي في خلاف
وعداوة والشقاق والمشاقة المخالفة ومنه **قوله** تعالى ومن
يشاقق الرسول **وقوله** ومن يشاق الله واصل الشقاق البعد من
قولهم قد اخذ فلان في شق وفلان في شق آخر اذا تباعدا ولذلك
قيل للخارج عن الجماعة قد شق عصا المسلمين لبعده منهم **قوله
تعالى** فسيكفيكهم الله هذا وعد من الله لرسوله بكفايته من
عاداه قال المفسرون كفاه الله امر اليهود بالقتل والسبي في
بني قريظة والنفي في بني النضير والجزية والذلة في نصارى نجران
قوله تعالى وهو السميع لاقوالكم العليم باحوالكم **قوله تعالى** صبغة
الله الصبغة هنا الدين على قول وانتصابه بفعل محذوف اي اتبعوا
دين الله وقيل هو الاغرا اي عليكم دين الله قاله ابو عبيدة وقيل
هو بدل من ملة ابرهيم والصبغ في اللغة ما يلونون به الثياب والصبغ
المصدر قال الحسن وقتادة ومجاهد والسدي دين الله وانما سمي
الدين صبغة لان المتدين يلزمه ولا يفارقه كما يلزم الصبغ الثوب
وقال ابن كيسان يعني وجه الله اي القبلة قال ويقال حجة الله
التي احتج بها على عباده وقال ابو عبيدة والزجاج خلقة
الله المعنى ان الله تعالى ابتدا الخلقة على الاسلام دليله قول
مقاتل في هذه الاية فطرة الله التي فطر الناس عليها اي
دين الله وقال ابن قتيبة هي الختان لان النصارى كانوا اذا
ولد لاحدهم ولد فاتى عليه سبعة ايام صبغوه في ماء لهم

ليطهروه بذلك الماء ويقولون هذا طهور مكان الختان وذلك
حين جعلوه نصرانيا وهم صنف من النصارى فجعل الله تعالى
الختان للمسلمين تنظيفا وتطهيرا وامر به معارضة النصارى
وسمي الختان صبغة لانه يصبغ صاحبه بالدم وقيل سمي به حيث
كان بدل ما فعلوه من صبغهم اولادهم كقوله تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها فسمي الثاني سيئة لما كانت في معارضة
الاول وفي الخبر الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء **قوله
تعالى** ومن احسن من الله صبغة ومن احسن ابتدا وخبر ومن
الله في موضع نصب وصبغة تمييز وهذا يرجع الى ما ذكرنا
من فطرة الله او دين الله او التطهر بالختان **قوله تعالى** و
نحن له عابدون ظاهر التفسير وهو عطف على امنا بالله **قوله
تعالى** قل اتحاجوننا في الله ذكر نوعا آخر من محاجتهم وهو انهم
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم نبينا ودينا اقدم وكتابنا
اسبق ونحن ابناء الله واحباؤه فلو كنت نبيا كنت منا فانزل
الله هذه الآية وقرا الاعمش بنون واحدة مشددة وقرا الباقون
بنونين خفيفتين اتباعا للخط والمعنى اتخاصموننا في الله وهذا
استفهام معناه التوبيخ **وقوله** في الله اي في دين الله وهو ربنا
وربكم اي نحن وانتم عبيد الله وهو غني عنا وعنكم فاي مبره لكم
علينا واما من حيث العمل فلنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي تجازى
بحسنتها وسيئتها لا يؤخذ بعضنا بذنب بعض وهذا منسوخ
باية السيف **قوله تعالى** ونحن له مخلصون الاخلاص التنقية
من الشوائب اي لم نشب عبادتك بالشرك قال حذيفة
ابن

ابن اليمان سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص
فقال عليه السلام سألت جبريل عن الاخلاص قال جبريل
سألت رب العزة عن الاخلاص ما هو فقال هو سر من سري
استودعته قلب من احببت من عبادي هـ وعن ابي ادريس
الخولاني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل حق حقيقة
وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب ان يحمد على شيء من
عمل الله • وقال سعيد بن جبير الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله
لله ولا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله احدا • وقال الفضيل ترك
العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان
يعافيك الله عنهما • وقال رويم الراعي هو ارتفاع رؤيتك من الفعل
وقيل الاخلاص ان يستوي افعال العبد في الظاهر والباطن وقيل
ان يكتم حسناته كما يكتم سيئاته • وقال احمد بن ابي الحواري سمعت ابا
سليمن يقول للمرائي ثلث علامات يكسل اذا كان وحده • وينشط اذا
كان في الناس • ويزيد في العمل اذا اثني عليه • قال ابن الانباري في الآية
اضمار اي وانتم غير مخلصين فحذف اكتفاء بقوله ونحن له مخلصون
كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر **قوله تعالى** ام يقولون قرا ابن
عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص بالتاء واختاره ابو عبيد وقرا
الباقون بالياء واختاره ابو حاتم فمن قرا بالتاء فلان ما قبله من قوله
قل اتحاجوننا وما بعده من قوله قل انتم اعلم ام الله بالتاء ومن قرا
بالياء فلان المعنى لليهود والنصارى وهم غيب **قوله تعالى** ان
ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
اي قالت اليهود هؤلاء الانبياء هودا وقالت النصارى كانوا نصارى

قل يا محمد أأنتم أعلم بدينهم أم الله وقد أخبرني الله أنهم لم يكونوا
هودا ولا نصارى وأم الله مبتدا والخبر محذوف أي أم الله أعلم
قوله تعالى ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قال ابن
عباس إن الله أشهدهم في التورية والانجيل أنه باعث فيهم
محمدا عليه السلم من ذرية ابرهيم واخذ مواثيقهم على ذلك أن
يبينوه للناس فكتموا الشهادة وقيل أخذ عليهم أن يبينوا
للناس أن هولاء الانبيا كانوا حنفا مسلمين فكتموا وقالوا كونوا هودا
او نصارى وقيل هذا قول المسلمين اي من أظلم منا إن تبعناكم على
قولكم بعد أن عرفنا باعلام الله إيانا كذبكم قال القفال ولا أحد
أظلم من الله إن كتم الشهادة على هولاء الانبيا وبمحمد كونهم من اليهود
والنصارى إن كان الأمر كما تزعمون **قوله تعالى** وما الله بغافل عما
يعملون هذا تهديد للكفار وتسلية للمؤمنين **قوله تعالى** تلك
أمة قد خلت مضت هذه الآية اي دعوا الاحتجاج بهم وانظروا
لانفسكم وكرر هذا لان الاحتجاج اذا اختلفت مواطنه حسن
تكريره للتذكير به ويجوز أن يكون الاول خطابا لاهل الكتاب
والثانية خطابا للمسلمين **قوله تعالى** سيقول السفها من الناس
اي الجهال نزلت في اليهود ومشركي مكة ومنافقي المدينة طعنوا
في تحويل القبلة فقال المنافقون قد اشتاق محمد الى مولده وعن
قريب يرجع الى دينكم وقالت اليهود قد التبس عليه امره **قوله
تعالى** ما وليهم اي عدلهم وصرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني
بيت المقدس والقبلة الوجهة وهي الفعلة من المقابلة والعرب
تقول ما له قبلة ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره والضمير

الجزو

في

في قبلتهم للنبي عليه السلم واصحابه وقيل اي من قبلة ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب فان قبلتهم بزعم اليهود كانت بيت
المقدس **قوله** قل لله المشرق والمغرب اي له أن يامر بالتوجه
الى اي جهة شا وقيل اراد بالمشرق الكعبة لان المصلي بالمدينة
اذا توجه الى الكعبة فهو متوجه الى المشرق واراد بالمغرب القدس
لان من كان بالمدينة اذا توجه الى القدس فقد توجه الى المغرب
قوله تعالى يهدي من يشا الى صراط مستقيم قال ابن عباس الى دين
مستقيم وسمي دين الله الصراط المستقيم لانه يودي الى الجنة
كما يودي الطريق المستقيم الى المطلوب **فصل** اختلف العلماء
في مدة صلوة النبي عليه السلم الى بيت المقدس بعد قدومه المدينة
على ستة اقوال احدها ستة عشر شهرا او سبعة عشر قاله البراء
بن عازب والثاني سبعة عشر شهرا قاله ابن عباس والثالث
ثلث عشر شهرا قاله معاذ بن جبل والرابع تسعة اشهر او عشرة
اشهر قاله انس بن مالك والخامس ستة عشر شهرا والسادس
ثمنية عشر شهرا روى القولان عن قتادة ثم نسخت قبلة بيت
المقدس والنبي صلى الله عليه وسلم في صلوة الظهر بالمدينة وقد
صلى منها ركعتين نحو بيت المقدس فانصرف بوجهه الى الكعبة
هذا قول انس ابن مالك وقال البرا ابن عازب كنا في صلوة العصر
بقبا فمر رجل على اهل المسجد وهم ركوع الثانيه فقال اشهد
لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا
كما هم قبل البيت واختلف العلما في استقبال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيت المقدس هل كان برايه واجتهاده او كان عن

امر من الله على قولين احدهما انه كان بامر الله ووحيه لقوله تعالى
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الاية قاله ابن عباس وابن جريج
والثاني انه كان برايه وهذا قول الحسن وعكرمة وابي العالية
والربيع واختلفوا في سبب اختياره بيت المقدس على قولين احدهما
انه اختار بيت المقدس ليتالف اهل الكتاب وهذا قول ابي جعفر
الطبري والثاني لامتحان العرب بغير ما الفوه ليعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه قاله الزجاج **قوله تعالى** وكذلك جعلناكم
امة وسطا اي وكما اخترنا ابرهيم واولاده وانعمنا عليهم بالحنيفية
كذلك جعلناكم امة وسطا اي عدلا خيارا والوسط اذا اريد به
الاسم حركت السين تقول ضربت وسطه وان اريد به الظرف
فهو ساكن السين تقول صليت وسط القوم وقيل وسط ووسط
بمعنى واحد قال اهل المعاني لما صار ما بين الغلو والتقصير خيرا
منهما صار الوسط والاوسط عبارة عن كل ما هو خير قال تعالى
قال اوسطهم اي خيرهم واعدلهم وقال عليه السلم خير هذا الدين
النمط الاوسط وامة محمد وسط لانهم لم يغلو غلو النصارى ولا
قصروا تقصير اليهود في حقوق انبيائهم بالقتل والصلب وقال
ابو سليمن الدمشقي في هذا الكلام محذوف ومعناه جعلت قبلتهم
وسطا بين القبلتين قال اليهود يصلون نحو المغرب والنصارى
نحو المشرق وانتم بينهما **قوله تعالى** لتكونوا شهدآء على الناس
قال ابن عباس في رواية عطا يريد على جميع الامم يوم القيمة
ان الرسل قد بلغتهم وهذا مروي عن النبي عليه السلم ان الامم
السالفة تقول لهم كيف تشهدون علينا ولم تشاهدونا يقولون
اعلمنا نبي الله بما انزل عليه من كتاب الله وقال لتكونوا شهدآء

محمد

لمحمد على الامم اليهود والنصارى والمجوس وشهدآء لا ينصرف
لان فيه الف التانيث والف التانيث يبنى معها الاسم وقيل
هذه اشارة الى اجماع المسلمين اي تشهدون على كل قرن منكم على
من يحدث بعده بالشرايع فاجماع اهل كل عصر حجة ذكره
القفال ومن مذهبه ان الاجماع من خصايص هذه الامة ومعنى
الاية كما فضلناكم بهذه القبلة فضلناكم بان جعلنا قولكم حجة
قوله ويكون الرسول عليكم شهيدا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وبماذا يشهد فيه اربعة اقوال احدها باعمالكم قاله ابن عباس
والثاني بتبليغكم الرسالة قاله قتادة والثالث بايمانكم قاله
ابو العالية فيكون عليكم بمعنى لكم والرابع يودي اليكم ما امر الله
به حكاه القشيري **قوله تعالى** وما جعلنا القبلة التي كنت عليها
يعني قبلة وهي بيت المقدس لما كنت بمكة وقيل اراد بالقبلة الكعبة
اي ما جعلنا القبلة التي انت عليها كقوله كنتم خير امة اي انتم خير
امة **قوله تعالى** الا لنعلم من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على
عقبيه فيرتد ويرجع الى قبلته الاولى ومن بمعنى الذي والانقلاب
على العقب الانصراف الى حيث اقبل منه فان قيل فالله عالم
بالاشيا قبل كونها فكيف جعل تحويل القبلة طريقا الى علمه قلنا
عنه سبعة اجوبة احدها لنعلم اي لنرى والعرب تضع العلم
مكان الروية والروية مكان العلم كما قال تعالى الم تر كيف فعل
ربك يعني الم تعلم قاله ابن عباس والثاني معناه الا ليعلم رسولي
وحزبي واوليائي لان من شان العرب اضافة فعل اتباع الرييس
اليه كما قالوا فتح عمر بن الخطاب سواد العراق وجبى خراجها و
يقال رجم رسول الله ماعزا وضرب الامير فلانا ومثله فلما

بـ

اسعفونا وان الذين يؤذون رسول الله والثالث الا لنعلم اي
الا لنميز اهل اليقين من اهل الشك ويسمى التمييز علما لانه من
فوايد العلم كما ان الكتاب يسمى علما فيقال هذا علم فلان اي الكتاب
الذي فيه بيان علمه روي عن ابن عباس ايضا وقد كانوا في علم الله
متميزين فالمعنى ليتميز لكم فتعلمون المومن من الكافر والرابع الا
لنعلم اي لنعلم المتبع متبعا والمخالف مخالفا وقيل ذلك كان
يعلم انه سيكون من قوم اتباع ومن قوم خلاف فلما وقع ذلك
على الوجود وهذا كما انه قبل خلق العالم علم انه سيكون والان
هو عالم بانه كان والخامس الا لنعلم رفق في الخطاب واستمالة
كقوله تعالى وانا وايكم لعلى هدى والسادس ان العلم
يذكر بمعنى الثواب والعقاب تقول لاعلمن لك ما صنعت
ولاعرفن ما فعلت وقال تعالى والله عليم بالظالمين اي يجازيهم
وهذا انما يحسن في هذه الاية ان لو قال الا لنعلم من يتبع
الرسول او ينقلب على عقبيه والسابع الا لنعلم اي لنعاملكم
معاملة المختبر حكى هذا والذي قبله القشيري **قوله تعالى**
وان كانت لكبيرة ان بمعنى لقد واللام في قوله لكبيرة تاكيدا اي
ولقد كانت كبيرة وقيل ان بمعنى الجحد واللام بمعنى الا اي ما
كانت الا كبيرة قاله الكوفيون وهو ضعيف من جهة ان وقوع
اللام بمعنى الا لا يشهد له سماع ولا قياس فاسم كان مضمر
دل عليه الكلام تقديره وان كانت التولية او الصلوة
او القبلة لكبيرة اي شاقة الا على الذين هدى الله **قوله**

تعالى

تعالى وما كان الله ليضيع خبر كان محذوف واللام متعلقة
بذلك المحذوف تقديره وما كان الله مريدا لان يضيع ايما نكم
وهذا مكرر في القرآن ومثله لم يكن الله ليغفر لهم وقال الكوفيون
ليضيع هو الخبر واللام داخلة للتوكيد وهو بعيد لان اللام لام
الجر وان بعدها مرادة فيصير التقدير على قولهم ما كان الله
اضاعة ايمانكم نزلت على سبب وهو ان حيي ابن اخطب واصحابه
من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس
اكانت هدى او ضلالة فان كانت هدى فقد تحولتم عنها
وان كانت ضلالة فقد دنتم الله بها وان من مات منكم عليها
لقد مات على الضلالة فقال المسلمون انما الهدى ما امر الله به و
الضلالة ما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على
قبلتنا وكان مات قبل ان تحول القبلة اسعد بن زرارة من بني
النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكان من النقبا ومات رجال
فانطلق عشايرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
قد صرفك الله الى قبلة ابرهيم عليه السلم فكيف اخواننا الذين
ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وما كان الله
ليضيع ايمانكم اي صلاتكم في قول الجمهور وانما سميت الصلوة ايمانا
لاشتمالها على قول وعمل ونية فان قيل فهم سالوه عن صلوة غيرهم
فاجابهم بحال صلاتهم قلنا لان القوم اشفقوا ان تكون صلاتهم
الى بيت المقدس محبطة لمن مات وبقي فاجابهم بما دل على الامرين
وقال الفرا انما اسند الايمان الا الى الاحيا والمعنى فيمن [illegible]

داخلون معهم في الملة على انه قد روي قوم انهم قالوا كيف نصنع
بصلاتنا الى بيت المقدس فانزل الله ذلك وقيل يحمل الايمان
هاهنا على ما هو عليه من معنى التصديق فيكون معنى الاية وما كان
الله ليضيع ايمانكم اي تصديقكم بامر تلك القبلة في الابتداء بل يثيبكم
عليه **قوله تعالى** ان الله بالناس لرءوف رحيم قرا شيبة ونافع
وابن كثير وابن عامر وحفص رؤف مهموز مثقل واختاره ابو حاتم
لان اكثر الله تعالى على فعول وفعيل وقرا ابو جعفر رؤف مثقل
غير مهموز وقرا الباقون مهموز مخفف **قال جرير**

ترى للمسلمين عليك حقا كفعل الوالد الرؤف الرحيم

والرافة اشد من الرحمة وابلغ ويقال الرافة اخص والرحمة
اعم حكاه الخطابي **قوله تعالى** قد نرى تقلب وجهك في السماء
اعلم ان اول ما نسخ من امور الشرع امر القبلة قال المفسرون كانت
الكعبة احب القبلتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت
قبلة ابرهيم عليه السلم ولانه كره موافقة اليهود قال مجاهد كره
قبلة بيت المقدس من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا
ويصلي الى قبلتنا وقال مقاتل لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يصلي نحو بيت المقدس قالت اليهود زعم محمد انه نبي وما نراه
احدث في نبوته شيئا اليس يصلي الى قبلتنا ويستن بسنتنا فان كانت
هذه نبوة فنحن اقدم منه واوفر نصيبا فبلغ ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم وشق عليه وزاده شوقا الى الكعبة وقال ابن زيد
لما استقبل رسول الله بيت المقدس بلغه ان اليهود تقول
والله ما درى محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم فالوا جميعا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلم وددت

ان الله صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل عليه
السلم انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فادع ربك وسله
ثم ارتفع جبريل عليه السلم وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم
النظر الى السماء رجاء ان ياتيه جبريل بالذي سال ربه فانزل الله
تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء اي في النظر الى السماء
فلنولينك قبلة ترضاها اي لنصيرنك تستقبل بوجهك قبلة تحبها
اذ لا يجوز ان يكون رسول الله غير راض ببيت المقدس لان الانبياء
يجب عليهم الرضا بامر الله ويحتمل ان يكون قوله ترضاها محمولا
على الحقيقة بمعنى ترضاها لما يحدث منها من التالف وسرعة الاجابة
ثم قال مجيبا لرغبته فول وجهك شطر المسجد الحرام اي حول
وجهك في الصلوة وشطر المسجد الحرام اي نحوه وقصده والشطر من
الاضداد يقال شطر الى كذا اذا اقبل نحوه وشطر عن كذا اذا ابعد
عنه واعرض عنه وشطر الشي نصفه فاما الشاطر من الرجال
فلانه قد اخذ في نحو غير الاستواء والمسجد الحرام المحرم واصله المنع
في تلك البقعة من اشيا لم يمنع في غيرها وحولت القبلة في صلوة
الظهر يوم الاثنين للنصف من رجب على راس سبع عشر شهرا من
مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قاله البرا ابن عازب ومعقل
بن يسار وقيل حولت يوم الثلثا النصف من شعبان على راس ثمانية
عشر شهرا من مقدمه المدينة قاله قتادة وقيل حولت في جمادى
الاخرة حكاه ابن سلامة المفسر عن ابرهيم الحربي ثم قيل المسجد الحرام
عين الكعبة لانها فيه فعبر عنها به وقيل جميع المسجد لان نفس
البيت يصعب ادراكه لصغره وقيل هو الحرم كله ولهذا اختلف

الفقهاء في أن الواجب استقبال عين الكعبة أم جهة الكعبة
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص فلنولينك قبلة ترضاها
قال حيال ميزاب الكعبة وقال مجاهد وغيره نزلت ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بالناس ركعتين
من صلاة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال
مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين
وقال ابن عباس البيت كله قبلة وقبلة البيت الباب والبيت
قبلة أهل المسجد والمسجد قبلة أهل الحرم والحرم قبلة أهل الأرض
كلها **وقوله** قد نرى لفظه مستقبل والمراد به المضي وفي السماء
يتعلق بالمصدر ولو جعل حالا من الوجه لجاز وقوله فول يتعدى
إلى مفعولين فالأول وجهك والثاني شطر المسجد وقد يتعدى
إلى الثاني بإلى قولك ولى وجهه إلى القبلة وقال النحاس شطر
هنا ظرف لأنه بمعنى الناحية ولما حولت القبلة قالت اليهود
يا محمد ما أمرت بهذا وإنما هو شيء ابتدعته من تلقاء نفسك فأنزل
الله تعالى وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم
أي إن اليهود يعلمون أن المسجد الحرام قبلة إبراهيم عليه السلم
وأن التحويل إلى الكعبة حق لأن عندهم مكتوب في صفة محمد عليه
السلم أن يصلي إلى القبلتين وقيل ليعلمون لو نظروا **قوله تعالى**
وما الله بغافل عما تعملون هذا تهديد لهم أي ليس هو غافل عن
ثوابكم وعن خزي اليهود في الدنيا والآخرة **قوله عز وجل** ولئن
تنتهوا عما يقولون قال المفسرون إن اليهود والنصارى طلبوا
من محمد صلى الله عليه وسلم الآيات فأنزل الله تعالى ولئن أتيت

الذين

الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك أي لا يتبعوا قبلتك
فهو ماض في معنى المستقبل ودخلت ما حملا على لفظ الماضي وحذفت
الفاء في الجواب لأن فعل الشرط ماض وقال الفراء لئن ههنا بمعنى
لو فلذلك كانت ما في الجواب وهو بعيد لأن إن للمستقبل ولو للماضي
ثم قيل أراد به المعاندين أي إن أتيتهم بكل آية سألوها أو أعطيت
الأنبياء قبلك لم يؤمنوا وقيل أراد أنهم أجمعهم لا يؤمنون بل قد
يؤمن الآحاد منهم فلا تشتغل بهم **قوله تعالى** وما أنت بتابع
قبلتهم حسم بهذا أطماع اليهود في رجوعه عليه السلم إلى قبلتهم
وأنه لا ينسخ التوجه إلى الكعبة وقيل لا تتصور مثل الجمع بين
قبلة اليهود وقبلة النصارى **قوله تعالى** وما بعضهم بتابع
قبلة بعض أي أنهم وإن تظاهروا عليك مختلفون في أنفسهم فالنصارى
يستقبل المشرق واليهود بيت المقدس **قوله تعالى** ولئن اتبعت
أهواءهم أي صليت إلى قبلتهم من بعد ما جاءك من العلم أن قبلة الله
الكعبة إنك إذا لمن الظالمين بعد ما عرفناك أنهم لا يتبعونك وإذا
حرف والتنوين فيه أصل ولا تستعمل إلا في الجواب ولا تعمل هنا شيئا
لأن عملها في الفعل ولا فعل وليس يجوز أن يفعل النبي عليه السلم
ما يصير به ظالما وفي هذا الخطاب قولان أحدهما أن هذه صفة
تنتفي عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما أراد الله بذلك بيان حكمها
لو كانت والثاني أن هذا الخطاب للنبي عليه السلم والمراد به غيره
من أمته فإن قيل كيف قال وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود
قبلة والنصارى قبلة قلنا إن القبلتين معا مخالفتان لقبلة الإسلام
فكانتا في حكم الواحد من طريق المخالفة والبطلان **قوله تعالى**

رى

الذين آتيناهم الكتاب قال الكلبي يعني عبد الله بن سلام واصحابه
يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته ومبعثه
واسمه في كتابهم كما يعرف احدهم ولده اذا راه مع الغلمان قال
ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال عمر
رضي الله عنه لعبد الله ابن سلام لقد انزل الله على نبيه الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف يا عبد الله هذه المعرفة
قال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف
ابني اذا رايته مع الصبيان يلعب وانا اشد معرفة بمحمد عليه
السلام مني لابني فقال عمر رضي الله عنهما فكيف ذلك فقال
اشهد انه رسول حق وصدق من الله وقد نعته الله في كتابنا
وانا لا اشهد بذلك على ابني لاني لا ادري ما احدثت النساء
فقال عمر رضي الله عنهما وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت
واصبت وقيل الهاء في يعرفونه تعود الى الكعبة قاله ابو العالية
وقتادة والسدي ومقاتل وروي عن ابن عباس ايضا **قوله
تعالى** وان فريقا منهم يعني علماءهم ليكتمون الحق يعني صفة محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل استقبال الكعبة **قوله تعالى** يعلمونه
فيه قولان احدهما يعلمون انه حق متبوع والثاني يعلمون ما على مخالفه
من العقاب **قوله تعالى** الحق من ربك ابتدا وخبر وقيل الحق خبر ابتدا
محذوف تقديره ما كتموه الحق او ما عرفوه وقيل هو ابتدا والخبر محذوف
تقديره يعرفونه او يتلونه وقيل هذا الحق من ربك وقيل رفع
باضمار فعل اي جاءك الحق كما قال وجاءك في هذه الحق وقرا علي كرم
الله وجهه الحق نصبا على الاغرا او يعلمون **قوله تعالى** فلا تكونن
من الممترين اي الشاكين مفتعل من المرية يقال امترا فلان كذا

اي

اي اعترضه اليقين مرة والشك اخرى فدافع احدهما بالآخر فان
قيل هل كان شاكا حتى نهي عنه قلنا هذا وان كان خطابا للنبي
عليه السلام فالمراد به غيره من امته وكما ورد عليك من هذا النحو
فهذا سبيله ويجوز ان يكون عاما فان معارف الانبيا اليوم
نظرية ايضا وقيل اي فلا تشكن ان هولا معاندون حكاها القشيري
قوله تعالى ولكل وجهة وجهة مبتدا ولكل خبره والتقدير لكل
فريق وجهة جا على الاصل والقياس جهة مثل عدة وزنة والوجهة
مصدر في معنى التوجيه اليه كالخلق بمعنى المخلوق وفيها قولان
احدهما قبلة يستقبلونها وهو قول ابن عباس وعطا والسدي
والجمهور والثاني يعني صلاة يصلونها وهو قول قتادة وفي حرف
ابي ولكل قبلة هو موليها وفي حرف عبد الله ولكل جعلنا قبلة وفي
هو ثلثة اقوال احدها انها ترجع الى الله تعالى والمعنى الله موليها
اياهم بالتوحيد اليها والثاني ترجع الى المتولي والمعنى هو موليها نفسه
فيكون هو ضمير كل والثالث ترجع الى البيت والجمهور يقرؤون موليها
وقرا ابن عامر هو مولاها بالف بعد اللام اي مصروف اليها وقرئ
في الشاذ ولكل وجهة باضافة كل الى وجهة فعلى هذا يكون اللام
زائدة والتقدير كل وجهة الله موليها اهلها **قوله تعالى** فاستبقوا
الخيرات اي فتوجهوا الى الكعبة واعرضوا عن قول الكفار فان
الله يجازيهم يوم القيمة وقيل ليس هذا في امر القبلة بل هو عام
يريد تنافسوا فيما رغبتكم من الخير فلكل عندي ثوابه قاله عبد
الرحمن ابن زيد والاول قول قتادة وقيل اراد الى الخيرات فحذف
حرف الجر وقيل لا حاجة الى الحذف فانه يقال استبقنا موضع

بالتوجيه ظ

كذا اى قصدناه متسابقين قال الله تعالى واستبقا الباب
قوله تعالى اينما ظرف لتكونوا يأت بكم الله فهذا جزاء ولهذا جزم
الفعلين فقال تكونوا يأت بكم الله اى من سبق فى علم الله انه
يصلى الى الكعبة فاين ما كانوا فى شرق الارض وغربها وفى اصلاب
الآباء وارحام الامهات يجمعهم الله على التوحيد الى هذه القبلة
ذكره القشيرى وقيل يأت بكم الله جميعا اى يحشركم للجزاء يوم
القيمة وفى تذكيرهم هذا منع من العناد قوله ان الله على كل
شئ قدير من البعث والجزاء قوله تعالى ومن حيث خرجت حيث
هنا لا يكون شرطا لانه ليس معها ما وانما يشترط بها مع ما
فعلى هذا يتعلق من بقوله فول وفيها ثلث لغات حيث بالياء
ورفع الثاء وهى لغة قريش وقراءة العامة واختلفوا فى وجه رفعها
فقيل هو مبنى على الضم مثل منذ وقط وقيل رفع على الغاية كقوله
تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وحيث بالياء ونصب الثاء وهى
قراءة عبيد بن عمير قال الكسائى انما نصبت بسبب الياء لانها
ساكنة فاذا اجتمع ساكنان فى حرف حركوا الثانى الى الفتح لانه
اخف الحركات مثل ليت وكيف وحوث بالواو والضم وهى
لغة وهذا تاكيد لامر الاستقبال وحسم طمع اهل الكتاب فى رجوع
المسلمين ابدا الى قبلتهم فلهذا اعاده فقال ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام حيث ما كنت من البلاد الا
ما استثناه الشارع من النافلة فى السفر وصلاة الخوف قوله
تعالى وانه للحق من ربك تثبيتا لنبيه عليه وصرفا له عن الاعتداد
بقول اليهود انهم يتبعونه ان عاد قوله تعالى وما الله بغافل

عما

عما تعملون فيه قولان احدهما ان يقول ذلك لهم ترغيبا
فى الجزاء والثانى تحذيرا من المخالفة ثم اعاد الله تعالى تاكيدا مره
ليخرج من قلوبهم ما استعظموه من تحويلهم الى غير ما الفوه
فقال تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فافاد كل واحد من الاوامر
الثلثة مع استوائها فى التزام الحكم فايدة مستجدة اما الامر الاول
فمفيد لنسخ غيره واما الامر الثانى فمفيد لاجل قوله وانه للحق من
ربك انه لا يتعقبه نسخ بغيره واما الامر الثالث فمفيد ان لا
حجة عليهم فيه بقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة وقيل اراد بالاول
ول وجهك شطر الكعبة اذا صليت فى مسجدك ثم قال وحيث ما
كنتم معاشر المسلمين فى ساير المساجد بالمدينة فولوا وجوهكم
شطره وكذلك ان كنتم خارجى المسجد ثم قال ومن حيث خرجت يعنى
وجوب الاستقبال فى الاسفار ثم قال ومن حيث خرجت الى قوله لئلا
يكون للناس عليكم حجة فكان امرا بالتوجه الى الكعبة فى جميع المواضع من
جميع نواحى الارض قال القفال يحتمل انه كرر لمعان فقال فول وجهك
شطر الكعبة لانى اكرمتك بقبلة ابرهيم ثم قال ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد لانى اكرمت صاحب كل ملة بقبلة وخصصتك
باشرف الجهات ثم قال ومن حيث خرجت فاستقبل القبلة فقد قطعت
شبهة خصومك وهذا كما يقول الزم مجالسة العلماء فانك تكسب
بهم جاها والزم مجالستهم فانك تستفيد بهم نفعا فى دينك والزم
مجالستهم فانك تستجلب بهم مودات الناس وهذا كالتكرار
فى قوله تعالى فباى آلاء ربكما تكذبان لانه ذكر نعما وقررهم عند كل

نوع منها **قوله** ليلا يكون للناس عليكم حجة اللام متعلقة بمحذوف
تقديره فعلنا ذلك ليلا وحجة اسم كان والخبر للناس والحجة فعلة
من الحج وهو القصد لانها مقصوده للمخاصم ومنه المحجة وهي الطريق
الواضح المسلوك لانه مقصود ويقال للمخاصمة محاجة لقصد كل
واحد من الخصمين الى اقامة بينة وابطال ما في يد صاحبه واختلف
العلما في تاويل هذه الاية فمنهم من قال حولت القبلة الى الكعبة ليلا
يكون للناس عليكم حجة اذا صليتم اليها فيحتجون عليكم ويقولون تركتم
التوجه الى الكعبة وتوجهتم الى غيرها لولا انه ليست لكم قبلة الا
الذين ظلموا وهم قريش واليهود اما قريش فتقول انما رجع الى الكعبة
لانه علم انها قبلة اباية وهي الحق وكذا يرجع الى ديننا ويعلم انه الحق
واما اليهود فانهم يقولون لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه انه
حق الا انه انما يفعل برايه ويزعم انه امر به وهذا القول اختيار
المفضل وهو قول صحيح مرضي قاله الثعلبي وقال قوم معنى الاية ليلا
يكون للناس يعني اهل مكة عليكم حجة وكانت حجتهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه في صلواتهم نحو بيت المقدس انهم قالوا
يقولون ما ددى محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم نحن وقولهم
يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فهذه الحجة كانوا يحتجون بها
على المومنين على وجه الخصومة منهم والتمويه بها على الجهال
من المشركين ثم قال الا الذين ظلموا منهم وهم مشركوا مكة
وحجتهم انهم قالوا لما صرفت القبلة الى الكعبة ان محمدا قد
تحير في دينه فتوجه الى قبلتنا وعلم انا اهدى سبيلا منه وانه
لا يستغني عنا ويوشك ان يرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا

وهذا

وهذا قول مجاهد وعطا وقتادة والربيع والسدي واختاره
محمد بن جرير الطبري وعلى هذين القولين الاستثنا صحيح نحو
قولك ما سار احد من الناس الا اخوك ومعنى الحجة على هذين
القولين الخصومة والجدال والدعوى الباطل كقوله تعالى لا حجة
بيننا وبينكم اي لا خصومة **وقوله تعالى** قل اتحاجوننا في الله
وانما قال منهم ردا الى لفظ الناس لانه عام وان كل واحد منهما
غير الاخر وقال بعضهم هذا استثنا منقطع عن الكلام الاول
ومعناه ليلا يكون للناس كلهم عليكم حجة اللهم الا الذين ظلموا
فانهم تجادلونكم بالباطل وتحاجونكم بالظلم وهذا كما يقول في
الكلام للرجل الناس كلهم لك حامدون الا الظالم لك يعني
ذلك يعتدي بتركه حمدك بعد وانه لك وكقول الرجل ما لك عندي
حق الا ان يظلم وما لك حجة الا الباطل والباطل لا يكون حجة
وهذا استثنا من غير الجنس قال النابغة

وقفت فيها اصلا لا اسايلها اعيت جوابا وما بالربع من احد
الا اواري لايا ما ابينها والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد

اي ما بالربع من احد الا اواري البيت وهذا قول المورج والفرا
وقال ابو روق ليلا يكون للناس يعني اليهود عليكم حجة وذلك انهم
كانوا قد عرفوا ان الكعبة قبلة ابرهيم عليه السلم وقد كانوا وجدوا
في التورية ان محمدا سيحول اليها فحوله الله تعالى اليها ليلا يكون
لهم حجة بان هذا النبي الذي نجده في كتابنا سيحول اليها ولم تحولانت
فلما حول النبي عليه السلام ذهبت حجتهم ثم قال الا الذين ظلموا

منهم يعني الا ان يظلموكم فيكتموا ما عرفوا وقال الاخفش معناه لكن الذين ظلموا كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن لكن يتبعون الظن فيكون منفردا عن الكلام الاول روي عن ابي عبيدة انه قال ليس موضع الا ههنا موضع الاستثنا لانه لا يكون للظالم حجة انما هو في موضع واو العطف كانه قال ولا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا لا يكون لهم حجة وانشد المفضل

ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروانا

يعني ودار مروان وانشد ايضا

وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

يعني والفرقدان ايضا يتفرقان يؤيد هذا القول قرا بعضهم الا الذين ظلموا مخففا يعني مع الذين ظلموا وقال قطرب معناه الا على الذين ظلموا فيكون رده على الكاف والميم اي لا على الذين ظلموا فان عليهم الحجة فحذف حرف الجر وهو اختيار ابي منصور الازهري **قوله تعالى** فلا تخشوهم اي في انصرافكم عن الكعبة وفي تظاهرهم عليكم في المحاجة والمجاوبة فاني وليكم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة واخشوني من تركها ومخالفتها ولاتم نعمتي عليكم عطف على قوله لئلا يكون والمعنى اتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى قبلة ابرهيم عليه السلام فتتم لكم الملة الحنيفية وقال عطا عن ابن عباس ولاتم نعمتي عليكم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فانصركم على عدوكم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم واما في الاخرة ففي رحمتي وجنتي وقال علي كرم الله وجهه تمام النعمة الموت على الاسلام وروي عنه ايضا انه قال النعم ستة الاسلام • والقران • ومحمد عليه السلم • والستر • والعافية • والغنا عما في ايدي الناس وقيل فيه اضمار اي هديتكم لاتم نعمتي عليكم **قوله تعالى** ولعلكم تهتدون اعلم ان لعل من الله واجب ومن

الناس على معان قد يكون بمعنى الاستفهام كقول القايل لعلك فعلت كذا مستفهما وتكون بمعنى الظن كقول القايل قدم فلان فيرد عليه الراد لعل ذلك بمعنى اظن ذلك وتكون بمعنى التمني والترجي كقولك لعل الله ان يرزقني مالا وتكون بمعنى عسى كقوله تعالى لعلي ابلغ الا اي عسى وتكون بمعنى كي كقوله تعالى انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون اي لكي يفقهون والمعنى لكي يهتدون من الضلالة **قوله تعالى** كما ارسلنا فيكم الكاف للتشبيه ويحتاج الى شي يرجع اليه واختلفوا فيه فقال بعضهم هو راجع الى ما قبلها والكاف من صلة ما قبلها تقديره فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فيكون ارسال الرسول شرطا للخشية ومودنا باتمام النعمة وقيل لعلكم تهتدون كما ارسلنا وقال محمد بن جرير ان ابرهيم عليه السلم دعا بدعوتين الدعوة الاولى قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وهذه الدعوة الاولى والدعوة الثانية ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية فبعث الله الرسول وهو محمد ووعد في هذه الاية ان يجيب الدعوة الثانية بان يجعل من ذريته امة مسلمة بمعنى الاية ولاتم نعمتي عليكم ببيان شرايع ملتكم واهديكم لدين خليل ابرهيم كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يعني فكما اجبت دعوته بابعاث الرسول كذلك اجيب دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين فهذا على قول من يجعله متصلا بما قبلها وجوابا للاية الاولى وهو اختيار الفرا وقال بعضهم انها متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكروني اذكركم تقديره فكما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني فيكون جزاله جوابان مقدم ومؤخر كما تقول اذا جاك زيد فانه ترضه فقوله فانه ترضيه جوابان لقوله اذا جاك وهذا قول مجاهد وعطا والكلبي ومقاتل وابن كيسان

واختاره الزجاج وهذه الآية خطاب للعرب واهل مكة يعني كما
ارسلنا فيكم يا معشر العرب رسولا منكم محمدا عليه السلم وقد
عرفتم صدقه وامانته وباقي الآية مضى تفسيره **قوله تعالى**
فاذكروني اذكركم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي
بيانه قوله تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى انا
لا نضيع اجر من احسن عملا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته
القران ومن عصى الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته
القران وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه حيث يذكرني
ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في
ملا خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب
مني ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة رواه مسلم
والبخاري وقال ابن كيسان اذكروني بالشكر اذكركم بالزيادة
بيانه قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقيل اذكروني بالتوحيد
والايمان اذكركم بالجنات والدرجات بيانه قوله تعالى وبشر
الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات قال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه كفى بالتوحيد عبادة وكفى بالجنة ثوابا وقيل اذكروني
على ظهر الارض اذكركم في بطنها قال الاصمعي رايت اعرابيا واقفا
يوم عرفة بعرفات وهو يقول اللهم عجت وضجت اليك الاصوات
بضروب اللغات يسالونك الحاجات وحاجتي اليك ان تذكرني
عند البلى اذا نسيني اهل الدنيا وقيل اذكروني في الدنيا اذكركم
في العقبى وقيل اذكروني بالطاعات اذكركم بالمعافاة دليله قوله
تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة

طيبة

طيبة وقيل اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء دليله
قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين الاية وقيل اذكروني بالسؤال
اذكركم بالنوال وقيل اذكروني ذكرا فانيا اذكركم ذكرا باقيا و
قال السدي ليس من عبد يذكر الله الا ذكره الله لا يذكره مؤمن
الا ذكره بالرحمة ولا يذكره كافر الا ذكره بالعذاب وقيل اذكروني
بالتوبة اذكركم بغفران الحوبة اذكروني بلا غفلة اذكركم بلا مهلة
اذكروني بالندم اذكركم بالكرم اذكروني بالتنصل اذكركم بالتفضل
اذكروني بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب اذكركم
بكشف الكروب اذكروني بالتحميد اذكركم بالمزيد قال سفين بن
عيينة بلغنا ان الله تعالى قال اعطيت عبادي ما لو اعطيته جبريل
وميكائيل كنت اجزلت لهما قلت اذكروني اذكركم وقلت لموسى
عليه السلم قل للظلمة لا يذكروني فاني اذكر من ذكرني وان ذكري
اياهم ان العنهم وقال ابو عثمن النهدي اني لاعلم حين يذكرني ربي
قيل وكيف ذاك قال ان الله تعالى قال فاذكروني اذكركم فاذا
ذكرت الله ذكرني والذكر حضور المعنى في النفس ثم يكون
الذكر بالقلب ويكون بالقول وقد يستعمل من غير سبق لسان
فالذكر باللسان ان يسبح الله ويحمده ويقرا كتابه وبالقلب ان
يعرف اوامره ونواهيه حتى لا يخالفه ويكون ذكره له بالقلب
رقيبا عليه واما ذكر الله للعبد فحمده وثناؤه **قوله تعالى** واشكروا
لي تقول العرب شكرته وشكرت له ونصحته ونصحت له اي واشكروا
نعمتي قال موسى عليه السلم لربه يا رب ما الشكر الذي ينبغي لك
قال يا موسى لا يزال لسانك رطبا من ذكري **قوله تعالى** ولا تكفرون
اي لا تكفروا نعمتي والكفر ستر النعمة لا ستر المنعم وانما حذف
اليا ولم يقل تكفروني لراس الاي ويجوز حذف اليا من النون اذا

كان ما قبل اليا من النون مكسورا **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا استعينوا بالصبر والصلوة سبب نزولها ان المشركين
قالوا سيرجع محمد الى ديننا كما رجع الى قبلتنا فانزل الله
هذه الاية قال المفسرون لما اتم النعمة باكمال الشرايع
امر بالصبر على ادا الفرايض والصبر عن المخالفة وقال قتادة
استعينوا على طلب الاخرة بالصبر على ادا الفرايض وبالصلوة
الخمس في مواقيتها على محص الذنوب وقيل بالصبر على اذا المخالفين
وبالصلوة التي هي مفزع العباد فيما ينوبهم الى ربهم يسلونه
كشف ما نابهم وقيل بالصلوة اي بالدعا وقيل المراد بالصبر
في الجهاد والاستعانة فيه بالصلوة وكان عليه السلم يفزع
في الجهاد الى الصلوة ولهذا عقب هذه الاية بقوله ولا تقولوا
لمن يقتل في سبيل الله اموات وقيل المراد بالصبر الصيام
حكاه الماوردي **قوله تعالى** ان الله مع الصابرين قال ابن
عباس اني معكم انصركم ولا اخذلكم وقال الزجاج اني اظهر دينكم
على ساير الاديان لان من كان الله معه كان الغالب **قوله عز
وجل** ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات جمع على معنى من
وافرد يقتل على لفظ من ولو جا ميت كان فصيحا وهو مرفوع على
انه خبر مبتدا محذوف اي هم اموات **قوله** بل احياء اي بل قولوا
هم احيا نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا اربع عشر رجلا
ثمنية من الانصار وستة من المهاجرين وذلك ان الناس كانوا
يقولون للرجل يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم
الدنيا ولذتها فانزل الله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات

الآية

الاية فان قيل فنحن نراهم موتى فما وجه النهي قلنا المعنى
لا تقولوا هم اموات لا تصل ارواحهم الى الجنان ولا ينال
من تحف الله ما لا يناله الاحيا بل هم احيا على ما ورد في الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهدا في اجواف طير تسرح
في ثمار الجنة وتشرب من انهارها وتاوي بالليل الى قناديل
من نور معلقة بالعرش فهم احيا من هذه الجهة وان كانوا
اموتا من جهة خروج الارواح وقال الحسن ان الشهدا احيا
عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح
والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوة وعشية
فيصل اليهم الوجع وقيل لان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة
تحت العرش الى يوم القيمة كارواح الاحياء من المومنين الذين
باتوا على الوضو وقيل لان الشهيد لا يبلى في قبره ويبقا الاربعة
لا تبلى اجسادهم الانبيا والعلما والشهدا وحملة القران وذكر
الماوردي وغيره ثلث تاويلات لهذه الاية احدها انهم ليسوا
اموانا وان كانت اجسامهم اجسام الموتى بل هم عند الله احيا
منعمون الاجساد واختاره القشيري لقوله تعالى ولكن لا تشعرون
انهم احيا بالحس وان اعتقدتموه باخبار الرب والمخلوق المتصف
بالحيوة لا بد من ان يكون جسما وان كان لطيفا فيجوز عليه التلذذ
بالماكل والمشرب والثاني انهم ليسوا بالضلال اموانا بل هم
بالطاعة والهدى احيا كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه و
جعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج
منها فجعل الضال ميتا والمهتدي حيا والثالث انهم ليسوا اموانا

بيان الارواح

بانقطاع الذكر عند الله تعالى وثبوت الاجر بل احياء ذكر
القشيري تاويلا رابعا اي لا تقولوا هم اموات بل سيحيون
في الحشر فيثابون وهذا كقوله تعالى ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار اي سيكونون فيها فان قيل اليس جميع المومنين
منعمين بعد موتهم فلم خصص الشهداء قلنا الشهداء فضلوا على غيرهم
بانهم مرزوقون من مطاعم الجنة وماكلها وغيرهم منعمون بما
دون ذلك ذكره ابن جرير الطبري **قوله تعالى** ولكن لا تشعرون
اي ما هم فيه من النعيم والكرامة **روي** عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال يعطى الشهيد ست خصال عند اول قطرة من دمه
يكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور
العين ويؤمن الفزع الاكبر ومن عذاب القبر ويحلى حلية الايمان
قوله تعالى ولنبلونكم النون فيه للتاكيد واللام جواب قسم
محذوف على تقدير والله لنبلونكم والمعنى لنعاملنكم معاملة
المبتلى لان الله يعلم عاقبة الامور فمن صبر اثابه ومن لم يصبر لم
يثبه وقد سبق ذكر هذا في قوله الا لنعلم من يتبع الرسول
وفيمن اريد بهذه الاية قيل اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام خاصة
قاله عطا وقيل اهل مكة وقيل عامة **قوله** بشيء من الخوف ولم
يقل باشياء لمكان من اي بشيء من الخوف وبشيء من الجوع وهو كقولك
اعطني شيئا من الدراهم ومن الطعام ولو قال باشياء لجاز قال ابن
عباس يعني خوف العدو والجوع يعني المجاعة والقحط ونقص من
الاموال يعني الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي
والانفس يعني الموت والقتل والمرض والشيب والثمرات
يعني الجوع وان لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج وقال الشافعي رحمه

الله

الله ولنبلونكم بشيء من الخوف يعني خوف الله تعالى والجوع
صيام شهر رمضان ونقص من الاموال اداء الزكوة والصدقات
والانفس بالمرض والثمرات موت الاولاد لان ولد الرجل
ثمرة قلبه يدل عليه قوله عليه السلام اذا مات ولد العبد قال
الله تعالى للملايكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم
ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة سموه بيت
الحمد ثم ختم الاية بتبشير الصابرين ليدل ان من صبر على المصائب
كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال وبشر الصابرين اي على
البلايا ثم نعتهم فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة اي نالتهم
بلية مما ذكر ولا يقال فيما يصيب بخير مصيبة قالوا انا لله
اي نحن واموالنا واهلونا لله لا يظلمنا فيما يصنعه بنا وانا اليه
راجعون الجمهور على تفخيم الالف في انا وامالها بعضهم لكثرة ما
ينطق بهذا الكلام وليس بقياس لان الالف من الضمير الذي هو نا
وليست منقلبة ولا في حكم المنقلبة ومعنى الرجوع الى الله تعالى
الرجوع الى انفراده بالحكم اذ قد ملك في الدنيا الاحكام قوم فاذا
زال حكم العباد رجع الامر الى الله تعالى وقيل وانا اليه راجعون
في الحال اي نرجع الى حكمه ونصير لانا نعلم انه منه واليه نرغب في
ازالة البلاء روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اصيب
بمصيبة فليذكر مصيبته بي فانها اعظم المصائب **وروي** ثوبان
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما اصاب عبدا مصيبة
الا باحدى خلتين اما بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بتلك المصيبة

او بدا وجد لم يكن الله ليبلغه اياها الا بتلك المصيبة وقال عليه
السلم من اصيب بمصيبة فاحدث استرجاعا وان تقادم عهدها
كتب الله له من الاجر مثله يوم اصيب وقال سعيد ابن جبير لقد
اعطيت هذه الامة عند المصيبة ما لم يعطه الانبيا قبلهم انا لله
وانا اليه راجعون ولو اعطيت الانبيا لاعطيه يعقوب عليه السلم
اذ يقول يا اسفى على يوسف وروى عن ام سلمة انها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال عند مصيبته انا لله وانا اليه
راجعون اللهم اجرني على مصيبتي واخلف لي خيرا منها اجره الله واخلف
له خيرا منها قالت ام سلمة فلما هلك ابو سلمة قلت من خير من ابي سلمة ثم
عزم الله لي فقلتها فاخلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم
وقال شريح اني لاصاب بالمصيبة فاحمد الله عليها اربع مرات احمد
اذ لم تكن اعظم منها واحمد اذ رزقني الصبر عليها واحمد اذ وفقني للاسترجاع
لما ارجوا فيه من الثواب واحمد اذ لم يجعلها في ديني قال عكرمة طفي
سراج النبي صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل يا
رسول الله امصيبة هي قال نعم كل شي يوذي المومن فهو له مصيبة
وفي الخبر الصبر عند الصدمة الاولى قوله تعالى اوليك مبتدا
وصلوات مبتدا ثاني وعليهم خبر المبتدا الثاني والجملة خبر اوليك
ويجوز ان ترفع صلوات بالجار لانه قد قوي بوقوعه خبرا ومثله
اوليك عليهم لعنة الله والصلوة اسم مشترك فهو من الله الرحمة
ومن الملايكة الاستغفار ومن الناس الدعا كما قال تعالى ان الله وملايكته
يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه. انشد الازهري

صلى على يحيى واشياعه رب كريم وشفيع مطاع.

قال معناه ترحم وفسر ابن عباس الصلوات هاهنا بالمغفرة

فقال

فقال مغفرة من ربهم وقيل الصلوة من الله ثلثة توفيق الطاعة
والعصمة عن المعصية ومغفرة الذنوب والصلوة الواحدة يكون
احد هذه الاشيا الثلثة وقال ابن السكيت جمع الصلوات لانه عنا
بها رحمة بعد رحمة وذكر الرحمة بعد الصلوات لاتباع المعنى والا
في اللفظ ومثله قوله تعالى سرهم ونجواهم قوله تعالى واوليك هم
المهتدون هم مبتدا او توكيد او فصل وفيه ثلثة اقوال احدها المهتدون
الى الاسترجاع والثاني الى الجنة والثواب والثالث الى الحق والصواب
وكان عمر رضي الله عنه اذا قرى هذه الاية قال نعم العدلان ونعم
العلاوة واوليك عليهم صلوات من ربهم ورحمة نعم العدلان واوليك
هم المهتدون نعم العلاوة قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعاير
الله اختلفوا في سبب نزولها فقال قوم ان رجلا من الانصار ممن
كان يهل لمناة في الجاهلية ومناة صنم كان بين مكة والمدينة قالوا
يا رسول الله انا كنا لا نطوف بين الصفا والمروة تعظيما لمناة فهل علينا
من حرج ان نطوف بهما فنزلت هذه الاية رواه عروة عن عايشة
وقيل ان المسلمين كانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة لانها كان
على الصفا تماثيل واصنام فنزلت هذه الاية رواه عكرمة عن
ابن عباس وقال الشعبي كان وثن على الصفا يدعى يساف ووثن
على المروة يدعى نايلة وكان الجاهلية يسعون بينهما ويمسحونها
فلما جا الاسلام كفوا عن السعي بينهما فنزلت هذه الاية وقيل
ان الصحابة قالت للنبي عليه السلم انا كنا نطوف في الجاهلية
بين الصفا والمروة وان الله تعالى ذكر الطواف بالبيت ولم
يذكر بين الصفا والمروة فهل علينا من حرج ان نطوف بهما

نزلت هذه الآية وروى ذلك عن جماعة من اهل العلم قال بعضهم هذا
متصل بما سبق من ذكر البيت وتعظيمه واشارة الى المناسك وقيل
لما قال لنبلونكم وصل هذا بانه قد ابتلى اسمعيل وهاجر ايضا حتى سعت
هاجر بين الجبلين في طلب الما لاسمعيل عليهما السلم اى لا تعجبوا من الابتلا
فعاقبته الثواب والذكر الجميل فاما الصفا والمروة فهما مبتدا السعي
ومنتهاه وفيه قولان احدهما ان الصفا الحجارة البيض والمروة الحجارة السود
واشتقاق الصفا من قولهم صفا يصفو وهو جميع والثاني وهو الاظهر في
اللغة ان الصفا الحجارة الصلبة التي لا تنبت شيئا وواحده صفاة وصفا
مثل حصاة وحصا ورحاة ورحا وقطاة وقطا وقيل ان الصفا واحد وتثنيته صفوان مثل عصا
وعصوان وجمعه اصفا مثل الرحا وارحا والمروة من الحجارة ما لان
وصغر وبجمع المروة على مروات وجمعها الكثير مر ومثل تمرة وتمرات
وتمر وجمرة وجمرات وانما عنى بهما الجبلين المعروفين بمكة دون ساير
الصفا والمروة فلذلك ادخل فيهما الالف واللام وانما ذكر الصفا
لتذكير اسم اساف وهو صنم كان عليه وحكى عن جعفر ابن محمد قال
نزل ادم عليه السلم على الصفا وحوا على المروه فسمى الصفا باسم
آدم وسمى المروة باسم حوا وفي الكلام حذف مضاف تقديره ان
طواف الصفا والمروة او سعي الصفا فترك ذكر الطواف اكتفاء
بذكرهما اذ كان معلوما عند المخاطبين والشعاير جمع شعيرة مثل
صحيفة وصحايف والجيد همزها لان اليا زايدة ومن في موضع رفع
بالابتدا وهي شرطية والجواب فلا جناح والشعاير كل ما كان من
موقف او مسعى او ذبح او ادا فرض واصلها من الاشعار وهو الاعلام
على الشي ومنه اشعار الهدى اى اعلمه بغرز حديدة في سنامه وقال
مجاهد يعني من الخبر الذي اخبركم عنه واصل الكلمة في هذا القول من

شعرت

شعرت اى علمت كانه اعلام الله عباده امر الصفا والمروه **قوله
تعالى** فمن حج البيت او اعتمر اصل الحج في اللغة القصد سمي به النسك
لان البيت مقصود فيه وقيل انه العود مرة بعد اخرى وسمي الحج حجا
لان الحاج ياتي البيت قبل التعريف ثم يعود اليه لطواف الافاضة
ثم ينصرف الى منا ثم يعود اليه لطواف الصدر فلتكرار العود اليه
مرة بعد اخرى قيل له حج فاما العمرة ففيها قولان احدهما انها القصد
ايضا قاله الزجاج والثاني انها الزيادة **قوله تعالى** فلا جناح عليه الجناح
الاثم واصله من جنح اذا مال عن القصد يقال جنح الليل اذا مال بظلمته
وجنحت السفينة اذا مالت الى الارض قال تعالى وان جنحوا للسلم
فاجنح لها ومنه جناح الطاير **قوله تعالى** ان يطوف بهما اى يدور
واصله يتطوف فادغمت التا في الطا وقرا ابو حيوة يطوف مخففة
فصل اختلف الفقها في حكم هذه الاية فقال مالك والشافعي الطواف
بين الصفا والمروة فرض واجب ومن تركه لزمه القضا والاعادة
ولا تجزيه فدية ولا شي الا العود الى مكة والطواف بينهما وقال
الثوري وابو حنيفة وابو يوسف ومحمد ان عاد تارك الطواف بينهما
لقضايه فحسن وان لم يعد فعليه دم وراوا ان حكم الطواف بهما
حكم رمي الجمرات وقال انس بن مالك وعبد الله بن الزبير ومجاهد
وعطا الطواف بينهما تطوع لا يلزم بتركه شي واختلف الرواية
عن احمد فنقل عنه ان من ترك السعي لم تجزه حجته ونقل عنه انه
لا شي عليه في تركه عمدا او لا سهوا ولا ينبغي ان يتركه ونقل عنه انه
تطوع واحتج من لم يوجب ذلك بقوله تعالى فلا جناح عليه ان يطوف
بهما ورفع الجناح من احكام المناجاة دون الواجبات يدل عليه
قراة ابن عباس وانس وشهر بن حوشب وابن سيرين فلا جناح

عليه ان لا يطوف بهما باثبات ولا وكذا في مصحف عبد الله والجواب
ان **قوله** فلا جناح عليه ليس فيه دليل على اباحته دون وجوبه لخروجه
على سبب وهو ما ذكرناه من كراهة المسلمين ان يوافقوا الجاهلية في
الطواف حول الصفا والمروة مجانبة لما كانوا عليه من تعظيم اساف
ونائلة فاما قراءة ابن عباس فلا حجة فيها لان لا صلة زائدة في الكلام
كقوله تعالى ما منعك الا تسجد وقوله تعالى انهم الينا لا يرجعون
وقوله ولا اقسم ثم الدليل على ان السعي بينهما واجب وعلى تاركه الا عادة
ناسيا تركه او عامدا انه عليه السلم فعل ذلك وامر به وقال
صلى الله عليه وسلم ابدؤا بما بدا الله به فبدا بالصفا وقال عليه السلم
يا ايها الناس كتب عليكم السعي فاسعوا واول من سعى بين الصفا
والمروة هاجر ام اسمعيل عليه السلم وراى ابن عباس قوما يطوفون
بين الصفا والمروة فقال هذا ما اورثتكم امكم ام اسمعيل انطلقت
حين عطش ابنها وجاع فوجدت الصفا اقرب جبل الى الارض فقامت
عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت
من الصفا حتى بلغت الوادي فرفعت طرف درعها ثم سعت
سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة وقامت
عليها تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات
وقال مجاهد حج موسى على جمل احمر وعليه عباءتان وطاف بالبيت
ثم صعد الصفا ودعا وهبط الى السعي وهو يلبي فقال لبيك اللهم
لبيك فقال الله لبيك عبدي وانا معك فخر موسى ساجدا **قوله
تعالى** ومن تطوع خيرا قرا حمزة والكسائي يطوع بالياء وتشديد
الطاء وسكون العين وقرا الباقون بالتاء ونصب العين على الماضي
وفيه اربعة اقوال احدها ومن تطوع بالزيادة في الطواف بعد

اداء

اداء الواجب قاله مقاتل والكلبي والثاني قاله ابن زيد ومن
تطوع خيرا اعتمر فالحج فريضة والعمرة تطوع والثالث ومن
تطوع بالحج والعمرة بعد قضا حجته الواجبة عليه والرابع ومن
تطوع خيرا ابتغى به الدين كله اي فعل غير المفترض عليه من
طواف وصلوة وزكوة ونوع من انواع الطاعات كلها قاله الحسين
وغيره **قوله تعالى** فان الله شاكر عليم فيه قولان احدهما شاكر
للعمل عليم بالقصد والثاني شاكر [illegible] مجازي عليه يشكر القليل
ويعطي الكثير ويغفر الكبير واصل الشكر من قول العرب دابة
شكور اذا كان يظهر عليها من السمن فوق ما تعلف عليم بالثواب
قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات يعني اية الرجم
والحدود والاحكام والحلال والحرام **قوله** والهدى يعني امر محمد عليه
السلم ونعته وقيل البيان والهدى واحد والجمع بينهما تاكيد وذلك
ما ابان عن نبوته وهدى الى اتباعه قال ابو هريرة رضي الله عنه
ان الناس يقولون اكثر ابو هريرة والله لولا ايتان من كتاب الله
ما حدثت حديثا ان الذين يكتمون ما انزلنا الى قوله وانا التواب
الرحيم والبينة اسم لما ابان عن الشيء واوضحه ومنه قيل للشهود
بينة لانهم يبينون صحة الدعوى والهدى هو البيان الذي من
تمسك به اهتدى **قوله تعالى** من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اي
من بعد البيان الشافي في كتبهم والكناية في بيناه ترجع الى ما
انزل من البينات والهدى **وقوله** في الكتاب يعني التورية وقيل
القران وقيل جميع الكتب المنزلة والكتاب اسم جنس نزل ثني

علماء اليهود ورؤساؤهم كتموا صفة محمد وآية الرجم **قوله** أولئك
يعني الذين يكتمون يلعنهم الله أصل اللعن في اللغة الطرد ولعنة
الله إبليس طرده إياه حين قال اخرج منها **قوله** تعالى ويلعنهم
اللاعنون يسألون الله أن يلعنهم ويقولون اللهم العنهم
واختلف المفسرون في هؤلاء اللاعنين فقال قتادة هم الملائكة
عليهم السلام وقال الحسن عباد الله أجمعين وقال عطاء الجن والإنس
وقال ابن عباس كل شيء سوى الجن والإنس وقال الضحاك إن الكافر
إذا وضع في حفرته قيل له من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول
لا أدري فيقال لا دريت ثم يضرب ضربة بمطرقة فيصيح صيحة
يسمعها كل شيء إلا الثقلين الجن والإنس فلا يسمع صوته شيء
إلا لعنه فذلك قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون وقال
ابن مسعود الرجل يلعن صاحبه فترتفع اللعنة في السماء ثم تنحدر
فلا تجد صاحبها الذي قيلت له أهلا لذلك فترجع إلى الذي تكلم
بها فلا تجده لها أهلا فتنطلق فتقع على اليهود فهو قوله تعالى
ويلعنهم اللاعنون فمن مات منهم ارتفعت اللعنة عنه
فكانت فيمن بقي من اليهود وقال مجاهد اللاعنون البهائم تلعن
عصاة بني آدم الذي اشتدت السنة وامسك المطر قالت هذا
شوم ذنوب بني آدم وقال عكرمة دواب الأرض وهوامها حتى
الخنافس والعقارب يقولون منعنا القطر بذنوب بني آدم وإنما
قال لهذه الأشياء اللاعنون ولم يقل اللاعنات لأن من شأن العرب
إذا وصفت شيئا من البهائم والجمادات وغيرها سوى الناس بما
هو صفة الناس من قول أو فعل أن تخرجوه على مذهب بني
بني آدم وجمعهم كقوله تعالى والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين

ولم يقل ساجدات وقوله في الأصنام بل فعله كبيرهم هذا وقوله
يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقوله تعالى وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا الآية ثم استثنى التائبين من اللعنة فقال تعالى
إلا الذين تابوا من الكفر وأصلحوا الأعمال فيما بينهم وبين ربهم
وبينوا يعني صفة محمد عليه السلام وآية الرجم وقيل أصلحوا قومهم
بإرشادهم إلى الإسلام **قوله تعالى** فأولئك أتوب عليهم التوبة
من العباد الرجوع عن الذنب والتوبة من الله قبولها من عباده
قوله تعالى وأنا التواب أي الراجع بقلوب عبادي المنصرفة
عني الرحيم بهم بعد إقبالهم علي **قوله تعالى** إن الذين كفروا وماتوا
وهم كفار الواو واو الحال وإنما شرط الموت على الكفر لأن حكمه
يستقر بالموت عليه ولم يرتفع بالتوبة منه **قوله تعالى** أولئك
عليهم لعنة الله والملائكة أي ولعنة الملائكة أجمعين وقرأ الحسن
أجمعون بالرفع وهو معطوف على موضع اسم الله لأنه موضع رفع
لأن التقدير أولئك عليهم أن يلعنهم الله لأنه مصدر أضيف إلى
الفاعل فإن قيل كيف قال والناس أجمعين وأهل دينهم لا يلعنونهم
قلنا عنه أجوبة ثلاثة أحدها أن المراد به يوم القيامة يلعنهم
قومهم مع جميع الناس كما قال تعالى ثم يوم القيامة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا وقال تعالى كلما دخلت أمة لعنت
أختها والثاني أن المراد بالناس ها هنا المؤمنون قاله ابن مسعود
وقتادة ومقاتل فيكون على هذا من العام الذي أريد به الخاص
والثالث أن اللعنة من الأكثر يطلق عليها لعنة جميع الناس

تغليباً لحكم الاكثر على الاقل قال السدي لا يتلاعن اثنان
مومنان ولا كافران فيقول احدهما لعن الله الظالم الا وجبت
تلك اللعنة على الكافر لانه ظالم فكل احد من الخلق يلعنه قوله
تعالى خالدين فيها اي في تلك اللعنة او ما توجبه اللعنة
وهو النار وان لم يجر لها ذكر لقوله تعالى ما ترك على ظهرها من
دابة اي على ظهر الارض قوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب
يعني لا يهون عليهم طرفة عين ولا هم ينظرون قال ابن عباس
لا يمهلون للرجعة ولا للتوبة ولا للمعذرة قوله تعالى والهكم
اله واحد قال ابن عباس نزلت هذه الاية في كفار قريش قالوا يا
محمد صف لنا ربك فانزل الله سورة الاخلاص وهذه الاية قال
الضحاك عن ابن عباس كان للمشركين في الكعبة ثلثمائة وستون
صنماً يعبدونها من دون الله فدعاهم الله الى توحيده والاخلاص
لعبادته والاله خبر المبتدا وواحد صفة له والغرض هاهنا هو
الصفة اذ لو قال والهكم واحد لكان هو المقصود الا ان في ذكره زيادة
توكيد قال الازهري الواحد في صفة الله تعالى له معنيان احدهما
انه واحد لا نظير له وليس كمثله شي والعرب تقول فلان واحد
قومه وواحد الناس اذا لم يكن له نظير والمعنى الثاني انه اله واحد
ورب واحد ليس له في الاهيته وربوبيته شريك لان المشركين
اشركوا معه آلهة فكذبهم الله تعالى فقال والهكم اله واحد ثم اكد
ذلك بقوله تعالى لا اله الا هو ثم وصفه فقال الرحمن الرحيم
ترغيباً في عبادته وحثاً على طاعته ثم دل على ما ذكره من وحدانيته
وتفرده بالاية التي بعدها واحسن ما قيل في قوله تعالى لا اله

الا هو

الا هو ان قوله لا اله نفي معبود الكفار وقوله الا هو اثبات
معبود المؤمنين روي عن اسما بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال في هاتين الايتين اسم الله الاعظم والهكم اله واحد
لا اله الا هو الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وقيل
في الاية تقديم وتاخير اي والهكم الرحمن الرحيم اله واحد قوله
تعالى ان في خلق السموات الاية قال المفسرون لما نزل قوله تعالى
والهكم اله واحد قالت كفار قريش كيف يسع الناس اله واحد
وتعجبوا وقالوا ان محمداً يقول والهكم اله واحد فلياتنا باية ان
كان من الصادقين فانزل الله هذه الاية وعلمهم كيف الاستدلال
على الصانع وعلى توحيده وردهم الى التفكر في اياته والنظر في
مصنوعاته وان هذا العالم والبنا العجب لا بد له من بان وصانع
العالم ينبغي ان ينفرد اذ لو تعدد لما جرى امر العالم على النظام
ولادى الى التمانع وهذا مثال كل دليل في اصول العقايد وهو
التوصل بالنظر في افعاله الى معرفة جلاله وجمع السموات لانها
اجناس مختلفة كل سما من جنس غير الاخر ووحد الارض لانها
كلها تراب فاية السموات ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علاقة
من فوقها ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم واية الارض بحارها
وانهارها ومعادنها وسهلها وجبلها واية الليل والنهار تعاقبهما
في الذهاب والمجي ومنه قولهم يختلف فلان يختلف الى فلان اذا كان
يذهب اليه ويجي من عنده فذهابه يخلف مجيه ومجيه يخلف ذهابه
وبهذا فسر قوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة قال الفرا يذهب
هذا ويجي هذا وقال عطا وابن كيسان اراد اختلاف الليل

والنهار في اللون والطول والقصر والنور والظلمة والزيادة
والنقصان والليل جمع ليلة مثل تمرة وتمر ونخلة ونخل والليالي
جمع الجمع والنهار واحد لا يكاد يجمع لأنه بمعنى الضوء وقد سمع
في جمعه نهر ولو قيل في الذكر لأنه الأصل والأقدم قال تعالى
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار قوله تعالى والفلك التي
تجري في البحر يعني السفن واحده وجمعه واحد قال الله تعالى
في الواحد وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وقال
تعالى إذ أبق إلى الفلك المشحون وقال تعالى في الجمع حتى
إذا كنتم في الفلك ويذكر ويؤنث قال تعالى في التذكير في الفلك
المشحون وقال تعالى في التأنيث والفلك التي تجري في البحر فالتذكير
على لفظ الواحد والتأنيث على معنى الجمع وأصله من الدوران فكل
مستدير فلك ومنه فلكة المغزل وسميت السفينة فلكا
لأنها تدور بالماء أسهل دور ووجه الآية في الفلك تسخير الله إياها
حتى تجري على وجه الماء ووقوفها فوق الماء مع ثقلها ووصفها
بالجري وهي مجراة لأنها إذا أجريت جرت قوله تعالى بما ينفع
الناس يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب فهي تنفع
الحامل لأنه يربح والمحمول إليه لأنه ينتفع بما حمل إليه قوله
وما أنزل الله من السماء من ماء من الأولى لابتداء الغاية والثانية
لبيان الجنس إذ كان ينزل من السماء ماء وغيره فالماء ينزل عند
الحاجة وينقطع حين عند الاستغناء وذلك من آياته ثم قال
فأحيا به الأرض بعد موتها وذلك أن الأرض إذا لم يصبها
مطر لم تنبت ولم يتم نباتها فكانت من هذا الوجه كالميت
قوله تعالى وبث فيها من كل دابة مفعول بث محذوف
تقديره وبث فيها دواب من دابة ويجوز على مذهب

الاخفش

الأخفش أن تكون من زائدة والبث النشر والتفريق
ومنه قوله تعالى وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وقوله تعالى
كالفراش المبثوث قال ابن عباس يريد كل ما دب على الأرض من
جميع الخلق من الناس وغيرهم والآية فيها مع ظهور القدرة على
إنشائها من ثلاثة أوجه أحدها تباين خلقها والثاني اختلاف
منافعها والثالث إلهامها وجوه مصالحها ثم قال تعالى وتصريف
الرياح أي وتصريفه الرياح فحذف الفاعل وأضاف إلى المفعول
والآية فيها تقليبها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا وتصريفها
مرة بالرحمة ومرة بالعذاب ومرة حارة ومرة باردة ولينة
وعاصفة قال عبيد بن عمير يبعث الله المثيرة تثير السحاب
ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلفه ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر
قال أبو هريرة أخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر بن الخطاب
رضي الله عنه حاج فاشتدت عليهم فقال عمر لمن حوله من يحدثنا
عن الريح فلم يرجعوا إليه شيئا قال فبلغني الذي سأل عنه عمر
رضي الله عنه من ذلك فاستحثثت راحلتي حتى أدركته فقلت يا
أمير المؤمنين أخبرت أنك سألت عن الريح وإني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي
بالعذاب فإذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله خيرها واستعيذوا
به من شرها واختلف القراء في الرياح فقرأ بعضهم بالجمع في
مواضع وبالتوحيد في مواضع والأظهر في هذه الآية الجمع لأن
كل واحد من الرياح مثل الأخرى في دلالتها على الوحدانية

واما من وحد فانه يريد الجنس كما قالوا اهلك الناس الدينار
والدرهم واذا اريد بالريح الجنس كانت قراءة من وحد كقراءة
من جمع قال ابن عباس الرياح للرحمة والريح للعذاب وكان
صلى الله عليه وسلم يقول اذا هاجت الريح اللهم اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا وياء الريح مبدلة من واو لانه من راح يروح
وروحه والجمع ارواح واما الرياح فالياء فيه مبدلة من واو
لانه جمع اوله مكسور وبعد حرف العلة فيه الف وزائدة
والواحد عينه ساكنة فهو مثل سوط وسياط الا ان واو الريح
قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وفي الخبر من استرعى رعيه
فلم يحطهم بنصيحة لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من
مسيرة مائة عام يروى لم يرح من اراح يريح ويروى لم يرح بفتح
الراء ويروى لم يرح من راح يراح والريح يذكر ويؤنث قال ابن
عباس سميت الريح لانها تريح ساعة بعد ساعة **قوله تعالى**
والسحاب المسخر اي الغيم المذلل المطيع لله تعالى في الهواء والآية
فيه ابتداء نشوه وانتهاء تلاشيه وتسخيره الى حيث يشاء الله وثبوته
بين السماء والارض بلا عمود ولا علاقة وسمي سحابا لانه ينسحب
اي يسير في سرعة كانه يسحب اي يجر **قوله تعالى** لآيات اي
لدلالات وعلامات لقوم يعقلون فيعلمون ان لهذه الاشياء خالقا
وصانعا قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي
لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وهذه الآية قد جمعت من آياته الدالة
على وحدانيته وقدرته ما صار لذوي العقول مرشدا الى
الحق قائدا فلم يقتصر تعالى في اثبات وحدانيته على مجرد

الاخبار

الاخبار حتى قرنه بالنظر والاعتبار ثم اخبر الله تعالى ان مع هذه
الآيات القاهرة لذوي العقول من يتخذ من دون الله اندادا يعني
اصناما قاله اكثر المفسرين وقال السدي سادتهم الذين كانوا
يطيعونهم في معصية الله تعالى وقيل عني بالانداد الشياطين والجن
قوله تعالى يحبونهم كحب الله اي كحب المؤمنين لله وهذا كما يقال
بعت غلامي كبيع غلامك يعني كبيعك غلامك وانشد الفراء

ولست مسلما ما دمت حيا على زيد كتسليم الامير

اي كتسليمي على الامير هذا قول اكثر العلماء وقال ابن كيسان والزجاج
تقديره الآية يسوون بين هذه الاوثان وبين الله في المحبة وهذا
في حق من كان يعترف منهم بالصانع ويقولون ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى ووجه التعجب انهم احبوا ما لا يضر ولا ينفع
والاحباب المبرون فالمحب يلزم حبيبه ومعنى حب المؤمنين لله
حب طاعته والانقياد لامره ليس معنى يتعلق بذات القديم

قال الشاعر

لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

قوله تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله قال ابن عباس اثبت وادوم
وذلك ان المشركين كانوا يعبدون صنما فاذا راوا شيئا احسن منه
تركوا ذلك الوثن واقبلوا على عبادة الاحسن وقال عكرمة اشد
حبا لله في الآخرة قال قتادة ان الكافر يعرض عن محبوبه ومعبوده
في وقت البلاء ويقبل عليه نحو قوله تعالى واذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين وقوله تعالى اذا مسكم الضر

فى البحر ضل من تدعون الا اياه والمؤمن لا يعرض عن الله
تعالى فى السراء والضراء والشدة والرخاء ولا يختار عليه سواه
وقال الحسن ان الكافرين عبدوا الله بالواسطة وذلك قولهم
للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى والمؤمنون يعبدونه بلا واسطة كذلك قال
تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله وقال سعيد بن جبير ان الله تعالى
يامر يوم القيمة من احرق نفسه فى الدنيا على رؤية الاصنام
ان يدخلوا جهنم مع اصنامهم فيمتنعون لعلمهم ان عذاب جهنم
على الدوام ثم يقول للمؤمنين بين يدى الكافرين ان كنتم احبائى
فادخلوا جهنم فيقتحم المؤمنون النار فينادى مناد من تحت
العرش والذين آمنوا اشد حبا لله وقيل لان حب المشركين
لاوثانهم مشترك لانهم يحبون الانداد الكثيرة وحب المؤمنين
لربهم غير مشترك لانهم يحبون ربا واحدا وقيل لان حبهم
هواى وحب المؤمن عقلى وقيل لان حبهم الاصنام بالتقليد
وحب المؤمنين لله بالدليل والتمييز وقيل لان الكافرين يرون
معبودهم مصنوعهم والمؤمنون يرون الله صانعهم وقيل لان
المشركين احبوا الاصنام وعاينوها والمؤمنون يحبون الله ولم
يعاينوه بل آمنوا بالغيب وقيل انما قال والذين آمنوا اشد حبا
لله لان الله احبهم اولا ثم احبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة
كانت محبته اتم واصح قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقرا ابو رجا
يحبونهم بفتح الياء وهى لغة يقال حببت الرجل فهو محبوب
وانشد الفراء

احب بحبها السودان حتى حببت لحبها سود الكلاب

قوله تعالى ولو يرى الذين ظلموا قرا ابو عبد الرحمن وابو رجاء والحسن
وابو جعفر وشيبة ونافع وقتادة والاعرج وعمرو بن ميمون و
يعقوب وايوب وعبد الله بن عامر ترى بالتاء وقرا الباقون بالياء
فمن قرا بالتاء فهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والجواب محذوف
تقديرها ولو ترى اى تبصر يا محمد الذين ظلموا اذ يرون العذاب
لرايت عظيما ولعلمت ما يصيرون اليه او لتعجبت منه ومن قرا
بالياء فمعناه ولو يرى الظالمون انفسهم عند رؤية العذاب لعلموا
ان القوة لله جميعا ولا آمنوا ولعلموا مضرة الكفر ونظير هذه الاية
من المحذوف والجواب قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال الاية
يعنى لكان هذا القرآن وهذا كما يقول لو رايت فلانا والسياط
تاخذه فيستغنى عن الجواب لان المعنى مفهوم قوله تعالى اذ يرون
العذاب قرا عامر بضم الياء على التعدى وقرا الاخرون بفتحه على اللزوم
وانما قال اذ ولم يقل اذا وكانت اذ لما مضى لارادة تقريب الامر
قوله ان القوة لله جميعا قرا الحسن وقتادة وابو جعفر وشيبة وسلام
ويعقوب ان القوة وان الله بكسر الالف فيهما على الاستيناف والكلام
تام عند قوله يرون العذاب مع اضمار الجواب كما ذكرنا وقرا الباقون
بفتحهما على معنى بان القوة وبان الله وقيل معناه لراوا ان القوة اى
لايقنوا او عاينوا وقال عطاء ولو يرى الذين ظلموا يوم القيمة اذ يرون
العذاب حين تخرج اليهم جهنم من مسيرة خمسماية عام فتلتقطهم
كما تلتقط الحمام الحبة لعلموا ان القوة اى القدرة لله جميعا وجميعا
نصب على الحال وان الله شديد العقاب ظاهر قوله تعالى اذ
تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا اذ هذه بدل من اذ الاولى او ظرف

لقوله شديد العذاب او مفعول اذكر وتبرأ بمعنى يتبرؤا
قرأ مجاهد بتقديم الفاعل على المفعول وقرأ الباقون بالضد
والمتبعون هم الجبابرة والقادة في الشرك والشر والتابعون
هم الاتباع والضعفاء والسفلة قاله اكثر المفسرين وقال السدي
هم الشياطين تبرؤا من الانس وقيل تبرأ الاصنام من عبدها
ويكون ذلك بتقدير الحيوة فيها وقيل تحمل على المجاز اي لو كانت
الاصنام تنطق لتبرأت ويقال تبرأها انها لا تنفع عبدتها قوله
تعالى ورأوا العذاب معطوف على تبرأ ويجوز ان يكون حالا والمعنى
اذ تبرؤا في تلك الحال وفي رؤيتهم العذاب وجهان محتملان ذكرهما
الماوردي احدهما تيقنهم له عند المعاينة في الدنيا والثاني الامر
بعذابهم عند العرض والمسائلة في الآخرة قوله تعالى وتقطعت
بهم الاسباب الباء هاهنا بمعنى عن كقوله تعالى فسئل به خبيرا اي
عنه وقيل الباء للتعدية والتقدير قطعتهم الاسباب كما يقول
تفرقت بهم الطرق اي فرقتهم ومنه قوله تعالى فتفرق بكم عن
سبيله وقيل الباء هنا للسببية والتقدير تقطعت بسبب كفرهم
الاسباب التي كانوا يرجون بها النجاة والاسباب معناها في اللغة
الحبال ثم قيل لكل شيء وصلت به الى موضع او حاجة تريدها سبب
ويقال للطريق سبب لانك بسلوكه تصل الى الموضع الذي تريده
قال الله تعالى فاتبع سببا اي طريقا واسباب السموات ابوابها
لان الوصول اليها يكون بدخولها والمودة بين القوم تسمى سببا
لانهم بها يتواصلون قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني اسباب
المودة والوصلات التي كانت بينهم في الدنيا تقطعت وصارت
عداوة وقال الربيع يعني بالاسباب المنازل التي كانت لهم في الدنيا

وروي عن ابن عباس ايضا وقال ابن جريج والكلبي يعني بالاسباب
الارحام كقوله تعالى فلا انساب بينهم يومئذ وقال السدي
يعني الاعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا بيانه قوله تعالى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال ابو روق العهود
التي كانت بينهم في الدنيا قوله تعالى وقال الذين اتبعوا يعني
الاتباع لو ان لنا كرة مصدر كر يكر اي رجع الى الدنيا قوله عز
وجل فنتبرأ منصوب باضمار ان تقديره لو ان لنا ان نرجع فان نتبرأ
جواب لو على هذا محذوف تقديره لتبرأنا ونحو ذلك وقيل لو هاهنا تمن
فنتبرأ منصوب على جواب التمني والمعنى ليت لنا كرة فنتبرأ والمعنى لو
ان لنا رجعة الى الدنيا فنتبرأ منكم كما تبرأتم منا في الآخرة قوله كذلك
الكاف في موضع رفع اي الامر كذلك ويجوز ان يكون نصبا صفة لمصدر
محذوف اي يريهم رؤية كذلك او يحشرهم كذلك او يجزيهم ونحو
ذلك وقيل كتبري بعضهم من بعض يريهم الله اعمالهم الخبيثة
حسرات عليهم في الآخرة لانهم اذا رأوا حسن مجازاة المؤمنين
باعمالهم الحسنة تحسروا على اعمالهم حيث لم تكن حسنة فيستحقوا
بها ثواب الله وقال ابن كيسان يعني باعمالهم عبادتهم الاوثان
رجاء ان تقربهم الله فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا
وندموا قال السدي ترفع لهم الجنة فينظرون اليها والى بيوتهم
فيها لو اطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم
تقسم بين المؤمنين فيرثونهم فذلك حين يندمون قال ابن
فارس الحسرات جمع الحسرة وكذلك كل اسم كان واحده على
فعلة مفتوح الاول ساكن الثاني فان جمعه على فعلات مثل

ثمرة وثمرات وشهوة وشهوات فاما اذا كان نعتا فانك تسكن
ثانيه مثل ضخمة فجمعها ضخمات ويريهم من رؤية العين فهو
متعد الى مفعولين هنا بهمزة النقل وحسرات على هذا حال
وقيل يريهم اي يعلمهم فيكون حسرات مفعولا ثالثا وعليهم صفة
الحسرات اي كائنة عليهم واصل الحسر الكشف فالحسرة انكشا ف
حال الندامة والحسير المعي لانه انكشف حاله بطول التعب
قوله تعالى وما هم بخارجين من النار يريد به امرين احدهما فوات
الرجعة والثاني خلودهم في النار قوله تعالى يا ايها الناس كلوا من
ما في الارض لما اخبر عنهم بانهم يتخذون الانداد وتبرأ بعضهم
من بعض ذكر من افعالهم ايضا انهم يحرمون بعض الاشياء ويحللون
البعض على حسب اهوائهم انزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة
وبني مدلج حرموا على انفسهم اشياء من الحرث والانعام والبحيرة
والسائبة والوصيلة والحام وقيل نزلت في المؤمنين ومن
للتبعيض لانه ليس كلما في الارض يمكن اكله ويحل اكله قوله عز
وجل حلالا طيبا منصوبان على الحال وقيل على المفعول تقديره كلوا
حلالا طيبا مما في الارض ومعنى الحلال المباح الذي انحلت عنه عقدة
الحظر والاصل في الطيب ما يستلذ ويستطاب ويوصف به الطاهر
والحلال على جهة التشبيه لان النجس تكرهه النفس فلا يستلذ والحرام
ايضا غير مستلذ لان الشرع يزجر عنه ولما وصف الحلال بالطيب
وصف الحرام بالخبيث قال الله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب
واراد بالحلال الطيب ما احل الله اكله مما حرمه المشركون على
انفسهم وقال ابن عباس في رواية عطا يريد قد غنمتم مال اعدائكم
وعلى هذا القول يعني بالحلال الطيب الغنيمة قوله تعالى ولا تتبعوا

خطوات

خطوات الشيطان قرا شيبة ونافع وعاصم وابو عمرو والاعمش
وحمزة خطوات بسكون الطا في جميع القران وقرا ابو جعفر وابو
مجلز والازهري وعبد الله بن عامر والكسائي بضم الخا والطا وقرا
علي وعمرو بن ميمون بضم الخا والطا وهمزة بعد الطا وقرا ابو السمال
العدوي وعبيد بن عمير بفتح الخا والطا فمن خفف فانه ابقاه على
الاصل وطلب الخفة لانها جمع خطوة ساكنة الطا ومن ضم الطا فانه
اتبعها ضمة الخا وكل ما كان على الاسما على وزن فعلة يجمع على التا فان
الاغلب والاكثر في جمعه التثقيل وتحريك عين الفعل بالحركة التي
في فا الفعل في الواحد مثل ظلمة وظلمات وحجرة وحجرات وقد يخفف
ايضا ومن ضم الخا والطا مع الهمزة فقال الاخفش اراه ذهب بها
مذهب الخطيئة فجعل ذلك على مثال فعليه من الخطا وقال
ابو حاتم ارادوا اشباع الضمة في الواو فانقلبت همزة ومن
نصب الخا والطا فانه اراد جمع خطوة مثل ثمرة وثمرات واختلف
المفسرون في معنى قوله تعالى خطوات الشيطان فروي عن علي
كرم الله وجهه عن ابن عباس قال خطوات الشيطان عمله وقال
مجاهد وقتادة والضحاك خطاياه وقال السدي والكلبي طاعته
وقال عن ابن عباس زلاته وشهواته وقال ابو مجلز هي النذور في
المعاصي وقال المورج اثاره وقال ابو عبيدة هي المحقرات من الذنوب
وقال القتيبي والزجاج طرقه وكل من لم يرد به الشرع فهو منسوب
الى الشيطان على لسان الشرع والخطوة بالضم ما بين القدمين
والخطوة بالفتح الفعلة الواحدة من قول القائل خطوت اخطو
خطوة والشيطان ها هنا جنس وليس المراد به واحدا قوله
تعالى انه لكم عدو مبين انما كسر الهمزة لانه اراد الاعلام بحاله

وهو ابلغ من الفتح لانه اذا فتح الهمزة صار التقدير لا تتبعوه
لانه لكم واتباعه ممنوع وان لم يكن عدوا لنا ومثله لبيك ان الحمد
لك كسر الهمزة اجود لدلالة الكسر على استحقاق الحمد في كل حال
وكذلك التلبية والمعنى انه ظاهر العداوة لكم وقد ابان عداوته
لكم بابائه السجود لآدم وغروره اياه حين اخرجه من الجنة وابان
يكون لازما ومتعديا ثم بين عداوته فقال تعالى انما يامركم بالسوء
يعني بالاثم واصل السو كلما يسوء صاحبه وهو مصدر ساءه يسوءه
سوءا ومساءة اذا احزنه قال الله تعالى فلما راوه زلفة سيئت وجوه
الذين كفروا وقال الشاعر

ان يكن هذا الدهر قد ساءني فطالما قد سرني الدهر
الامر عندي فيهما واحد لذاك صبر ولذا شكر

قوله تعالى والفحشا يعني المعاصي وما قبح من القول والفعل وهو
مصدر كالباساء والضراء ويجوز ان يكون نعتا لا فعل له كالعذراء
والحسناء واختلف المفسرون في معنى الفحشا المذكور في هذه
الاية فروى عن ابن عباس انه قال الفحشا من المعاصي كلما فيه حد
في الدنيا والسو من الذنوب ما لا حد فيه وقال طاوس عنه هو ما
لا يعرف في شريعة ولا سنة وقال عطا عنه انه البخل وقال
السدي هو الزنا وزعم مقاتل ان كلما في القران من ذكر الفحشاء فانه
الزنا الا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا فانه
منع الزكاة وسمي بذلك لفحش فعله وقبح مسموعه قوله تعالى وان
تقولوا في موضع جر عطفا على بالسوء اي وبان تقولوا على الله ما لا
تعلمون من تحريم الحرث والانعام وان تجعلوا له شريكا قوله عز
وجل واذا قيل اتبعوا ما انزل الله اختلف العلما في وجه هذه الاية

فقال

فقال بعضهم انها قصة مستانفة وانها نزلت في اليهود
وعلى هذا القول يكون الهاء والميم في قوله لهم كناية عن غير مذكور
وروى عكرمة عن ابن عباس قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهود والنصارى الى الاسلام ورغبهم فيه وحذرهم عقاب الله
تعالى ونقمته فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع
ما الفينا عليه اباءنا فهم كانوا خيرا واعلم منا فانزل الله هذه الاية
وقال قوم بل الاية متصلة بما قبلها وهي نازلة في مشركي العرب
وكفار قريش واختلفوا فيه فقال الضحاك عن ابن عباس واذا قيل
لهم اتبعوا ما انزل الله يعني كفار قريش من بني عبد الدار قالوا بل
نتبع ما الفينا عليه اباءنا من عبادة الاصنام فعلى هذا يكون الهاء والميم
عائدة على من في قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقال
قوم واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله في تحليل ما حرموه على انفسهم
من الحرث والانعام قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا من التحليل
والتحريم والدين وعلى هذا القول يكون الهاء والميم راجعة الى
الناس في قوله يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ويكون رجوعا
من الخطاب الى الخبر كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
وهذا اولى الاقوال لان هذه القصة عقيب قوله يا ايها الناس
فهي اولى ان يكون خبرا عنهم وان يكون خبرا عن المتخذين مما بينهما
من الايات وطول الكلام وادغم الكسائي وهشام لام هل وبل في
ثمنية احرف التا كقوله تعالى بل تؤثرون وهل نعلم والثا كقوله تعالى
هل ثوب والسين كقوله تعالى بل سولت والزا كقوله بل زين
والضاد كقوله تعالى بل ضلوا والظا كقوله بل ظننتم والطا
كقوله تعالى بل طبع الله والنون كقوله تعالى بل نحن بل نتبع

ما الفينا عليه اباءنا وانما خص لام هل وبل دون ساير اللامات
لانها ساكنة بنا وساير اللامات ساكنة لمعاني متى زالت تلك
العلل زال سكونها **قوله تعالى** او لو كان اباوهم الواو للعطف
ويقال لها ايضا واو التعجب دخلت عليها الف الاستفهام للتوبيخ
والتقرير فلذلك نصبت وجواب لو محذوف تقديره افكانوا يتبعونهم
وان كانوا جهالا فترك جوابه لانه معروف **وقوله** لا يعقلون
شيا لفظه عام ومعناه الخصوص لانهم كانوا يعقلون امر الدنيا
ومعناه لا يعقلون شيا من امر الدين ولا هم يهتدون وقيل لم
يستعملوا عقولهم فيما يجري عليهم خيرا وهو كقوله صم بكم عمي ثم
ضرب لهم مثلا فقال تعالى ومثل الذين كفروا الاية مثل مبتدا
وكمثل الذي ينعق خبره قال الاخفش والزجاج وابن قتيبة تقدير
الاية ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعايهم
الى الله كمثل الراعي الذي يصيح بالغنم ويكلمها ويقول كلي واشربي
وارعي وهي لا تفهم شيا مما يقول لها كذلك هولا الكفار كالبهايم
لا يعقلون عنك ولا عن الله شيا وعلى هذا حذف احد المثلين اكتفاء
بالثاني وقال ابن عباس في رواية الكلبي ومثل الكفار في قلة فهمهم
وعقلهم كمثل الرعاة يكلمون البهم وهي لا تعقل عنهم شيا غير انها
تسمع الصوت ولا تفهم وعلى هذا شبه الكفار بالرعاة الذين
يكلمون ما لا يسمع الا دعا ونداء وهي البهايم وهذا قول مجاهد قال
هذا مثل ضربه الله للكافر يسمع ما يقال ولا يعقل فمثله كمثل البهيمة
تسمع النعيق ولا تفهم وقال بعضهم معناها ومثل الذين كفروا
في دعايهم الاصنام التي لا تفقه دعاهم كمثل الناعق بغنمه
لا ينتفع من نعيقه بشي غير انه في عنا من دعا ونداء فكذلك

الكافر ليس له من دعا الالهة وعبادة الاوثان الا العنا ولا
ينتفع منها بشي وهذا قول ابن زيد والنعيق الصوت ثم قال
تعالى صم اي هم صم والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمعه
كانه اصم **قوله تعالى** بكم اي عن الخير فلا يقولونه **قوله** عمي اي عن
الهدى فلا يبصرونه فهم لا يعقلون **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم هذا تاكيد للامر الاول وخص المومنين
بالذكر تفضيلا وهذا امر اباحة اي لا تاخذوا بتحكمات الكفار
فان الحلال ما احل الله والحرام ما حرمه والمراد بالاكل الانتفاع
من جميع الوجوه كقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
وقيل هو الاكل المعتاد وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وان
الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
ثم ذكر الرجل يطيل السفر يمد يده الى السماء يقول يا رب يا رب
اشعث اغبر مطعمه حرام وملبسه حرام ومشربه حرام وغذي
بالحرام فانا يستجاب له رواه مسلم **قوله تعالى** واشكروا الله
ان كنتم اياه تعبدون قيل ان بمعنى اذ وقيل هي شرط اي شرط
العابدية ان يشكر نعمته **قوله تعالى** انما حرم عليكم الميتة قال
الزجاج انما اذا جعلته كلمة واحدة كان اثباتا لما يذكر بعده ونفيا
لما سواه فقوله انما حرم معناه ما حرم عليكم الا ما ذكر وذلك
ان كلمة ان للتوكيد في الاثبات وما يكون نفيا فاذا قال القايل
اني بشر فالمعنى انا بشر على الحقيقة واذا قال انما انا بشر كان

المعنى ما انا الا بشر وروى ابو عبد الرحمن السلمي انما حرّم خفيفة
الرا مضمومة الميتة والدم ولحم الخنزير كلها رفعا على ان الفعل
لها وروي عن ابي جعفر انه قرا حُرِم بضم الحا وكسر الرا وتشديد ها
ورفع ما بعده ولها وجهان احدهما ان الفاعل غير مسمى والثاني ان
الذي حرم عليكم الميتة خبر ان وقرا ابرهيم ابن ابي عبلة حرّم بفتح
الحا والرا مشددة ورفع ما بعده جعل ما بمعنى الذي منفصلة عن
قوله ان وحينيذ يكون ما نصبا باسم ان وما بعدها رفعا على
خبرها قال تعالى ان ما صنعوا كيد ساحر وقرا الباقون حرّم عليكم
الميتة نصبا على ايقاع الفعل وجعلوا انما كلمة واحدة تاكيدا وتحقيقا
وقرا ابو جعفر الميّتة وبابها بالتشديد في كل القران واما الاخرون
نشددوا بعضا وخففوا بعضا فمن شدد قال اصله ميوت فيعل
من الموت فادغمت اليا في الواو وجعلت الواو مشددة للكسرة
كما فعلوا بسيد وصيب وجيد ومن لم يشدد فعلى طلب الخفة وهما
لغتان مثل هين وهيّن ولين ولين قال الشاعر

ليس من مات فاستراح بميت ... انما الميت ميت الاحياء

فجمع بين اللغتين وحكى ابو معاذ عن النحويين الاولين ان الميت بالتخفيف
الذي فارقته الروح والميّت بالتشديد الذي لم يمت بعد وهو
يموت قال الله تعالى انك ميّت وانهم ميّتون لم يختلفوا في تشديده
والميتة ما فارقته الروح من غير ذكاة مما يذبح وقيل الحكمة
في تحريم الميتة ان جمود الدم فيها بالموت يحدث اذى للاكل وقد
يسمى المذبوح في بعض الاحوال ميتة حكما لان حكمه حكم الميتة
كذبيحة المرتد قوله تعالى والدم اراد والدم الجاري يدل عليه
قوله تعالى او دما مسفوحا فقيده وكانت العرب تجعل الدم

في

في المباعر وتشويها ثم تاكلها فحرم الله الدم وقد خصت السنة
هذين الجنسين وهو قوله عليه السلم احلت لنا ميتتان ودمان
فاما الميتتان فالسمك والجراد واما الدمان فالكبد والطحال
وقال ابو حنيفة دم القمل والبراغيث والبق طاهر وهي احدى
الروايتين عن احمد وقال القاضي ابو يعلى الدم الذي يبقى في خلل
اللحم بعد الذبح وما يبقى في العروق مباح قوله تعالى ولحم الخنزير
اراد جميع اجزائه وخص اللحم بالذكر لانه هو المقصود بالاكل
وقال داود التحريم مقصور على لحمه دون غيره قوله تعالى وما
اهل به لغير الله اي ما ذبح للاصنام والطواغيت كلها وما ذكر
عليه غير اسم الله واصل الاهلال رفع الصوت ومنه اهلال الحاج
وهو رفع الصوت بالتلبية ومنه اهلال الصبي واستهلاله صياحه
عند خروجه من بطن امه وفي الحديث كيف ادى من لا نطق ولا
استهل ولا شرب ولا اكل فمثل ذلك يطل ومنه اهلال المطر
واستهلاله وهو صوت وقوعه على الارض وانما سمي الذبح اهلالا
لانهم كانوا اذا ارادوا ذبح ما قربوه لالهتهم ذكروا عنده اسم
الهتهم وجهروا به فسمي كل ذابح جهر جهر بالتسمية او لم يجهر
بها مهلا كما سمي الاحرام اهلالا لرفع اصواتهم بالتلبية حتى صار
اسما له وان لم يرفع عنده صوت وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله سبعة من خلقه
ولعن كل واحد منهم لعنة تكفيه قال ملعون ملعون من عمل عمل
قوم لوط ملعون من ذبح لغير الله ملعون من اتى شيا من البهايم
ملعون من جمع بين امراة وابنتها ملعون من عق والديه ملعون

من انتمى الى غير مواليه ملعون من غير حدود الارض ه والتحريم
لا يختص فيما ذكر في هذه الاية اذ ليس المقصود عد الكل من
المحرمات بل سيقت الاية لبيان حلال ما كانوا يحرمونه من الانعام
وتحريم ما كانوا يستحلونه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح
للنصب ويدل على هذا اجماع الامة على تحريم اشياء ليست في هذه
الاية ولا في قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الاية من القاذورات
والخبائث **قوله تعالى** فمن اضطر قرا عاصم وحمزة ويعقوب وابو عمرو
فمن اضطر بكسر النون فيه وفي اخواته مثل ان اقتلوا او اخرجوا ونحوهما
لان الجزم تحرك الى الكسر وقرا الاخرون بضم النون لما سكنوا اول
الفعل الذي يليه لاجل الوصل نقلوا ضمته الى النون وقرا ابن محيصن
فمن اضطر بادغام الضاد في الطا حالصة وقرا ابو جعفر اضطر بكسر
الطا رد الى الطا كسرة الرا المدغمة لان اصله اضطرر على وزن افتعل
من الضرورة وقرا الباقون اضطر بضم الطا على الاصل ومن في موضع
رفع وهي استفهام واضطر في موضع جزم بها والجواب فلا اثم عليه
ويجوز ان يكون من بمعنى الذي وفيه اضمار اي فمن اضطر الى شيء مما
ذكرنا انه حرام والمعنى من احوج والجي الى ذلك وقال مجاهد يعني اكره
عليه قوله تعالى غير نصب على الحال وقيل على الاستثنا **قوله تعالى** غير
باغ ولا عاد اصل البغي في اللغة قصد الفساد تقال بغى الجرح يبغي
اذا ترامى الى الفساد ومنه قيل للزنا بغيا قال الله تعالى ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء والزانية بغي وقال تعالى وما كانت امك بغيا
واصل العدوان الظلم ومجاوزة الحد واختلف المفسرون في معنى
قوله تعالى غير باغ ولا عاد فقال بعضهم غير باغ اي غير قاطع للطريق
ولا عاد مفارق للائمة مشاق للامة خارج عليهم بسيفه فمن
خرج يقطع الطريق او الرحم او يخيف السبيل ويفسد في الارض

او ابق من سيده او فر من غريمه او خرج عاصيا باي وجه كان
فاضطر الى الميتة لم يحل له اكلها او اضطر الى الخمر عند العطش
لم يحل له شربها لا رخصة ولا كرامة فاما اذا خرج مطيعا او
مباحا له ذلك فانه يرخص له فيه وهذا قول مجاهد وسعيد
بن جبير والضحاك والكلبي ومذهب الشافعي لانا اذا ابحنا له
ذلك فقد اعناه على فساده وظلمه وقال الاخرون هذا البغي و
العدوان راجعان الى الاكل واليه ذهب ابو حنيفة واباح تناول
الميتة للمضطر وان كان عاصيا ثم اختلف اهل التاويل في تفصيل
هذا التفسير فقال الحسن وقتادة والربيع ابن انس وابن زياد
غير باغ باكله من غير اضطرار ولا عاد متعد يتعد الحلال الى الحرام
فياكلها وهو غني عنها وقال مقاتل بن حيان غير باغ اي غير مستحل
لها ولا عاد متزود منها وقال السدي غير باغ في اكله بشهوة فياكلها
تلذذا ولا عاد باكل حتى يشبع منه ولكن ياكل منه قوتا يسد به
الرمق وقد اختلف العلما في مقدار ما يحصل للمضطر من اكل
الميتة فقال بعضهم مقدار ما يسد رمقه وهو احد قول الشا فعي
واختيار المزني والقول الثاني انه ياكل حتى يشبع وقال مقاتل
بن حيان لا يزيد على ثلث لقم واختلفوا في اكله فقال بعضهم اكله
حرام الا انه لا اثم عليه لقوله تعالى فان الله غفور رحيم وقال
بعضهم هو حلال ولا يسعه تركه لانه قال في اية اخرى وقد
فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه فلما استثني منه ثبت
انه حلال قال مسروق بلغني انه من اضطر الى اكل الميتة فلم ياكلها

حتى مات دخل النار واختلفوا ايضا فى حد الاضطرار فقال
بعضهم اذا كان بحال يخاف على نفسه التلف وهو قول الشافعي
وروى عن ابن المبارك انه قال اذا كان بحال اذا دخل السوق لا ينظر
الى شئ سوى الخبز وقال بعضهم اذا كان بحال يضعف به عن اداء
الفرايض قوله تعالى فلا اثم عليه اى فلا حرج عليه فى اكلها ان الله غفور
لما اكل من الحرام حال الاضطرار رحيم به حيث رخص له فى ذلك قوله
تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب الاية قال جويبر عن
الضحاك عن ابن عباس سالت الملوك لليهود قبل مبعث محمد صلى الله
عليه وسلم ما الذى تجدون فى التورية قالت اليهود انا نجد فى التورية
ان الله يبعث نبيا من بعد المسيح يقال له محمد بتحريم الزنا والخمر
والملاهى وسفك الدما فلما بعث الله محمدا عليه السلم ونزل المدينة
قالت الملوك لليهود اهذا الذى تجدون فى كتابكم فقالت اليهود طمعا
فى اموال الملوك ليس هذا بذاك النبى فاعطاهم الملوك الاموال فانزل
الله هذه الاية اكذابا لليهود وقال الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس
نزلت فى رؤسا اليهود وعلمائهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا
وكانوا يرجون ان يكون النبى المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه
وسلم خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة محمد
عليه السلم فغيروها ثم اخرجوها اليهم وقالوا هذا نعت النبى الذى
يخرج فى اخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبى الذى بمكة فاذا نظرت
السفلة الى النعت المغيرة وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه
وسلم فلا يتبعونه فانزل الله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
يعنى صفة محمد عليه السلم ونبوته فالكتاب هاهنا هو الموضع الذى
جرى فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ويشترون به

ثمنا قليلا يعنى الماكل التى كانوا يصيبونها من سفلتهم وكل ذلك
قليل لانه لا بقاء له والثمن فى اللغة العوض قوله تعالى اولئك
ما ياكلون فى بطونهم الا النار وذكر البطن هاهنا للتوكيد لان
الانسان قد يقول اكل فلان مالى اذا افسده وبذره ويقال كلمه
من فيه لا قد كلمه مراسلة ومكاتبة وقوله الا النار اى ما يؤول
عاقبته الى النار وهو الرشا والحرام وثمن الدين والاسلام لما كانت
عاقبته النار سماه فى الحال نارا كقوله تعالى انما ياكلون فى بطونهم
نارا وقوله عليه السلم الذى يشرب من انية الذهب والفضة
انما يجرجر فى جوفه نار جهنم اى عاقبته النار قوله تعالى ولا يكلمهم
الله يوم القيمة فيه اربعة اقوال احدها لا يكلمهم كلاما يسرهم
وينفعهم لانه يكلمهم بكلام العذاب حيث قال تعالى اخسؤا فيها
ولا تكلمون هذا قول اهل التفسير والثانى وهو قول اهل المعانى
ان نفى الكلام عبارة عن غضبه عليهم من قولهم فلان لا يكلم فلانا
اى هو عليه غضبان والثالث معناه انه لا يرسل الملائكة اليهم
بالتحية حكاه القشيرى والماوردى والرابع معناه لا يسمعهم
كلامه حكاه الماوردى قوله تعالى ولا يزكيهم فيه قولان احدهما
لا يطهرهم من دنس ذنوبهم والثانى لا يثنى الله عليه فهو معذب
قوله تعالى ولهم عذاب اليم اى مولم موجع قوله عز وجل اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى اى حصلوا على الضلالة بدل الهدى
والعذاب بالمغفرة يعنى النار بالجنة قوله تعالى فما اصبرهم على النار
اختلف العلما فى ما يقال قوم هى ما التعجب واختلفوا فى معناها
فقال الحسن وقتادة والربيع والله ما لهم عليها من صبر ولكن

ما اجراهم على اعمال اهل النار قالوا وهذه لغة يمانية يقول الرجل
ما اصبرك على كذا اي ما اجراك عليه قال الفرا اخبرني الكسائي
قال اخبرني قاضي اليمن ان خصمين اختصما اليه فوجبت اليمين على
واحد منهما فحلف فقال له خصمه ما اصبرك على الله اي ما اجراك
عليه ومعنى التعجب من الله انه يعجب المخاطبين ويدلهم على انهم قد
حلوا محل من يتعجب منه وقال المورج فما اصبرهم على عمل يوردهم
النار لان هولا كانوا علما بان من عاند محمدا صار من اهل النار وقال
مجاهد ما اعملهم باعمال اهل النار وقيل ما ابقاهم في النار كما يقال
ما اصبر فلانا على الضرب والحبس وقال عطا والسدي وابن زيد
وابو بكر ابن عياش هو ما الاستفهام معناه ما الذي صبرهم واي شي
صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وقيل هذا على وجه
الاستهانة والاستحقار كما يقول لمن يعرف ضعفه ويستخف
منه ما اقواك على هذا الامر قوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق ذلك اشارة الى قوله ولهم عذاب اليم او الى الوعيد في قوله
فما اصبرهم على النار فتقديره ذلك العذاب لهم بان الله نزل الكتاب
بالحق فكفروا به واختلفوا فيه وحينئذ يكون ذلك في محل الرفع
بالابتدا والخبر مضمر والتقدير ذلك العذاب مستحق بما انزل
الله في القران من استحقاق عقوبة الكافر فالبا متعلقة بمحذوف
وقال بعضهم ذلك محله نصب معناه فعلنا ذلك بهم بان الله
اي لان الله نزل الكتاب بالحق وقيل ذلك اي فعلهم الذي يفعلون
من الكفر والاختلاف والاجترا على الله من اجل ان الله نزل الكتاب
بالحق وتنزيله الكتاب بالحق هو اخباره عنهم ان الذين كفروا
سوا عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم

الاية

الاية وفي الكتاب ثلثة اقوال احدها انه التورية والثاني
انه القران والثالث جميع الكتب قوله بالحق اي بالعدل قوله
تعالى وان الذين اختلفوا في الكتاب فمن قال هو التورية ففي
اختلافهم فيه ثلثة اقوال احدها ان اليهود والنصارى اختلفوا
فيها فادعى النصارى فيها صفة عيسى عليه السلام وانكر اليهود
ذلك والثاني خالفوا ما في التورية من صفة محمد عليه السلم
والثالث خالفوا سلفهم في التمسك بها ومن قال هو القران
اختلافهم فيه قول بعضهم هو سحر وقول بعضهم هو شعر وقول
بعضهم هو اساطير الاولين ومن قال هو جميع الكتب فاختلافهم
ايمانهم بالبعض دون البعض قوله لفي شقاق بعيد اي خلاف
طويل وقيل بعيد عن الحق قوله تعالى ليس البر قرا حمزة بنصب
الرا على انه خبر ليس وان تولوا اسمها وقرا الباقون بالرفع على
اسم ليس والخبر في قوله ان تولوا وفي حرف عبد الله وابي ليس
البر بان تولوا قال قتادة ذكر لنا ان رجلا سال عن البر فانزل
الله هذه الاية فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاها عليه
وفيمن خوطب بها قولان احدهما انهم المسلمون والثاني اهل الكتا
فعلى القول الاول معناه ليس البر كله في الصلوة لكن البر ما في هذه
الاية وكان الرجل في ابتدا الاسلام اذا اتى بشهادة الحق وصلى
الى اي ناحية كانت ثم مات على ذلك قضي له بالجنة فلما هاجر
النبي عليه السلم ونزلت الفرايض بين الله انه ليس البر ان يصلي
المرء فقط وعلى القول الثاني ليس البر صلوة اليهود الى المغرب

والنصارى الى المشرق ولكن البر ما في هذه الآية وفي المراد
بالبر ثلثة اقوال احدها الايمان والثاني التقوى والثالث العمل
الذي يقرب الى الله تعالى قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله الآية
جعل من وهي اسم خبر للبر وهو فعل ولا يقال البر زيد واختلفوا
في وجه الآية فقال بعضهم لما وقع من في موضع المصدر جعله
خبر للبر كانه قال ولكن البر الايمان بالله والعرب تجعل الاسم
خبر للفعل كقولهم انما البر الصادق الذي يصل رحمه ويخفي
صدقته يريدون صلة الرحم واخفا الصدقة وعلى هذا القول
الفرا والمفضل بن سلمة وقيل معناه ولكن البر بر من آمن بالله
فاستغني بذكر الاول عن الثاني كقولهم الجود حاتم والشجاعة عنترة
والشعر زهير اي جود حاتم وشجاعة عنترة وشعر زهير وتقول
العرب بنو فلان يطاهم الطريق اي اهل الطريق قال الله تعالى
وسل القرية اي اهل القرية وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة اي كخلق نفس واحدة وهذا قول قطرب واعتمد
الفرا والزجاج ايضا وقال ابو عبيدة ولكن البار من آمن بالله كقوله
تعالى والعاقبة للتقوى اي للمتقين وقيل معناه ولكن ذا البر
من آمن بالله حكاه الزجاج كقوله تعالى هم درجات عند الله اي
ذوو درجات وقال المبرد لو كنت ممن يقرا القرآن لقرات
ولكن البر بفتح البا تقول العرب رجل بر وبار والجمع ابرار وبررة
وقرا نافع ولكن البر بتخفيف نون لكن ورفع البر على الابتداء
قوله تعالى واليوم الآخر يعني البعث والجزا وانما ذكره لان
عبدة الاوثان تنكره قوله تعالى والملائكة يعني فيما امروا به

من كتب

من كتب الاعمال وتولى الجزا قوله والكتاب يعني الكتب والكتاب
اسم جنس فيجوز وقوعه على الجمع قوله والنبيين يعني التصديق
بجميع الانبيا قوله وآتى المال اي اعطى المال على حبه اكثر المفسرين
ان الها في حبه راجعة الى المال يعني اعطى المال في حال صحته ومحبته
اياه وقال بعضهم هي راجعة الى الله تعالى اي على حب الله تعالى
وقال الحسين بن الفضل على حب الايتا وعلى بمعنى مع وذهب الجمهور
الى ان ليس في المال حق سوى الزكوة وذهب الشعبي والسدي
الى خلافه قوله تعالى ذوي القربى يريد قرابة الرجل من طرفيه
ومن قبل ابويه فان كان ذلك محمولا على الزكوة روعي فيه شرطان
احدهما الفقر والثاني سقوط النفقة وان كان محمولا على التطوع
لم يعتبر واحد منهما وجاز مع الغنا والفقر ووجوب النفقة
وسقوطها قال صلى الله عليه وسلم صدقتك على المسلمين صدقة
وعلى ذي الرحم اثنتين لانها صدقة وصلة وقال عليه السلم افضل
الصدقة على ذي الرحم الكاشح وقد شرحنا معني اليتامى والمساكين
في قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل قوله تعالى وابن
السبيل يعني المجتاز واختلفوا فيه فقال ابو جعفر الباقر ومجاهد
يعني المسافر المنقطع من اهله يمر عليك وقال قتادة هو الضيف
ينزل بالرجل قال وذكر لنا انه عليه السلم كان يقول من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وكان يقول حق الضيافة
ثلث ليال فما فوق ذلك فهو صدقة وانما قيل المسافر والضيف
الذي يحل ويرحل ابن السبيل لملازمته الطريق كما يقال للرجل

الذي اتت عليه الايام ابن الايام والليالي ولطي الماء ابن الماء لملازمته اياه **قوله تعالى** والسائلين يعني المحتاجين الذين يسالون ومن حمل الاية على غير الزكوة دخل فيه المسلم والكافر عن فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهما قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جا على ظهر فرسه وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الله الى المومن السائل على بابه **قوله تعالى** وفي الرقاب اي في تخليص الرقاب او عتق الرقاب وفيهم ثلثة اقوال احدها انهم المكاتبون يعانون في كتابتهم بما يعتقون به قاله اكثر المفسرين وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي والثاني انهم عبيد يعتقون وهو قول مالك والثالث فدا الاسارى والرقاب جمع رقبة وهي موخر اصل العنق وهي من المراقبة لان مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم **قوله تعالى** والموفون بعهدهم اذا عاهدوا فيما بينهم وبين الله وبينهم وبين الناس اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا او نذروا اوفوا واذا قالوا صدقوا واذا ايتمنوا ادوا قال الربيع بن انس في هذه الاية من اعطى الله عهدا ثم نقضه فالله ينتقم منه ومن اعطى ذمة النبي صلى الله عليه وسلم ثم غدر فالنبي خصمه يوم القيمة ۝ وارتفع الموفون بالعطف على محل من في قوله ولكن البر من امن فهو رفع لانه خبر لكن كانه قال ولكن البر من امن بالله والموفون وقيل ارتفع لانه خبر مبتدا محذوف تقديره هم الموفون **قوله تعالى** والصابرين قال ابو عبيدة نصبه على تطاول الكلام ومن شان العرب ان تغير الاعراب اذا طال الكلام والنسق وقال الكسائي نصبه

نسقا

نسقا على قوله ذوي القربى وقال بعضهم انتصب باضمار يعني الصابرين وقال الخليل والفرا على المدح والعرب تنصب على المدح وعلى الذم يريدون بذلك افراد الممدوح والمذموم ولا يتبعونه اول الكلام وينصبونه فاما المدح فقوله تعالى والمقيمين الصلوة وانشد ابو عبيدة

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وافة الجزر

النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر

فنصب النازلين والطيبين على المدح وان كان صفة لاسم مرفوع واما الذم فقوله تعالى ملعونين الاية **قوله تعالى** في الباسا يعني الشدة والفقر وهو من البوس والضرا يعني المرض والزمانة وهما اسمان بنيا على فعلاء ولا افعل لهما لانهما اسمان وليسا بنعت قوله تعالى وحين الباس اي وقت القتال والباس اسم للحرب لما فيه من الشدة **قوله تعالى** اولئك الذين صدقوا يعني اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا في ايمانهم فمن شرائط البر وتمام شروط البار ان تجتمع فيه هذه الاوصاف جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وساله عن الايمان فقرا هذه الاية **قوله تعالى** واولئك هم المتقون اي اتقوا عقاب الله فتركوا مخالفته وفي هذا كله قولان احدهما انه مخصوص بالانبيا عليهم السلم لانه لا يقدر على القيام بهذا كله على شروطه غيرهم حكاه الماوردي والثاني انه عام في الناس كلهم لارسال الكلام وعموم الخطاب **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الاية قال الشعبي والكلبي وقتادة

ومقاتل بن حيان وابو الجوزا وسعيد بن جبير نزلت هذه الاية في
حيين من احيا العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الاسلام بقليل
فكانت بينهم قتلى وجراحات لم ياخذ بعضهم من بعض حتى جا الاسلام
والحيان من الاوس والخزرج في قول سعيد بن جبير وقال ابن حيان
قريظة والنضير وكان لاحد الحيين طول على الاخر في الكثرة والشرف
وكانوا ينكحون نساءهم من غير مهور فاقسم الاشراف لنقتلن بالعبد
منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم
وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات اولئك وهكذا كانوا يتعاملون
في الجاهلية فرفعوا امرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله تعالى هذه الاية وامرهم بالمساواة فرضوا وسلموا ومعنى كتب
فرض كقوله كتب عليكم الصيام فان قيل الفرض على من يكون على
الولي او على غيره قلنا الفرض على القاضي اذا اجتمعوا عليه ان يقضي
على القاتل بالقصاص اذا طلب الولي ويجب على القاتل اذا طلب
منه الولي تمكينه من قتله والقصاص المساواة والمماثلة في النفوس
والجروح واصله من قص الاثر اذا اتبعه فكان المفعول به يتبع ما
عمل به فيعمل مثله اذا تكافا الدمان وذهب الشافعي رحمه الله الى
ان الحر لا يقتل بالعبد بل يجب قيمته بالغة ما بلغت وقال ابو حنيفة
رحمه الله يقتل الحر بالعبد ولا يزاد قيمة العبد على دية الحر وقال
الشافعي لا يقتل المسلم بالذمي وقال ابو حنيفة يقتل به والحر
مشتق من الحر الذي هو نقيض البرد لان الحرارة من حرارة الحمية
ومن الانفة ما يبعثه على المكرمة بخلاف العبد قال جماعة
من المفسرين ان دليل خطاب هذه الاية منسوخ لانه لما قال

الحر

بالعبد ٥

الحر بالحر اقتضى ان لا يقتل العبد بالحر والذكر بالانثى من
جهة دليل الخطاب وذلك منسوخ بقوله تعالى وكتبنا عليهم
فيها ان النفس بالنفس وقال بعضهم هي غير منسوخة لان
الفقها يقولون دليل الخطاب حجة ما لم يعارضه دليل وقد وجد
الدليل وهو قوله تعالى النفس بالنفس **قوله تعالى** فمن عفي
له من اخيه شي اي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص
في قتل العمد فرضي بالدية وهذا قول اكثر المفسرين وقال السدي
هو ان يبقى له بقية من دية اخيه او من ارش جراحته بعد ان
تقاصا فمن بقيت له بقية فليتبعها بمعروف وليؤد من عليه القصاص
باحسان وفي هذا دليل على ان اخوة الاسلام بينهما لم تنقطع وان
القاتل لم يخرج عن الايمان بقتله ولان الله خاطبهم بقوله يا ايها
الذين امنوا كتب عليكم القصاص ولا خلاف ان القصاص واجب
بالعمد فلم يسقط عنه اسم الايمان بارتكاب هذه الكبيرة وقال في
اخر الاية ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وهما يلحقان المومنين
دون الكافرين **وروي** ان مسروقا سيل هل للقاتل توبة قال
لا اغلق بابا فتحه الله تعالى وقيل اراد بالشي بعض القصاص فلهذا
انكره اي ولي الدم اذا عفا عن بعض القصاص سقط القصاص بالكلية
ونبه بهذا على انه لو عفا عن جميع الدم فاولى ان يسقط القصاص ولو
نص على العفو عن القصاص لتخيل متخيل ان العفو عن البعض لا يسقط
القصاص وقيل من عفي له يرجع الى الولي اي اذا تيسر للولي من جهة
القاتل عوض وهو الدية فليقبل فهو تحريض على العفو عن القصاص
وقيل اراد من عفي له عن دم القتيل شي اي عفى بعض الاوليا فهذا

ص

الذي لم يعف ينبغي ان يتبع بالمعروف ولا يطلب الا الدية ذكرها
القشيري قوله تعالى فاتباع بالمعروف اي فعلى ولي الدم اتباع
بالمعروف في المطالبة بالدية وهو ترك التشديد على القاتل والمعروف
ما يعرفه الشرع ويرد به قوله تعالى واداء اليه باحسان اي
وعلى القاتل تادية المال الى العافي باحسان بان لا يبخس ولا يماطل
وقيل هما جميعا عايدان الى القاتل ان يؤدي بمعروف وباحسان قوله
تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة قال ابن عباس حيث جعل الدية
لامة محمد عليه السلم قال المفسرون ان الله تعالى كتب على اهل التورية
ان يقيدوا ولا ياخذوا الدية ولا يعفوا وعلى اهل الانجيل ان يعفوا
ولا يقيدوا ولا ياخذوا الدية وخير هذه الامة بين القصاص
والدية والعفو وقال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة اي التخيير
بين هذه الاشياء قوله تعالى فمن اعتدى بعد ذلك يعني قتل
بعد اخذ الدية والعفو فله عذاب اليم فيه ثلثة اقوال احدها
ان العذاب الاليم هو ان يقتل قصاصا وهو قول عكرمة والثاني
ان يقتله الامام حتما لا عفو فيه وهو قول ابن جريج قال صلى الله
عليه وسلم لا اعافي رجلا قتل بعد اخذ الدية والثالث ان العذاب
الاليم استرجاع الدية منه ولا قود عليه وهو قول الحسن البصري

فصل انواع القتل ثلثة العمد وشبه العمد والخطا فالعمد ان
يقصد بما الاغلب ان يموت منه مثل الحديدة والخشبة العظيمة
والحجر الكبير ونحوها ففي هذا القصاص او الدية وقال ابو حنيفة رحمه
الله القتل بالمثقل لا يوجب القصاص وموجب العمد القصاص
عينا وليس للولي اخذ الدية الا برضا القاتل ودليل التخيير
بين القصاص والدية قوله عليه السلم ثم انتم يا خزاعة قد

فقلتم

فقلتم هذا القتيل من هذيل وانا والله عاقله فمن قتل قتيلا بعده
فاهله بين خيرتين ان احبوا قتلوا وان احبوا اخذوا العقل واما
شبه العمد فهو ان يقصد ضربه بما الاغلب منه انه لا يموت
منه كالعصا الصغير واللطمة وما اشبه ذلك فهذا يجب به
دية مغلظة على العاقلة ماية من الابل اربعون خلفة في بطونها
اولادها وثلثون حقة وثلثون جذعة ومن الذهب الف دينار
ومن الورق اثنا عشر الف درهم هذا دية الحر المسلم ودية المرة
على النصف من ذلك واما الخطا فهو ان يقصد شيا فيخطي فيصيب
غيره كالرجل يرمي الهدف او الصيد فيخطي السهم فيقع بانسان
فيقتله ففيه دية مخففة على العاقلة في ثلث سنين اخماسا
عشرون بنات مخاض وعشرون بنات لبون وعشرون ابن
لبون وعشرون حقاقا وعشرون جذاعا قوله تعالى ولكم
في القصاص حياة اي بقاء لانه اذا علم انه اذا قتل اقتص منه
امسك عن القتل وانزجر عنه ففيه حياة للذي هم بقتله وحياة
للهام ايضا قال قتادة جعل الله هذا القصاص حياة وعبرة لاهل
السفه والجهل من الناس وكم رجل قد بهم بداهية لولا مخافة
القصاص لوقع بها ولكن الله حجز بالقصاص عباده بعضهم عن
بعض هذا قول اكثر اهل التفسير ونظيره من قول العرب القتل
انفى للقتل الا ان ما في القرآن اوجز وافصح واكثر معاني وابعد
عن الكلفة بتكرير الجملة وقال السدي كانوا يقتلون بالواحد
اثنين والعشرة والماية فلما قصروا بالواحد على الواحد كان في
ذلك حياة وقيل اراد به في الاخرة لان من اقيد منه في الدنيا حيي
في الاخرة واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الاخرة فمعنى

الحياة سلامته من قصاص الآخرة وقيل ولكم في القصاص حيوة
أي فرح فإن ولي الدم إذا اقتص تشفى وطابت نفسه وقد يتمنى
موت نفسه من الحزن الذي نزل به وفي امتناع القصاص عليه
فإذا اقتص وذلك سبب التمني للموت كان فيه حيوة حكي عن ابن
عباس رض **قوله تعالى** يا أولي الألباب يعني يا ذوي العقول لأن
الحيوة بالقصاص معقول بالاعتبار والألباب جمع لب وهو
خالص الشيء ومنه سمي العقل لبا لأنه أشرف خالص المرء وأصل
الكلمة من اللزوم يقال ألب بالمكان أي لزمه لزوم لب الشيء
قوله تعالى لعلكم تتقون أي تتقون القتل مخافة القود أو
لتتقوا الله باجتناب معاصيه **قوله تعالى** كتب عليكم إذا حضر
أحدكم الموت أي كتب عليكم القصاص وكتب عليكم الوصية فلما
طال الكلام أسقط الواو وقيل لما ذكر أن لولي الدم أن يقتص
فهذا الذي أشرف على أن يقتص منه وأي أسباب الموت فكان
الموت حضره وهذا أوان الوصية ويجوز أن لا يتعلق آية بآية
بعد أن كان كل شيء من القرآن مفيدا حكمه ولا يبعد أنه كان
في كل حكم من هذه الأحكام شرع لليهود فبين الله الأحكام للمسلمين
تنبيها على أن ما خالف هذا الذي ذكر صار منسوخا وكان من
تحريف اليهود ومعنى كتب فرض وواجب إذا حضر أحدكم الموت
يريد أسباب الموت ومقدماته من العلل والأمراض وكانت الوصية
إذ ذاك واجبة وإنما قال كتب ولم يقل كتبت لأنه أراد بالوصية
الإيصاء كقوله فمن جاءه موعظة من ربه أي وعظ وقال المفضل
لأن الوصية قول والقول مذكر فذهب إلى المعنى وترك اللفظ
وقيل لأنه تخلل فاصل فكان الفاصل كالعوض من تاء التأنيث

تقول

تقول العرب حضر القاضي اليوم امرأة وقيل أي كتب عليكم
الوصية حتى يقول كل إنسان إذا حضرني الموت فمالي في وجه
كذا أو كذا ففيه تقديم وتأخير يعني كتب عليكم الوصية إن ترك
أحدكم خيرا للوالدين والأقربين إذا حضره الموت فقوله حضر
محمول على حقيقة الحضور ولا يحضر الموت إلا وهو ميت **قوله
تعالى** إن ترك خيرا أي مالا والخير اسم جامع للمال في كثير من القرآن
كقوله تعالى وما تنفقوا من خير وقوله وإنه لحب الخير وقوله من
خير فقير وقال شعيب إني أراكم بخير يعني الغنا والمال وقد سمى
الله الإيمان خيرا قال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا يعني إيمانا وقوله
ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ويطلق الخير
بمعنى أفضل قال تعالى وأنت خير الراحمين وأنت خير الحاكمين
ويطلق بمعنى العافية كقوله تعالى وإن يمسسك بخير وإن يردك
بخير ويطلق بمعنى الأجر قال تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر
الله لكم فيها خير أي أجر **وقوله** إن ترك خيرا جوابه عند الأخفش
الوصية وتحذف الفاء أي فالوصية للوالدين واحتج بقول الشاعر
من يفعل الحسنات الله يشكرها ۝ والشر بالشر عند الله مثلان
فالوصية على هذا مبتدأ وللوالدين خبره **وقوله تعالى** للوالدين
والأقربين قيل هم الأولاد وقيل من عدا الوالد من الأقارب فأما الأولاد
فإنهم لم يدخلوا في الآية فكان المال للولد والوصية للوالدين والأقربين
ثم قيل الأقربون جميع القرابات من يرث ومن لا يرث وقيل هم من لا يرث
دون من يرث **قوله تعالى** بالمعروف أي بالعدل لا يزيد على الثلث
ولا يوصي للغني ويدع الفقير **وقوله** حقا أي واجبا وهو نصب على
المصدر أي حق ذلك حقا وقيل على المفعول أي جعل الوصية حقا

قوله على المتقين أي الذين يتقون الشرك **فصل** اختلف أهل
العلم في ثبوت حكم هذه الآية فذهب الجمهور من التابعين والفقهاء
إلى أن العمل بها كان واجبا قبل فرض المواريث لأن لا يضع الرجل
ماله في البعداء للسمعة والرياء فإن أهل الجاهلية كانوا يفعلون
ذلك وهذا كان سبب نزول هذه الآية فلما نزلت آية المواريث
في سورة النساء نسخ بها وجوب الوصية ومنعت السنة من
جوازها للورثة بأنه قال صلى الله عليه وسلم ألا إن الله قد أعطى
كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فبين أن الوصية والميراث لا
يجتمعان فآية الميراث هي الناسخة **وقول رسول** الله هو المبين وقال
آخرون بقي فرض الوصية للأقرباء الذين لا يرثون وللوالدين الذين
لا يرثان برق أو كفر على من كان له مال وهذا قول الحسن وطاوس
وقتادة وجابر بن زيد فإن وصى بثلثه لغير قرابته فقد اختلف
قائلوا هذا القول في حكم وصيته على ثلثه مذاهب أحدها أنه يرد
ثلث الثلث على قرابته ويكون ثلثا الثلث لمن أوصى له قاله قتادة
والثاني أنه يرد ثلثا الثلث على قرابته ويكون ثلث الثلث لمن
أوصى له به قاله جابر بن زيد والثالث أنه يرد الثلث كله على قرابته
قاله الضحاك من مات ولم يوص لذي قرابته فقد ختم الله على عمله
بمعصيته وقال طاوس من أوصى لقوم وسماهم وترك ذوي قرابته
محتاجين انتزعت منهم وردت إلى ذوي قرابته واختلفوا في
قدر المال الذي يجب عليه أن يوصي منه فمنهم من قال ألف درهم
كقوله تعالى إن ترك خيرا والخير ألف درهم وهذا قول علي
كرم الله وجهه ومنهم من قال ألف درهم إلى خمسمائة درهم
وهذا قول النخعي ومنهم من قال هو غير مقدر وأن الوصية تجب
في قليل المال وكثيره وهذا قول الزهري روى نافع عن ابن عمر

عن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما حق امرئ يبيت
ليلتين وله مال يريد أن يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عنده
رواه مسلم **قوله تعالى** فمن بدله أي فمن غير الوصية من الأو
والأولياء والشهود بعد ما سمعه من تغليظ الإثم في التبديل
قوله تعالى فإنما إثمه على الذين يبدلونه أي على من بدل الوصية
وللميت أجر قصده وثواب وصيته وإن غيرت بعده **قوله تعا**
إن الله سميع لقول الموصي عليم بنيته وبما أراد وما يفعله الوصي
قوله تعالى فمن خاف أي خشي وقيل علم وهو الأجود لأن الخوف
يستعمل بمعنى العلم وذلك أن القائل إذا قال أخاف أن يقع أمر
كذا كأنه يقول أعلم وإنما يخاف لعلمه بوقوعه فاستعمل الخوف في
العلم ومنه قوله تعالى وأنذر به الذين يخافون **وقوله** إلا أن يخافا
ألا يقيما حدود الله **وقوله** فإن خفتم شقاق بينهما **قوله تعالى** من
موص قرأ مجاهد وعطاء وحميد وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو
جعفر وشيبة ونافع بالتخفيف واختاره أبو حاتم قال قرأتها
بمكة بالتشديد أول ليلة أتممت فعابوها علي وقرأ الباقون
موص بالتشديد واختاره أبو عبيدة لقوله تعالى وما وصى به
نوحا وما وصينا به إبراهيم **قوله تعالى** جنفا أي ميلا يقال جنف
وأجنف وتجانف إذا مال وقرأ علي كرم الله وجهه حيفا بالحاء
والياء أي ظلما قال الفراء الفرق بين الجنف والحيف أن الجنف العد
عن الشيء والحيف حمل الشيء على من ينتقصه وعلى الرجل حتى ينتقص
حقه يقال فلان يتحيف مالي أي ينتقصه من حافاته قال
المفسرون الحيف الخطأ والإثم العمد واختلفوا في معنى الآية و
حكمها فقال قوم تأويلها من حضر مريضا فخاف أن يخطئ في وصيته

صياء

دل

فيفعل ما ليس له أو يتعمد جورا فيها فيأمر بما ليس له فلا حرج
على من حضره أن يأمره بالعدل في وصيته وينهاه عن الحيف
وهذا قول مجاهد قال هذا حين يحضر الرجل وهو يموت فإذا
أسرف أمره بالعدل وإذا أقصر عن حق قال افعل كذا أعط
فلانا كذا وقال آخرون هو أنه إذا أخطأ الميت في وصيته أو
حاف فيها متعمدا فلا حرج على من علم ذلك من ولي أو وصي من ولي
أمر المسلمين أن يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد
الوصية إلى العدل والحق وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة
وإبراهيم والربيع وروى ابن جريج عن عطا قال هو أن يعطي عند
حضور أجله بعض ورثته دون بعض مما سيرثونه بعد موته
فلا إثم على من أصلح بين الورثة وقال طاوس حيفه أن يوصي لغير
ورثته بما يرجع نفعه إلى ورثته بأن يوصي لابن ابنه وهو يريد
ابنه أو يوصي لزوج ابنته ليصرف المال إلى ابنته أو يوصي لبعيد ويحرم
القريب فلا حرج على من علم ذلك أن يصلح بين ذلك المريض وبين
ورثته **وقوله** فأصلح بينهم أي بين الورثة والمختلفين في الوصية وهم
الموصى لهم ولم يجر للورثة ولا للمختلفين في الوصية ذكر لأن سياق
الآية وما تقدم من ذكر الوصية يدل عليه قال الكلبي كان الأولياء
والأوصياء يمضون وصية الميت بعد نزول قوله تعالى فمن بدله
بعد ما سمعه الآية وإن استغرق المال كله وتبقى الورثة بغير شيء
ثم نسخها هذه الآية فمن خاف من موص جنفا أو إثما الآية **وروى**
عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال كنت مع الله صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع فمرضت مرضا أشرفت على الموت فعادني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إن لي مالا كثيرا وليس يرثني

رسول صح

إلا

إلا بنت لي أفأوصي بثلثي مالي قال لا قلت فبشطر مالي قال
لا قلت فبثلث مالي قال نعم والثلث كثير إنك إن تترك ولدك
أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس ● وعن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير
سبعين سنة فإذا أوصى وحاف في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل
النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فإذا أوصى ولم
يحف في وصيته ختم له بخير عمله فيدخل الجنة ثم يقول أبو هريرة
اقرؤوا إن شئتم تلك حدود الله إلى قوله عذاب مهين **وعن** أبي أمامة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حاف في وصيته ألقي في اللوى
واللوى واد في جهنم **قوله تعالى** فلا إثم عليه لأنه متوسط وليس
بمبدل إن الله غفور رحيم حيث لم يجعل على عباده في الدين حرجا
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قال الحسن إذا سمعت الله تعالى
يقول يا أيها الذين آمنوا فارع لها سمعك فإنه لأمر تؤمر به أو
لنهي تنهى عنه وقال جعفر الصادق لذة في النداء أزال تعب العبادة
والعناء **قوله تعالى** كتب عليكم الصيام بمعنى فرض والصيام مصدر
تقول صمت صياما كما تقول قمت قياما وأصل الصوم في اللغة
الإمساك يقال صامت الريح إذا سكنت وأمسكت عن الهبوب و
صامت الخيل إذا وقفت وأمسكت عن السير قال النابغة
خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما
ويقال صام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ويقال للرجل
إذا صمت وأمسك عن الكلام صائم قال الله تعالى إني نذرت للرحمن
صوما أي صمتا وذم أعرابي قوما فقال يصومون عن المعروف

ويفطرون على الفواحش والصوم في الشرع عبارة عن الامساك
عن المفطرات مع انضمام النية اليه فجعل الشارع الصيام اوكد
عباداته والزم فروضه حتى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يقول الله تعالى كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا
اجزي به ولخلوف فم الصايم عند الله اطيب من ريح المسك وانما
اختص الصوم بانه له وان كل العبادات له لان الصوم يمنع من
ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه ساير العبادات وقيل
ان الصوم سر بين العبد وبين ربه فلذلك صار مختصا به وما
عداه من العبادات ربما فعل تصنعا وريا وقيل انما خص الصوم
بنفسه تعالى وان كانت العبادات له وجزاوها منه لان جميع
العبادات التي يتقرب بها الى الله تعالى من صلاة وحج وصدقة
وتبتل واعتكاف ودعا وقربان وهدي وغير ذلك من انواع
العبادات قد عبد بها المشركون آلهتهم وما كانوا يتخذونه من
دون الله تعالى اندادا ولم يسمع ان طايفة من الطوايف المتقدمة
عبدت آلهتها بالصوم ولا تقربت اليها به ولا عرف الصوم في
العبادات الا من جهة الشرايع فلذلك قال الصوم لي اي لم
يشاركني احد ولا عبد به غيري فانا حينيذ اجزي به ولا اكله
الى احد من نبي مرسل ولا ملك مقرب والمراد بهذا الصوم صوم
شهر رمضان **قوله تعالى** كما كتب على الذين من قبلكم فيهم ثلثة
اقوال احدها انهم الانبيا والامم اولهم آدم عليه السلم قاله قتادة
والثاني انهم النصارى قاله الحسن وغيره والثالث انهم اهل الكتاب
وهو قول مجاهد واختلفوا في موضع التشبيه بين صومنا وصوم الذين
من قبلنا فقيل فقيل ان التشبيه في حكم الصوم وصفته لا في عدده لان
اليهود والنصارى يصومون من العتمة الى العتمة ولا ياكلون بعد

النوم

النوم شيا وكان المسلمون على ذلك في اول الاسلام لا ياكلون
بعد النوم شيا والنسا حرام ليلة الصيام حتى كان من شان عمر
بن الخطاب رضي الله عنه ما كان فنسخ الله تعالى ذلك واحل الاكل
والشرب بقوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الاية فرق بين صوم
اهل الكتاب وصوم المسلمين وهذا قول الربيع بن انس وقد روي عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال فصل ما بين صومنا وصوم اهل الكتاب اكلة
السحر وقيل ان التشبيه في عدد الصوم وفيه قولان احدهما انهم
النصارى شبه صيامنا بصيامهم لاتفاقهما في الوقت والعدد
وذلك ان الله تعالى فرض على النصارى صيام شهر رمضان فاشتد
ذلك عليهم لانه ربما كان في الحر الشديد والبرد الشديد وكان
يضر بهم في اسفارهم ومعاشهم فاجتمع راي علمايهم ان يجعلوا
صيامهم في فصل من السنة بين الشتا والصيف فجعلوه في الربيع
وزادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين يوما ثم ان
ملكا لهم اشتكى فمه فجعل لله عليه ان برا من وجعه ان يزيد في
صومهم اسبوعا ثم مات ذلك الملك وولِيهم ملك آخر فقال اتموه
خمسين يوما قاله الحسن والشعبي وجماعة من العلما قال مجاهد اصابهم
موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد فعلى
هذا الاية غير منسوخة والقول الثاني انهم اليهود كان عليهم
صيام ثلثة ايام من كل شهر وهي الايام البيض ويوم عاشورا فلما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فرض الله عليه وعلى المومنين صوم
يوم عاشورا وايام البيض من كل شهر فكانوا على ذلك سبعة عشر
شهرا الى ان نسخ بصوم شهر رمضان وفرض صوم شهر رمضان
نزل في شعبان في السنة الثانية من الهجرة قيل للثلثين خلقا منه

قال ابن عباس اول ما نسخ شان القبلة والصيام الاول عن
عنترة عن ابيه عن جده قال سمعت عليا كرم الله وجهه
يقول اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم عند انتصاف
النهار وهو في الحجرة فسلمت عليه فرد علي السلم ثم قال يا علي
هذا جبريل يقريك السلم قلت عليك وعليه السلم يا رسول الله
ثم قال ادن مني فدنوت منه فقال يقول لك جبريل صم من
كل شهر ثلثة ايام تكتب لك باول يوم عشرة آلاف سنة وباليوم
الثاني ثلثون الف سنة وباليوم الثالث مائة الف سنة فقلت
له يا رسول الله هذا الثواب لي خاصة ام للناس عامة قال يا علي
يعطيك الله هذا الثواب ولمن يعمل مثل عملك بعدك قلت يا رسول
الله ما هي قال ايام البيض ثلثة عشر واربعة عشر وخمس عشر
قال عنترة قلت لعلي كرم الله وجهه لاي شي سمي هذا الايام البيض
فقال لما اهبط الله آدم عليه السلام من الجنة الى الارض كان عريانا
فاحرقته الشمس فاسود جسده فاتاه جبريل عليهما السلام فقال
يا آدم اتحب ان يبيض جسدك قال نعم قال صم من الشهر يوم ثلثة
عشر واربعة عشر وخمسة عشر فصام آدم عليه السلم اول يوم
فابيض ثلث جسده وصام اليوم الثاني فابيض ثلثا جسده ثم صام
اليوم الثالث فابيض جسده كله فسميت الايام البيض وقيل
معناه انها ايام الليالي البيض فحذف المضاف لتساوي النهار
والليل في الضوء قوله تعالى لعلكم تتقون فيه قولان احدهما
لكي تتقوا الاكل والشرب والجماع في وقت وجوب الصوم وهو
قول السدي وابي جعفر الطبري والثاني لتتقوا المعاصي فان
الصيام وصلة الى التقوى لانه يكف الانسان عن كثير مما تطلع

اليه

اليه النفس من المعاصي وهو معنى قول الزجاج قوله تعالى اياما
معدودات قال الزجاج اياما ظرف لكتب كانه قال كتب عليكم
الصيام في هذه الايام وقال الفراء نصب على خبر ما لم يسم فاعله
وهو قوله كتب عليكم كما يقول اعطى عبد الله المال وقيل باضمار
فعل اي ان تصوموا اياما معدودات وقيل على التفسير قوله تعالى
معدودات بين انه لم يوجب صيام الدهر بل صوم ايام يسير قليلا
قال تعالى معدودة وقال مقاتل كل شي في القرآن معدودة او
معدودات فهو دون الاربعين وما زاد عن ذلك لا يقال معدودة
وفي قوله معدودات قولان احدهما انها ايام شهر رمضان التي ابانها
من بعد وهو قول الجمهور والثاني انها صيام ايام البيض كما سبق وفيها
قولان احدهما انها الثاني عشر وما يليه وهو المشهور والاظهر
لان ايام الشهر مجزاة عند العرب عشرة اجزا كل جزو منها ثلثة
ايام تختص باسم اولها غرر ثم ثلث شهب ثم ثلث تسع ثم ثلث عشر
ثم ثلث بيض ثم ثلث درع والدرع هو سواد مقدم الشاة
وبياض مؤخرها فقيل لهذه الثلث درع لان القمر يغيب في اولها
فيصير ليله ادرع لسواد اوله وبياض آخره ثم ثلث خنس لان القمر
يخنس فيها اي يتاخر ثم ثلث دهم وقيل حنادس لاظلامها ثم ثلث
فحم لان القمر ينفحم فيها اي يطلع في آخر الليل ثم ثلث دادى وهي
آخر الشهر ماخوذ من الداده وهو آخر سير الابل وذلك ان تسرع
نقل ارجلها حتى تضعها في مواضع ايديها واختلفوا في الهلال
متى يصير قمرا فقال قوم يسمى هلالا لليلتين ثم يسمى بعدها قمرا

وقال آخرون يسمى هلالا الى ثلاث ثم يسمى بعدها قمرا وقال
آخرون يسمى هلالا حتى يحجر وتحجيره ان يستدير بخطه دقيقه
وهو قول الاصمعي وقال آخرون يسمى هلالا الى ان يبهر ضوءه
سواد الليل فاذا بهر ضوءه سمي قمرا وهذا لا يكون الا في الليلة
السابعة عدنا الى تفسير ما بقي من الآية **قوله** فمن كان منكم
مريضا او على سفر السفر من الكشف لانه يكشف عن احوال
المسافر واخلاقه وقيل سافر اي برز الى الفضاء والسفير الداخل
بين اثنين للصلح لانه يكشف المكروه المتصل بهما والسفر الكتاب
لانه يكشف عن المعاني ومنه اسفار الصبح **قوله تعالى** فعدة مبتدا
والخبر محذوف اي فعليه عدة وفيه حذف مضاف اي صوم عدة وقرا
ابن ابي عبلة فعدة نصبا اي فليصم عدة وفي الكلام حذف تقديره
فافطر فعليه عدة والعدة فعلة من العد وهو بمعنى المعدودة كالطحن
بمعنى المطحون ومنه عدة المراة **قوله تعالى** من ايام اخر يعني غير ايام
مرضه او سفره واخر في موضع خفض لكنها لا تنصرف للوصف
والعدل عن الالف واللام لان الاصل في فعلى صفة ان تستعمل في
الجمع بالالف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر **قوله تعالى**
وعلى الذين يطيقونه قرا ابن عباس وعايشة وعطا ابن ابي رباح وسعيد
ابن جبير وعكرمة ومجاهد يطوقونه بضم اليا وفتح الطا وتخفيفه و
تشديده اي يكلفونه ويحملونه وروي عن مجاهد وعكرمة ايضا بفتح
اليا الاولى وتشديد الطا والواو يتطوقونه اي يتكلفونه وروى ابن الانباري
عن ابن عباس يطيقونه بفتح اليا الاولى وتشديد الطا واليا الثانية
وفتحها بمعنى يطوقونه يقال طاق واطاق واطيق بمعنى واحد
قوله تعالى فدية طعام مسكين قرا اهل المدينة والشام فدية طعام

مضافا

مضافا مساكين جمعا اضافوا الطعام الى الفدية وان كانا واحدا
لاختلاف اللفظين كقوله تعالى وحب الحصيد وقولهم مسجد الجامع
وربيع الاول ونحوها وهي قراءة ابن عمر ومجاهد وقرا الباقون فدية
بالتنوين طعام بالرفع بدلا منها او على اضمار مبتدا اي هي طعام مسكين
وقرا بالافراد حفص فمن وحد فمعناه لكل يوم اطعام مسكين واحد
ومن جمع رده الى الجمع وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم ولم يجمع فدية
لامرين احدهما مصدر والثاني انها لا تدل على المرة الواحدة بل هي للتانيث
فقط والثاني انه لما اضافها الى مضاف الى الجمع فهم منها الجمع والطعام
هاهنا بمعنى الاطعام كالعطا بمعنى الاعطا وتضعف ان يكون الطعام
هو المطعوم لانه اضافه الى المسكين وليس الطعام للمسكين قبل
تمليكه اياه فلو حمل على ذلك لكان مجازا لانه يكون تقديره فعليه
اخراج طعام يصير للمساكين ولو حملت الآية عليه لم يمتنع لان حذف
المضاف جايز وتسمية الشي باسم ما يوول اليه جايز **قوله تعالى**
فمن تطوع خيرا قرا عيسى ويحيى بن وثاب وحمزة والكساي يطوع
باليا وتشديد الواو وفتح العين وتخفيف الطا وجزم العين على معنى
يتطوع وقرا الباقون على الفعل الماضي **قوله تعالى** فهو خير له الضمير
يرجع الى التطوع ولم يذكر لفظه بل هو مدلول عليه بالفعل وان تصوموا
في موضع مبتدا وخير خبره ولكم نعت لخير وان كنتم شرط محذوف
الجواب والدال على المحذوف ان تصوموا والمعنى الصوم خير لكم من
الافطار والفدية **قوله تعالى** ان كنتم تعلمون ما شرعته فيكم وبينته
من دينكم وفضل اعمالكم وثواب افعالكم **فصل** اختلف العلماء
في تاويل هذه الآية وحكمها فقال قوم كان ذلك في اول ما فرض الله
تعالى صوم شهر رمضان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر

مع

مرا

اصحابه بذلك شق عليهم الصوم وكانوا قوما لم يتعودوا الصوم
فخيرهم الله تعالى بين الصيام والاطعام فمن شاء صام ومن شاء افطر
وافتدى بالطعام ثم نسخ الله ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر
فليصمه وعلى هذا القول معاذ بن جبل وانس بن مالك وسلمة بن
الاكوع وابن عمر وعلقمة وعمرو بن مرة وعكرمة والشعبي والزهري
وابرهيم والضحاك واحدى الروايات عن ابن عباس وقال آخرون
بل هذا خاص للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة الذي يطيقان الصوم ولكن
يشق عليهما فخص الله لهما الفطر مع الفدية ويطعما لكل يوم مسكينا
ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وثبت
الرخصة للذين لا يطيقون وهذا قول قتادة والربيع بن انس ورواية
سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال الحسن هذا في المريض كان اذا
وقع عليه اسم المرض وان كان يستطيع الصيام فهو بالخيار ان
شاء صام وان شاء اطعم وافطر حتى نسخ ذلك فعلى هذا الاقوال الاية
منسوخة وهو قول اكثر الفقهاء والمفسرين وقال قوم لم تنسخ
هذه الاية ولا شيء منها وانما تاويل ذلك وعلى الذين يطيقونه
في حال شبابهم وفي حال صحتهم ثم عجزوا عن الصوم فدية طعام
مساكين لان القوم كانوا قد رخص لهم في الافطار وهم على الصوم
قادرون فاضمروا في الاية كانوا وقالوا هذه عبارة عن اول حالهم
وجعلوا الاية محكمة وهذا قول سعيد بن المسيب والسدي واحدى
الروايات عن ابن عباس وهذه الاقوال على قراءة من قرا يطيقونه
من الاطاقة وهي القراءة الصحيحة التي عليها عامة اهل القرآن
ومصاحف البلدان فاما من قرا يطوقونه فتاولوا انهم الشيخ
الكبير والمريض الذي لا يرجى برؤه فهم يكلفون الصوم ولا

يطيقونه

يطيقونه فلهم ان يفطروا ويطعموا مكان كل يوم افطروا مسكينا
وقالوا الاية محكمة غير منسوخة والفدية الجزاء والبدل
من قولك فديت هذا بهذا اي جزيته واعطيته بدلا منه يقال
فديت فدية كما يقال مشيت مشية وجلست جلسة فمن تطوع
خيرا فزاد على مسكين واحد واطعم مسكينين فصاعدا قاله مجاهد
وعطا وطاوس والسدي وقال بعضهم فمن زاد على القدر الواجب
من الاطعام فزاد الطعام رواه ابن جريج عن مجاهد وقال ابن
شهاب يريد فمن صام مع الفدية وجمع بين الصيام والطعام فهو
خير له **فصل** اختلف العلما في المرض الذي اباح الله معه
الافطار فقال قوم يباح بكل ما يسمى مريضا واليه ذهب داود لعموم
الاية وقال آخرون هو كل مرض كان الاغلب من امر صاحبه انه
لو صام فيه ليتأذى بالصوم وازداد مرضه واذا افطر خف عنه مرضه
وهو اختيار الشافعي وقال الحسن وابراهيم اذا لم يستطع المريض
فعل الفرايض قايما افطر والاية محمولة على مرض يلحقه بسبب الصوم
مشقة بدليل قوله تعالى يريد الله بكم اليسر فاما ان كان صحيح
البدن الا انه غلبه العطش بحيث لو لم يفطر ادى الى هلاكه يباح له
الفطر واما السفر فقد قال داود يباح الافطار بكل سفر وقال
من عداه من العلما هو مقدر واختلفوا في تقديره فقال مالك والشافعي
واحمد اقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال ابو حنيفة واصحابه
اقله مسيرة ثلثة ايام مسيرة اربعة وعشرين فرسخا وقال الاوزاعي
اقله مرحلة مسيرة ثمانية فراسخ **فصل** اختلف العلما في صيام المسافر
فقال قوم الافطار في السفر عزيمة واجبة وليست برخصة فمن
صام في السفر ما يصح صومه وعليه القضا في الحضر وهو قول عمر وابو هريرة

وابن عباس وعلي بن الحسين وعروة بن الزبير والضحاك واهل
الظاهر واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصوم
في السفر وبقوله عليه افضل السلام الصائم في السفر كالمفطر
في الحضر وقال قوم الفطر في السفر رخصة والفرض الصوم
فمن صام نفرضه ادى ولا قضا عليه ومن افطر فبالرخصة اخذ ولا
القضا عليه في الحضر وهذا هو الصحيح وعليه عامة الفقها يدل
عليه ما روي عن جابر انه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فمنا الصائم ومنا المفطر ولم يكن بعضنا يعيب على بعض ۝
وقوله عليه السلم ليس من البر الصوم في السفر فان تمام الحديث
يدل على تاويله وهو انه صلى الله عليه وسلم مر برجل في ظل الشجر
يرش عليه الما فقال ما بال صاحبكم هذا قالوا يا رسول الله هو صائم
فقال عليه السلم ليس من البر الصوم في السفر فعليكم برخصة الله
التي رخص لكم فاقبلوها الحديث الاخر وهو قوله عليه السلم الصائم
في السفر كالمفطر في الحضر انه مر برجل ينضح الما على وجهه وهو
صائم فقال افطر ويحك فاني اراك لو مت على هذا دخلت النار ۝
ثم اختلف هولا في المستحب منهما فقال قوم الصوم افضل وهو
قول معاذ وانس وابرهيم ومجاهد وقال اخرون المستحب الافطار
وقال قوم ان كان الصوم لا يجهده فالافضل له الصوم وان كان الصوم
يضعفه فالاولى له الفطر وبه قال مالك وابو حنيفة والشافعي
ويجوز للمسافر الفطر بالاكل والجماع الا ان الشرط ان يقصد به
الترخص وقال احمد لا يباح له الفطر بالجماع ولو افطر بالجماع وجب
عليه الكفارة **فصل** لا رخصة لاحد من المومنين البالغين
في افطار شهر رمضان الا لاربعة احدهم عليه القضا والفدية

وهو

وهو من فرط في قضا شهر رمضان حتى دخل شهر رمضان اخر
وهو مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة عليه القضا دون الفدية
والحامل والمرضع اذا خافتا على اولادهما افطرتا وعليهما القضا
والفدية وهذا قول عمر ومجاهد والصحيح من مذهب الشافعي و
قال بعضهم في الحامل والمرضع عليهما الفدية دون القضا وهو
قول ابن عباس وقال قوم عليهما القضا ولا كفارة وهو قول ابرهيم
والحسن وعطا والضحاك ومذهب اهل العراق ومالك والاوزاعي
والثاني عليه القضا دون الكفارة وهو المريض والمسافر والحايض
والنفسا والثالث عليه الكفارة دون القضا وهو الشيخ
الهرم ومن به مرض دايم اتصل بالموت وهذا قول عامة الفقها
وروي عن ربيعة وخالد انهما قالا في الشيخ اذا لم يستطع الصوم
لا فدية عليه وهو قول الشافعي والرابع من لا قضا عليه ولا فدية
فالمجنون ومن راى غيره مشرفا على الغرق وكان لا يتوصل الى
انقاذه الا بالفطر فله الفطر وفي لزوم الفدية وجهان والعاصي
بالافطار يلزمه قضا يوم مكانه وهل تلزمه الفدية مع القضا
فيه وجهان وحكي عن ربيعة انه قال يقضي مكان كل يوم اثني
عشر يوما وحكي عن ابن المسيب انه قال يصوم عن كل يوم
شهرا وقال ابرهيم النخعي يقضي ثلثة الف يوم وروي عن علي وابن
مسعود انهما قالا لا يقضيه صوم الدهر وان صامه **فصل**
اختلف العلما في حد الاطعام في فدية الصوم فقال بعضهم نصف
صاع عن كل يوم بفطره وهو قول اهل العراق وقال قوم منهم
نصف صاع من قمح او صاع من تمر او زبيب او ساير الحبوب وقال
بعض الفقها ما كان المفطر يتقوته يومه الذي افطره وقال

محمد بن الحنفية يطعم مكان كل يوم مدًّا للطعامه ومدًّا لإدامه
وقال ابن عباس يعطي مسكينا واحدا عشاءه حين يفطر وسحوره
حين يتسحر وقال بعضهم يطعم لكل يوم مسكينا واحدا مدًّا وهو
قول ابو هريرة وعطا ومحمد بن عمرو بن حزم والليث بن سعد
ومالك والشافعي وعامة فقهاء الحجاز **قوله تعالى** شهر رمضان
قراءة العامة رفع على معنى اتاكم شهر رمضان وقال الفراء لكم شهر
رمضان وقيل هو ابتدا وما بعده خبر وقرا الحسن ومجاهد وشهر
بن حوشب شهر نصبا على معنى صوموا شهر رمضان قاله المورج
وقال الاخفش نصب على الظرف اي كتب عليكم الصيام في شهر
رمضان وقال ابو عبيدة نصب على الاغراء وقرا ابو عمرو شهر
رمضان مدغما على مذهبه في ادغام كل حرفين يلتقيان من
جنس واحد او مخرج واحد طلبا للخفة وسمي الشهر شهرا
لشهرته قال الفراء هو مأخوذ من الشهرة وهي البياض ومنه
يقال شهرت السيف اذا سللته وشهر الهلال اذا طلع وجمعه
في القلة اشهر وفي الكثرة شهور ورمضان لا ينصرف للتعريف
وزيادة الالف والنون مثل عثمن وسعدان واختلفوا في معنى
قوله رمضان فقال بعضهم رمضان اسم من اسماء الله فيقال
شهر رمضان كما يقال شهر الله **وروى جعفر** الصادق عن آبائه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال شهر رمضان شهر الله **وروى انس**
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا رمضان انسبوه
كما نسبه الله في القرآن فقال شهر رمضان وقال الاصمعي قال
ابو عمرو انما سمي رمضان لانه رمضت فيه الفصال من الحر
وقال غيره لان الحجارة كانت ترمض فيه من الحرارة والرمضاء

الحجارة

الحجارة المحماة فسمي هذا الشهر رمضان لان وجوب صومه
وافق شدة الحر وقيل سمي بذلك لانه يرمض الذنوب اي يحرقها
وقيل لان القلوب تأخذ فيه من حرارة الموعظة والفكر في امر
الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس وقال الخليل مأخذه
من الرمض وهو مطر يأتي في الخريف فسمي هذا الشهر رمضان لانه
يغسل الابدان من الآثام غسلا ويطهر قلوبهم تطهيرا وقالوا
في جمعه رمضانات **روى ابو سعيد الخدري** قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شهر رمضان سيد الشهور واعظمها حرمة
ذو الحجة **وعن انس ابن مالك** ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حضر شهر
رمضان قال سبحان الله ماذا تستقبلون وماذا يستقبلكم قالها
ثلاثا فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله وحي نزل ام عدو حضر قال
لا ولكن الله يغفر في اول ليلة من رمضان لكل اهل هذه القبلة **وعن
ابي هريرة** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل رمضان
فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب جهنم وسلسلت الشياطين رواه
البخاري **وعن ابن ابي اوفى** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نوم
الصائم عبادة وصمته تسبيح ودعاه مجاب وعمله مضاعف **وقد**
روى مالك في الموطا يرفعه ان النبي عليه السلم قال من صام رمضان
ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وهذا يدل على انه يجوز
ان يسمى رمضان من غير ذكر الشهر **قوله تعالى** الذي انزل فيه
القرآن قال عطية الاودي لابن عباس قد وقع الشك في قوله تعالى
شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وقوله انا انزلناه في ليلة القدر
وقوله انا انزلناه في ليلة مباركة وقد نزل في سائر الشهور وقال
تعالى وقرآنا فرقناه الآية وقال تعالى وقالوا لولا نزل عليه

القرآن جملة واحدة فقال ابن عباس انزل القرآن جملة واحدة من
اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة
من سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد عليه السلام نجوما فذلك قوله
تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وعن ابي ذر الغفاري عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال انزلت صحف ابرهيم في ثلث ليال مضين من
شهر رمضان وانزلت توريه موسى في ست ليال مضين من رمضان
وانزل الانجيل في ثلث عشرة مضت من شهر رمضان وانزل
زبور داود في ثماني عشرة ليلة مضت من شهر رمضان وانزل
الفرقان على محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم في الرابع والعشرين لست
بقين بعدها وعن واثلة ان النبي عليه السلام قال نزل صحف ابرهيم
اول ليلة من رمضان الحديث وقال مجاهد والضحاك معناه انزل
القرآن في فرض صيامه كما يقول انزل الله في الزكوة كذا اي في فرض
الزكوة وقيل معناه انزل في فضله قرآن كما تقول انزل في عايشة
قرآن اي في فضلها وقيل نزل في كل ليلة قدر ما علم الله انه ينزله
في طول السنة وقد سبق معنى القرآن في الفصل السادس في اسماء
القرآن قوله تعالى هدى للناس اي بيانا لهم وارشادا وقيل هو في
معنى الحال اي هاديا للناس وقوله وبينات من الهدى جمع بينة
من بان الشيء يبين اي وضح والمعنى بينات من الحلال والحرام والحدود
والاحكام وقيل اي وبينات وشواهد من الكتب المتقدمة التي
هي هدى وقد سمى الله الكتب المتقدمة التي هي التورية والانجيل هدى
فقال وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس وقال ابن عباس
بينات من الهدى اي من الرشاد الى مرضاة الله قوله تعالى والفرقان
اي فرق بين الحق والباطل وبين لكم ما تأتون وما تذرون قال

سعيد

سعيد بن المسيب خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر
يوم من شعبان فقال يا ايها الناس قد اظلكم شهر عظيم مبارك
وشهر فيه ليلة خير من الف شهر شهر جعل الله صيامه فريضة
وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن
ادى فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة
وشهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المؤمن وشهر اوله رحمة
واوسطه مغفرة وآخره عتق من النار من فطر فيه صائما كان
مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل اجره من
غير ان ينقص من اجره شيئا قالوا يا رسول الله ليس كلنا نجد ما يفطر
الصائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي الله هذا الثواب
من فطر صائما على مذقة لبن او تمرة او شربة ماء ومن اشبع فيه
صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظما حتى يدخل الجنة وكان
كمن اعتق رقبة ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له واعتقه
من النار فاستكثروا فيه من اربع خصال خصلتان ترضون بها
ربكم وخصلتان لا غناء بكم عنهما فاما الخصلتان اللتان ترضون ن
بها ربكم فشهادة ان لا اله الا الله وتستغفرونه واما اللتان
لا غنى بكم عنها فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار ○
وعن انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو اذن الله للسموات والارض ان يتكلما لبشرتا من صام شهر
رمضان بالجنة قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قراءة
بجزم اللام وقرا الحسن والاعرج فليصمه بكسر اللام وهي لام
الامر وحقها الكسر اذا افردت والشهود في اللغة الحضور
ومفعول شهد محذوف لان المعنى فمن شهد منكم البلد او

بيته في الشهر وانتصاب الشهر على الظرف لا بالمفعول به
لان المقيم والمسافر يشهدان الشهر **فصل** اختلف الناس
في معنى هذه الآية وحكمها فقال بعضهم معناه من شهده
عاقلا بالغا مقيما صحيحا مكلفا فليصمه ولا يسقط صوم بقيته
اذا جن فيه قاله ابو حنيفة وقال قوم معناه من دخل عليه
شهر رمضان وهو مقيم في داره فليصم الشهر كله غاب بعد
سفره ام قام فلم يبرح قاله النخعي والسدي وقال قتادة
ان عليا كرم الله وجهه كان يقول اذا ادركه شهر رمضان وهو
مقيم ثم سافر فعليه الصوم ٥ وقال ابن سيرين سالت عبيدة
السلماني عن الرجل يدركه شهر رمضان ثم يسافر فقال اذا شهدت
اوله فصم آخره الا تراه يقول فمن شهد منكم الشهر فليصمه قالوا
والمستحب اذا ادركه شهر رمضان وهو مقيم ان لا يسافر ان
امكنه حتى ينقضي الشهر ورووا في ذلك عن ابرهيم بن طلحة انه
جا الى عايشة رضي الله عنها وعن ابيها فسلم عليها قالت واين
تريد قال اريد العمرة قالت جلست حتى دخل شهر رمضان
ثم خرجت فيه قال قد خرج ثقلي قالت اجلس حتى اذا افطرت فاخرج
فلو ادركني شهر رمضان وانا ببعض الطريق لاقمت له وقال
آخرون معنى الآية فمن شهد منكم الشهر فليصم ما شهد منه وكان
حاضرا وان سافر فله الافطار ان شا قاله ابن عباس وعامة اهل
التاويل وهو اصح الاقوال يدل عليه ما روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه خرج عام الفتح صايما في شهر رمضان حتى اذا كان بالكديد افطر
٥ فان قيل ما الفايدة في اعادة ذكر المرض والسفر وقد تقدم ذكره
قلنا فايدته ان الله تعالى ذكر فيه الآية الاولى تخيير المقيم والمسافر

والمريض ونسخ في الثانية تخيير المقيم بقوله فليصمه فلو اقتصر
على هذا احتمل ان يعود النسخ الى تخيير الجميع فاعاد بعد النسخ
ترخص المسافر والمريض ليعلم انه باق على ما كان **قوله تعالى**
يريد الله بكم اليسر حين رخص الافطار للمريض والمسافر وقيل
يريد الله بكم الخير فيما يامركم به وقد سمى الله اعمال الخير اليسر
فقال فسنيسره لليسرى واليسر من السهولة ومنه اليسار
للغنى وسميت اليد اليسرى بها للتفاول او لانه يتسهل الامور
بها المعاونتها لليمنى **قوله تعالى** ولا يريد بكم العسر قرا بعضهم
اليسر والعسر مثقلين في جميع القرآن وقرا الباقون بتخفيفهما
وهما لغتان والمعنى يريد خلاف العسر فهو بمعنى قوله يريد بكم
اليسر فكرر تاكيدا واذا كانت ارادته واحدة تحققها الاثبات
ولا تجري فيها النفي الا بالمعنى الذي ذكرناه قالوا ولا حجة للقدرية
في هذه الآية لانها مبنية على اول الكلام في ايجاب الصيام فهو خاص
في الاحكام لاهل الاسلام ٥ ك الشعبي اذا اختلف عليكم امران
فان ايسرهما اقربهما الى الحق لان الله تعالى يقول يريد الله بكم
اليسر الآية **وروي** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان
رجلا في المسجد يطيل الصلوة فاتاه فاخذ بمنكبيه ثم قال ان الله
رضي لهذه الامة اليسر وكره لهم العسر قالها ثلث مرات وان هذا
اخذ بالعسر وترك اليسر **قوله تعالى** ولتكملوا العدة قرا ابو بكر
تشديد الميم وقرا الباقون بالتخفيف لقوله اكملت لكم دينكم وهو
معطوف على اليسر لان التقدير ولان تكملوا العدة واللام على هذا
زايدة كقوله تعالى ولكن يريد ليطهركم وقال الزجاج تعلد ذلك
ليسهل عليكم ولتكملوا عدة ما افطرتم في مرضكم وسفركم اذا برأتم

وانتم فقضيتموها وقال بعضهم المراد به لا تزيدوا على ما
افترضت عليكم كما فعلت النصارى ولا تنقلونه عن زمانه
كما نقلته **قوله تعالى** ولتكبروا الله على ما هداكم قال ابن عباس رض
لتعظموا الله على ما ارشدكم له من شرايع الدين ووفقكم ودلكم
شهر رمضان وخصكم به دون ساير اهل الملل وقال اكثر العلماء
اراد به التكبير من ليلة الفطر وكان عروة وسعيد بن المسيب
وابو سلمة يجهرون بالتكبير ليلة الفطر لقوله تعالى ولتكبروا الله
على ما هداكم قال ابن عباس وزيد بن اسلم حق المسلمين اذا راوا هلال
شوال ان يكبروا الى ان يخرج الامام في الطريق والمسجد فاذا حضر
الامام كف فلا يكبر الا بتكبيره والاختيار في لفظ التكبير ثلثا نسقا
قوله تعالى ولعلكم تشكرون اى تشكرون الله على هدايته لكم وعلى
ما انعم به من ثواب طاعتكم **قوله تعالى** واذا سالك عبادي عني
فاني قريب الاية اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الاية
فقال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب واصحابه حين اصابوا
من اهليهم في ليالي شهر رمضان فسالوا كيف التوبة مما عملوا
فنزلت هذه الاية وقيل ان يهود المدينة قالوا يا محمد كيف
يسمع ربنا دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين السما مسيرة خمسماية
عام وان غلظ كل سما مثل ذلك فنزلت هذه الاية رواه صالح عن
ابن عباس وقال الحسن سال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين ربنا فنزلت هذه الاية وقال قتادة وعطا لما نزلت هذه
الاية وقال ربكم ادعوني استجب لكم قال رجل يا رسول الله كيف
ندعو ربنا ومتى ندعوا ربنا فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك
سال الصحابة النبي عليه السلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد

فناديه

فنناديه فنزلت هذه الاية قال اهل المعاني فيه اضمار كانه
قال فقل لهم اني قريب منهم بالعلم كقوله تعالى ما
يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم قال تعالى وهو معكم اين
ما كنتم يريد بالعلم وقيل قريب من الاوليا بالافضال والنعمة
وقيل قريب الاجابة من سماع الدعا **قوله تعالى** اجيب دعوة
الداع اذا دعان في اجيب قولان احدهما اسمع دعوة الداعي فعبر
عن السماع بالاجابة لان السماع مقدمة الاجابة قاله الفرا
والثاني اراد اجابة الداعي الى ما سال اما في الدنيا واما في الاخرة
قاله السدي **قوله تعالى** فليستجيبوا لي وانا ادعوا العبد الى
العبادة فليستجب لي يقال اجاب واستجاب بمعنى واحد قال
كعب بن سعد الغنوي

وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

اراد فلم يجبه والاجابة في اللغة الطاعة واعطا ما سيل يقال
اجابت السما بالمطر واجابت الارض بالنبات كان الارض
سالت السما المطر فاعطت وسالت الارض النبات فاعطت
قوله تعالى وليؤمنوا بي اى يصدقوا وعدي **قوله تعالى** لعلهم يرشدون
اى ليكونوا على رجا من اصابة الرشد وهو نقيض الغي والرشيد هو
المهتدي لمصالح دينه ودنياه يقال رشد يرشد مثل حمد يحمد
ورشد يرشد مثل نصر ينصر اى اصاب الرشد فان قيل هذه الاية تدل
على ان الله تعالى يجيب ادعية الداعين وكذا قوله ادعوني استجب لكم
ونرى كثيرا من الداعين لا يستجاب لهم قلنا قال بعضهم الدعا هاهنا
الطاعة ومعنى الاجابة الثواب كانه قال تعالى اجيب دعوة

الداعي بالثواب إذا أطاعني **جواب** آخر أن معنى الآيتين خاص
وإن لفظهما عاما تقديرهما أجيب دعوة الداعي إن شئت وأجيب
دعوة الداعي إذا وافق القضا وأجيب دعوة الداعي إذا لم يسأل
محالا وأجيب دعوة الداعي إذا كانت الإجابة له خيرا يدل عليه
ما **روى أبو سعيد** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما
من مسلم دعا الله عز وجل بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا
أعطاه الله بها أحد خصال ثلث إما أن يعجل بدعوته وإما أن يدخر
له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من السو مثلها قالوا يا رسول
الله إذا نكثر قال الله أكثر **جواب آخر** أن الآية وإن كانت
عامة فليس فيها أكثر من إجابة الدعوة أما إعطا الأمنية وقضاء
الحاجة فليس بمذكور في الآية وقد يجيب السيد عبده والوالد
ولده ثم لا يعطيه سؤله فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة
لأن قوله أجيب وأستجيب خبر والخبر لا يعترض عليه النسخ
لأنه إذا نسخ صار المخبر كذابا وتعالى الله عن ذلك ودليل هذا التأويل
ما روى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من فتح له باب
من الدعا فتحت له أبواب الإجابة وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام
قل للظلمة لا يدعوني فإني أوجبت على نفسي أن أجيب من دعاني
وإني إذا أجبت الظالمين لعنتهم **جواب** آخر أن الله تعالى
يجيب دعا المؤمن في الوقت إلا أنه يؤخر إعطا مراده ليدعوه
فيسمع صوته يدل عليه ما **روى جابر** عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال إن العبد ليدعو الله وهو يحبه فيقول يا جبريل
اقض لعبدي هذا حاجته وأخرها فإني أحب أن لا أزال أسمع صوته
وإن العبد يدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض لعبدي

هذا

هذا حاجته بإخلاصه وعجلها فإني أكره أن أسمع صوته **جواب**
آخر أن الدعا مفتقر إلى آداب وشرايط هي سبب الإجابة ونيل
المنية فمن راعاها واستكملها كان من أهل الإجابة ومن أغفلها
وأخل بها فهو من أهل الاعتدا في الدعا أصلها الطاعة لله ومنها
أكل الحلال فإن أكل الحرام يمنع إجابة الدعوة ومنها حضور القلب
ففي بعض الحديث لا يقبل الله دعا من قلب غافل لاه وحكي عن
إبرهيم بن أدهم رضي الله عنه قيل له ما بالنا ندعو الله فلا يستجاب
لنا قال لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم تتبعوا
سنته وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه وأكلتم نعمة الله فلم
تؤدوا شكرها وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار
فلم تهربوا منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه وعرفتم
الموت فلم تستعدوا له ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم وتركتم
عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس **جواب** آخر هو أن الداعي
يقصد المصلحة في إجابته إلى ما سأل وقد يكون المصلحة في ذلك
وتجاب إلى مقصوده الأصلي وهو طلب المصلحة وقد تكون المصلحة
في التأخير أو في المنع **قوله تعالى** أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى
نسائكم الآية قال المفسرون إن الرجل في ابتدا الأمر كان إذا دخل
وقت الإفطار حل له الطعام والشراب والجماع إلى أن يصلي العشاء
الآخرة أو يرقد قبلها فإذا صلى عشا الآخرة أو رقد قبل الصلوة
ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنسا إلى مثلها من
القابلة ثم إن ناسا من المسلمين أصابوا من الطعام والنسا في شهر
رمضان بعد العشا منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع
أهله بعدما صلى العشا الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله
واليك من نفسي هذه الخاطئة اني رجعت الى اهلي بعد ما صليت
العشا الآخرة فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت
اهلي فهل تجد لي من رخصة فنزل في عمر واصحابه هذه الآية
وفرح المسلمون بها وقوله احل اي اطلق وابيح لكم ليلة الصيام
الرفث وليلة ظرف لاحل ولا يجوز ان يكون ظرفا للرفث من
جهة الاعراب لانه مصدر والمصدر لا يتقدم عليه معموله وقرا
ابن مسعود والاعمش الرفوث والرفث والرفوث كناية عن
الجماع قال ابن عباس ان الله حيي كريم يكني بما شا فما ذكر الله في
القرآن في المباشرة والملامسة والافضا والدخول والرفث
فانما يعني به الجماع وقال العتبي الرفث هو الافصاح بما يجب ان
يكنى به من ذكر النكاح واصله الفحش والقول القبيح وقال الزجاج
الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من النسا قال الاخفش انما
عداه بالى لانه بمعنى الافضا اي احل لكم الافضا الى نسائكم وقيل
الى بمعنى مع اي مع نسائكم قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن
اصل اللباس ما يلبسه الانسان مما يوارى جسده ثم المراة تسمى لباس
الرجل والرجل لباس المراة لانضمام جسد كل واحد منهما الى جسد
صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه
فلما كانا يتلابسان عند الجماع سمي كل واحد منهما لباسا للآخر
قال الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن والمفسرون يقولون
هن سكن لكم وانتم سكن لهن وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة
قال تعالى وجعلنا الليل لباسا اي سكنا ودليله قوله تعالى وجعل
منها زوجها ليسكن اليها فمن فضل الله انه رخص في اتيانهن

ليالي

ليالي الصوم قوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم يقال
واختانه اذا لم يف له والمعنى اعلم الله انكم تخونون انفسكم بالمعصية
اي لا تؤدون الامانة في الاسناع من المباشرة بعد عشاء الآخرة
في ليالي الصوم ومن عصى الله فقد خان نفسه اذ جلب اليها العقاب
قوله عز وجل فتاب عليكم اي فتجاوز عنكم قوله وعفا عنكم اي تجاوز عنكم
ولم يعاقبكم بما فعلتم وقيل علم الله وقوع هذا منكم فتاب عليكم بعد
ما وقع وقيل علم الله انه سيقع هذا لو دام هذا الحكم فرفعه عنكم
وسماه توبة وعفوا كقوله تعالى علم ان لن تحصوه فتاب عليكم اي
خفف عنكم قوله تعالى فالآن حقيقة الآن الوقت الذي انت فيه
وقد يقع على الماضي القريب منكم وعلى المستقبل القريب وقوعه
تنزيلا للقريب منزلة الحاضر وهو المراد هنا لان قوله فالآن باشر
اي فالوقت الذي كان تحرم عليكم الجماع فيه من الليل قد اجلناه لكم
فيه فعلى هذا الآن ظرف لباشروهن وقيل الكلام محمول على المعنى
والتقدير فالآن احللنا لكم ان تباشروهن ودل على المحذوف لفظ
الامر الذي يراد به الاباحة فعلى هذا الآن على حقيقته والمباشرة
المجامعة لتلاصق بشرة كل واحد منهما لصاحبه قوله تعالى
وابتغوا ما كتب الله لكم قرا معاذ بن جبل واتبعوا من الاتباع وقراه
الاعمش واتوا ما كتب الله لكم اي افعلوه وقراة العامة الصحيحة و
ابتغوا اي اطلبوا يقال بغى الشي يبغيه بغيا وبغية وابتغاه يبتغيه
ابتغاء اذا طلبه وقوله ما كتب الله لكم اي ما قضى لكم من الولد هذا
قول اكثر المفسرين وقيل ما كتب في اللوح المحفوظ وقال ابن زيد
وابتغوا ما كتب الله اي ما احل الله لكم من الجماع وقال قتادة وابتغوا
الرخصة التي كتب الله لكم وقال معاذ بن جبل يعني ليلة القدر
وكذلك روا ابو الجوزا عن ابن عباس واشبه الاقاويل بظاهر

وهن

الآية نزل من تأوله على الولد لانه عقيب قوله فالآن باشروهن
وهو امر اباحة وندب وقال اهل الظاهر و امر ايجاب وحتم
قوله تعالى وكلوا واشربوا امر اباحة حتى يتبين لكم الخيط الا
بيض من الخيط الاسود فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذا
بياض النهار وسواد الليل عن عدي بن حاتم قال قلت للنبي
عليه السلم اني وضعت تحت راسي خيطين فلم يتبين لي شئ
قال انك لعريض الوساد انما ذاك الليل من النهار والنهار
من الليل رواه مسلم قال سهل بن سعد كان الرجل اذا اراد الصوم
ربط خيطين في رجليه ابيض واسود فلا يزال يأكل ويشرب
حتى يتبين له رئيهما فانزل الله من الفجر فعلموا انه الليل و
النهار روي عن حذيفة ابن اليمان ان الخيط الابيض هو الشمس
وروي نحوه عن علي وابن مسعود وهذا قول انعقد الاجماع على
خلافه وانما سميا بذلك تشبيها بالخيط لابتداء الضوء والظلمة
وامتدادهما والفجر انشقاق عمود الصبح وابتداء ضوءه وهو مصدر
قولك فجر الماء يفجر فجرا اذا انبعث وجرى والفجر فجران احدهما
يسطع في السماء مستطيلا كذنب السرحان فلا ينتشر وهو الفجر
الكاذب الذي يحل فيه الطعام والشراب ولا يحل فيه صلاة الصبح
والثاني وهو المستطير الذي ينتشر ويأخذ الافق وهو الفجر الصادق
الذي يحل فيه صلاة الفجر ويحرم الاكل والشرب على الصائم وهو
المعنى بهذه الآية قال صلى الله عليه وسلم لا يمنعكم من السحور
اذان بلال ولا الصبح المستطيل ولكن الصبح المستطير في الافق
ثم ذكر وقت الافطار فقال تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل
وواصل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل عليه السلم

فقال

فقال قبلت مواصلتك ولا يحل لامتك من بعدك فان الله
تعالى قال ثم اتموا الصيام الى الليل فلا صيام بعد الليل
والليل يدخل في مدة الصوم **وقوله** الى المرافق يدخل المرفق
فيه لان الى بمعنى مع والى ها هنا للتحديد وقد قال صلى الله عليه
وسلم اذا اقبل الليل من ها هنا وادبر النهار من ها هنا وغابت
الشمس فقد افطر الصائم وفي بعض الالفاظ اكل او لم يأكل
قوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد وكان
مجاهد يقرأ في المسجد اصل العكوف والاعتكاف الثبات والاقا مه
يقال عكفت بالمكان اذا اقمت به قال تعالى فاتوا على قوم يعكفو ن
على اصنام لهم يقيمون والاعتكاف هو حبس النفس في المسجد على
عبادة الله واختلف العلماء في معنى المباشرة التي نهى المعتكف عنها
فقال قوم هي المجامعة خاصة معناه ولا تجامعوهن ما دمتم معتكفين
في المساجد فان الاعتكاف يفسده الجماع قاله ابن عباس وعطاء
والضحاك وقال قتادة ومقاتل والكلبي هذه الآية نزلت في نفر من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد
فاذا عرضت للرجل منهم حاجة الى اهله خرج اليها فجامعها
ثم تغتسل ويرجع الى المسجد فنهوا ان يجامعوا نساهم ليلا او نهارا
حتى يفرغوا من اعتكافهم وقال ابن زيد المباشرة الجماع وغير
الجماع من اللمس والقبلة وانواع التلذذ والجماع مفسد للاعتكا ف
بالاجماع واما المباشرة بغير الجماع فهو على ضربين ضرب يقصد
به التلذذ بالمراة فهو مكروه ولا يفسد به الاعتكاف عند اكثر
الفقهاء وقال مالك بن انس يفسده. والضرب الثاني ما لا
يقصد به التلذذ بالمراة فهو مباح كما جاء في الخبر عايشة رضي الله

الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل اليها
راسه من المسجد فترجله وهو معتكف ولا يصح اعتكاف
الرجل والمراة الا في المسجد وللشافعي قول قديم انه يصح
اعتكاف المراة في مسجد بيتها ومسجد بيتها هو الموضع الذي
تتخذه لصلاتها من بيتها وقال ابو حنيفة اعتكافها في مسجد
بيتها افضل من مسجد الحي والافضل ان يعتكف في المسجد
الجامع وحكي عن حذيفة انه قال لا يصح الاعتكاف الا في
ثلث مساجد المسجد الحرام والاقصى ومسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال الزهري لا يصح الاعتكاف الا في مساجد
الجمعات وقال ابو حنيفة واحمد لا يصح الاعتكاف الا في مسجد
تقام فيه الجماعة ويصح الاعتكاف بغير صوم وقال ابو حنيفة
ومالك لا يصح الاعتكاف بغير صوم وعند احمد روايتان ٥
وروى علي بن الحسين عن ابيه قال قال رسول الله عليه وسلم
من اعتكف عشرا في شهر رمضان كان كحجتين وعمرتين قوله عز
وجل تلك حدود الله اشارة الى الاحكام التي ذكرها في هذه الاية
وحدود الله ما منع من مخالفتها ومعنى الحد في اللغة المنع ومنه
قيل للبواب حداد لمنعه الناس من الدخول الا باذن ومنه حدود
الدار والارض ما يمنع غيرها ان يدخل فيها وسمي الحديد حديدا لانه
يمتنع به من الاعداء ويقال حدت المراة على زوجها واحدت اذا
امتنعت نفسها من الزينة قوله تعالى فلا تقربوها اي لا تجاوزوها
ودخول الفا ههنا عاطفة على شئ محذوف تقديره تنبهوا فلا تقربوها
قوله تعالى كذلك يبين الله آياته للناس اي كما بين هذه الحدود
يبين جميع الاحكام لتتقوا محارمها وهو معنى قوله لعلكم تتقون

سائر مساجد

قوله تعالى

قوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الاية ذكر الله
تعالى امرا شاع في اليهود وهو اخذ خطامهم الرشى ليغيروا الاحكام
وقيل نزلت الاية في عبدان بن اشوع الحضرمي ادعا ارضا على
امرئ القيس الكندي واختصما الى النبي عليه السلم فانكر امرؤ
القيس فنزلت هذه الاية فحكم عبدان في ارضه ولم يخاصمه و
المعنى لا ياكل بعضكم مال بعض من غير الوجه الذي اباحه الله تعالى
واصل الباطل الشئ الذاهب الزائل ومن الاكل بالباطل ان يقضي
القاضي بمال وانت تعلم انك مبطل فالحرام لا يصير حلالا بقضاء
القاضي لانه انما يقضي بالظاهر وهذا اجماع في الاموال وان كان عند
ابي حنيفة قضاؤه ينفذ باطنا في الفروج واذا كان قضاء القاضي لا
يغير حكم الباطن في الاموال ففي الفروج والدماء اولى روى ابو هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما انا بشر مثلكم ولعل بعضكم
ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له فمن قضيت له من حق اخيه
بشئ فانما اقطع له قطعة من النار وبينكم يجوز ان يكون ظرفا لتاكلوا
لان المعنى لا تتناقلوها فيما بينكم ويجوز ان يكون حالا من الاموال اي
كائنة بينكم او دائرة بينكم وخص الاكل بالذكر لانه المراد من الاموال
غالبا قوله تعالى وتدلوا بها الى الحكام اصل الادلاء ارسال الدلو
في البئر يقال ادلى دلوه اذا ارسلها قال الله تعالى فادلى دلوه ودلاها
يدلوها اذا اخرجها ثم جعل كل القاء قول وفعل ادلاء ومنه ادلى بحجته
اي ارسلها وتعلق بها في خصومته كتعلق المستقي بدلو قد ارسلها
ويقال فلان يدلي الى الميت بقرابة او رحم واختلف النحاة في
محل قوله وتدلوا فقال بعضهم هو مجزوم على النهي اي لا تاكلوا ولا

ها

تدلوا وكذلك هي في حرف أبي باثبات لا وقيل هو نصب على الظرف

كقول الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقيل نصب بإضمار أن الخفيفة وقال الأخفش نصب على الجواب بالواو **وقوله تعالى** إلى الحكام أي لا تقضوا بقولهم بها ولا ترشوهم ليقتطعوها حقا لغيركم **قوله تعالى** وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم وإنما أعاد ذكر الأكل لأنه وصل اللفظة الأولى بالباطل والثانية بالإثم فأعادها للزيادة في المعنى ذكره ابن الأنباري **قوله تعالى** يسألونك عن الأهلة نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة الأنصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا فنزلت هذه الآية والأهلة جمع هلال واشتقاق الهلال من قولهم استهل الصبي إذا صرخ حين يولد وأهل القوم بالحج والعمرة إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية فسمي هلالا لأنه حين يرى يهل الناس بذكر الله تعالى **قوله تعالى** قل هي مواقيت جمع ميقات وهو الزمان المحدد للشيء ومواقيت لا ينصرف لأنها غاية الجموع فصار كأن الجمع تكرر فيها وصرفت قوارير في قوله تعالى قواريرا لأنها وقعت في رأس آية فنونت كما تنون القوافي فليس هو تنوين الصرف الذي يدل على تمكين الاسم **قوله تعالى** والحج هو معطوف على الناس بين الله تعالى وجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه واختلاف أحواله وأعلم أنه فعل ذلك ليعلم الناس أوقاتهم في حجهم وعمرتهم وحل ديونهم وعدد نسائهم ووقت الصوم والإفطار وغير ذلك فلهذا خالف بينه وبين الشمس

التي

التي هي دائمة على حالة واحدة وأحصاء الأهلة ليس من أحصاء الأيام وأفراد الحج بالذكر لأنه مما يحتاج فيه إلى معرفة الوقت والإحرام بالحج يتقيد بوقت معلوم في الشرع ولم يبق الهلال على هذه التسمية فيه خلاف سبق ذكره **قوله تعالى** وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها لا اختلاف في رفع البر هنا لأن خبر ليس بأن تأتوا لزم ذلك بدخول الباء فيه وليس كذلك ليس البر أن تولوا إذ لم يقترن بأحدهما ما يعينه اسما أو خبرا قال المفسرون كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته يدخل منه ويخرج أو يتخذ سلما فيصعد منه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة ولا يدخل من الباب ولا يخرج منه حتى يحل من إحرامه ويرون ذلك برا إلا أن يكون من الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة وبنو نصر بن معوية سموا حمسا لشدتهم في دينهم والحماسة الشدة والصلابة قالوا فدخل رجل من الأنصار يقال له رفاعة من الباب وهو محرم فأنكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت من الباب وأنت محرم قال رأيتك دخلت فدخلت على أثرك فقال عليه السلام إني أحمس فقال الرجل إن كنت أحمس فإني أحمس ديننا واحد رضيت بهديك وسمتك ودينك فأنزل الله هذه الآية وقيل عنى بالبيوت النساء سموا بيوتا للإيواء إليهن كالإيواء إلى البيوت ومعناه لا تأتوا النساء من حيث لا يحل وأتوهن من حيث يحل من قبلهن حكاه الماوردي والقشيري وقال أبو

عبيد أي ليس البر بأن تطلبوا الخير من غير أهله فاطلبوا الخير
من وجهه وأتوا الأمر من بابه وفي الخبر ألا فأجملوا في الطلب
وقال الحسن كانوا يتطيرون بمن سافر ولم تحصل حاجته كان
يأتي بيته من وراء ظهره فقيل لهم ليس في التطير بر بل البر
أن يتقي ويتوكل عليه وفي الخبر لا عدوى ولا طيرة وقال من
رده عن سفر تطير فقد أشرك وكان عليه السلام يحب الفال
ويكره الطيرة وقد ذم الله المتطيرين فقال تعالى وإن تصبهم
سيئة يطيروا بموسى ومن معه وقال تعالى قالوا اطيرنا بك
وبمن معك واختلفوا في البيوت وأخواتها فقرؤا بضم أولها
وكسره فمن ضم فهو الأصل لأن فعلى تجمع على فعول ومن كسر
فلأجل موافقة الياء فإن الكسرة أشد موافقة للياء من الضمة
قوله تعالى البر من اتقى المعنى ولكن البر من اتقى كقوله ولكن البر
من آمن بالله وقد سبق قوله وأتوا البيوت من أبوابها أي في
حال الإحرام واتقوا الله لعلكم تفلحون فإن قيل فما وجه اتصال
هذا بذكر الأهلة حتى جمع بينهما في آية واحدة قلنا كأنه قيل لهم
عند استقصائهم عن الأهلة والحكمة في نقصانها إن الله لا يفعل
شيئا إلا لحكمة فدعوا السؤال عنه وانظروا إلى واحدة تفعلونها
وليست من البر في شيء وتحسبونها برا ويجوز أن يقال لما ذكرنا
أنها مواقيت للحج ذكر أمرا يتعلق بالحج وهو الدخول في الإحرام من
ظهور البيوت قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
أي في دين الله وطاعته قال الربيع ابن أنس وعبد الرحمن بن زيد
بن أسلم هذه أول آية نزلت في القتال فلما نزلت كان صلى الله
عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن يكف عنه حتى نزل قوله

ولكن

تعالى

تعالى اقتلوا المشركين فنسخت هذه الآية وقيل أول آية نزلت
في إباحة القتال أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قاله أبو بكر
الصديق وابن عباس وسعيد بن جبير والزهري قوله تعالى ولا
تعتدوا أي لا تبادروهم ولا تفاجؤهم بالقتال قبل تقدم الدعوة
وقال بعضهم هذه الآية محكمة أمر فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالقتال ولم ينسخ شيء من حكم هذه الآية قالوا ومعنى قوله
ولا تعتدوا أي ولا تقتلوا النساء والصبيان ولا من ألقى إليكم السلم
وهو قول ابن عباس ومجاهد وقال الحسن ولا تعتدوا أي ولا تأتوا
ما نهيتم عنه قوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم أي حيث وجدتموهم
يقال ثقفنا فلانا في موضع كذا أي أخذناه وأصل الثقاف الحذق والبصر
يقال رجل ثقف لقف إذا كان حاذقا في الحرب بصيرا بمواضعه قوله
تعالى وأخرجوهم من حيث أخرجوكم يعني مكة قوله تعالى والفتنة أشد
من القتل يعني شركهم بالله أعظم من قتلهم إياهم وإنما سمي الشرك فتنة
لأنه يؤدي إلى الهلاك كالفتنة هذا قول أكثر المفسرين وقال الكسائي
الفتنة هاهنا العذاب وكانوا يعذبون من أسلم قوله تعالى ولا تقتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه قرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم
بغير ألف من القتل على معنى لا تقتلوا بعضهم تقول العرب قتلنا
بني تميم وإنما قتلوا بعضهم لفظه عام ومعناه خاص وقرأ الباقون
بالألف من القتال واختلفوا في حكم هذه الآيات فقال قوم هي منسوخة
نهوا عن الابتداء بالقتال ثم نسخ ذلك بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة وهذا قول قتادة والربيع وقال مقاتل ابن حيان واقتلوهم حيث
ثقفتموهم أي حيث أدركتموهم في الحل والحرم ولما نزلت هذه الآية

نسخها قوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ثم نسختها
آية السيف في براءة فهي ناسخة ومنسوخة وقال آخرون هذه
الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم وهو قول مجاهد
واكثر المفسرين قوله كذلك جزاء الكافرين معناه ان يقتلوا حيث
ما وجدوا قوله تعالى فان انتهوا اي عن الكفر واسلموا فان الله
غفور رحيم غفور لذنوبهم السالفة رحيم بعباده قوله تعالى
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك والمعنى قاتلوهم حتى يسلموا
فليس يقبل من المشرك الوثني جزية ولا يقبل منه الا الاسلام
وليسوا كاهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية والحكمة فيه على
ما قال المفضل ان مع اهل الكتاب كتبا منزلة فيها الحق وان كانوا قد
حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى كرامة لتلك الكتب وانظرهم
باخذ الجزية ليتدبروا الكتب فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل
مؤمني اهل الكتاب ولم يكن لاهل الاوثان ما يرشدهم الى الحق فكان
امهالهم زيادة في شركهم فابى الله تعالى ان يرضى منهم الا بالاسلام
او القتل عليه قوله تعالى ويكون الدين اي الطاعة لله وحده فلا
يعبد دونه شيء قوله تعالى فان انتهوا اي عن الكفر واسلموا فلا عدوان
اي لا نهب ولا قتل ولا استرقاق الا على الظالمين اي الكافرين الذين
وضعوا العبادة في غير موضعها وسمى ما عليهم عدوانا لان ما يكون
منهم من الكفر عدوانا فسمى جزاء ذلك عدوانا كقوله تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها وكقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم قوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت
هذه الآية على سبب وفيه قولان احدهما انها نزلت في عمرة القضاء
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح اهل مكة عام الحديبية

على

على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع العام القابل على ان يخلوا له
مكة ثلثة ايام فيدخلها هو واصحابه ويعتمرون ويطوفون على
ان لا يدخلها بسلاح الراكب في غمده ولا يخرجون باحد من مكة فانصرف
عليه السلام عامه ذلك ورجع العام القابل في ذي القعدة ودخلوا مكة
واعتمروا وطافوا ونحروا واقاموا ثلثة ايام فانزل الله الشهر الحرام يعني
ذي القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيتم وطركم في سنة سبع بالشهر
الحرام ذي القعدة الذي صددتم فيه عن البيت ومنعتم من مرادكم
في سنة ست وهو من الشهر الحرام وسمي بذلك لقعود العرب
فيه عن القتال لحرمته والى هذا ذهب ابن عباس ومجاهد وعطاء
وابو العالية والقول الثاني ان مشركي العرب قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم انهيت عن قتالنا في الشهر الحرام قال نعم وارادوا ان يغتروه
في الشهر الحرام فيقاتلوه فيه فنزلت هذه الآية يقول ان استحلوا
منكم شيئا في الشهر الحرام فاستحلوا منهم مثله هذا قول الحسن
قال الزجاج الشهر الحرام اي قتال الشهر الحرام بقتال الشهر
الحرام والشهر مرفوع بالابتداء وخبره قوله بالشهر الحرام قوله
تعالى والحرمات جمع حرمة وهو ما يجب حفظه وترك انتهاكه وانما
جمع الحرمات لانه اراد الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام
قوله تعالى قصاص قال ابن عباس ان انتهكوا لكم حرمة فانتهكوا
منهم مثل ذلك اعلم الله ان امر هذه الحرمات لا تجوز للمسلمين الا
قصاصا ثم نسخ ذلك باية السيف قوله تعالى فمن اعتدى عليكم
اي ظلم فقاتل فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله
بطاعته واجتناب معاصيه واعلموا ان الله مع المتقين بالعون
والنصرة قوله تعالى وانفقوا في سبيل الله كل ما امر الله به من
الخير فهو سبيل الله واكثر ما يستعمل في الجهاد والسبيل في اللغة

ن

الطريق وسبب نزولها أن الأنصار كانوا ينفقون ويتصدقون
فأصابتهم سنة فأمسكوا قاله الضحاك **قوله تعالى** ولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة في الباء قولان أحدهما أنها زائدة كقوله تعالى
تنبت بالدهن تقديره ولا تلقوا أيديكم إلى التهلكة والمراد بالأيدي
هاهنا الأنفس فعبر بالبعض عن الكل كقوله تعالى ذلك بما قدمت
يداك وقوله بما كسبت أيديكم والعرب لا تقول ألقى بيده إلا في
الشر والقول الثاني أن الباء غير زائدة وتقديره ولا تلقوا أنفسكم
بأيديكم إلى التهلكة واختاره المبرد والتهلكة الهلاك يقال
هلك يهلك هلاكا وهلكا وتهلكة ومعنى الهلاك الضياع والمعنى
لا تقربوا ما يهلككم وفي المراد بالتهلكة خمسة أقوال أحدها
أنها البخل وترك النفقة في سبيل الله فتهلكوا بالإثم قاله ابن عباس
والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وابن كيسان والثاني
القعود عن الغزو شغلا بالمال قاله أبو أيوب الأنصاري والثالث
أنه القنوط من رحمة الله عند ارتكاب المعاصي وترك التوبة
قاله البراء بن عازب والنعمان بن بشير والرابع لا تخرجون
بغير زاد فتهلكوا بالضعف قاله زيد بن أسلم والخامس أنه عام
في جميع ذلك قاله أبو جعفر الطبري **قوله تعالى** وأحسنوا إن
الله يحب المحسنين قيل معناه أحسنوا الظن بالله وروى أنس بن
مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يموتن أحدكم
إلا وهو يحسن الظن بالله فإن حسن الظن ثمن الجنة وهو قول
عكرمة وسفيان وقيل معناه الإحسان في أداء الفرائض روي
عن أبي إسحاق وعلى قول أبي أيوب وأحسنوا أي جاهدوا والمجاهد
محسن وقال زيد بن أسلم عودوا بالإحسان على من ليس بيده

قاله

شيء

شيء **قوله تعالى** وأتموا الحج والعمرة لله قرأ ابن أبي إسحاق وأتموا الحج
بكسر الحاء في جميع القرآن وهي لغة تميم وقيس بن عيلان وحكي عن طلحة
بن مصرف بالكسر هاهنا وفي سورة آل عمران وبالفتح في سائر القرآن
وحكي عن أهل الكوفة بالكسر في آل عمران لا غير وقرأ الباقون بالفتح
في جميع القرآن وهي لغة أهل الحجاز قال الكسائي هما لغتان ليس بينهما
في المعنى شيء وقال أبو معاذ الحج بالفتح المصدر وبالكسر الاسم مثل قسم
وقسم وشرب وشرب وفي مصحف عبد الله وأتموا الحج والعمرة إلى
البيت وقرأ علقمة وأقيموا الحج والعمرة والجمهور على نصب العمرة
ويقرأها بالرفع على الابتداء واختلف المفسرون في إتمامهما فقال بعضهم
معناه أتموا الحج والعمرة بمناسكهما وحدودهما وسننهما وهو قول
ابن عباس وعلقمة وإبراهيم ومجاهد وقال علي وابن مسعود إتمامهما
أن تحرم بهما من دويرة أهلك وقال الضحاك إتمامهما أن تكون النفقة
حلالا وتنتهي عما نهاك الله عنه وقال سفيان إتمامهما أن تخرج من
أهلك ما تريد غيرهما وقال قتادة والقاسم بن محمد إتمام العمرة أن
تحرم بها في غير الأشهر الحرم وإتمام الحج أن تأتي بجميع مناسكه حتى لا
يلزم دم بجبران نقص وقال الشعبي وأبو بردة وابن زيد ومسروق
إتمامهما واجب بالدخول فيهما وهذا على رأي من لم يوجب العمرة
فإن من أحرم بنسك وجب عليه المضي فيه **فصل فرائض** الحج
أربعة الإحرام والوقوف بعرفة وطواف الإفاضة والسعي بين
الصفا والمروة وأعمال العمرة كلها أربعة فرض الإحرام والطوا ف
والسعي والحلق أو التقصير وأقله ثلاث شعرات واختلف الفقهاء
في العمرة فقال قوم هي سنة وهو مذهب أهل العراق ومالك بن
أنس وأبي ثور وقال الشافعي في القديم واختيار محمد بن جرير
الطبري واحتجوا بقراءة الشعبي وأتموا الحج والعمرة لله رفعا

وسئل عليه السلام عن العمرة أواجبة هي فقال لا وأن تعتمروا
خير لكم وفي الخبر الآخر الحج فريضة والعمرة تطوع وقالوا لما
ذكر الله تعالى فرض الحج لم يذكر معه العمرة فقال تعالى ولله
على الناس حج البيت وقال آخرون العمرة فرض وهي الحج الأصغر
وهو قول علي وابن عباس وزيد بن ثابت وعطاء وقتادة وسفين
الثوري وابن عيينة وقول الشافعي في الجديد ومذهب أحمد
وإسحق واحتجوا بقراءة العامة والعمرة نصبا على معنى وأتموا
فرض الحج والعمرة وبقوله صلى الله عليه وسلم دخلت العمرة في
الحج إلى يوم القيمة ومن قال العمرة سنة تأول الآية على معنى
أتموها إذا دخلتم فيها ولم يرد ابتداء الدخول فيها ودليل هذا
التأويل **قوله تعالى** وأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم لم يرد به
الابتداء وإنما أراد به إتمام ما مضى من العهد ومن أوجب العمرة
تأول الإتمام على معنى الابتداء والإلزام أي أتموها وافعلوها ما يدل
عليه قوله وإذ ابتلى إبرهيم ربه بكلمات فأتمهن أي فعلهن وأقام
بهن **وقوله تعالى** وأتموا الصيام إلى الليل أي ابتدؤا الصيام
وأتموه لأنه ذكر عقيب الأكل والشرب **قوله تعالى** فإن
أحصرتم أي حبستم ومنعتم واختلف العلماء في هذا الإحصار
فقيل هو كل حابس ومانع منع المحرم وحبسه عن العمل الذي
فرضه الله عليه في إحرامه ووصوله إلى البيت أي شيء كان
من مرض أو جراح أو كسر أو خوف أو عدو أو ذهاب نفقة
أو ضلال راحلة أو غيرها من الأعذار فإنه يقيم مكانه على إحرامه
ويبعث بهديه أو بثمن الهدي فقد حل من إحرامه وهذا قول

ايضا

النخعي

النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير
ومقاتل والكلبي ومذهب أهل العراق واحتجوا بأن الإحصار
في كلام العرب هو منع العلة من المرض وأشباهه عن القهر
والغلبة فأما منع العدو والحبس والقهر من سلطان فإن ذلك
حصر لا إحصار كذا قال الكسائي وأبو عبيدة والفراء قالوا
ما كان من مرض وذهاب نفقة قيل منه أحصر وما كان من
حبس عدو أو سجن قيل منه حصر فهو محصور يدل عليه قوله
تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا أي محبسا قالوا وإنما
جعلنا حبس العدو إحصارا قياسا على المرض إذا كان في حكمه
لا بدلالة الظاهر وقال قوم هو حبس عدو أو قاهر من بني آدم
عن الوصول إلى البيت دون المرض وغيره من الأعداء وهذا
قول ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وابن المسيب وابن جبير
وشهر بن حوشب ومذهب الشافعي وأهل المدينة واحتجوا
بأن نزول هذه الآية في قصة الحديبية وذلك إحصار عدو
ويدل عليه أيضا قوله في سياق الآية فإذا أمنتم ولا يكون الأمن
إلا من الخوف وفي الحديث لا حصر إلا من حبس عدو وقال ثعلب
لا تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور وأحصره
العدو إذا منعته من السير فهو محصر قال الشافعي إذا أحصر
نحر هديا لإحصاره حيث أحصر في حل أو حرم وحل من إحرامه
ولا قضاء عليه إلا أن يكون واجبا فيقضي وإذا لم يجد هديا
أو كان فقيرا ففيه قولان أحدهما لا يحل إلا أن يهدي والثاني
يحل ويأتي به إذا قدر وكل ما يجب على المحرم في ماله من بدنة

في

وجزا او هدي فلا يجزي الا في الحرم لمساكين الحرم في موضعين
دم المحصر فانه ينحر حيث حبس وعطب والاخر ساق هديا
فعطب في طريقه وذبحه وخلى بينه وبين المساكين لم يجز
له ان ياكل منه شيئا **قوله تعالى** فما استيسر من الهدي ما
في موضع رفع على الابتدا والخبر محذوف اي فعليكم ويجوز
ان يكون خبرا والمبتدا محذوف اي فالواجب ما استيسر
ويجوز ان يكون في موضع نصب اي فاهدوا او فادوا ما استيسر
من الهدي بمعنى تيسر والسين ليست للاستدعا ها هنا والهدي
بتخفيف اليا مصدر في الاصل وهو بمعنى المهدي وقرا الاعرج
الهدي بكسر الدال وتشديد اليا في جميع القرآن معنى على المفعول
وهما جميعا ما يهدى الى البيت سمي بذلك لانه تقربا الى الله تعالى
بمنزلة الهدية يهديها الانسان الى غيره متقربا بها اليه وقيل
هو ماخوذ من قولهم هديته هديا اذا سقته الى سبيل الرشاد
واختلفوا في تاويله فقال علي كرم الله وجهه وابن عباس هو
شاة وذهب الحسن وعطا والضحاك وقال ابن عمر هو ما ييسر
من الابل والبقر لا غير وقال قتادة وانس اعلاه بدنة واوسطه
بقرة واخسه شاة وفي الاية اضمار اي فان احصرتم دون تمام
الحج والعمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدي ومثله او به
اذى من راسه ففديته تقديره فحلق ففدية **قوله تعالى** ولا
تحلقوا روسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلقوا من الاحرام حتى ينحر
الهدي واختلفوا في المحل الذي يحل المحصر ببلوغ هديه اليه فقال

بعضهم

بعضهم هو ذبحه او نحره بالموضع الذي احصر فيه سوا في الحل
او في الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبحه واكله والانتفاع به كقوله
عليه السلم في اللحم الذي تصدق به على بريرة قربوه فقد بلغ محله
يعني قد بلغ محل طيبه بالهدية اليه بعد ان كانت صدقة على بريرة
وهذا قول من جعل الاحصار احصار العدو ويدل عليه فعل
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بالحديبية حين صدوا من
البيت نحروا هديهم بها والحديبية ليست من الحرم وهذا
قول ابن عمر والمسور بن مخرمة ومروان بن الحكم وبه قال
الشافعي وقيل هو الحرم لا يحل غيره فان كان حاجا فمحله يوم النحر
وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الحرم وهو قول علي وابن
مسعود وبه قال ابو حنيفة وروي عن ابن عباس وعايشه
ان محله ان يتحلل من احرامه باداء نسكه والمقام على احرامه الى
زوال احصاره وليس لمحرم ان يتحلل بالاحصار بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان كان احرامه بعمرة لم تفت وان كان
بحج ففاته قضاه بالفوات بعد حلاله منه **قوله تعالى** فمن
كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية المعنى ان المحرم
اذا تاذى بهوام راسه او بالمرض ابيح له الحلق والمداواة بشرط
ط
الفدية وهو قوله تعالى ففدية من صيام وهو ثلثة ايام يصوم
حيث شا او صدقة وهو اطعام ستة مساكين لكل مسكين مدان
وقال عكرمة والحسن صيام عشرة ايام كصيام التمتع او طعام عشرة
اطعام
مساكين **قوله تعالى** او نسك جمع نسيكة وهي الذبيحة اعلاها
بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة وهذه الفدية على التخيير

انها شاة فعل كما دل عليه ظاهر الآية قال كعب بن عجرة حملت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي
فقال ما كنت ارى ان الجهد بلغ منك هذا اما تجد شاة قلت
لا فنزلت هذه الآية فيّ خاصة ولكم عامة رواه البخاري
ومسلم وقرأ الحسن او نسك خفيفا وهي لغة تميم وقال بعضهم
يجب ان يكون النسك والطعام بمكة وقال بعضهم اي موضع
يشاء وهو الصواب لانهم ابهم في الآية ولم يخص مكانا دون مكان
قوله تعالى فاذا امنتم اي من خوفكم وبرأتم من مرضكم
قوله تعالى فمن تمتع بالعمرة الى الحج اختلفوا في هذه المتعة على
ثلثة اقوال احدها ان يقدم مكة محرما فيعتمر في اشهر الحج ثم يقيم
حلالا بمكة حتى ينشئ منها الحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا
بمحظورات الاحرام لانه حل بالعمرة الى احرامه بالحج قاله ابن عباس
وعطا وجماعة والثاني انه المحصر بالحج اذا حل منه بالاحصار ثم
عاد الى بلده مستمتعا بالاحلال بين الاحرامين وهذا قول ابن
زيد والثالث هو فيمن نسخ حجه بعمرة فاستمتع بعمرته بعد نسخ
حجه وهذا قول السدي ومعنى التمتع التلذذ واصله التزود
والمتاع الزاد ثم جعل كل تلذذ تمتعا وشرائط التمتع ان يحرم
بالعمرة في اشهر الحج ويحل من العمرة في اشهر الحج ويحرم بالحج في
عامه ذلك من مكة ولا يرجع الى الميقات وان يكون من غير
اهل الحرم فمتى فات شيء من هذه الشرائط سقط عنه الدم ولا
يكون متمتعا قوله تعالى فما استيسر من الهدي سبق معناه قوله
تعالى فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج اي فعليه صيام وقرئ صيام
بالنصب على تقدير فليصم واختلفوا في زمانها من الحج على قولين
احدها انها بعد احرامه وقبل يوم النحر وهذا قول علي وابن عمر

وابن

وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وطاوس
وسعيد ابن جبير وبه قال الشافعي في الجديد والثاني انها
ايام التشريق وهو قول عائشة وعروة والشافعي في القديم
واختلفوا في جواز تقديمها قبل الاحرام بالحج على قولين احدهما لا
يجوز وهذا قول ابن عمر وابن عباس والثاني يجوز واختلف هؤلاء في
زمان تقديمه قبل الحج على قولين احدهما في عشر ذي الحجة ولا يجوز
قبلها وهو قول مجاهد وعطا والثاني في اشهر الحج ولا يجوز قبلها وهو
قول طاوس **فصل** فان لم يجد الهدي ولم يصم الايام الثلثة فما
ذا يصنع قال عمر بن الخطاب وابن عباس وابن جبير وطاوس وابراهيم
لا يجزيه الا الهدي ولا يصوم وقال ابن عمر وعائشة يصوم ايام
منى ورواه صالح عن احمد وهو قول مالك وذهب آخرون الى انه
لا يصوم ايام التشريق بل يصوم بعدهن روي ذلك عن علي وهو
قول الشافعي ومروي عن احمد فلو وجد الهدي بعد الدخول في صوم
الثلثة ايام لم يلزمه الخروج منه وهو قول مالك والشافعي وقال
ابو حنيفة يلزمه الخروج وعليه الهدي وقال عطا ان صام
يومين ثم ايسر فعليه الهدي وان صام ثلثة ايام ثم ايسر فليصم
السبعة ولا هدي عليه قوله تعالى وسبعة اذا رجعتم سبعة
معطوفة على ثلثة وقرئ سبعة تقديره وليصوموا سبعة وصوموا
سبعة وفي ما بها قولان احدهما اذا رجعتم من حجكم في طريقكم
وهو قول مجاهد وعطا وابي حنيفة ومالك والثاني اذا رجعتم
الى اهليكم في امصاركم وهو قول عطا وقتادة والربيع ثم قال تعالى
تلك عشرة كاملة يقال كمل يكمل مثل نصر ينصر وكمل يكمل مثل
عظم يعظم وكمل يكمل مثل حمد يحمد وفي قوله تلك عشرة كاملة خمسة

أقوال أحدها كاملة في قيامها مقام الهدي وهو قول الحسن والثاني
أن الواو قد تقوم مقام أو في مواضع منها قوله تعالى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فأزال الله احتمال
التخيير في هذه الآية بقوله تلك عشرة كاملة وإلى هذا المعنى
ذهب الزجاج والثالث أن ذلك للتوكيد وأنشد الفرزدق
ثلاث واثنان فهن خمس
وقال تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون وقوله ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور والرابع أن معناه تلك عشرة كاملة في الفضل وإن
كانت الثلاثة في الحج والسبعة بعده لئلا يسبق إلى وهم أحد أن السبعة
دون الثلاثة قاله أبو سليمان الدمشقي والخامس أنها لفظة خبر
ومعناها الأمر وتقديره تلك عشرة فأكملوها بالصوم ولا تفطروا
فيها قوله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام
في المشار إليه بذلك قولان أحدهما التمتع بالعمرة إلى الحج و
الثاني أنه الجزاء بالنسك أو الصيام ولمن في هذا القول بمعنى
على وفي حاضريه أربعة أقوال أحدها أهل الحرم قاله ابن عباس
وطاوس ومجاهد والثاني من كان منزله دون الميقات قاله عطاء
والثالث أهل الحرم ومن قرب منزله منه كأهل عرفة وعرنة
والرجيع قاله الزهري ومالك والرابع من كان على مسافة لا تقصر
في مثلها الصلوة وهو قول الشافعي قال ابن الأنباري معنى الآية
أن هذا الفرض لمن كان من الغرباء وإنما ذكر الأهل والمراد به حضور
المحرم لأن الغالب على الرجل أن يسكن حيث أهله ساكنون
قوله تعالى واتقوا الله قال ابن عباس فيما افترض عليكم واعلموا
أن الله شديد العقاب لمن تهاون بحدوده قوله تعالى الحج

أشهر معلومات أي معلومات عندكم قال الفراء تقديرها
وقت الحج أشهر معلومات وهذا كما يقال البرد شهران والحر
شهران أي وقتهما شهران وقال الزجاج معناه أشهر الحج
أشهر معلومات وفي أشهر الحج قولان أحدهما أنها شوال وذو
القعدة وذو الحجة بأسرها وهذا قول قتادة وطاوس ومجاهد
ومالك وقال ابن جرير الطبري إنما أراد هؤلاء أن هذه الأشهر
ليست أشهر العمرة إنما هي للحج وإن كان عمل الحج قد انقضى بانقضاء
أيام منى وقد كانوا يستحبون أن يفعلوا العمرة في غيرها والقول
الثاني أنها شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة قاله ابن مسعود
وابن عمر وابن عباس وابن الزبير والحسن وابن سيرين وعطاء
والشعبي وأبو حنيفة والشافعي وأحمد وقد جاء في بعض تفسير
أشهر الحج وعشر من ذي الحجة وفي بعضها وتسع من ذي الحجة
فمن قال تسع فإنما عبر به عن الأيام لأن النبي عليه السلم قال
الحج عرفة فمن عرف بعرفة في يوم عرفة من ليل أو نهار فقد
تم حجه ومن قال عشر عبر به عن الليالي فمن لم يدركه إلى
طلوع الفجر من يوم النحر فاته الحج والشهور إنما تؤرخ بالليالي
فلا تضاد في هذه الأخبار وإنما قال أشهر وهي شهران وبعض
الثالث لأنها وقت والعرب تسمي الوقت تاما بقليله وكثيره
فتقول أتيتك يوم الخميس وإنما أتاه في ساعة منه وقال بعضهم
الاثنان فما فوقهما جماعة لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء فإذا جاز
أن يسمى الاثنان نفرا إذ هما جماعة جاز أن يسمى الاثنان وبعض
الثالث جماعة وقد سمى الله تعالى الاثنين جمعا قال الله تعالى
فقد صغت قلوبكما ولم يقل قلباكما يعني عائشة وحفصة وقال

تعالى اولئك مبرؤن يريد عايشة وصفوان وقال تعالى
وكنا لحكمهم شاهدين يريد داود وسليمن عليهما السلم
فصل من احرم بالحج قبل اشهر الحج لم يجزه ذلك عن حجه ويكون
ذلك عمرة كمن دخل في صلوة قبل وقتها فانها تكون نافلة
وهو قول عطا وطاوس ومجاهد ومذهب الاوزاعي والشافعي
وقال مالك والثوري وابو حنيفة ومحمد يكره له ذلك فان
فعل اجزاه ودليل الشافعي قوله تعالى الحج اشهر معلومات
خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو كان الاحرام بالحج في غيرها
منعقدا جايزا لما كان لهذا التخصيص فايدة كالصلوة لما
علقها بميقات لم يجز تقديمها عليه واحتج ابو حنيفة بان
قال قوله الحج اشهر معلومات اي معظم الحج يقع في هذه الاشهر
كما قال عليه السلم الحج عرفة **قوله تعالى** فمن فرض فيهن الحج من
مبتدا ويجوز ان يكون شرطا وان يكون بمعنى الذي والخبر فلا رفث وما
بعده والعايد محذوف تقديره فلا رفث منه والمعنى فمن اوجب على
نفسه فيهن الحج بالاحرام والتلبية والفرض في اللغة الحز والقطع وقيل
فرض اي ابان هذا يرجع الى القطع لان من قطع شيا فقد ابانه عن
غيره نفرض الاحرام بالشروع فيه **قوله تعالى** فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج قرا ابو عمرو وابن كثير ويعقوب الرفث والفسوق بالرفع
والتنوين فيهما وجدال بالنصب وقرا ابو رجا فلا رفث ولا فسوق
نصب ولا جدال رفع بالتنوين وقرا ابو جعفر كلها بالرفع والتنوين
وقرا الباقون كلها بالنصب من غير تنوين وقرا الاعمش فلا رفوث
واختلف اهل التاويل في تفسير الرفث على اربعة اقوال احدها
انه الجماع وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر والحسن وعمرو
ابن دينار ومجاهد وقتادة وابراهيم والربيع والزهري والسدي

وعطا

وعطا وعكرمة والضحاك والثاني انه التعريض بالجماع وذكره بين
ايديهن قاله طاوس وابو العالية والثالث انه قول الرجل للمراة
في حال الاحرام اذا حللت اصبتك روي عن عطا والرابع انه الفحش
والقول القبيح واما الفسوق ففيه خمسة اقوال احدها انه المعاصي
كلها قاله ابن عباس وطاوس والحسن وقتادة والربيع والزهري والقرظي
والثاني انه التنابز بالالقاب دليله قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب
بيس الاسم الفسوق بعد الايمان والثالث انه الذبح للاصنام دليله
قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق قاله
ابن زيد والرابع انه السباب يدل عليه قوله عليه السلم سباب
المسلم فسوق وقتاله كفر قاله ابرهيم ومجاهد والخامس انه ما نهى
الله عنه المحرم في حال احرامه من قتل الصيد وتقليم الاظفار
وما اشبه ذلك قاله ابن عمر واما الجدال ففيه ستة اقوال احدها
ان تماري صاحبك وتخاصمه حتى تغضبه قاله ابن مسعود وابن عباس
وعمرو بن دينار وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك والزهري و
عطا بن يسار وعطا ابن ابي رباح وقتادة والثاني انه السباب
والمنازعة قاله ابن عمر والثالث انه المرى والاختلاف فيمن هو
اتم حجا قاله القرظي كانت قريش اذا اجتمعت بمنى قال هولا حجنا
اتم من حجكم وقال هولا حجنا اتم من حجكم والرابع انه اختلاف كان
يقع بينهم في اليوم الذي يكون فيه حجهم فبعضهم يقول الحج اليوم
وبعضهم يقول الحج غدا قاله القسم بن محمد والخامس انه اختلافهم
في مواقف الحج ايهم المصيب مواقف ابرهيم عليه السلم قاله ابن زيد
والسادس ان معناه ان لا جدال في وقته لاستقراره وابطال
النسي الذي كانوا ينسونه في كل عام فربما حجوا في ذي القعدة وربما
حجوا في صفر وهذا قول ابي جعفر الطبري قال اهل المعاني ظاهر

الآية نفي ومعناها نهي اي فلا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا
كقوله تعالى لا ريب فيه اي لا ترتابوا روى ابو هريرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حج هذا البيت فلم يرفث ولم
يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه رواه مسلم قوله تعالى
وما تفعلوا من خير يعلمه الله هذا حث على فعل الخير واخبار ان الله
ليس بغافل عن فعلهم فيجازيهم عليه قوله تعالى وتزودوا فان
خير الزاد التقوى قال المفسرون كان ناس من اهل اليمن يحجون
بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت الله فلا يطعمنا
ثم كانوا يسئلون الناس وربما ظلموهم وغصبوهم فامرهم الله ان يتزودوا
ولا يظلموا ولا يكونوا كلا ووبالا على الناس فقال تعالى وتزودوا
ما تبلغون به وتكفون به وجوهكم قال المفسرون الكعك والسويق
والتمر ونحوها فان خير الزاد التقوى يعني ما تكفون به وجوهكم
عن السؤال وانفسكم عن الظلم وهذا نوع تقوى وقيل تزودوا بالاعمال
الصالحة قال اهل الاشارة ذكرهم الله سفر الآخرة وحثهم على
التزود للدارين فان التقوى زاد الآخرة قال الشاعر

الموت بحر موجه غالب تذهب فيه حيلة السابح
ما يصحب الانسان في قبره غير التقى والعمل الصالح

وقال الاعشى ايضا

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله وانك لم ترصد كما كان ارصدا

قال مالك بن دينار ومات بعض قرا البصرة فخرجنا في جنازته ودفناه
وانصرفنا فصعد سعدون المجنون تلا في المقبرة ونادى المنصرفين
الا يا عسكر الاحيا هذا عسكر الموتى
اجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظر الكبرى

ان حج

يحثون

يحثون على الزاد وما الزاد سوى التقوى
تقولون لكم حدوا فهذا غاية الدنيا

قوله تعالى واتقون يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول قوله تعالى
ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم قال المفسرون كان ناس
من العرب لا يتجرون ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشرى
فانزل الله هذه الآية قال ابن عباس كانت عكاظ ومجنة وذو
المجاز اسواقا في الجاهلية وكانوا يتجرون بها في المواسم وكانت
اكثر معايشهم منها فلما جاء الاسلام كانهم تاثموا فيها فسالوا
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وكان ابن عباس يقرأ
ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج وقال ابو امامة
التيمي قلت لابن عمر انا قوم نكري فيزعمون ان ليس لنا حج فقال
الستم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما
يرمون قلت بلى قال انت حاج جاء رجل الى النبي فساله عن الذي
سالتني عنه فلم يدر ما يقول له حتى نزل جبرئيل عليه السلم بهذه
الآية ليس عليكم جناح اي حرج ان تبتغوا فضلا اي رزقا من ربكم
يعني التجارة قال تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله
روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم
عرفة غفر الله للحاج الخالص واذا كان ليلة المزدلفة غفر الله
للتجار واذا كان يوم منى غفر الله للجمالين واذا كان عند جمرة
العقبة غفر الله للسؤال ولا يشهد ذلك الموقف خلق ممن
قال لا اله الا الله الا غفر الله له قوله تعالى فاذا افضتم من
عرفات معنى الافاضة في اللغة دفع الشي حتى يتفرق يقال افاض
القوم في الحديث اذا اندفعوا فيه واكثروا التصرف وافاض الرجل

ماءه إذا صبه وأفاض البعير بجرته إذا رمى ودفع بها عن
كرشه فمعنى أفضتم أي دفعتم بكثرة أو دفع بعضكم بعضا من
عرفات بالتنوين لأنها جمع عرفة مثل مسلمات سميت بها
البقعة الواحدة فصرفت كما كانت مصروفة قبل أن تسمى
بها البقعة تركا منهم لها على أصلها فأما ما كان في الأصل اسما لبقعة
ولم يكن جمعا لواحد معروف فلا ينصرف مثل غابات وأذرعات لأنها
ليست بجمع غابة ولا أذرعة وقرأ العقيلي من عرفات فتح التاء بلا
تنوين مثل غابات واختلفوا في المعنى الذي لأجله قيل للموقف عرفة
ولليوم الموقف بها عرفة فقال الضحاك إن آدم عليه السلم أهبط ووقع
بالهند وحوا بجدة فجعل آدم يطلب حوا وهي تطلبه فاجتمعا بعرفات
يوم عرفة وتعارفا فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدي
إنما سميت عرفات لأن هاجر أم إسمعيل عليهما السلم حملته وأخرجته
من عند سارة وكان إبرهيم عليه السلم غائبا فلما قدم لم ير إسمعيل و
حدثته سارة بالذي صنعت هاجر فانطلق في طلب إسمعيل فوجده
مع هاجر بعرفات فعرفه فسميت عرفات وقال عطا إنما سميت عرفات
لأن جبريل عليه السلم كان يري إبرهيم عليه السلم المناسك فيقول عرفت
ثم يريه فيقول عرفت فسميت عرفات وفي رواية أبي صالح عن ابن
عباس قال إنما سميت تروية وعرفة لأن إبرهيم عليه السلم رأى ليلة
التروية في منامه أنه يؤمر بذبح ولده فلما أصبح روا يومه أجمع أي
فكر أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فسمي ذلك اليوم من فكره تروية
ثم رأى ليلة عرفة هذا الحلم ثانيا فلما أصبح عرف أن ذلك من الله تعالى
فسمي ذلك اليوم عرفة وقال بعضهم سمي بذلك لأن الناس يعترفون
في هذا اليوم بذنوبهم والأصل فيه أن آدم عليه السلم لما أمر بالحج

وقف

وقف بعرفات يوم عرفة فقال ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل
هو مأخوذ من العرف وهو الطيب قال الله تعالى ويدخلهم الجنة
عرفها لهم أي طيبها قالوا فمنى موضع يمنى فيه الدم أي يصب و
لذلك سميت منا وفيه تكون الأقذار فليست بطيبة وعرفات
ليس فيها تلك الأقذار فهي طيبة لذلك سميت عرفات ويوم
الوقوف بها عرفة وقيل لأن الناس يتعارفون بها الشامي يتعرف
خبر العراقي والعراقي يتعرف خبر الشامي وقال بعضهم أصل
هذين الاسمين من الصبر يقال رجل عارف إذا كان صابرا خاضعا
خاشعا فسميا بهذا الاسم لخضوع الحاج وتذللهم وصبرهم على
الدعا وأنواع البلا لإقامة هذه العبادة روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال إذا كان يوم عرفة ينزل الله تعالى إلى السماء
الدنيا فيباهي بكم الملائكة فيقول ملائكتي أما ترون عبادي قد أتوني
شعثا غبرا من كل فج عميق أشهدكم إني قد غفرت لهم فقال عليه
السلام فما من يوم أكثر عتيقا من أهل عرفة قوله تعالى فاذكروا
الله بالتلبية والدعا عند المشعر الحرام وهو ما بين جبل المزدلفة
من مازمي عرفة إلى محسر وليس المازمان ولا محسر من المشعر
وإنما سمي مشعرا من الإشعار وهو العلامة لأنه معلم الحج والصلوة
والمقام والمبيت والدعا من معالم الحج والمبيت به فرض ومن
تركه كان عليه شاة وقال المفضل سمي مشعرا لأنه أشعر المؤمنون
أنه حرم كالبيت ومكة أي أعلموا ذلك وإنما سمي حراما لأنه منع أن
يفعل فيه ما حرم الله وأصل الحرام المنع قال تعالى للسائل والمحروم
أي الممنوع من المكاسب والشيء المنهي عنه حرام لأنه منع من

أبنائه وهو مزدلفة أيضا وسمي بذلك لأن ابراهيم عليه السلام
ازدلف إليها لما أمسى بعرفة وهو أيضا جمع لأن الناس يجمعون
فيه بين صلوتي المغرب والعشا وقيل لأن آدم اجتمع بحوا بها والافاضة
من عرفات بعد غروب الشمس وكان أهل الجاهلية يفيضون منها
قبل غروب الشمس ومن جمع بعد طلوعها وكانوا يقولون أشرق
ثبير كيما نغير فأمر الله تعالى بمخالفتهم في الدفعتين جميعا **قوله
تعالى** واذكروه كما هداكم إلى معرفته ومعالم دينه أو إلى ما كان
عليه ابرهيم عليه السلام من المناسك فإن قيل ما فائدة تكرر الذكر
قلنا عنه ثلثة أجوبة أحدها أنه كرر للمبالغة في الأمر به والثاني أنه
وصل بالذكر الثاني ما لم يصل بالذكر الأول فحسن تكريره والثالث
أنه كرره ليدل على مواصلته والمعنى اذكروه ذكرا بعد ذكر **قوله تعالى**
وإن كنتم من قبله لمن الضالين يعني وما كنتم من قبله إلا من الضالين
كقوله وإن نظنك لمن الكاذبين وقيل وقد كنتم من قبله من الظالمين
والهاء في قوله من قبله عائدة على الهدى وقيل على الرسول وقيل على القران
قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس قال عامة المفسرين كانت
قريش وحلفاها ومن دان بدينها وهم الحمس لا يخرجون من الحرم
إلى عرفات وكانوا يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان
حرمه فلا نخرج من الحرم ولسنا كساير الناس كانوا يعظمون أن يقفوا
مع ساير العرب بعرفات ويقول بعضهم لبعض لا تعظموا إلا الحرم
فإنكم إن عظمتم غير الحرم تهاون الناس بحرمكم فوقفوا بجمع فإذا أفاض
الناس من عرفات أفاضوا من المشعر الحرام وهو المزدلفة فأمرهم
الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها إلى جمع مع ساير الناس وأخبرهم
أنها سنة ابرهيم الخليل وابنه اسمعيل عليهما السلام وقيل الخطاب
لجميع المسلمين والمعنى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس جميعا

من

من جمع إلى منا وحينئذ تكون ثم بمعنى التراخي ويكون هذا القول
محمولا على ظاهر الآية لأن الافاضة من عرفات قبل الافاضة
من جمع بلا شك فكيف يسوغ أن يقول فإذا أفضتم من عرفات
فاذكروا الله ثم أفيضوا من عرفات إلا أن جمهور أهل التأويل
على ما ذكرنا قبل ووجهه أن الكلام تقديما وتأخيرا تقديره ثم
في صح
أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا
الله عند المشعر الحرام وأما الناس في هذه الآية فهم العرب
كلهم غير الحمس وقال الكلبي بإسناده هم أهل اليمن وربيعة وقال
الضحاك الناس هاهنا ابرهيم عليه السلام وحده يدل عليه قوله
تعالى أم يحسدون الناس أراد محمدا صلى الله عليه وسلم وحده
قوله تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود الأشجعي إن
الناس قد جمعوا لكم يعني أبا سفين وإنما يقال هذا الذي يقتدى
به ويكون لسان قومه وإماما لهم كقوله تعالى إن ابرهيم كان أمة
فذكر الواحد بلفظ الجمع ومثله كثير وقال الزهري الناس هاهنا
آدم عليه السلام دليله قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث
أفاض الناس وقال هو آدم عليه السلام نسي ولم نجد له عزما **قوله
تعالى** واستغفروا الله هناك إن الله غفور رحيم للحاج **روى** أبو
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
الحاج والعمار وفد الله تعالى إن دعوه أجابهم وإن استغفروه
غفر لهم وعن مجاهد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج والغفور من أسماء
الله تعالى وهو من قولك غفرت الشيء إذا غطيته كما سبق

فكان الغفور هو الساتر لعبده برحمته او الساتر لذنوب
عباده والغفور هو الذي يكثر المغفرة لان بناء فعول للمبالغة
من الكثرة كقولك صبور وضروب قوله تعالى فاذا قضيتم
مناسككم اي فرغتم من حجكم وذبحتم نسائككم يقال منه
نسك الرجل ينسك نسكا ونسيكة ومنسكا اذا ذبح نسكه
وواحدها منسك بفتح السين وكسرها والجمهور على اظهار
الكاف الاولى وابو عمرو يدغم الكاف فيه وفي اخواته كل القرآن
شبه حركة الاعراب بحركة البناء فحذفها قوله تعالى فاذكروا
الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا قال اكثر المفسرين في هذه الاية كانت
العرب اذا فرغوا من حجهم وقفوا عند البيت وذكروا مآثر آبائهم
ومفاخرهم فكان الرجل يقول ان ابي كان يقري الضيف ويضرب
بالسيف ويطعم الطعام وينحر الجزور ويفك العاني ويفعل
كذا وكذا يتفاخرون بذلك فامرهم الله تعالى بذكره فقال فاذكروا
الله كذكركم آباءكم فانا الذي فعلت ذلك بكم واحسنت اليكم
واليهم وقال السدي كانت العرب اذا قضت مناسكها
واقاموا بمنى يقوم الرجل فيسأل الله ويقول اللهم ان ابي كان عظيم
الجفنة عظيم القبة كثير المال فاعطني مثل ما اعطيت ابي ليس
يذكر الله انما يذكر اباه ويسأل ان يعطى في دنياه فانزل الله هذه
الاية وقال ابن عباس وعطاء والربيع والضحاك معناه فاذكروا
الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وهو قول الصبي اول ما يفصح
ويفقه الكلام بابا وقيل اراد ذكر آبائكم وامهاتكم فاكتفى بالآباء
كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قوله تعالى او اشد ذكرا او

هاهنا

هاهنا للتخيير او الاباحة وقيل انها بمعنى بل وقيل هي بمعنى الواو
كقوله او يزيدون واما وجه نصب اشد فقال الاخفش اذكروا
الله اشد وقال الزجاج في محل الخفض لكنه لا ينصرف لانه صفة
ونصب ذكرا على التمييز وهو موضع مشكل وذلك ان افعل يضاف
الى ما بعدها اذا كانت من جنس ما قبلها كقولك ذكرك اشد ذكر
ووجهك احسن وجه اي اشد الاذكار واحسن الوجوه واذا نصبت
ما بعدها كان غير الذي قبلها كقولك زيد افره عبدا فالفراهة
للعبد لا لزيد والمذكور قبل اشد هاهنا هو الذاكر والذكر لا
يذكر حتى يقال الذكر اشد ذكرا وانما يقال الذكر اشد ذكر بالاضافة
لان الثاني هو الاول والذي قاله ابو علي وابن جني وغيرهما انه جعل
الذكر ذاكرا على المجاز كما يقول زيد اشد ذكرا من عمرو وقال
غيرهما الكلام محمول على المعنى والتقدير او كونوا اشد ذكرا لله
منكم لآبائكم ودل على هذا المعنى قوله فاذكروا الله اي كونوا ذاكريه
وهذا اسهل من حمله على المجاز عن ابي الجوزاء قال قلت لابن عباس
اخبرني عن قوله تعالى فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد
ذكرا وقد يأتي على الرجل اليوم ولا يذكر فيه اباه فقال ابن
عباس ليس كذلك ولكن ان تغضب لله تعالى اذا عصي اشد من
غضبك لوالديك اذا شتما وقال مقاتل او اشد ذكرا اي اكثر
ذكرا كقوله تعالى او اشد قسوة قوله تعالى فمن الناس من
يقول يعني المشركين من يقول في الحج ربنا آتنا في الدنيا اي اعطنا ابلا
وبقرا وغنما وعبيدا وحذف المسؤول ولا يطلبون الآخرة لانهم لم
يكونوا يؤمنون بها وذلك قوله تعالى وما لهم في الآخرة من خلاق

اي حظ ونصيب وقال القشيري ويجوز ان يتناول هذا الوعيد
المؤمن ايضا اذا قصر دعواه على الدنيا وعلى هذا ما له في الآخرة
من خلاق اي نصيب الذي يسأل الله الآخرة قوله تعالى ومنهم
من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وهم النبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون واختلفوا في معنى الحسنتين فقال
علي كرم الله وجهه في الدنيا حسنة اي امرأة صالحة وفي الآخرة
حسنة هي الحور العين وقنا عذاب النار المرأة السوء وقال الحسن
في الدنيا حسنة العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة الرضوان
والجنة وقال ابن حيان والسدي في الدنيا حسنة رزقا حلالا
واسعا وعملا صالحا وفي الآخرة حسنة المغفرة والثواب وقال
عطية في الدنيا حسنة العلم والعمل به وفي الآخرة حسنة تيسير
الحساب ودخول الجنة وقيل في الدنيا حسنة التوفيق والعصمة
وفي الآخرة حسنة النجاة والرحمة وقيل في الدنيا حسنة اولادا
ابرارا وفي الآخرة حسنة مرافقة الانبياء عليهم السلام وقيل
في الدنيا حسنة المال والنعمة وفي الآخرة حسنة تمام النعمة وهو
الفوز من النار ودخول الجنة وقيل في الدنيا حسنة الدين واليقين
وفي الآخرة حسنة اللقاء والرضا وقيل في الدنيا حسنة الثبات
على الايمان وفي الآخرة حسنة السلامة والرضوان وقيل في الدنيا
حسنة الاخلاص وفي الآخرة حسنة الخلاص وقيل في الدنيا حسنة
حلاوة الطاعة وفي الآخرة حسنة لذاذة الرؤية وقال قتادة الحسنة
في الدنيا العافية عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم عاد رجلا قد صار مثل الفرخ المنتوف فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل كنت تدعو بشيء او تسأله شيئا قال كنت

اقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا
فقال سبحان الله اذا لا تستطيعه او لا تطيقه هلا قلت
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
فدعا الله بها فشفاه وقال سهل ابن عبد الله في الدنيا حسنة
السنة وفي الآخرة حسنة الجنة وعن ثابت انهم قالوا لانس
ابن مالك ادع لنا فقال اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي
الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا زدنا فاعادها قالوا
زدنا قال ماذا تريدون قد سألت الله لكم خير الدنيا وخير
الآخرة قال انس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر
ان يدعو بها اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار قوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا يرجع
هذا الى الفريق الثاني اي لهم ثواب الحج او ثواب الدعاء فان الدعاء
وان دعاء المؤمن عبادة وقيل يرجع اولئك الى الفريقين فللمؤمن
ثواب عمله ودعائه وللكافر عقاب شركه وقيل للكافر
ايضا نصيبه مما يطلب في الدنيا قال تعالى من كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها قوله تعالى والله سريع الحساب السريع
من سرع يسرع مثل عظم يعظم سرعا وسرعة فهو سريع الحساب
مصدر كالمحاسبة وقد يسمى المحسوب حسابا والحساب العد
والحسب ما عد من مفاخره الاب وقيل الحساب من قولك حسبك
كذا اي كفاك فيسمى الحساب حسابا لانه يعلم به ما فيه كفاية للمرء
قال ابن عباس يريد لا حساب على هؤلاء انما يعطون كتبهم
بايمانهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت بها عنكم وهذه حسناتكم

قد ضعفتها وقال ابن الانباري سريع المجازاة للعباد على
اعمالهم وقيل اراد به عالم بما عليه وعليهم فلا يحتاج الى
تذكر وتامل وعقد يد وقال الحسن اسرع من لمح البصر
وفي الخبر ان الله يحاسب في قدر حلب شاة وقيل ان المحاسبة
كائنة وما هو آت قريب فهذا معنى سرعة الحساب ومعنى
الحساب تعريف الله عباده مقادير الجزاء على اعمالهم وتذكيره
اياهم ما قد نسوه من ذلك يدل عليه قوله تعالى يوم يبعثهم
الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على
كل شيء شهيد قوله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات يعني
ما يصنعون في ايام التشريق بعد الذكر عند المشعر الحرام والمراد
التكبير ادبار الصلوات وعند الجمرات يكبر مع كل حصاة وغيرها
من الاوقات والايام المعدودات ايام التشريق وقيل الايام المعدودات
عشر ذي الحجة وقيل الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده
وروي ذلك عن علي وابن عمر وقيل هي ايام العشر والصحيح انها
ايام التشريق وعليه اكثر العلماء اولها يوم القر وهو اليوم الحادي
عشر من ذي الحجة يستقر الناس فيه بمنا والثاني يوم النفر الاول
لان بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منا والثالث يوم الثالث
عشر وهو يوم النفر الثاني وهذه الايام الثلثة مع يوم النحر كلها
ايام النحر وايام رمي الجمار فان قيل الايام واحدها يوم والمعدودات
واحدها معدودة واليوم لا يوصف بمعدودة لان الصفة هنا مؤنثة
والموصوف مذكر وانما الوجه ان يقال ايام معدودة فيصف الجمع
بالمؤنث فالجواب انه اجرى معدودات على لفظ ايام وقابل الجمع

بالجمع

بالجمع مجازا والاصل معدودة كما قال تعالى لن تمسنا النار الا
اياما معدودة ولو قيل ان الايام تشتمل على الساعات والساعات
مؤنثة فجا الجمع على معنى ساعات الايام وفيه تنبيه على الامر بالذكر
في كل ساعات هذه الايام او في معظمها لكان جوابا سديدا ونظير
ذلك الشهر والصيف والشتا فانها يجاب بها عن كم وكم انما يجاب
عنها بالعدد والفاظ هذه الاشيا ليست عددا وانما هي اسماء
المعدودات فكانت جوابا من هذا الوجه واختلفوا في الوقت
الذي يبتدا فيه بالتكبير ويقطع على ستة اقوال احدها يكبر من
صلوة الفجر يوم عرفة الى بعد صلوة العصر من آخر ايام التشريق
قاله علي كرم الله وجهه وابو يوسف ومحمد والثاني انه من
صلوة الفجر يوم عرفة الى صلوة العصر من يوم النحر قاله ابن
مسعود وابو حنيفة والثالث من بعد صلوة الظهر يوم
النحر الى بعد صلاة العصر من آخر ايام التشريق قاله ابن عمر
وزيد بن ثابت وابن عباس وعطا والرابع انه يكبر من صلاة الظهر
يوم النحر الى بعد صلوة الظهر من يوم النفر الاول وهو الثاني من ايام
التشريق قاله الحسن والخامس انه يكبر من الظهر يوم النحر
الى صلاة الصبح من آخر ايام التشريق قاله مالك ابن انس
وهو احد اقوال الشافعي رحمة الله عليهم اجمعين والسادس انه
يكبر من صلاة المغرب ليلة النحر الى صلاة الصبح من آخر ايام التشريق
وهذا قول الشافعي ومذهب احمد انه ان كان محلا كبر عقيب ثلث
وعشرين صلاة اولها الفجر يوم عرفة وآخرها العصر من آخر ايام
التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبع عشر صلاة اولها

الظهر من يوم النحر وآخرها العصر من آخر ايام التشريق وهل
تختص هذا التكبير بعقيب الفرايض ام لا قال الشافعي يكبر عقيب
الفرايض وان صلاها وحده وهل يكبر عقيب النوافل فيه قولان
وقال ابو حنيفة يختص بما صلاها في جماعة وعن احمد روايتان فاما
لفظ التكبير فكان سعيد بن جبير والحسن يقولان الله اكبر ثلثا نسقا
وهو مذهب الشافعي واهل المدينة وكان ابن مسعود يكبر اثنتين
وهو مذهب ابي حنيفة واهل العراق وروى عن مالك انه كان
يقول الله اكبر الله اكبر ثم يقطع فيقول الله اكبر لا اله الا الله
وروى عن قتادة انه كان يقول الله اكبر كبيرا الله اكبر على ما هدانا
الله اكبر ولله الحمد روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ايام منى ايام اكل وشرب وذكر الله وروى عنه عليه السلم
انه بعث مناديا فنادى في ايام التشريق انها ايام اكل وشرب
وبعال قوله تعالى فمن تعجل في يومين من ايام التشريق فنفر في
اليوم الثاني فلا اثم عليه في تعجيله ومن تاخر عن النفر في اليوم الثاني
من ايام التشريق الى اليوم الثالث حتى ينفر في اليوم الثالث فلا
اثم عليه في تاخره فان لم ينفر في اليوم الثاني واقام حتى غربت الشمس
فليقم من الغد الى اليوم الثالث فيرمي الجمار ثم ينفر مع الناس
هذا قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطا وعكرمة ومجاهد
وقتادة والضحاك والنخعي والسدي وقال بعضهم معناه
فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه الى قابل ومن تاخر فلا اثم عليه
الى قابل قاله مجاهد فان قيل انما يخاف الاثم المتعجل فما بال
المتاخر لحق به والذي اتى به افضل قلنا عنه اربعة اجوبة احدها

ان

ان المعنى لا اثم على المتعجل والمتاخر ماجور فقال فلا اثم عليه لتوا [في]
اللفظة الثانية الاولى كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه وجزا سيئة سيئة مثلها والماجور المبرور ينتفي عنه الاثم
ايضا وهذا كقوله ان تصدقت جهرا فحسن وان تصدقت سرا
فحسن اي ليس واحد منهما قبيح وان كان احدهما احسن والثاني فمن
تعجل فلا اثم عليه في استعمال الرخصة ومن تاخر فلا اثم عليه في استعما[ل]
الرخصة ومن تاخر فلا اثم عليه في ترك استعمال الرخصة والثالث
ان المعنى قد زالت اثام المتعجل والمتاخر التي كانت عليهما قبل
حجتهما كما قال عليه السلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق
خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه والرابع انه عنى نفي الاثم عن
المتعجل فذكر المتاخر كما قال تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به
والجناح على الزوج لانه اخذ ما اعطا بعد ما قال الله تعالى ولا
يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا ومثله نسيا حوتهما والناسي
احدهما قوله تعالى لمن اتقى خبر مبتدا محذوف تقديره جواز
التعجيل والتاخير لمن اتقى واختلفوا في معناه على خمسة اقوال
احدها لمن اتقى قتل الصيد ولا يحل ان يقتل صيدا حتى تخلو ايام
التشريق رواه العوفي والكلبي عن ابن عباس والثاني لمن اتقى
ان يصيب في حجه شيا نهاه الله عنه قاله قتادة والثالث ذهب
اثمه كله ان اتقى فيما بقي من عمره قاله ابو العالية والرابع لمن اتقى
الله قاله ابن جريج وهو في مصحف عبد الله كذلك والخامس لمن اتقى
عبادة الاوثان رواه الضحاك عن ابن عباس قوله تعالى اتقوا
الله واعلموا انكم اليه تحشرون اي تجمعون في الاخرة فيجزيكم باعما[لكم]
قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا الاية قاله

الكلبي والسدي ومقاتل وعطا نزلت هذه الآية في الأخنس
ابن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه أبي وسمي الأخنس
لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال النبي
عليه السلم وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر يأتي النبي عليه السلم
فيجالسه ويظهر الإسلام ويخبره أنه يحبه ويحلف بالله على ذلك
وكان منافقا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدنيه في مجلسه ويقبل عليه
ولا يعلم أنه يضمر خلاف ما يظهر ومعنى يعجبك قوله أي تستحسنه
ويعظم في قلبك ومنه العجب لأنه يعظم في النفس يقال في
الاستحسان والمحبة أعجبني كذا وفي الإنكار والكراهية عجبت
من كذا وأصل العجب ما لم يكن مثله وقوله في الحيوة الدنيا أي في
أمور الدنيا قوله ويشهد الله على ما في قلبه وهو قوله والله إني
بك مؤمن ولك محب وقرأ الحسن وطلحة وابن محيصن ويشهد الله
بفتح اليا والها الله بالرفع وفي مصحف أبي ويستشهد الله بزيادة
سين وتا وهو حجة لقراءة العامة قوله تعالى وهو ألد الخصام أي
شديد الخصومة والخصام مصدر خاصمته خصاما ومخاصمة
قاله أبو عبيدة وقال الزجاج وهو جمع خصم وخصام وخصوم مثل
بحر وبحار وبحور وحقيقة الخصومة التعمق في البحث عن الشي
والمضايقة فيه وقال السدي ألد الخصام أعوج الخصومة وقال مجاهد
لا يستقيم على خصومة وقال الحسن هو كاذب القول وقال قتادة هو
شديد القسوة في معصية الله قوله تعالى وإذا تولى أي أعرض
وأدبر عنك وقال الحسن تولى عن قوله الذي أعطاه وقال ابن جريج
غضب وقال الضحاك ملك الأمر وصار واليا قوله تعالى سعى في
الأرض أي عمل فيها يقال فلان يسعى على عياله أي يعمل فيما يعود

عليهم

عليهم نفعه وقيل سار ومشى ليفسد فيها قال ابن جريج قطع
الرحم وسفك دما المسلمين والفساد اسم لجميع المعاصي قوله تعالى
ويهلك الحرث والنسل قرأ الحسن وابن أبي إسحق وأبو جعفر ويهلك
برفع الكاف على الابتدا وقراءة العامة بالنصب وتصديقها قراءة
أبي وليهلك وفيه ثلثة أقوال أحدها أن الحرث ما يخرج من النبات
والنسل نسل كل دابة والناس منهم قال المفسرون إنه لما انصرف
من بدر ببني زهرة راجعا إلى مكة وكان بينه وبين ثقيف خصومة
بيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زرعهم وقال السدي مر
بزرع المسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر والثاني أنه إذا
ظلم كان الظلم سببا لقطع المطر فيهلك الحرث والنسل قاله مجاهد
ويخرج على قول من قال إنه من التولي والثالث أن الحرث النساء
والنسل الأولاد حكاه الزجاج وقال ليس هذا بمنكر فإن المرأة تسمى
حرثا وهذا لأن النفاق يؤدي إلى تفريق الكلمة ووقوع القتال
وفيه هلاك الخلائق قال سعيد بن المسيب قطع الدرهم من الفساد
في الأرض وعن عطا أن رجلا يقال له العلا بن منبه أحرم في جبة
فأمره النبي عليه السلم أن ينزعها قال قتادة فقلت لعطا إن كنا
نسمع أن يشقها فقال عطا إن الله لا يحب الفساد والحرث الشق
ومنه المحراث لما يشق به الأرض والنسل ما خرج من كل أنثى من
ولد وأصله الخروج والسقوط ومنه نسل الشعر نسولا والمستقبل
ينسل من باب ضرب يضرب ومنه قوله تعالى إلى ربهم ينسلون قوله
تعالى والله لا يحب الفساد قال ابن عباس لا يرضى المعاصي وقد
احتجت المعتزلة بهذه الآية وأجاب أصحابنا بأجوبة منها أنه
لا يحبه دينا ولا يريده شرعا فأما أنه لم يرده وجودا فلا ومنها

انه لا محبة للمومنين دون الكافرين ومنها ان الارادة معنى غير
المحبة فان الانسان يتناول المر ولا يحبه واذا بان الفرق بين
الارادة والمحبة بطل دعواهم التساوي بينهما وهذا قول معتمد
في معنى هذه الاية ولا يرضى لعباده الكفر وقيل معنى قوله لا
يحب الفساد اي لا يحب اهل الفساد **قوله تعالى** واذا قيل
له اتق الله اي خف الله وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعاه الى اجابة الله تعالى في ظاهره وباطنه فدعته الانفة
والكبر وحمية الجاهلية على الفعل بالاثم ومعنى العزة ههنا
القوة والمنعة ويقال اخذته العزة للاثم الذي في قلبه فاقام
الباء مقام اللام **قوله تعالى** فحسبه جهنم اي كفاه عذابا جهنم
جزاء له يقال حسبك كذا اي كفاك وحسبنا الله اي كفانا الله
وقيل حسبه جهنم ذلا من عزه وجهنم اسم للنار وهو اعجمي لا
ينصرف للعجمة وللتعريف وقيل هو اسم عربي من قولك ركية
جهنام اي بعيدة القعر وعلى هذا لا ينصرف للتعريف والتانيث
قوله تعالى ولبئس المهاد اي الفراش ومهدت لفلان اذا
وطات له ومنه مهد الصبي وسمي جهنم مهادا لانها مستقر
الكفار وقيل لانها بدل لهم من المهاد كقوله تعالى فبشرهم
بعذاب اليم على جهة البدل قال عبد الله بن مسعود ان من اكبر
الذنب عند الله تعالى ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك
بنفسك **قوله تعالى** ومن الناس من يشري نفسه الاية اختلفوا
فيمن نزلت هذه الاية فقيل نزلت في الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وهو معنى قول علي وعمر رضي الله عنهما وقال ابن عباس
والضحاك نزلت في الزبير والمقداد حين شريا انفسهما لانزال

صهيب

صهيب من خشبته التي صلب عليها وقال اكثر المفسرين نزلت
في صهيب ابن سنان الرومي مولى عبد الله بن جدعان التيمي و
اختلفوا في قصته فروي انه اقبل مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه
نفر من قريش فنزل فانتثل كنانته وقال قد علمتم اني ارماكم بسهم
وايم الله لا تصلون الي حتى ارميكم بكل سهم ثم اضربكم بسيفي ما بقي في
يدي منه شيء وان شئتم دللتكم على مالي قالوا فدلنا وتخلي عنك
فعاهدهم على ذلك فنزلت هذه الاية فيه فلما راه النبي صلى الله عليه
وسلم قال ربح البيع ابا يحيى وقرا عليه القران هذا قول سعيد بن
المسيب وذكر نحوه ابو صالح عن ابن عباس وقال ان الذي تلقاه
فبشره بما نزل فيه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وذكر مقاتل
انه قال انا شيخ كبير لا يضركم ان كنت معكم او عليكم ولي عليكم حق
الجوار فخذوا مالي غير راحلتي واتركوني وديني واشترط ان لا
يمنع من صلوة ولا هجرة فاقام ما شاء الله ثم ركب راحلته فاتى المدينة
مهاجرا فلقيه ابو بكر رضي الله عنهما فبشره وقال نزلت فيك هذه
الاية وقال قوم نزلت في صهيب وابي ذر اما صهيب فقد ذكرنا
قصته واما ابو ذر فاخذه اهله فافلت منهم حتى قدم مهاجرا وقال
الحسن وابن يزيد نزلت في المجاهدين وقال قتادة نزلت في المهاجرين
والانصار حين قاتلوا على دين الله حتى ظهروا **وروي عن ابن عباس**
انه قال نزلت في علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه حين هرب النبي
صلى الله عليه وسلم من المشركين الى الغار مع ابي بكر رضي الله عنه
وامر عليا عليه السلام ان ينام على فراشه وقال له اتشح ببردي فانه
لا يخلص اليك منهم مكروه ان شاء الله ففعل علي كرم الله وجهه

ذلك والشرا من الاضداد يقال شرى اذا باع وشرى اذا
اشترى قال تعالى وشروه بثمن بخس ومعنى بيع النفس هاهنا بذلها
لاوامر الله وما يرضاه هذا على قول من يقول نزلت في غير صهيب
وعلى قول من يقول نزلت في صهيب يكون بمعنى اشترى والجمهور
على تفخيم مرضات وقرا الكسائي بالامالة في كل القرآن لتجانس
كسرة التاء ونصب ابتغاء مرضات الله على المفعول له اي لابتغاء
مرضات الله والمرضاة الرضى يقال رضي رضا ومرضاة والله رؤف
بالعباد **روى ابو امامة** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال افضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر **وعن جابر** بن عبد
الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهدا يوم
القيامة حمزة بن عبد المطلب ورجل قام الى امام فامره ونهاه
فقتله **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة قال
المفسرون نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه
وذلك انهم حين آمنوا بالنبي عليه السلام قاموا بشرايعه وشرايع
موسى عليه السلام فعظموا السبت وكرهوا لحمان الابل والبانها
بعد ما اسلموا فانكر ذلك عليهم المسلمون فقالوا انا لا نقوى على
هذا وعلى هذا قالوا للنبي عليه السلام ان التورية كتاب الله فدعنا
فلنقم بها في صلاتنا فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في اهل الكتاب
الذين لم يؤمنوا بالنبي عليه السلام روي ذلك عن ابن عباس وبه
قال الضحاك وفي السلم ثلث لغات كسر السين وتسكين اللام
وبها قرا ابو عمرو وابن عامر في البقرة وفتح السين في الانفال وسورة
محمد عليه السلام وفتح السين مع تسكين اللام وبها قرا ابن كثير ونافع

والكسائي

والكسائي في المواضع الثلثة وفتح السين واللام وبها قرا الاعمش
في البقرة خاصة وفي السلم قولان احدهما انه الاسلام قاله ابن
عباس وعكرمة وقتادة والضحاك وابن قتيبة والزجاج والثاني
انه الطاعة وهو قول ابي العالية والربيع واختلف اهل اللغة
في الفتح والكسر على قولين احدهما انها لغات يستعمل كل واحد
منها موضع الآخر والثاني ان معناها مختلف والفرق بينهما ان السلم
بالكسر الاسلام وبالفتح المسالمة ويذكر ويؤنث ومنه قوله
تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها **قوله تعالى** كافة اي جميعا
وهي ماخوذة من كففت الشي اذا منعته من ان ينتشر وكل مستطيل
فحرفه كفة بالضم وكل مستدير فحرفه كفة بالكسر نحو كفة الميزان
ومنه قيل للراحة مع الاصابع كف لانها تكف سائر البدن ورجل
مكفوف اي كف بصره من النظر وقال بعضهم كافة عائد الى السلم
اي ادخلوا في جميعه ظاهرا وباطنا **قوله تعالى** ولا تتبعوا خطوات
الشيطان اي آثاره ونزغاته فيما زين لكم من تحريم السبت ولحم
الجمل وغيره انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة **عن جابر بن عبد**
الله ان عمر بن الخطاب رضي الله عنهما اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال انا نسمع احاديث من اليهود فتعجبنا افترى ان نكتب
بعضها فقال امتهودون انتم كما تهودت اليهود والنصارى
لقد جئتكم بها بيضا نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي
قال ابو عبيد يقول امتحيرون انتم في الاسلام لا تعرفون دينكم
حتى تاخذوه من اليهود والنصارى **قوله تعالى** فان زللتم يقال
زلت قدمه تزل زلا وزللا ومعنى زللتم اي تنحيتم عن القصد

والشرايع في تحريم السبت وقرأ العدوي وللتم بكسر اللام وهما
لغتان قوله تعالى من بعد ما جاءتكم البينات يعني الايمان والقرآن
والامر والنهي ومحمد عليه السلم قوله تعالى فاعلموا ان الله عزيز في
انتقامه لا تعجزونه حكيم فيما شرع من دينه قوله تعالى هل ينظرون
هل هاهنا استفهام يراد به النفي والانكار وينظرون بمعنى ينتظرون
يقال نظرته وانتظرته ومنه قوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم
وقوله فناظرة بما يرجع المرسلون والمعنى ما ينتظر التاركون الدخول
في السلم والمتبعون خطوات الشيطان الا العذاب يوم القيمة
قوله تعالى الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام في ظلل يجوز ان يكون
ظرفا وان يكون حالا والظلل جمع ظلة وقرأ قتادة في ظلال وقيل هو
جمع ظلة يقال ظلة وظلل مثله خلة وخلل وقيل جمع ظل من الغمام
وهو السحاب الابيض الرقيق سمي بذلك لانه يغم اي يستر وروى عكرمة
عن ابن عباس قال يأتي الله في ظلل من السحاب قد قطعت طاقات
ورفعه بعضهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن جريج عنه
عليه السلم قال من الغمام طاقات يأتي الله فيها محفوفة بالملايكة
وقال الحسن في سترة من الغمام فلا ينظر اليه اهل الارض وقال
مقاتل كهيئة الضباب ابيض وذلك قوله تعالى ويوم تشقق
السما بالغمام وقال بعضهم في بمعنى البا وتعاقب حروف الصفات
سايغ مشهور في كلام العرب تقدير الاية الا ان يأتيهم الله في ظلل
من الغمام وبالملايكة وعلى هذا التاويل زال الاشكال وسهل الامر
واجرى الباقون الاية على ظاهرها ثم اختلفوا في تاويلها ففسره
قوم على الاتيان الذي هو الانتقال من مكان الى مكان وادخلوا

فيه بلا كيف واتبعوا في ذلك ظواهر اخبار وردت لم يعرفوا
تاويلها ولم يرض هذا القول جماعة من العلما لانه اثبات المكان
لله تعالى عن ذلك وقال بعض المحققين ويعزى الى علي كرم الله
وجهه من زعم ان الله على شي او من شي فقد الحد لانه لو كان من
شي لكان محدثا ولو كان في شي لكان محصورا ولو كان على شي لكان
محمولا وسكت قوم عن الخوض في معنى الاتيان وقالوا نؤمن بظاهره
ونقف تفسيره لانا قد نهينا ان نقول في كتاب الله ما لا نعلم ولم
ينبهنا الله ولا نبينا رسوله عن حقيقة معناه قال الكلبي هذا
من المكتوم الذي لا يفسر وكان مالك والاوزاعي واحمد واسحق و
جماعة من المشايخ يقولون فيه وفي امثاله امروها بلا كيف كما
جاءت وزعم قوم ان في الاية اضمارا واختصارا تقديرها الا ان
يأتيهم امر الله وهو الحساب قالوا وهذا كقوله تعالى واسئل القرية
وتقول العرب قطع الوالي اللص وضربه وانما فعل ذلك اعوانه
بامره وعلى هذا يحمل قوله تعالى ولكن الله رمى لانه سبحانه لم يل
ذلك وهذا قول الحسن البصري وقالت طايفة من اهل الحقيقة
ان الله تعالى يحدث فعلا يسميه اتيانا كما احدث امرا سماه نزولا
وافعاله بلا آلة ولا علة قال الثعلبي رحمه الله ويحتمل ان يكون
معنى الاتيان هاهنا راجعا الى الجزا فسمي الجزا اتيانا كما سمي التخريب
والتعذيب في قصة نمرود اتيانا قال تعالى فاتى الله بنيانهم من
القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون وقال في قصة بني النضير فاتاهم الله من حيث

لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم
وأيدي المؤمنين وقال تعالى وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا
بها وإنما احتمل الإتيان هذه المعاني لأن الإتيان عند أهل اللسان
هو القصد إلى الشيء فمعنى الآية هل ينظرون إلا أن يظهر الله
فعلا من أفعاله مع خلق من خلقه فيقصد إلى مجازاتهم ويقضي
في أمرهم ما هو قاض ويجازيهم على فعلهم ويمضي فيهم ما أراد وقرأ
أبو جعفر والملائكة خفضا عطفا على الغمام وتقديره مع الملائكة
تقول العرب أقبل الأمير والعسكر أي مع العسكر وقرأ الباقون
الملائكة بالرفع على معنى إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام
يدل عليه قراءة عبد الله وأبي هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة
في ظلل من الغمام قال أبو العالية والربيع تأتيهم الملائكة في ظلل
من الغمام ويأتي الله فيما شاء فالمضاف إلى الله هو الإتيان والمضاف
إلى الملائكة الإتيان في ظلل الغمام ومتى يكون مجيء الملائكة فيه قولان أحدها
يوم القيامة وهو قول الجمهور والثاني عند الموت قاله قتادة قوله
تعالى وقضي الأمر أي فرغ منه وقيل ويقضى الأمر حينئذ ويفرغ
منه والماضي قد يوضع موضع المستقبل لا سيما في أمور الآخرة كقوله
تعالى وإذ قال الله يا عيسى وهذا يدل على قرب أمر الآخرة وهذا
الأمر هو فصل القضاء بين الخلق وهو كقوله تعالى وقال الشيطان
لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق قوله تعالى وإلى الله ترجع الأمور
أي تصير قرئ بضم التاء وفتحها فإن قيل فكان الأمور كانت إلى غيره
قلنا عنه أربعة أجوبة أحدها أن المراد به إعلام الخلق أنه المجازي
على الأعمال بالثواب والعقاب وذلك أن العباد في الدنيا لا يجازون
على أعمالهم وهذا كقوله تعالى ألا إلى الله تصير الأمور قاله الزجاج

والثاني

والثاني أنه لما كانت الأمور تصير إليه قبل الخلق ثم أوجدهم
فملكهم بعضها رجعت إليه بعد هلاكهم والثالث أن الدعاوى
تنقطع غدا ويعلم الكل أن الأمر لله والرابع أن الأمور إليه راجعة
اليوم وغدا يقال رجع علي من فلان مكروه أي كان إلي منه مكروه
فإن قيل قد جرى ذكر اسمه في قوله أن يأتيهم الله فما الحكمة في
أنه لم يقل وإليه مرجع الأمور قلنا إعادة اسمه أفخم وأعظم والعرب
إذا جرى ذكر شيء مفخم أعادوا لفظه ذكره الزجاج قوله تعالى سل
بني إسرائيل أصل سل اسأل فترك الهمزة تخفيفا ونقلت حركتها إلى
السين قبلها وسال يسال لغة قوله تعالى كم آتيناهم استفهام
تقريع وليس للتعريف يقول سل فلانا كم أنعمت عليه يريد
تقرير الحجة عليه وقيل فيه إضمار أي سلهم كم آتيناهم من آية فكفروا
بها ويدل عليه قوله تعالى ومن يبدل نعمة الله والمعنى كم
آتينا آباءهم وأسلافهم من علامة واضحة مثل العصا واليد البيضاء
وفلق البحر وغيرها ثم قيل هذا السؤال من جميع أهل الكتاب وقيل
من مؤمني أهل الكتاب قوله تعالى ومن يبدل نعمة الله التبديل
تصيير الشيء إلى غير ما كان وفي المراد بنعمة الله قولان أحدهما أنها
الآيات التي ذكرناها قاله قتادة والثاني أنها حجج الله الدالة على
أمر النبي صلى الله عليه وسلم قاله الزجاج وفي معنى تبديلها ثلاثة
أقوال أحدها الكفر بها قاله أبو العالية ومجاهد والثاني تغيير
صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة قاله أبو سليمن وغيره
والثالث تعطيل حجج الله بالتأويلات الفاسدة قوله تعالى

زين للذين كفروا الحيوة الدنيا الآية نزلت في مشركي العرب
ابو جهل واصحابه كانوا يتمتعون بما بسط لهم في الدنيا من المال
ويكذبون بالمعاد ويسخرون من الذين آمنوا مثل ابن مسعود
وعمار وصهيب وبلال وخباب وامثالهم وهذا معنى رواية الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس وقال مقاتل نزلت في المنافقين
عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتمتعون في الدنيا ويسخرون من
ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا الى هؤلاء
الذين يزعم محمد انه يغلب بهم وقال عطا نزلت في رؤساء
اليهود من بني قريظة والنضير قال الزجاج وانما جاز في زين
لفظ التذكير لان تانيث الحيوة ليس بحقيقي اذ معنى الحيوة
ومعنى العيش واحد وقيل فصل بين الاسم المؤنث والفعل
فساغ فيه التذكير كقول الشاعر

ان امرأ غره منكن واحدة بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور

والى من يضاف اليه هذا التزيين فيه اربعة اقوال احدها انه يضاف
الى الله تعالى يدل عليه قراءة مجاهد زين بفتح الزاي والياء على معنى
زينها الله لهم والثاني انه يضاف الى الشيطان وهو قول الحسن
والثالث زينها لهم الذين اغووهم من الانس والجن والرابع تزينت
لهم الدنيا كما تقول اين يذهب بك اين يذهب المعنى تزين لهم زخارفها
واموالها وشهواتها **قوله تعالى** ويسخرون من الذين آمنوا فيه ثلثة
اقوال احدها انهم يسخرون منهم لفقرهم **روى علي كرم الله وجهه**
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من استذل مؤمنا

او مؤمنة اذا احقره لفقره وقلة ذات يده شهره يوم القيمة
ثم يفضحه ومن بهت مؤمنا او مؤمنة او قال فيه ما ليس فيه
اقامه الله على تل من جهنم حتى يخرج مما قاله فيه وان المؤمن اعظم
عند الله واكرم عليه من ملك مقرب وليس من شيء احب الى الله
من مؤمن تائب او مؤمنة تائبة وان المؤمن يعرف في السماء كما
يعرف الرجل اهله وولده **وعن عبادة بن كثير** بن قيس قال جاء رجل
عليه بزة له فقعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل عليه
اطمار له فقعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضم الغني ثيابه
اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكل هذا تقذرا من اخيك المسلم
اكنت تحسب ان يصيبه من غناك شيء او يصيبك من فقره شيء
فقال الغني معذرة الى الله ورسوله ان النفس لامارة بالسوء
شيطان يكيدني اشهد يا رسول الله ان نصف مالي له فقال
الرجل ما اريد ذلك فقال له النبي عليه السلام ولم ذلك فقال
اني اخاف ان يفسد قلبي كما افسد قلبه **وقال ابو بكر الصديق**
رضي الله عنه لا تحقرن احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله
كبير **وقال يحيى** بن معاذ بئس القوم قوم ان استغنى المؤمن بينهم
حسدوه وان افتقر بينهم استذلوه والثاني لتصديقهم بالآخرة
والثالث لاتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** والذين اتقوا
فوقهم يوم القيمة فيه ثلثة اقوال احدها على اصله اي هم فوقهم في
المكان والمحل فالمؤمنون في عليين والكفار في سجين والثاني حجج
المؤمنين فوق شبه الكافرين لزوال الشكوك عن الكفار يومئذ
والثالث ان نعيم المؤمنين في الجنة فوق نعيم الكفار في الدنيا

قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فان قيل فكيف يكون
رزقهم بغير حساب وقد قال تعالى عطاء حسابا قلنا عنه ثمنية
اجوبة احدها ان يرزقه رزقا غير ضيق قاله ابن عباس والثاني
ان التفضل بغير حساب والجزاء بالحساب والثالث ان رزق
الدنيا بغير حساب لانه يعم به المؤمن والكافر ولا يرزق المؤمن
على قدر ايمانه ولا الكافر على قدر كفره والرابع انه يرزق المؤمنين
في الاخرة لانه لا يحاسبهم عليه ولا يمن عليهم به والخامس ان
هذا راجع الى الله تعالى وفيه معنيان احدهما لا يعترض ولا يحاسب
فيما يرزق ولا يقال له لم اعطيت هذا ولم اعطيت هذا كثيرا
وهذا قليلا والمعنى الثاني انه سبحانه وتعالى لا يخاف نفاد خزائنه
فيحتاج الى حساب ما يخرج منها والسادس يرزق من يشاء من غير
تبعة في الدنيا وحساب في الاخرة قاله الضحاك والسابع ان اموال
بني النضير وقريظة تصير الى المسلمين بلا حساب ولا قتال عن
قرب روي عن ابن عباس والثامن بغير حساب اي من حيث لا
يحتسب قوله تعالى كان الناس امة واحدة فيه ستة اقوال احدها
كان الناس من وقت وفاة آدم الى مبعث نوح امة واحدة على ملة واحدة
وهو الكفر كانوا كفارا كلهم كامثال البهائم فبعث الله نوحا وابرهيم
وغيرهما من النبيين قاله الحسن وعطا والثاني كان الناس من وقت
آدم الى مبعث نوح امة واحدة وكان بين آدم ونوح عليهما السلام
عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا
في زمان نوح فبعث الله اليهم نوحا وكان اول نبي بعث ثم بعث
بعده النبيين قاله قتادة وعكرمة والثالث كان الناس على عهد

ابرهم

ابرهيم امة واحدة كفارا كلهم وولد ابرهيم في الجاهلية فبعث
الله اليهم ابرهيم وغيره من النبيين روي عن ابن عباس والرابع
كان الناس حين عرضوا على آدم واخرجوا من ظهره واقروا بالعبودية
امة واحدة مسلمين كلهم ولم يكونوا امة واحدة قط قبل ذلك
اليوم ثم اختلفوا بعد آدم فبعث الله الرسل وانزل الكتب حين
اختلفوا وكذلك هي قراءة ابي وعبد الله فاختلفوا فبعث الله
النبيين رواه ابو العالية عن ابي بن كعب والخامس كان الناس
امة واحدة يعني آدم وحده سمي الواحد بلفظ الجمع لانه اصل
النسل ثم خلق الله تعالى حوا وانشر منهما الناس فانتشروا
وكثروا وكانوا مسلمين كلهم الى قتل قابيل هابيل فاختلفوا حينئذ
فبعث الله النبيين قاله مجاهد ومحمد ابن اسحق والسادس كان
الناس امة واحدة في الجملة لا امر عليهم ولا نهي فبعث الله النبيين
وجملتهم مائة واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة
وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمنية وعشرون
نبيا مبشرين بالثواب ومنذرين بالعقاب حكاه الثعلبي وقال
بعض السلف مبشرين لمن آمن بك يا محمد ومنذرين لمن كذب
بك قوله تعالى وانزل معهم الكتاب يعني الكتب والكتاب اسم
للجنس اريد به الجمع وذكر بعضهم ان التورية قوله تعالى
بالحق اي بالعدل والصدق قوله تعالى ليحكم بين الناس في الحاكم
هاهنا ثلثة اقوال احدها انه الله تعالى والثاني النبي صلى الله عليه
وسلم نزل عليه الكتاب الثالث الكتاب لقوله هذا كتابنا ينطق
عليكم بالحق قرأ العامة ليحكم بفتح اليا وضم الكاف وهو اربع مواضع

هاهنا وفي آل عمران والنور موضعين وقرأ ابو جعفر والجحدري
بضم اليا وفتح الكاف لان الكتاب لا يحكم على الحقيقة انما يحكم به و
لقراءة العامة وجهان احدهما على سعة الكلام كقوله تعالى هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق والاخر ان معناه ليحكم كل نبي بكتابه
واذا حكم بالكتاب فكانما حكم الكتاب وقرأ مجاهد لنحكم بالنا على الخطاب
للنبي عليه السلم قوله تعالى فيما اختلفوا يعني الدين قوله تعالى
وما اختلف فيه في هذه الهاء ثلثة اقوال احدها انها تعود على محمد
صلى الله عليه وسلم قاله ابن مسعود والثاني الى الدين قاله مقاتل والثالث
الى الكتاب قاله ابو سليمن الدمشقي وغيره قوله تعالى الا الذين اوتوه
الهاء عايدة الى الكتاب اي الذين اعطوه وهم اليهود والنصارى قوله
تعالى من بعد ما جاءتهم البينات يعني احكام التوراة والانجيل قال
الفراء ولاختلافهم معنيان احدهما كفر بعضهم بكتاب بعض كقوله
تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الاية والاخر تحريفهم
وتبديلهم كتاب الله كقوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه وقيل
هذه الاية راجعة الى محمد عليه السلم وكتابه اختلف فيه اهل الكتاب
من بعد ما جاءتهم البينات صفة محمد عليه السلم في كتبهم قوله تعالى
بغيا على معنى مفعول له والمعنى لم يوقعوا الاختلاف الا للبغي لانهم
عالمون بحقيقة الامر في كتبهم قوله تعالى فهدى الله الذين امنوا
لما اختلفوا فيه من الحق اي بمعرفة ما اختلفوا فيه يقال هديته
الى الشي وللشي وفي الذي اختلفوا فيه ستة اقوال احدها انه
الجمعة جعله اليهود السبت والنصارى الاحد وروى البخاري
ومسلم في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه

انه قال نحن الآخرون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب
من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا
الله له اليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى والثاني انه الصلوة
فمنهم من يصلي الى المشرق ومنهم من يصلي الى المغرب والثالث
انه ابرهيم صلى الله عليه وسلم قالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى
كان نصرانيا والرابع انه عيسى عليه السلم جعلته اليهود لفرية
وجعلته النصارى الها والخامس انه الكتب امنوا ببعضها وكفروا
ببعضها والسادس انه الدين وهو الاصح لان جميع الاقوال داخلة
في ذلك وهي قراءة ابن مسعود لما اختلفوا عنه اي عن الاسلام قوله
تعالى باذنه اي بعلمه وارادته فيهم وقيل بتوفيقه والله يهدي
من يشا الى صراط مستقيم قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
الاية قال قتادة والسدي نزلت هذه الاية في غزوة الخندق حين
اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق
العيش وانواع الاذى فكان كما قال الله تعالى وبلغت القلوب
الحناجر وقيل انها نزلت في حرب احد ونظيرها في آل عمران
وذلك ان عبد الله بن ابي واصحابه قالوا لاصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى متى تقتلون انفسكم وتهلكون اموالكم لو كان محمد
نبيا ما سلط عليه القتل والاسر فاجابوهم لا جرم من قتل منا دخل
الجنة فقالوا الى متى تمنون انفسكم الباطل فانزل الله هذه الاية
والاستفهام بام لا يكون في ابتداء الكلام فلا يقال ام عندك خبر
بمعنى عندك خبر فقوله ام حسبتم متصل بما قبله وهو كقولك
انت رجل لا تنصف ام لك سلطان تدل به وقيل هو معطوف
على استفهام محذوف مقدم اي اعلمتم ان الجنة حفت بالمكاره
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة من غير مكروه وهو كقولك انها لابل ام

شا وقيل ام بمعنى بل ولا بد من استفهام مقدم في التقدير **قوله تعالى** ولما يأتكم وما صلة لقوله تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم
ويجوز الوقف على لما تقول اقدم زيد فيقول المخاطب لما ولا تقول
لم **قوله تعالى** مثل الذين خلوا من قبلكم اي يشبه الذين مضوا من
من قبلكم من النبيين والمؤمنين فتصبروا كما صبروا وفيه اضمار اي
مثل محنة الذين او مصيبة الذين مضوا ثم ذكر ما اصابهم فقال تعالى
مستهم البأسا قال عطا يريد الفقر الشديد والبؤس **قوله عز وجل** والضرا اي المرض والجوع والزمانة **قوله تعالى** وزلزلوا اي
حركوا بانواع البلا والرزايا **قوله تعالى** حتى يقول الرسول والذين
آمنوا معه متى نصر الله اي بلغ منهم الجهد الى ان استبطأوا النصر
فقال تعالى الا ان نصر الله قريب اي انا ناصر اوليائي لا محالة ونصري
قريب منهم واختلفوا القراء في قوله حتى يقول الرسول فقرأ مجاهد
ونافع وشيبة والاعرج يقول رفعا وقرأها الآخرون نصبا فمن
نصب فعلى ظاهر الكلام لان حتى تنصب الفعل المستقبل ومن
رفع فلان معناه حتى قال الرسول واذا كان الفعل الذي يلي حتى
في معنى الماضي ولفظه لفظ المستقبل فلك فيه الوجهان الرفع
والنصب فالرفع لان حتى لا تعمل في الماضي والنصب باضمار ان
الخفيفة عند البصريين وبالظرف عند الكوفيين تقول العرب
سرنا حتى يدخل مكة بالرفع اي حتى دخلناها فاذا كان بمعنى المستقبل
فالنصب لا غير قال وهب بن منبه وجدوا فيما بين مكة والطايف
سبعين نبيا ميتين كان سبب موتهم الجوع والقمل وقال ايضا
وهب قرأت في كتاب رجل من الحواريين اذا سلك بك سبيل
البلا فقر عينا فانه سلك بك سبيل الانبيا والصالحين واذا سلك
بك الرخا فابك على نفسك فقد خولف بك عن سبيلهم وعن

عام

عامر بن مصعب بن سعد عن ابيه انه سال النبي صلى الله عليه
وسلم اي الناس اشد بلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبيا
ثم الامثل فالامثل من الناس فيبتلى الرجل على حسب دينه فان
كان صلب الدين اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلي على حسب
ذلك فلا يبرح البلا على العبد حتى يدعه يمشي على الارض وليس
عليه خطيئة وقال عبد الرحمن ابن زيد كان وزير لعيسى بن مريم
عليه السلم ركب يوما فاخذه السبع فاكله فقال عيسى عليه السلم
يا رب وزيري في دينك وعوني على بني اسرائل وخليفتي فيهم
سلطت عليه كلبك فاكله قال نعم كانت له عندي منزلة رفيعة
لم اجد عمله يبلغها فابتليته بذلك لابلغه تلك المنزلة **قوله تعالى**
يسئلونك ماذا ينفقون الآية نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا
كبيرا ذا مال كثير فقال يا رسول الله بماذا نتصدق فانزل الله هذه
الآية وفي ماذا مذهبان احدهما ان تجعل ما استفهاما بمعنى اي شي
وذا بمعنى الذي وينفقون صلته والعايد محذوف فيكون ما
مبتدا وذا وصلته خبرا ولا تجعل ذا بمعنى الذي الا مع ما عند
البصريين واجاز الكوفيون ذلك مع غير ما والمذهب الثاني ان
تجعل ما وذا بمنزلة اسم واحد للاستفهام وموضعه هنا نصب
بينفقون وموضع الجملة نصب بيسئلون على المذهبين واكثر علماء
التفسير ان هذه الآية نسختها آية الزكوة وقال بعضهم انها
محكمة لم تنسخ واليه ذهب الحسن وهي في النوافل والمراد به
النفع في الدنيا والايثار بما يتقرب به الانسان الى الله تعالى

فاخبر ان من قصة ذلك ينبغي ان يريد به المذكورين في هذه
الآية وهذا معنى قول مقاتل فان قيل كيف طابق الجواب السؤال
وقد سئلوا عن بيان ما ينفقون فاجيبوا ببيان المصرف فالجواب
ان قوله ما انفقتم من خير قد تضمن بيان ما ينفقونه وهو كل
خير وبنى الكلام على ما هو اهم لهم وهو المصرف لان النفقة لا يعتد
بها الا ان تقع موقعها **قوله تعالى** قل ما انفقتم من خير الخير هنا
المال فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
وما تفعلوا من خير هذا جزم لانه شرط والجواب فان الله به
عليم اي يجازي عليه **قوله تعالى** كتب عليكم القتال اي فرض بين
ان مما امتحنا به وجعل وصلة الى الجنة الجهاد والمراد بالقتال
قتال الاعداء من الكفار وكان هذا معلوما لهم بقراين الاحوال
ولم يؤذن للنبي عليه السلم بالقتال مدة مقامه بمكة فلما هاجر
اذن له في القتال لمن قاتله من المشركين ثم اذن له في قتال المشركين
عامة ثم فرض الله تعالى الجهاد **فصل** اختلف العلماء في حكم هذه
الاية فقال بعضهم عني بذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة
دون غيرهم قاله عطا لان القتال مع النبي عليه السلم كان فريضة
وما كان يجوز القعود عنه اذا خرج الى جهاد عدو واجرى بعضهم
الاية على ظاهرها فقال الغزو فرض واجب على المسلمين كلهم الى
يوم القيمة وهو قول سعيد بن المسيب وقال بعضهم هو فرض
على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين مثل صلاة الجنازة
ورد السلم وهو القول الصحيح المشهور الذي عليه الجمهور يدل
عليه قوله تعالى فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة

وكلا

وكلا وعد الله الحسنى الآية ولو كان القاعدون مضيعين فرضا
لكان لهم السوء لا الحسنى **روى ابو هريرة** عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من مات ولم يغز او لم يحدث نفسه بالغزو
ومات مات على شعبة من النفاق **قوله تعالى** وهو كره لكم اي
شاق عليكم واتفق القراء على ضم الكاف هاهنا الا ابا عبد الرحمن
السلمي فانه قراها بفتح الكاف وهما لغتان بمعنى واحد مثل الضعف
والضعف وقال اكثر اهل اللغة الكره بالضم المشقة وبالفتح الا جياد
وقيل اي وهو ذو كره لكم اي ذو مشقة والتكاليف مشاق قال
اهل المعاني هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما يدخل فيه
على المال من المؤنة وعلى النفس من المشقة وعلى الروح من الخطر
لا انهم اظهروا الكراهة او كرهوا امر الله تعالى وقال عكرمة
نسختها هذه الاية قالوا سمعنا واطعنا يعني انهم كرهوه ثم احبوه
فقالوا سمعنا واطعنا **قوله تعالى** وعسى ان تكرهوا شيا وهو
خير لكم لان الغزو احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة وا ما
الشهادة والجنة وعسى بمعنى قرب وكاد وتستعمل مع ان
في الغالب وعسى توهم وشك عند الناس ويقين واجب عند
الله وهو كقوله تعالى لعلكم تفلحون **قوله تعالى** وعسى ان تحبوا
شيا يعني القعود عن الغزو وهو شر لكم لما فيه من الذل و
الفقر وحرمان الغنيمة والاجر والشر السوء من شررت
الشيء اي بسطته وشررت اللحم اي بسطته ليجف وكذلك
اشررته والشرر اللهب لانبساطه فالشر انبساط
الضرر **قوله تعالى** والله يعلم ما فيه مصلحتكم وانتم لا تعلمون

قال ابن عباس كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن
عباس ارض عن الله بما قدر وان كان بخلاف هواك انه لمثبت
في كتاب الله تعالى قلت يا رسول الله اين وقد قرات القرآن
قال مكانين وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا
شيئا وهو شر لكم الآية وقال الحسن لا تكرهوا الملمات الواقعة
والبلايا الحادثة فلرب امر تكرهه فيه نجاتك ولرب امر تحبه
فيه عطبك انشد سعيد الضرير

رب امر تتقيه جر امرا ترتضيه • خفي المحبوب منه وبدا المكروه فيه

ولابن المعتز

لا تكره المكروه عند نزوله • ان الحوادث لم تزل متباينه
كم نعمة لا تستقل بشكرها • لله في درج الحوادث كامنه

وعن عبد الرحمن بن ابي حازم عن ابيه قال بعث المتوكل الى محمد
ابن الليث وقد كان مقيما في منزله فلما اتاه الرسول رعب وركب
بلا روح خوفا منه فمر برجل وهو يقول

كم مرة حفت بك المكاره • خار لك الله وانت كاره

فلما دخل على المتوكل ولاه مصر وامر له بمائة الف وجميع ما يحتاج
اليه من الآلات والدواب والغلمان وانشد محمد الفرحان

كم فرجة طويت لك • بين اثناء المصائب
ومسرة قد اقبلت • من حيث تنتظر المواهب

وانشد ابو عبد الله الوضاحي

ربما خير الفتى وهو للخير كاره • ثم ياتي السرور من حيث تاتي المكاره

قوله تعالى

قوله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام الآية سبب نزولها انه
عليه السلام بعث عبد الله بن جحش الاسدي وهو ابن عمة النبي
صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على
راس سبع عشر شهرا من قدومه المدينة وبعث معه ثمانية رهط
من المهاجرين. سعد ابن ابي وقاص الزهري. وعكاشة بن محصن
الاسدي. وعتبة بن غزوان السلمي. وابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة
وسهل بن بيضا وعامر بن ربيعة. وواقد بن عبد الله. وخالد بن بكير
وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر
في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقراه
على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا من اصحابك على
السير فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله
الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن معك من اصحابك حتى تنزل
بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تاتينا منه بخير فلما نظر
عبد الله في الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه كذلك وقال انه
قد نهاني ان استكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن
كره ذلك فليرجع فاني ماض لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى
ومضى معه اصحابه لم يتخلف عنه منهم احد حتى نزلوا بطن نخلة بين
مكة والطايف فبيناهم كذلك اذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا
وادما وتجارة من تجارة الطايف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم
ابن كيسان وعثمن بن عبد الله بن المغيرة ~~ونوفل ابن عبد الله بن~~
المغيرة ونوفل ابن عبد الله المخزوميان فلما راوا ان القوم قد ذعروا

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم فقال عبد الله بن جحش لاصحابه صح

منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا آمنوا
وقالوا قوم عمار فحلقوا راس عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم
عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة
وكانوا يرون انه من جمادى وهو رجب فتشاوروا القوم فيهم
وقالوا لان تركتموهم الليلة ليدخل الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم
في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو الحضرمي بسهم
فقتله فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم وعثمن فكانا
اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المؤمنون
العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف
ويتذعر فيه الناس لمعاشهم فسفك فيه الدماء واخذ فيه الحرايب
وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر
الصباه استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وتفالت اليهود بذلك
وقالوا واقد وقدت الحرب وعمرو عمرت الحرب والحضرمي حضر
وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابن جحش واصحابه
ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابا
ان ياخذ من ذلك شيا فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان
قد سقطوا في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم
امسينا فراينا هلال رجب فلا ندري في رجب اصبناه ام في جمادى
واكثر الناس في ذلك فانزل الله هذه الآية فاخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان اول خمس في الاسلام
وقسم الباقي بين اصحاب السرية وكان اول غنيمة في الاسلام

وبعث

وبعث اهل مكة في فدا اسيريهم فقال رسول الله صلى الله
حتى يقدم سعد وعتبة فان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما
اخذ الفدا فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله فقتل
يوم بير معونه شهيدا واما عثمن بن عبد الله فرجع الى اهل مكة
فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل
الخندق على المسلمين فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما وقتله الله
وطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله خذوه فانه
خبيث الجيفة خبيث الثمن فهذا سبب قوله تعالى يسئلونك
عن الشهر الحرام وقيل نزلت في دخول النبي صلى الله عليه وسلم مكة
في شهر حرام يوم الفتح حتى عاب المشركون عليه القتال في شهر
حرام وفي السايلين للنبي عليه السلم عن ذلك قولان احدهما انهم
المسلمون سالوه هل اخطاوا ام اصابوا قاله ابن عباس وعكرمة
ومقاتل والثاني انهم المشركون سالوه على وجه العيب على
المسلمين قاله الحسن ومجاهد وعروة والشهر الحرام رجب
سمي بذلك لتحريم القتال فيه ولعظم حرمته وكذلك كان
يسمى في الجاهلية وكانوا ينزعون الاسنة والنصال عند دخول
رجب انطوا على ترك القتال فيه وكان يدعى الاصم لانه لا
يسمع له قعقعة السلاح فنسب الصمم اليه كما قيل ليل نايم يدل
عليه ما روت عايشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال رجب شهر الله ويدعا الاصم وكان اهل الجاهلية
اذا دخل رجب يعطلون اسلحتهم ويضعونها فكان الناس

يأمنون وتأمن السبيل فلا يخاف بعضهم بعضا حتى ينقضي
واختلفوا في تحريم القتال في الاشهر الحرم هل نسخ ام لا فقال
عطا هو ثابت الحكم وتحريم القتال فيه باق غير منسوخ الا
ان يقاتلوا او يغزوا وقال سعيد بن المسيب وسلمان بن يسار
القتال جائز في الاشهر الحرم وهذه الاية منسوخة بقوله تعالى
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله تعالى قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله الاية وهذا قول فقهاء الامصار وهو الاصح قوله
تعالى قتال فيه هو بدل من الشهر الحرام وقيل هو مخفوض على
تكرير عن تقديره وعن قتال فيه وكذلك هي في قراءة عبد
الله بن مسعود والربيع بن انس وقد قرئ بالرفع وفي الشاذ
ووجهه على ان يكون خبر مبتدأ محذوف معه همزة الاستفهام
تقديره اجائز قتال قوله تعالى قتال فيه كبير مبتدأ وخبر
وجاز الابتداء بالنكرة لانها قد وصفت بقوله فان قيل النكرة
اذا اعيدت اعيدت بالالف واللام كقوله تعالى فعصى فرعون
الرسول قيل ليس المراد تعظيم القتال المذكور المسؤول عنه حتى
يعاد بالالف واللام بل المراد تعظيم اي قتال كان في الشهر الحرام
فعلى هذا قتال الثاني غير قتال الاول قوله تعالى وصد عن سبيل
الله وصد مبتدأ وعن سبيل الله صفة له او متعلق به وذلك
حين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت الحرام
عام الحديبية قوله تعالى وكفر به معطوف على صد والمعنى وكفر
بالله قوله والمسجد الحرام اي وبالمسجد الحرام وخبر الاسماء الثلثة اكبر
قوله تعالى واخراج اهله منه اي اهل المسجد الحرام اكبر واعظم

وزرا

وزرا عند الله قوله تعالى والفتنة اي الشرك اكبر من القتل يعني
قتل ابن الحضرمي ولما نزلت هذه الاية كتب عبد الله بن جحش صاحب
هذه السرية الى مؤمني مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر
الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج الرسول من مكة ومنع المؤمنين
عن البيت وقيل اراد بالفتنة تعذيبهم المسلمين بانواع العذاب
كما فعلوا ببلال وصهيب قوله ولا يزالون يقاتلونكم يعني مشركي
مكة وهو فعل لا مصدر له مثل عسى قوله تعالى حتى يردوكم عن
دينكم اي يصدوكم ويصرفوكم عن دينكم الاسلام الى الكفر ان استطاعوا
ثم ذكر حكم من يرجع عن الاسلام الى الكفر فقال ومن يرتدد عن دينه
فيمت جزم بالعطف على يرتدد والجواب فاولئك حبطت اعمالهم
اي بطلت يقال حبط عمله يحبط حبوطا واحبطه الله احباطا
واصله الحبط وهو الفساد يلحق بالمواشي في بطونها لاكل الكلا حتى
تنتفخ اجوافها واعلم ان من ارتد فان عاد الى الاسلام لم تحبط عمله
بل ان مات على الردة فحينئذ تحبط عمله وقرا الحسن حبطت بفتح
الباء في جميع القرآن قوله تعالى واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ظاهر قوله عز وجل ان الذين آمنوا والذين هاجروا الاية قال الزهري
لما نزلت الاية وقبض رسول الله العير وفادى الاسيرين وفرج
الله عن اهل تلك السرية قالوا يا نبي الله انطمع ان يكون هذه غزوة
نعطى فيها اجر المجاهدين في سبيل الله فانزل الله فيهم ان الذين
آمنوا بمحمد والقرآن وهاجروا اي فارقوا عشايرهم واوطانهم
والهجر ضد الوصل والهجر القبيح من الكلام لانه مما ينبغي ان يهجر
الهاجرة اسم للوقت الذي يهجر فيه العمل قوله تعالى وجاهدوا

أي المشركين في سبيل الله وحملوا أنفسهم على الجهد والمشقة
في قتالهم قوله تعالى أولئك يرجون رحمة الله والله رحمة الله
للمؤمنين أي لهم بما فعلوا على رجاء رحمة الله فإن قيل فكيف يرجون
رحمة الله ورحمة الله للمؤمنين مستحقة قلنا عنه جوابان أحدهما
أنهم لما لم يعلموا حالهم في المستقبل جاز أن يرجوا الرحمة خوفا أن
تحدث من المستقبل أمرهم ما لا يستوجبونها والثاني أنهم إنما
رجوا الرحمة لأنهم لم يتيقنوها بتأدية كل ما أوجبه الله تعالى
عليهم قال الشعبي أول لواء عقد في الإسلام لواء عبد الله بن جحش
وأول مغنم قسم في الإسلام مغنمه قوله تعالى والله غفور رحيم
ظاهر قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر الآية سبب نزولها
أن جماعة من الأنصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم عمر بن
الخطاب ومعاذ بن جبل فقالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر
فإنهما مذهبة للعقل متلفة للمال فأنزل الله هذه الآية وجملة القول
في تحريم الخمر على ما قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة
أن الله تعالى أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل
والأعناب تتخذون منه سكرا وهو المسكر فكان المسلمون يشربونها
وهي يومئذ حلال ثم نزلت في مسألة عمر بن الخطاب ومعاذ يسألونك
عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من
نفعهما فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربكم
تقدم في تحريم الخمر فتركها قوم لقوله تعالى فيهما إثم كبير وقالوا
لا حاجة لنا في شيء فيه إثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس
فكانوا يستمتعون بمنافعها ويجتنبون مآثمها إلى أن صنع عبد

الرحمن

أول مغنم قسم في الإسلام

الرحمن بن عوف طعاما ودعا ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلوة المغرب
فقدموا بعضهم ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون
هكذا إلى آخر السورة بحذف لا فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا
الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم السكر في أوقات
الصلوة فقال عمر رضي الله عنه إن الله تعالى يقارب في النهي عن شرب الخمر
وما أراه إلا سيحرمها فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا لا خير
في شيء يحول بيننا وبين الصلوة وقال قوم نشربها ونجلس في بيوتنا
فكانوا يتركونها وقت الصلوة ويشربونها في غير وقت الصلوة
إلى أن شربها رجل من المسلمين فجعل ينوح على قتلى بدر فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء فزعا يجر رداءه حتى انتهى إليه ورفع
شيئا كان بيده ليضربه فلما عاينه الرجل قال أعوذ بالله من غضب
الله وغضب رسوله والله لا أطعمها أبدا وكان من حمزة ابن عبد
المطلب رضي الله عنه ما روي علي كرم الله وجهه قال كان لي شارف
من المغنم ودفع إلي رسول الله شارفا من الخمس فواعدت صواغا
يخرج معي فيجيء بإذخر لأبيعه من الصواغين فأستعين بثمنه على الدخول
بفاطمة رضي الله عنها وعرسها قال فعقلت شارفي عند حائط
رجل من الأنصار ومضيت لأجمع الحبال والغرائر والأقتاب
فجئت وقد بقر بطن شارفي و استمتها فلما رأيتهما لم أتمالك
عيني أن بكيت ثم قلت من فعل هذا بشارفي فقالوا عمك حمزة و
ها هو ذا في البيت في شرب من الأنصار عندهم قينة فجاءوا
فقالت في غنائها ۞ ألا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء
ضع السكين في اللبات منها فضرجهن حمزة بالدماء

وعجل من شر ابحها كبابا ملهوجة على وهج الصلاء.
واصلح من اطايبها طبيخا لشربك من قديد او شواء.
فانت ابا عمارة المرجى لكشف الضر عنا والبلاء.

فقام الى شارفيك ففعل بهما ما ترى قال فجئت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة معه زيد مولاه فقال
مالك يا علي فداك ابي وامي قلت ان عمك فعل بشارفي كذا
وكذا واخبرته الخبر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبس نعليه
ورداه ومشى بين ايدينا واتبعته انا وزيد فسلم واستاذن فدخل
البيت وقال يا حمزة ما حملك على ما فعلت بشارفي ابن اخيك
فرفع راسه فجعل ينظر الى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى ساقيه فصوب النظر اليه ثم قال الستم واباؤكم عبيدا
لابي فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم القهقرى وقال ان
عمك قد ثمل وهالك علي فغرمهما الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما اصبح حمزة غدا على رسول الله يعتذر فقال مه يا عم
فقد سالت الله فيك فعفا عنك ثم ودعا عتبان ابن مالك رجالا
من المسلمين فيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد شوى لهم راس بعير
فاكلوا منه وقدم لهم خمرا فشربوا حتى احدث منهم ثم انهم افتخروا
عند ذلك وتناشدوا الاشعار فانشد بعضهم قصيدة فيها
هجاء الانصار وفخر لقومه فقام رجل من الانصار فاخذ لحي بعير
فضرب به راس سعد فشجه فانطلق سعد الى النبي صلى الله عليه
وسلم وشكا اليه فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا في الخمر
بيانا شافيا فانزل الله تحريم الخمر في سورة المائدة الى قوله

فهل

فهل انتم منتهون وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام فقال
عمر انتهينا يا رب قال انس حرمت ولم يكن يومئذ للعرب
عيش اعجب منها وما حرم عليهم شي اشد من الخمر قال فا
خرجنا
الحباب الى الطريق فصببنا ما فيها فمنا من كسر جبه ومنا
من غسله بالماء والطين

فصل اختلف الفقها في ماهية الخمر
فقال بعضهم هو خاص فيما اعتصر من العنب والنخلة فغلى بطبعه
دون عمل النار فيه وان ما سوى ذلك فليس بخمر وهذا مذهب
سفين الثوري وابي حنيفة وابي يوسف واكثر اهل الراي ثم اختلفوا
في المطبوخ فقالوا كل عصير طبخ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه فهو
حلال مباح شربه وبيعه الا ان المسكر منه حرام واحتجوا بما
روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر من
هاتين الشجرتين النخلة والعنبة واعتلوا في اباحة المطبوخ المثلث
بما روى سويد بن عقلة ان عمر رضي الله عنه كتب الى بعض عماله
ان ارزق المسلمين من الطلا ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. وعن ابي موسى
الاشعري انه كان يشرب الطلا ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. وكذلك
ابي الدردا وقال ابن المسيب لا باس به والذي نراه انما ورد في
مثلث غير مسكر يدل عليه قول عمر بن عبد العزيز لا تشربوا
من الطلا حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه وكل مسكر حرام وقال
قوم اذا طبخ العصير ادنى طبخ صار حلالا وهو قول اسمعيل ابن علية
وبشر المريسي وجماعة من اهل العراق وحكي عن بعض فقهائهم
انه قال لا يحرم شي من الانبذة الا التي منها ولا المطبوخ الا
شراب واحد عصير العنب التي الشديد الذي لم يدخله ما

ولا طبخ وهو الخمر فقط وقال مالك والشافعي واحمد بن حنبل
وابو ثور واكثر اهل الاثار ان الخمر كل شراب مسكر سواء
كان عصيرا او نقيعا او عنبا او مطبوخا او نيا وكل شراب
اسكر فهو حرام قليله وكثيره والذي يدل على صحة هذا المذهب
من اللغة ان الخمر اصله الستر ويقال لكل شي ستر شيا من شجر
او حجر وغيرهما خمر ويقال دخل فلان في خمار الناس ومنه خمار
المراة فالخمر سمي بذلك لانه يستر العقل وقال انس بن مالك
سميت خمرا لانهم كانوا يدعونها في الدنان حتى تخمر وتغتم ودليلهم
من السنة قوله عليه السلم كل مسكر حرام وكل مسكر خمر ويحكى ان
رجلا من الحكما قيل له لم لا تشرب النبيذ فقال والله ما ارضى عقلي
صحيحا فكيف ادخل عليه ما يفسده **فاما الميسر** فهو القمار قال
ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما
قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله تعالى هذه الاية والميسر
مفعل من قول القايل يسر لي الشي اذا وجب فهو ييسر يسرا وميسرا
على وزن ضرب يضرب والياسر الواجب بالقداح وقيل للقمار ميسر
وللقامر ياسر ويسر وقيل الميسر من اليسر وهو تسهيل الشي
وذلك ان اهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورا فينحرونها
ويجزونها اجزا قال عطا ومجاهد كل شي فيه قمار فهو من الميسر
حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وقال علي كرم الله وجهه
النرد والشطرنج من الميسر وعن القاسم بن محمد انه قال كل شي
الهى عن ذكر الله وعن الصلوة فهو ميسر **قوله تعالى** قل فيهما اثم
كبير قرا اهل الكوفة بالثا الا عاصما وقرا الباقون بالبا واختاره

ابو عبيد وابو حاتم لقوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما
وقوله تعالى حوبا كبيرا واراد الاثم بسببها من المخاصمة والمشاتمة
وقول الفحش وزوال العقل والمنع من الصلوة والقمار يورث
العداوة بان يصير مال الانسان الى غيره بغير جزا ياخذه عليه
قوله تعالى ومنافع للناس منفعة الخمر ما كانوا يصيبونه من المال
في بيعها واللذة عند شربها والتقوي بها وتعين على الباه وتسخي
البخيل وتشجع الجبان ۝ ومنفعة الميسر ما يصاب من القمار
وقيل منفعة ما يصيبون به من انصبا الجزور وذلك انهم كانوا
يتياسرون على الجزور فاذا افلح الرجل منهم اصحابه نحروه ثم
اقتسموه به اعشارا على عدة القداح وقيل فيهما اثم كبير بعد التحريم
ومنافع قبل التحريم **قوله تعالى** واثمهما اكبر من نفعهما فيه قولان
احدهما ان اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وهذا قول
ابن عباس والثاني ان كلاهما قبل التحريم يعني ان الاثم الذي يحدث
بسببهما اكبر من نفعهما لان النفع في الدنيا وما يحصل من الاثم
يصير بالاخرة وهذا قول سعيد بن جبير **قوله تعالى** ويسلونك
ماذا ينفقون الاية نزلت في عمرو بن الجموح لما نزل قوله فللوالدين
والاقربين اعاد السوال وسال عن مقدار النفقة فانزل الله قل
العفو والسوال الاول كان سوالا عن النفقة الى من تصرف وقرا
الحسن وقتادة وابن ابي اسحق وابو عمرو قل العفو بالرفع على معنى
الذي ينفقون هو العفو وقرا الاخرون بالنصب واختاره ابو عبيد
وابو حاتم على معنى قل انفقوا العفو قال الزجاج العفو في اللغة

الكثرة والفضل يقال قد عفا القوم اذا كثروا وقال تعالى
حتى عفوا اى كثروا وقال ابن قتيبة العفو الميسور يقال خذ ما
عفا لك اى ما اتاك سهلا بلا اكراه ولا مشقة واختلف المفسرون
فى المراد بالعفو هاهنا على خمسة اقوال احدها ما فضل عن حاجة
المرء وعياله قاله عبد الله بن عمرو ومحمد بن كعب وقتادة وعطاء
والسدى وابن ابى ليلى وهى رواية مقسم عن ابن عباس والثانى
ما تطيب به انفسهم من قليل وكثير رواه عطية عن ابن عباس
والثالث هو القصد بين الاسراف والاقتار قاله الحسن
والرابع هو الصدقة المفروضة قاله مجاهد والخامس ما لا
يتبين عليهم مقداره فى اموالهم والكل متقارب فى المعنى قال
الكلبى كان الرجل بعد نزول هذه الاية اذا كان له مال من ذهب
او فضة او زرع او ضرع نظر الى ما يكفيه وعياله لنفقة سنة
امسكه وتصدق بالباقى وان كان ممن يعمل بيده امسك ما يكفيه
وعياله يومه ذلك وتصدق بالباقى حتى نزلت الزكوة المفروضة
فنسخت هذه الاية وكل صدقة امر بها قبل نزول الزكوة واذا
قلنا ان هذه الاية محمولة على الزكوة المفروضة كما قال مجاهد
او على الصدقة المندوب اليها فهى محكمة غير منسوخة **قوله
تعالى** كذلك يبين الله لكم الايات قال الزجاج انما قال كذلك
على الواحد وهو يخاطب الجماعة لان الجماعة معناها القبيل كانه
قال كذلك ايها القبيل يبين الله لكم وجايز ان يكون الخطاب
للنبى عليه السلم لان خطابه مشتمل على خطاب امته كقوله

تعالى

ان الله عزيز حكيم اى عزيز فى ملكه حكيم فيما امركم به **قوله
تعالى** ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن الاية نزلت فى مرثد
ابن مرثد الغنوى وقال مقاتل هو ابو مرثد الغنوى واسمه
ايمن وقال عطا هو ابو مرثد كناز بن الحصين وكان شجاعا قويا
فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا
من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امراة مشركة يقال لها عناق ق
وكانت خليلته فى الجاهلية فاتته فقالت يا مرثد الا تخلوا فقال
لها ويحك يا عناق ان الاسلام قد حال بيننا وبين ذلك فقالت
هل لك ان تتزوج بى قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستامره
ثم اتزوج بك فقالت ابى تتبرم ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا
شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضا حاجته بمكة انصرف الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاعلمه الذى كان من امره وامر عناق وما لقى
بسببها وقال يا رسول الله ايحل لى ان اتزوجها فانزل الله تعالى
ولا تنكحوا المشركات الاية وقيل نزلت فى عبد الله بن رواحه
كانت له امة سودا وانه غضب عليها فلطمها ثم فزع فاتى
النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره خبرها وقال يا رسول الله هى
تصلى وتحسن الوضوء وتشهد ان لا اله الا الله وانك رسوله
فقال يا عبد الله هذه مؤمنة فقال والذى بعثك بالحق نبيا
لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل وعابته ناس من المسلمين وقالوا
نكح امة وكانوا يرغبون فى نكاح المشركات رغبة فى احسابهم
فنزلت هذه الاية رواه السدى عن اشياخه وقد ذكر
بعض المفسرين ان قصة عناق وابى مرثد كانت سببا لنزول

هذه الآية ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وقصة ابن رواحة
كانت سببا لنزول ولأمة مؤمنة خير من مشركة قال المفضل
اصل النكاح للجماع ثم كثر ذلك حتى قيل للعقد التزويج النكاح
وقيل يطلق في اللغة لفظ النكاح على الوطء وعلى العقد جميعا
فاذا قيل نكح فلان بنت فلان فهم منه العقد واذا قيل نكح ولا
زوجته فهم منه الوطء وقال الفراء نكح المرأة بضم النون بضعها
ويقال نكحها فلان اي اصاب بضعها وفي المشركات هاهنا
قولان احدهما انه يعم الكتابيات وغيرهم وهو قول الاكثر والثاني
انه خاص في الوثنيات وهو قول سعيد بن جبير والنخعي وقتادة
وفي المراد بالامة قولان احدهما انها المملوكة وهو قول الاكثر
فيكون المعنى ونكاح امة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة
والثاني انها المرأة وان لم تكن مملوكة كما يقال هذه امة الله وهو
قول الضحاك والاول اصح قوله تعالى ولو اعجبتكم اي المشركة
لمالها وجمالها وحسبها ثم قال القائلون بان المشركات الوثنيات
هي محكمة وزعم بعض من نصر هذا القول ان اليهود والنصارى
ليسوا مشركين بالله وان جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا
فاسد من وجهين احدهما ان حقيقة الشرك ثابتة في حقهم
بحيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله ثم قال بعد ذلك سبحانه
عما يشركون فسماهم مشركين والثاني ان من كفر بمحمد فقد زعم
ان ما اتى به محمد من عند غير الله وهذا اشراك فاما القائلون
بانها عامة في جميع المشركات فلهم في ذلك قولان احدهما ان بعض
حكمها منسوخ بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب

من

من قبلكم وبقي الحكم في غير اهل الكتاب محكما والثاني انها ليست
بمنسوخة ولا ناسخة بل هي عامة في جميع المشركات وما اخرج
عن عمومها من اباحة كافرة فله دليل خاص وهو قوله تعالى و
المحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فهذه خصت عموم
تلك من غير نسخ وعلى هذا عامة الفقهاء وقد روي معناه عن
جماعة من الصحابة منهم عثمن وطلحة وحذيفة وجابر وابن
عباس قوله تعالى لا تنكحوا المشركين ما في تنكحوا ثلثة احرف
يقال نكحت المرأة نفسها اذا تزوجت ولا تنكحوا بضم التاء لانه
من انكحت الرجل اذا زوجته والمعنى لا تزوجوهم بمسلمة حتى
يؤمنوا والكلام في قوله ولعبد مؤمن وفي قوله ولو اعجبكم
مثل الكلام في اول الآية قوله تعالى اولئك يدعون اي المشر كين
الى النار اي الى الاعمال الموجبة للنار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة
يقول الى التوبة والتوحيد والعمل الموجب لهما باذنه اي بامره
وقيل فيه اختصار اي يدعوا الى الجنة ولا وصول اليها ولا هداية
الا باذنه وقرا الحسن والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه
برفع المغفرة وقرئ ولا تنكحوا المشركات بضم التاء اي لا تزو جوهن
اذ لا ولاية مع اختلاف الدين قوله تعالى ويبين آياته للناس
اي اوامره ونواهيه لعلهم يتذكرون قوله تعالى ويسئلونك
عن المحيض الآية قال ابن عباس ما رايت قوما كانوا خيرا من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالوا الا عن ثلث
عشرة مسئلة حتى قبض كلهن في القرآن يسئلونك عن الشهر
الحرام ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ويسئلونك عن

الاهلة ويسئلونك عن الخمر والميسر ويسئلونك عن اليتامى
ويسئلونك عن المحيض ويسئلونك عن الساعة واذا سألك عبادى
عنى ويسئلونك عن الانفال ويسئلونك عن الروح ويسئلونك
عن ذى القرنين ويسئلونك عن الجبال قال المفسرون كانت
العرب فى الجاهلية اذا حاضت المرأة لم يواكلوها ولم يشاربوها
ولم يساكنوها فى بيت ولم تجالسوها على فرش كفعل المجوس
واليهود فسأل ابو الدحداح ثابت بن الدحداح رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال يا رسول الله كيف نصنع بالنساء
اذا حضن فانزل الله تعالى ويسئلونك عن المحيض وكانت النصارى
يجامعون فى الحيض فامر الله تعالى بالفصل بين هذين وفى المحيض
قولان احدهما انه اسم للحيض قال الزجاج حاضت المرأة تحيض
حيضا ومحاضا ومحيضا وقال ابن قتيبة المحيض الحيض والثانى
انه اسم لموضع الحيض كالمقيل فانه موضع القيلولة والمبيت
موضع البيتوتة فاما ارباب القول الاول فاكدوه بان فى اللفظ
ما دل على قولهم وهو انه وصفه بالاذى وذلك صفة لنفس
الحيض لا لمكانه واما ارباب القول الثانى فقالوا لا يمتنع ان يكون
الحيض صفة للموضع ثم وصفه بما قاربه وجاوره كالعقيقة فانها
اسم لشعر الصبى وسميت بها الشاة التى تذبح عند حلق راس
الصبى مجازا واصل الحيض الانفجار يقال حاضت الاشجار اذا سال
منها شئ كالدم ومنه الحوض لان الماء يحيض اليه اى يسيل قوله
تعالى قل هو اذى اى هو شئ تتاذى به المرأة وغيرها اى برايحة

دم

دم الحيض والاذى كناية عن القذر فى الجملة قوله تعالى فاعتزلوا
النساء فى المحيض اى فى زمان الحيض ان حملت المحيض على المصدر او
فى محل الحيض ان حملته على الاسم **فصل** الحائض تمنع من سبعة
اشيا احدها الصلوة جوازا ووجوبا والثانى الصوم ثم يلزمها
قضاء الصوم دون الصلوة لقول عايشة رضى الله عنها كنا نؤمر
بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلوة روى ابو سعيد الخدرى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما رأيت من ناقصات عقل
ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداهن فقلن له وما نقصان
عقلنا وديننا يا رسول الله قال اليس شهادة المرأة مثل نصف
شهادة الرجل فذلك من نقصان عقلها اوليس اذا حاضت المرأة
لم تصل ولم تصم قلنا بلى قال فذلك من نقصان دينها الثالث
انها تمنع من قراءة القرآن وقد رخص فيه مالك اذا طالت
المدة خوفا من النسيان الرابع انها تمنع من مس المصحف الخامس
انها تمنع من دخول المسجد والاعتكاف فيه السادس انها تمنع
من الطواف بالبيت السابع من الوطئ قال تعالى فاعتزلوا
النساء فى المحيض فلما نزلت هذه الاية عمد المسلمون الى النساء
الحيض فاخرجوهن من البيوت واعتزلوهن فاذا تطهرن ردوهن
الى البيوت فقدم ناس من اعراب المدينة فشكوا عزل الحيض
عنهم وقالوا يا رسول الله ان البرد لشديد وان الثياب لقليلة
فان آثرناهن بالثياب هلك ساير اهل البيت بردا وليس كلنا
تجد سعة فقال لهم رسول الله انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن
اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقرا

عليهم هذه الآية واختلفوا في المراد بالاعتزال على ثلثة أبواب
أحدها اعتزال جميع بدنها أن يباشره بشيء من بدنه وهو
قول عبيدة السلماني والثاني ما بين السرة والركبة وهذا
قول شريح وبه قال أبو حنيفة ومالك وأبو يوسف وظاهر
مذهب الشافعي والثالث الفرج وما دونه مباح وهو قول
عايشة وميمونة وحفصة وجمهور المفسرين وأحمد وداود
وأبي إسحق وأبي علي ابن أبي هريرة ومحمد بن الحسن قال أنس لما
نزل قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض الآية قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم افعلوا كل شيء إلا الجماع فبلغ ذلك اليهود
فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه
وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من
وطئ امرأته وهي حايض فقضي بينهما ولد فأصابه جذام فلا
يلومن إلا نفسه ومن احتجم يوم السبت أو الأربعاء فأصابه وضح
فلا يلومن إلا نفسه فإن وطئها مع العلم بالتحريم أثم ووجب
عليه على قول الشافعي في القديم في إقبال الدم أن يتصدق بدينار
وفي إدباره نصف دينار وحكي عن سعيد بن جبير أنه قال يجب
عليه عتق رقبة وقال أحمد هو مخير بين دينار ونصف دينار
وحكي عن الحسن البصري وعطا أنه يجب كفارة الفطر في شهر
رمضان وقال الشافعي في الجديد لا شيء عليه سوى التوبة وبه
قال مالك وأبو حنيفة ووطي المستحاضة في غير أيام الحيض
مباح وقال أحمد لا يجوز إلا أن يخاف العنت قوله تعالى ولا
تقربوهن يعني ولا تجامعوهن حتى يطهرن قرا ابن محيصن والأعمش

وعاصم

وعاصم وحمزة والكسائي يطهرن بتشديد الطاء والهاء ومعناه
يغتسلن يدل عليه قراءة عبد الله حتى يتطهرن بالتاء على الأصل
وقرأ الباقون يطهرن مخففا ومعناه يطهرن من حيضهن وينقطع
الدم فصل اختلف الفقهاء في الحايض متى يحل وطيها فقال الشافعي
لا يحل وطيها إلا بشرطين بانقطاع الدم والاغتسال وهو قول سالم
ابن عبد الله وسليمن بن يسار والقسم بن محمد والليث بن سعد وزفر
وقال أبو حنيفة وصاحباه إذا طهرت المرأة لعشرة أيام حل
وطيها دون أن تغتسل وإن طهرت لما دون ذلك لم يحل وطيها
إلا بإحدى ثلث أن تغتسل أو تمضي لها أقرب وقت الصلوة فيحكم
لها بذلك حكم الطاهرات في وجوب الصلوة في ذمتها أو تتيمم وقال
مجاهد وطاوس وعطا إذا طهرت الحايض من الدم وأخذ زوجها
شبق فإن غسلت فرجها وتوضأت ثم أتاها جاز وقال الحسن
البصري إذا وطي الرجل امرأة بعد انقطاع الدم قبل أن تغتسل
فعليه من الكفارة مثل ما عليه إذا وطي الحايض فإن لم يجد الماء
تيممت وحل وطيها وقال مكحول لا يحل وطيها بالتيمم وإذا أراد
الرجل أن يأتي امرأته فذكرت أنها حايض قال القاضي حسين إن
كانت فاسقة لم يقبل قولها وإن كانت عفيفة قبل قولها وفي
هذا نظر بل يجب أن يعتبر في ذلك إمكان صدقها في قبول قولها
كما اعتبر ذلك في انقضاء العدة ولم يعتبر العدالة والفسق قوله
تعالى فإذا تطهرن أي اغتسلن دليله قوله تعالى ويحب المتطهرين
ولا يحمد الانسان على ما صنع له فيه والاغتسال فعلها وانقطاع
الدم ليس من فعلها ويدل عليه أيضا قوله تعالى وإن كنتم جنبا

فلطهر واطهر وتطهر بمعنى واحد وهو الاغتسال **قوله تعالى**
فاتوهن اى فجامعوهن من حيث امركم الله فيه اربعة اقوال احدها
معناه من قبل الطهر لا من قبل الحيض قاله ابن عباس وابو رزين
وقتادة والسدي والثاني معناه فاتوهن من حيث امركم الله ان
لا تقربوهن فيه في حال الحيض وانما قال امركم الله والمعنى نهاكم
لان النهي امر بترك المنهي عنه ومن بمعنى في كقوله تعالى اذا
نودي للصلوة من يوم الجمعة قاله مجاهد والثالث فاتوهن
من قبل التزويج الحلال لا من قبل الفجور قاله ابن الحنفية والرابع
فاتوهن من الجهات التي تحل ان تقرب فيها المراة ولا تقربوهن
من حيث لا ينبغي مثل ان تكون صائمة او محرمة او معتكفة قاله
ابن كيسان والزجاج قال الفرا هذا مثل قولك ايت الامر من
مأتاه اى من الوجه الذي يؤتا منه **قوله تعالى** ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين فيه خمسة اقوال احدها يحب التوابين من الذنوب
والمتطهرين بالما من الاحداث والحيض والجنابات والنجاسات
فانه في قصة اهل قبا قاله عطا ومقاتل بن سليمن والكلبي والثاني
يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من ادبار النسا ان ياتوها
قاله مجاهد والثالث التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك
والرابع المتطهرين من الذنوب لا يصيبونها قاله سعيد بن جبير
والخامس يحب التوابين من الكباير والمتطهرين من الصغاير ٥
التوابين من الافعال والمتطهرين من الاقوال التوابين من الاقوال
والافعال والمتطهرين من العقود والاصار التوابين من

الذنوب والمتطهرين من العيوب حكى ذلك عن الثعلبي والتواب
هو الذي كلما اذنب تاب نظيره **قوله تعالى** انه كان للاوابين
غفورا وعن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مر رجل ممن كان قبلكم من بني اسرايل بجمجمة فنظر اليها فقال
اى رب انت انت وانا انا انت العواد بالمغفرة وانا العواد بالذنوب
فرفع راسه فغفر له **قوله تعالى** نساكم حرث لكم الاية عن جابر
ان اليهود قالوا للمسلمين من اتى امراته وهي مدبرة جا ولدها
احول فانزل الله تعالى نساكم حرث لكم الاية رواه البخاري
ومسلم وقيل ان حيا من قريش كانوا يتزوجون النسا بمكة ويتلذذ
بهن مقبلات ومدبرات فلما قدموا المدينة تزوجوا من الانصار
فذهبوا ليفعلوا ذلك فانكرنه وانتهى الحديث الى النبي صلى الله عليه
وسلم فنزلت هذه الاية رواه مجاهد عن ابن عباس وعن ابن عباس
ايضا قال جا عمر رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله هلكت قال ما الذي اهلكك قال حولت رحلي البارحة
فلم يرد عليه شيا فانزل الله تعالى هذه الاية وهذا محمول على الاتيان
من خلفها بعد ان يكون المأتى واحدا فاما الاتيان في غير المأتى فما
كان مباحا ولا يباح ومعنى قوله حرث لكم اى مزرع ومنبت للولد
واراد به المحترث والمزروع ففرج المراة كالارض والنطفة
كالبذر والولد كالنبات فسميت المراة حرثا لانها من اسباب
الحرث فان قيل النسا جمع فلم قال حرث ولم يقل حروث قلنا
عنه ثلثة اجوبة احدها ان يكون الحرث مصدرا في موضع الجمع

فلزمه التوحيد كما تقول العرب اخوتك صوم واولادك
فطر يريدون صائمين ومفطرين والثاني ان يكون اراد حروث
لكم فاكتفى بالواحد عن الجمع والثالث معناه كحرث لكم كقوله
تعالى حتى اذا جعله نارا اي كنار والعرب تسمي النساء حرثا
وانشد المبرد لاعرابي وصف امراته باكل الجراد ٥

اذا اكل الجراد حروث قوم ❊ فحرثي همه اكل الجراد

وانشد احمد بن يحيى ثعلب

حبذا من هبة الله البنات الصالحات
هن للنسل والزرع وهن الشجرات
تجعل الله لنا فيما يشاء البركات
فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات

وفي الاية دليل على تحريم ادبار النساء لانها موضع الفرث لا موضع
الحرث وهذا من لطيف كنايات القران حيث عبر عن الفرج
بالحرث **قوله تعالى** فاتوا حرثكم انى شئتم انى حرف استفهام و
يكون سوالا عن الحال وفيه ثلثة اقوال احدها انه كيف شئتم مقبلة
ومدبرة اذا كان الاتيان في الفرج وهذا قول ابن عباس ومجاهد
وعطية والسدي والثاني ان المراد به العزل قاله سعيد بن المسيب
والمعنى ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا سال ابن عباس عن
العزل فقال حرثك ان شئت فاعطش وان شئت فارو وقال
عبد الله تستامر الحرة في العزل دون الامة والثالث انه بمعنى
اذا شئتم ومتى شئتم من ليل او نهار وهو قول ابن الحنفية والضحاك
ويكون انى بمعنى اين كقوله تعالى انى لك هذا اي من اين وقد وهم
بعض الفقهاء في تاويل هذه الاية وتعلق بظاهر خبر رواه وهو

مطلب حرث

ما روى

ما روى مالك بن انس عن نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف
فقرا هذه الاية نساؤكم حرث لكم قال تدري فيما نزلت هذه الاية
قلت لا قال نزلت في رجل اتى امراته في دبرها على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشق عليه ذلك فنزلت هذه الاية وهذا قول
ابن ابي مليكة وربما اضيف الى مالك وقد انكرت هذه الرواية
عن ابن عمر وروي عنه غيرها وان صحت الرواية فالمراد به اتيانهن
في فروجهن من ادبارهن والدليل على تحريم الادبار قوله عليه السلام
لا ينظر الله الى رجل اتى رجلا او امراة في دبرها **قوله تعالى** وقدموا
لانفسكم فيه خمسة اقوال احدها وقدموا لانفسكم الخير والعمل
الصالح قال الله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند
الله قاله السدي والثاني انه التسمية عند الجماع وروي عن
ابن عباس وهو قول عطا والثالث انه التزوج بالعفايف ليكون
الولد صالحا طاهرا والرابع انه تقديم الافراط قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قدم ثلثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه
النار الا تحلة القسم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان قال فظننا
انه لو قيل له وواحد لقال وواحد والخامس انه الدعا عند الجماع
قاله مجاهد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا اراد احدكم ان ياتي اهله فليقل بسم الله اللهم جنبني الشيطان
وجنب الشيطان ما رزقتنا فان قدر الله بينهما ولد لم يضره
الشيطان **قوله تعالى** واتقوا الله اي فيما امركم به ونهاكم عنه
واعلموا انكم ملاقوه فيجزيكم باعمالكم وقيل ملاقوا ما قدمتم
قوله تعالى وبشر المومنين اي بجزيل الثواب **قوله تعالى** ولا

مطلب دعاء

مطلب
إيمان

تجعلوا الله عرضة لايمانكم في سبب نزولها ثلثة اقوال احدها
انها نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه شي
فحلف ابن رواحة ان لا يدخل عليه ولا يكلمه وجعل يقول
حلفت بالله ان لا افعل ولا يحل لي ان لا ابر يميني فنزلت هذه
الاية روي عن ابن عباس وهو قول الكلبي والثاني ان الرجل كان
يحلف بالله ان لا يصل رحمه ولا يصلح بين الناس ولا يفعل
خيرا فامره الله ان يحنث في يمينه ويفعل ذلك الخير ويكفر
عن يمينه قاله الربيع بن انس وغيره والثالث انها نزلت في ابي بكر
الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا يصل ابنه عبد الرحمن
حتى يسلم قاله مقاتل ابن حيان وقال ابن جريج حدثت انها نزلت
في ابي بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في
حديث الافك والعرضة اصلها الشدة والقوة ومنه قيل
للدابة التي تتخذ للسفر وتعد له عرضة لقوتها ثم قيل لكل ما
يصلح لشي هو عرضة له حتى قالوا المراة هي عرضة للزوج اذا
صلحت له وقويت عليه وقال الفرا عرضة لايمانكم اي معترضا
مانعا والمعترض بين الشيئين مانع من وصول احدهما الى الاخر
وفلان عرضة دون كذا اي متعرض دون الوصول اليه واعترض
فلان على فلان اي منع كلامه من الجريان فالعرضة ما يعترض
به كاللعبة ما يلعب بها والاول اصح في كلام العرب واشعارها
وفي معنى الاية قولان احدهما ان العرضة ان يحلف بالله في كل حق
وباطل فيبتذل اسمه ويجعل عرضة وكثرة الحلف بالله ضرب

من

علة
2

من الجراة قاله ابن عباس والثاني ان معناه عرضة اي علة
يعتل بها في بره وفيها قولان احدهما ان يمتنع من البر وفعل
الخير اذا سيل فيقول علي يمين ان لا افعل او يحلف بالله في الحال
فيعتل في ترك الخير باليمين وهذا قول طاوس وقتادة والضحاك
وابن جبير والثالث ان يحلف ليفعلن الخير فيقصد بفعله البر
في يمينه لا الرغبة في فعله والايمان جمع يمين وهو القسم **قوله عز
وجل** ان تبروا معناه ان لا تبروا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا
وكقوله تعالى رواسي ان تميد بكم ومثله كثير قاله ابو عبيدة وقال
الزجاج تقديره لا تعترضوا باليمين بالله في ان تبروا فسقط في
ووصل الفعل اليه قال عبد الرحمن ابن سمرة قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات
الذي هو خير وكفر عن يمينك **قوله تعالى** والله سميع عليم يسمع ايمانكم
ويعلم ما تقصدون بها **قوله تعالى** لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو
في كلام العرب ما لا فائدة فيه ولا يعتد به قال الزجاج كل ما لا خير
فيه مما يوثم به او يكون غير محتاج اليه في الكلام فهو لغو قال تعالى
والذين هم عن اللغو معرضون وقال تعالى لا تسمع فيها لاغية
وفي اللغو هاهنا سبعة اقوال احدها ان يحلف على الشي يظن انه
كما حلف ثم يتبين انه بخلافه والى هذا المعنى ذهب ابو هريرة وابن
عباس والحسن وعطا والشعبي وابن جبير ومجاهد وقتادة و
السدي ومالك والثاني لا والله وبلى والله من غير قصد لعقد
اليمين وهو قول عايشة وطاوس والنخعي والشافعي واستدلوا
بقوله تعالى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم وكسب القلب

عقده وقصده وهذا ان القولان منقولان عن احمد والثالث انه
يمين الرجل وهو غضبان رواه طاوس عن ابن عباس وهو قول
علي كرم الله وجهه يدل عليه قوله عليه السلام لا يمين في غضب
والرابع انه الحلف على المعصية لا يؤاخذ الله بالحنث فيها بل
يحنث في يمينه ويكفر قاله سعيد بن جبير وقال غيره ليس
عليه كفارة بل ان يتوب منها قال الشعبي كل يمين لا يحل لك
ان تفي بها فليس فيها كفارة ولو امرته بالكفارة لامرته ان يتم
على قوله يدل عليه ما رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر فيما لا يملك فلا نذر له
ومن حلف على معصية الله فلا يمين له والخامس ان يحلف على
شيء ثم ينساه فلا يؤاخذه الله دليله قوله عليه السلام رفع عن امتي
الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وهذا قول النخعي والسادس
قاله ابن زيد هو دعاء الانسان على نفسه كقول القائل اعمى الله
بصري ان لم افعل كذا او يقول هو كافر ان فعل كذا وما اشبه ذلك
فهذا لغو اذا كان باللسان دون القلب لا يؤاخذه الله بها حتى
يكون ذلك من قلبه ولو يؤاخذه بها لهلك يدل عليه قوله تعالى
ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وقوله
تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم
الاية والسابع لغو اليمين هو اليمين المكفرة تسمى لغوا لان الكفارة
تسقط منه الاثم تقديره لا يؤاخذكم الله بالاثم في اليمين اذا كفرتم
قاله الضحاك وقال قوم لغو اليمين ان يحلف بابيه او اخيه او من
يعز عليه حكاه القشيري قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت

كفارته صح

قلوبكم

قلوبكم اي عزمتم وقصدتم لان كسب القلب العقد والنية
قوله تعالى والله غفور حليم معنى الحليم في صفة الله تعالى انه لا
يعجل بالعقوبة بل يؤخرها والحلم في كلام العرب الاناة والسكون
قال الخطابي لا يستحق اسم الحليم من سامح مع العجز عن المجازاة
انما الحليم الصفوح مع القدرة المتاني الذي لا يعجل بالعقوبة
قال الشاعر

لا يدرك المجد اقوام وان كرموا حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة لا صفح ذل ولكن صفح احلام

ويقال حلم الرجل يحلم حلما بضم اللام في الماضي والمستقبل وحلم
في النوم بفتح اللام يحلم حلما اللام في المستقبل والحاء في المصدر
مضمومتان **فصل** في حكم الاية اعلم ان الايمان وجوه منها ان
يحلف على طاعة كقوله والله لاصلين ولاصومن ونحوها فان
كان فرضا فالواجب عليه ان لا يحنث فان حنث فعليه الكفارة
لانه كان عليه فرضا فزاده تاكيدا باليمين وان كان تطوعا ففيه
قولان احدهما انه عليه الكفارة بالحنث فيه والثاني عليه الوفاء
بما قاله ولا يجزيه غيره ومنها ان يحلف على معصية وقد ذكرنا
حكمه والاختلاف فيه ومنها ان يحلف على مباح وهو على ضربين
ماض ومستقبل فاليمين على المستقبل مثل ان يقول والله
لافعلن كذا والله لا افعلن كذا فان هذا اذا حنث فيه لزمته الكفارة
واليمين على الماضي مثل ان يقول والله لقد كان كذا فلم يكن او لم
يكن كذا وقد كان وهو عالم به فهي اليمين الغموس التي تغمس
صاحبها في الاثم لانه تعمد الكذب وتلزمه الكفارة عندنا

وقال ابو حنيفة يلزمه الكفارة ثم اعلم ان المحلوف به على ضروب

ضرب منها يكون يمينا ظاهرا وباطنا وتلزم الكفارة بالحنث

فيها وهو قول الرجل والله وبالله وتالله فهذه ايمان صريحة

ولا يعتبر فيها النية والضرب الثاني ان يحلف بصفة من صفات

الله تعالى كقوله وقدرة الله وعظمته وكلام الله ونحوها فان

حكم هذا حكم الضرب الاول ، والضرب الثالث ان يحلف

بكنايات كقوله وايم الله وحق الله واقسم بالله ونحوها فهذه يعتبر

فيها النية فان نوى بها اليمين كان يمينا وان لم ينو اليمين لم

تكن يمينا والضرب الرابع ان يحلف بغير الله تعالى بان يقول

والكعبة والصلوة واللوح المحفوظ والقلم وقبر محمد صلى الله عليه

وسلم وابي وراس فلان قال صلى الله عليه وسلم من كان حالفا

فلا يحلف الا بالله ولا تحلفوا بآبائكم وسمع رسول الله صلى الله

عليه وسلم عمر بن الخطاب يقول وابي فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم

عن ذلك قال عمر رضي الله عنه فما حلفت بها ذاكرا ولا آثرا

واليمين لا تحرم ولا تحلل ولا توجب ، تم الجزء الاول

بحمد الله تعالى فله الحمد الذي هو اهله على جميع نعمه كلها دائما ابدا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من اهل الارض والسماء

وكان ذلك في عاشر رجب سنة اربع وثلثين وسبعمائة احسن الله

عاقبتها لجميع المسلمين آمين رب العالمين خدمة اقل عبيد الله

تعالى محمد بن موسى الاموي عفا الله عنهما وعن جميع المسلمين

وغفر لهم اجمعين ، يتلوه قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم

ان شاء الله تعالى وحسن عونه وفضله انه على ذلك قدير ،

طالعه فقير عفو الله عبد الرحيم بن محمد الشمري ابن ث المولى

١٢٧٣